المخراع في المراد المستنبة المخراط في المحروبية المخراط في المحروبية المحرو

بطاقة الفهرسة

مصدر الفهرسة: IQ-KapLIara IQ-KapLI rda

رقم تصنيفLC : LC د BP10.5 .K37 M3

المؤلف الشخصى: الكربلائي، عبد المهدي ـ ١٩٥٥ ـ ، مؤلف.

العنوان: المواعظ الحسنة: مواضيع أخلاقية من خطب الجمعة الدينية / الجزء الثاني.

بيان المسؤولية: لسماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي؛ إعداد وتنظيم وتحقيق مؤسسة الخلق

العظيم، قسم الشؤون الفكرية والثقافية.

بيانات الطبع: الطبعة الأُولى.

بيانات النشر: النجف، العراق: العتبة الحسينية المقدّسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية،

مؤسسة الخُلُق العظيم، ٢٠٢٠ م/ ١٤٤١ للهجرة.

الوصف المادي: ٥٢٦ صفحة؛ ٢٤ سم.

سلسلة النشر: (العتبة الحسينية المقدسة ؟ ٤٠٥).

سلسلة النشر: (مؤسسة الخُلُق العظيم).

تبصرة عامة: الجزء ١ : الكتاب هو أرشفة خطب الجمعة من تاريخ ١٤٢٤_ ١٤٢٥ للهجرة -

الجزء ۲: خطب الجمعة لعامي (٢٠٠٥_٢٠٠٦)م.

تبصرة ببليو جرافية: يتضمن هوامش، لائحة المصادر (الصفحات ٤٩٧ ع ٥٠٤).

موضوع شخصي: الكربلائي، عبد المهدي - ١٩٥٥ ـ . _ خطب.

مصطلح موضوعي: الخطب الدينية الإسلاميّة (الشيعة الإمامية).

مصطلح موضوعي: خطب الجمعة - الجوانب الدينية.

مصطلح موضوعي: خطب الجمعة - الجوانب الأخلاقية.

مصطلح موضوعي: الوعظ والإرشاد (الشيعة الإمامية).

مصطلح موضوعي: خطب الجمعة _ العتبة الحسينية المقدسة _ العراق - كربلاء.

اسم هيئة إضافي: العتبة الحسينية المقدسة (النجف، العراق)، قسم الشؤون الفكرية والثقافية،

مؤسسة الخلق العظيم. جهة مصدرة.

تحت الفهرسة قبل النشر في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٤٧٣) لسنة (٢٠٢٠م)

المواعظالجينية

مَوَلَظِينَهُ لَخُلَاقِيَّتُهُ مِنْ خُطَبِ لِجُمُعَ يَرِّلُلْلِ الْمُنْتَةِنُ لِينَمَاجُ تِرَلْقِ يَحْجَبُ لِلْمُهُ لِي لِلْمُ لِي لِلْمُ الْمُؤْلِقِيُّ لِلْمُ الْمُؤْلِقِيُّ الْمُحَالِقِي

> إعداد وتنظيم وتحقيق مُؤنينَّ مُزَالِكُ إِذَا لِمُؤْخَذِكُ إِنْ الْمُؤْخِذِكُ إِنْ الْمُؤْخِذِكُ إِنْ الْمُؤْخِذِكُ إِنْ الْمُؤْخِذِ

> > ا لجزءا لشّاني

خُطَّابُ ٱلجُمُّعُةِ لِعَالِمِی (۱۰۰۵ - ۲۰۰۱مر)

ا بوشراف العلمى ەلجخىرلاھىمىتى فىخىرىسىرى فىق دايىش الإحتىداد ئ



جَمِيْغُ ٱلْحُهُونَ فَامِخْ فَهُوْظِة لِلْعَجَبِّبِ لِلْمُعَلِّمِينِينِ إِلَّهُ فَالْمُقَامِّ مِنْ لِلْعَجَبِّبِ لَلْمُعِلِّمِ لِمُنْكِينِ إِلَّهُ فَالْمُقَامِّ مِنْ إِلَيْهِ

الطبعة الأولى 🏻

١٤٤١هـ-٢٠٢٠م





﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا نُودِئَ لِلصَّلَوْةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا الْمَيْعَ الْمُعَلَّمِ الْمَثَانَ الْمُتَاتُمُ تَعْلَمُونَ ﴾ إِلَى ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا ٱلْمِيْعَ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إِلَى ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا ٱلْمِيْعَ ذَالِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الجمعة: آية ٩).



كلمة سماحة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينيّة المقدّسة

بنِ ___ إِنَّهُ النَّمْ وَالنَّحِيدِ فِي

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على المبعوث رحمةً للعالمين أبي القاسم محمدٍ وعلى آله الطيبين الطاهرين.

وبعد، فإنّ هذا الكتاب عبارةٌ عن مواضيع أخلاقية أُلقيت في خطب الجمعة الدينيّة في الصحن الحسيني الشريف، وقد عمل الإخوة في مؤسسة الخُلق العظيم (جزاهم الله خيراً) على إعدادها وتنظيمها وتحقيقها ضمن موسوعة (المواعظ الحسنة) التي اهتمت بجمع المواضيع الأخلاقيّة من الخطب الدينيّة. وقد تصفّحت بعض المواضع من هذا الجزء منها فوجدتُه منسجهاً مع ما طُرح في تلك الخطب.

كما اطّلعت على أنّ هذا الكتاب _ كسائر الكتب الأخرى التي تعمل المؤسسة على إصدارها _ قد تمّت مراجعته بأكمله من قبل اللجنة العلميّة في المؤسسة.

ومن منطلق ثقتي بالإخوة العاملين في المؤسسة واللجنة العلمية فيها، فقد أجزت طباعة هذا المجلد من هذه الموسوعة، عسى أن ينتفع منها المؤمنون، وعسى أن يكون ذُخراً لنا وللمؤمنين يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلّا من أتى الله بقلبٍ سليم. والحمد لله ربّ العالمين

كلمتالمؤسست

بير لِللَّهُ ٱلدُّمُ زُالتَّحِيدِ لِهِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمّدٍ وآله الطيّبين الطاهرين.

وبعد؛ فقد كانت الأخلاق ولا تزال هاجساً مهيّاً؛ يشغل مساحةً واسعةً من الفكر الإنساني على اختلاف اتجاهاته ومصادره المعرفيّة، وقد اشتركت في حمل هذا الهمّ الكبير مختلف المدارس الفكريّة والديانات والحضارات، وسعت إلى معالجته وفق رؤاها المتفاوتة ومبانيها المختلفة. ويدلّل هذا الاهتهام البالغ على حقيقة في غاية الأهميّة، تفيد أنّ الجانب الأخلاقي لدى أبناء البشر عصيٌّ على الإهمال والتجاهل، وأنّ أيّ محاولة لتجاهل هذا البُعد المحوري والفطري، أو التغافل عنه ليست إلا معاولة لضبط بركانٍ هائج، أو السيطرة على ثورة عارمة في أعهاق الإنسان تسوقه إلى ما يرى فيه خيره وسعادته وكهاله، وهذا ما يدعو إلى التوقّف عند هذا الميل الفطري الجارف نحو الأخلاق؛ للإحاطة به والتعرّف على دقائقه وخفاياه، والسعي لمعالجته نظريّاً وعمليّاً.

إنّ التأمّل في ما تعيشه البشريّة ـ اليوم ـ من أزمات مختلفة على مستوى المجتمعات والأفراد يؤكّد حقيقةً مهمّةً؛ وهي أنّ قسطاً كبيراً من تلك الأزمات يعود إلى وجود فراغات كبيرة في المجال الأخلاقي، أخذت تنعكس سلباً على الجانبين الروحي والسلوكي للإنسان المعاصر، وقد كان لمجتمعاتنا الإسلاميّة نصيبها من تلك الأزمات المتعدّدة الجوانب، فأثّرت بشكل كبير على التراجع الأخلاقي الملحوظ، لا سيّما مع ملاحظة مدى التعقيد الذي تتسم به التحدّيات الراهنة، وما تحمله الحياة المعاصرة من تغيّرات مهمّة، وانفتاح غير مسبوق على الأفكار والثقافات والأنهاط السلوكيّة المختلفة في ظلّ الثورة المعلوماتيّة، والتنوّع المُذهل في وسائل الإعلام والتواصل.

لاريب أنّ ملاحظة ما مرّ ذكره، تدعو المهتمّين بالشأن الفكري والثقافي إلى وضع الحلول المناسبة، والعمل الجادّ في سبيل مواجهة هذه الأزمات ومعالجتها على المستويين: (النظري والعملي)، من خلال التأسيس لرؤية أخلاقيّة شاملة، تقوم _ في جانبها النظري _ على الوعي التامّ والدقيق بطبيعة الإنسان، وأبعاده الوجوديّة، وخصائصه، وميوله، ورغباته، والعمل على إحياء القيم والفضائل الأخلاقيّة _ في الجانب العملي _ بشتّى الطرق والوسائل المتاحة. ولا تخفى حاجة هذا العمل المهمّ إلى جهد مؤسساتي منتظم، تتظافر فيه المساعي والخبرات في سبيل مواجهة التحدّيات، والنهوض بالواقع الأخلاقي للمجتمع المسلم. وقد سعت (مؤسسة الخُلُق العظيم) لتكون السبّاقة في هذا المجال، وإليك عزيزي القارئ هذه الإطلالة السريعة عليها.

(مؤسسة الخُلق العظيم) ودوافع تأسيسها

لقد كان الشعور بالحاجة الملحّة للعمل الجادّ في المجال الأخلاقي، من قِبَل القائمين على العمل في العتبة الحسينيّة المقدّسة، حافزاً مهمّاً لإنشاء مؤسسة متخصّصة، ينصبّ جهدها على إحياء النهج الأخلاقي الإسلامي على المستويين: (الفكري النظري، والسلوكي العملي)، ونشره وترويجه بين أبناء المجتمع الإسلامي بطرقٍ ونشاطاتٍ مختلفة، فتمخصّت تلك الجهود المباركة عن تأسيس (مؤسسة الحُلق العظيم)، التي اشتُق اسمها من قوله تعالى في كتابه المجيد: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ "؛ تيمّناً بها نعت به الجليلُ الأعلى نبيّه الكريم عَلَيْ بهذه الصفة السامية، على أمل أن تسدّ جزءاً من الفراغ الملحوظ في المجال الأخلاقي.

رؤية المؤسسة

تنطلق المؤسسة من الرؤية الإسلاميّة للأخلاق، وتتبنّى استراتيجيةً عامّةً تقوم على ثلاثة عناصر أساسيّة يمكن أن نُعبّر عنها بـ(الأُسس الميتافيزيقيّة للأخلاق)، وهي:

⁽١) القلم: آية ٤.

أُوّلاً: اللّه تعالى بصفاته الكماليّة والجماليّة

تنطلق الرؤية الأخلاقية الإسلامية من مبدأ التوحيد، والإيهان بالله تعالى وصفاته وأفعاله، وتبتني على أنّ الله تعالى قد أودع في الإنسان ميلاً فطريّاً يدفعه نحو الخير وتحصيل الكهال بإرادته واختياره، وتُعدّ الغاية القصوى للأخلاق هي الوصول إلى القرب الإلهي باعتباره الكهال المطلق، وتكمن السعادة الحقيقيّة للإنسان في وصوله إلى تلك الغاية والاصطباغ بصبغة الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً ﴾ في وصوله إلى تلك الغاية والاصطباغ بصبغة الله، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً ﴾ والله تعالى هو الموجِد للميل الأخلاقي لدى الإنسان، وهو المقصد والمبتغى الذي يجب على الإنسان التوجّه إليه في كلّ محطّات مسيرته الأخلاقيّة، وأن يكون التوجّه إلى الله عزّ وجلّ هو الروح السارية في كلّ فعّالياته الأخلاقيّة.

ثانياً: النظام الأخلاقي

تعتمد الرؤية الأخلاقية المتبنّاة على أنّ الله تعالى كها أودع نظامه الأحسن في الكون، والذي يسير فيه كل مخلوق إلى كهاله المطلوب، أوجد _ كذلك _ نظاماً أخلاقيًّا متكاملاً، من شأنه أن يوصل الإنسان إلى الكهال من خلال رسم الهدف الأسمى له، وتعيين طريقه، وبيان العقبات التي تعترض مساره، وتعيين القدوة والمرشد في هذا السير، وهو ما تكفّل ببيانه الدين الإسلامي الحنيف، بل هو من أهم الوظائف التي بُعث لأجلها سيّد الرسل الله كها بينه بها روي عنه الها المخلق الأعمر مكارم الأخلاق» مكارم الأخلاق» ما يعني أنّ هناك نظاماً أخلاقيًا متكاملاً ومنسجاً مع فطرة الإنسان، تكفّلت ببيانه الرسالة الإسلاميّة؛ فيتحتّم علينا التعرّف عليها عليه، واستكشاف ركائزه وتعاليمه، والعمل على نشرها وترويجها والتثقيف عليها بمختلف الوسائل والأساليب.

⁽١) البقرة: آية ١٣٨.

⁽٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج١٦، ص٢١٠.

ثالثاً: الإنسان

يُشكّل الإنسان المحور في السجال الأخلاقي؛ فهو الموضوع الذي تدور حوله كلّ الجهود والفعّاليات الأخلاقيّة بكلّ ما يمتلكه من خصائص وجوديّة، ونفسيّة، وطبيعيّة، وعقليّة، وميتافيزيقيّة، وما له من احتياجاتٍ ورغباتٍ وميول، وكلّ ما يؤثّر في اتصافه بالصفات الأخلاقيّة، وفي صدور الأفعال الاختياريّة منه. ومن الواضح أنّ كل محاولة تهدف إلى تهذيب الأخلاق الإنسانيّة يجب أن تنطلق من رؤية صحيحة وواضحة ومتكاملة عن طبيعة تلك الخصائص والميول والمؤثّرات. ونعتقد _ جازمين _ أنّ الرؤية الأخلاقيّة الإسلاميّة تتوفّر على قراءة واقعيّة ودقيقة وتامّة وشاملة، تغطّي العناصر المهمّة والأساسيّة في وجود الإنسان وطبيعته وخصائصه وميوله، وكلّ المؤثّرات في مسيرته الأخلاقيّة.

وما ذكرناه _ آنفاً _ لا يهانع من الانفتاح على العلوم والمعارف المهتمة بدراسة الإنسان وشؤونه وأبعاده المختلفة، سيّها مع التطوّر الكبير الذي شهدته تلك العلوم وتخصصاتها الدقيقة، كالعلوم الطبيعيّة والإنسانيّة؛ من قبيل علم الإنسان (الانثروبولوجيا)، وعلم الاجتهاع (السيسيولوجيا)، وعلم التربية وغيرها، حيث يُمكن الاستفادة من معطيات تلك العلوم والمعارف في المجالات التي تصبُّ في سبيل تحصيل الوعي بخصائص الإنسان، والتعرّف على الوسائل المؤثّرة في التربية والتهذيب، شريطة أن لا تتصادم مع الأسس العقائديّة، ولا تتنافى مع المبادئ والقيم الأخلاقيّة والتعاليم التربويّة الإسلاميّة.

أهداف المؤسسة

تجدر الإشارة _ في سياق الحديث عن مؤسسة الخُلق العظيم _ إلى الأهداف المتوخاة من وراء تأسيسها؛ إذ تهدف إلى:

١ ـ رفد المكتبة الإسلامية بالنتاجات العلمية التحقيقية في المجال الأخلاقي؛ من خلال تأليف الكتب والموسوعات والبحوث والمقالات العلمية الرصينة.

٢_ إحياء التراث الأخلاقي الإسلامي؛ من خلال رصد الكتب والمخطوطات
 الأخلاقية المهمّة، والعمل على تحقيقها ونشرها، وفهرسة التراث الأخلاقي
 والتعريف به.

٣- النهوض بالجانب الأخلاقي والسلوكي للفرد والمجتمع؛ من خلال نشاطات مختلفة، تخاطب فئات المجتمع من الناشئة والشباب، وطلبة الجامعات، والأساتذة والكوادر العلمية والثقافية والمهنية، وأصحاب الاختصاص في المجال الأخلاقي، فضلاً عن الأُسر، والمجتمعات بأطيافها كافة.

٤_ رصد المحاضرات والدروس والخُطب الأخلاقية النافعة والمؤثّرة التي أفادها العلماء والمختصّون في هذا المجال، والعمل على نشرها بأساليب مختلفة؛ كتدوينها وتحويلها إلى كتب، أو نشرها على شبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

٥- إقامة المؤتمرات العلميّة، والندوات البحثيّة المختصّة؛ من أجل إثراء الفكر الأخلاقي، وفتح آفاق بحثيّة جديدة، تتناسب مع روح العصر ومتطلباته، وإقامة الدورات المختصرة في الأخلاق العمليّة، سواء منها ذات الموضوعات العامّة، كالأخلاق الإسلاميّة، أو الخاصّة كالدورات في الأخلاق التطبيقيّة؛ من قبيل أخلاق الوظيفة، وأخلاق الأسرة، وأخلاق التعليم، وأخلاق المهنة وغيرها.

٦- رصد الظواهر السلبيّة في المجال الأخلاقي، والمشاكل السلوكيّة التي يعاني منها
 المجتمع، والسعى لتقديم دراسة متكاملة حولها؛ بغية وضع الحلول المناسبة لها.

٧- إعداد البرامج الإعلامية التي تُسهم في معالجة المشاكل الفردية والاجتماعية المختصة بالجوانب الأخلاقية، سواء منها البرامج المُعدّة للبثّ على شاشات التلفاز، أو المناسبة للنشر على شبكات الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي.

٨ـ رفد الساحة الفكريّة بالنتاجات الأخلاقيّة المهمّة عبر ترجمتها من اللغات المختلفة إلى اللغة العربيّة، وكذلك ترجمة النتاجات المكتوبة باللغة العربيّة إلى اللغات الأخرى.

٩_ فتح آفاق التعاون مع الجامعات والمراكز العلميّة والمؤسسات والشخصيّات المختصّة والمعنيّة بهذا الشأن؛ لترشيد العمل وتطويره، والإفادة من الكفاءات في هذا المجال.

• ١- إعداد كوادر متخصّصة بالأخلاق الإسلاميّة؛ من أساتذة وخطباء باحثين. المعي لإعداد المناهج الدراسيّة في مجال الأخلاق الإسلاميّة، وتقديمها للمدارس الدينيّة، والمدارس والمعاهد والجامعات الأكاديميّة، والمراكز العلميّة الأخرى.

مشاريع المؤسسة

باشرت مؤسسة (الخُلق العظيم) بإنشاء جملة من المشاريع في سبيل الوصول إلى أهدافها المنشودة، سواء المشاريع الطويلة الأمد والاستراتيجية أو غيرها، وقد صدر لها بعض الإصدارات في هذا الصدد، فيما سيرى بعضها النور قريباً بإذن الله تعالى، وهذه المشاريع هي:

١. موسوعة المواعظ الحُسَنة

ويعمل هذا المشروع على تدوين وتحقيق خطب الجمعة الدينيّة ذات المضامين الأخلاقيّة، التي ألقاها ممثّل المرجعية العليا في النجف الأشرف والمتوليّ الشرعي للعتبة الحسينية المقدّسة سهاحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) في الصحن الحسيني الشريف منذ عام (٢٠٠٣م)، حيث تعمل المؤسسة على إخراجها بصيغة كتاب، بكل ما يتطلّبه من تعديل وتحقيق واستخراج للعناوين وغير ذلك.

٢. موسوعة الأخلاق الإسلاميّة الألفبائيّة

يهدف هذا المشروع إلى تأليف موسوعة ألفبائية أخلاقية، أو ما يُسمى بـ(دائرة المعارف الأخلاقية) تهتم بجمع المفاهيم الأخلاقية ـ والمقصود منها الصفات والأفعال

الأخلاقية _ مرتبة بحسب الترتيب الهجائي، وتقديم عرض كامل ومستوف وموثق لكل ما ورد حول تلك المفاهيم وفق الأسلوب المتبع في تدوين الموسوعات ودوائر المعارف؛ من بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي، وبيان حقيقة المفهوم الأخلاقي، ووصفه في القرآن والسنة والتراث الأخلاقي، وبيان أقسامه وأسبابه ومناشئه وآثاره ونتائجه، والآلية العملية للتحلي به إن كان من الفضائل، والتحرّز عنه إن كان من الرذائل، وما إلى ذلك من المباحث المتعلقة بكل موضوع؛ وهذا ما يجعل من هذا المشروع سابقة مهمّة في المصنفات الأخلاقية الشيعيّة، ومرجعاً مهمًا ومعتبراً في المضافل الإسلامية.

٣. ترجمة النتاجات الأخلاقية

تهتم المؤسسة بترجمة الكتب الأخلاقية المهمّة إلى اللغة العربيّة وبالعكس، ونشرها بعد المراجعة الدقيقة لها وتقويمها من قِبَل اللجنة العلميّة في المؤسسة، وقد تمّ العمل على ترجمة عدّة كتب، منها: الكتاب الماثل بين يدي القارئ الكريم.

٤. مشروع التراث الأخلاقي

يتضمّن تعريفاً مختصراً بالكتب الأخلاقيّة، وفق الترتيب الهجائي، مع فهرسة تفصيليّة للمباحث الأخلاقيّة في كلّ كتاب، وينتهي بفهرس موضوعي للمباحث الأخلاقيّة في جميع تلك الكتب؛ ليكون دليلاً نافعاً للمحققين والباحثين.

٥- تأليف سلسلة الفضائل والرذائل

تعمل المؤسسة على تأليف سلسلة كتيبات حول جملة من الفضائل والرذائل الأخلاقية، يتم من خلالها مخاطبة الشريحة المتوسّطة من القرّاء، وتتناول المواضيع الأخلاقية المهمّة وذات الأولويّة على الساحة الاجتماعيّة، لمعالجة أهمّ المشاكل الأخلاقيّة، والحثّ على مكارم الأخلاق الإسلاميّة، والترويج لها.

٦. مشروع المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقية

تعمل المؤسسة على إقامة سلسلة من المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاقية، بحضور نخبة من الأساتذة والباحثين المختصين بالجانب الأخلاقي، لبيان المواضيع الأخلاقية التخصصية المهمة، وعرض أهم الآراء والنظريّات فيها، كفلسفة الأخلاق، وتاريخ علم الأخلاق، والمدارس الأخلاقيّة، والمقارنة بين علم الأخلاق والعلوم والحقول المعرفيّة الأخرى وما شابه ذلك؛ بغية إثراء الساحة الإنسانيّة والدينيّة بالفكر الأخلاقي الرصين الذي يعتمد بالدرجة الأساس على الأسس والمبادئ الإسلاميّة.

٧- المشاريع الإعلاميّة

تعمل المؤسسة على إعداد جملة من البرامج الإعلاميّة المختلفة، سواء منها ما يُعدّ للبثّ التلفزيوني، أو ما يكون مناسباً للنشر على مواقع التواصل الاجتماعي، من مقاطع وملصقات تعليميّة وتثقيفيّة ذات مضامين أخلاقيّة.

٨ ـ إقامة دورات في الأخلاق الإسلاميّة

من مشاريع المؤسسة الاستراتيجيّة هو إقامة دورات قصيرة في الأخلاق العمليّة لمختلف الفئات، يتمّ فيها تدريس التعاليم الأخلاقيّة الخاصّة بكل فئة من الفئات، وهو ما يتعارف عليه تسمية: (الأخلاق التطبيقيّة)، كأخلاق الوظيفة، وأخلاق الأسرة، وأخلاق التعليم، وما شابه ذلك.

٩ ـ المكتبة الإلكترونيّة الأخلاقيّة

إذ قامت المؤسسة بعمليّة مسح ميداني في المكتبات والمواقع الإلكترونيّة وجمع النسخ المتوفّرة للكتب الأخلاقيّة والتربويّة؛ لتكون مصدراً مهمّاً للباحثين في هذا المجال، ليتم العمل على إعداد تطبيقٍ مختصِّ بالمجال الأخلاقي.

كلمة المؤسسة

هذا الكتاب

يُعدّ الكتاب الذي بين يديك _ عزيزي القارئ _ حلقةً من سلسلة نشاطات المؤسسة، وهو جمعٌ وإعدادٌ وتحقيقٌ لمجموعةٍ من الخطب الدينيّة ذات المحاور الأخلاقيّة، والتي أُلقيت في الصحن الحسيني الشريف، وصدحت بها حنجرة سهاحة العلامة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته)، وقد لاقت تفاعلاً ملحوظاً من شرائح المجتمع كافّة، لما تحمله من كلهات هداية مستقاة من نور الثقلين، ومعالجات ميدانيّة للعديد من المشاكل الأخلاقيّة والاجتهاعيّة التي تعيشها الساحة بلغةٍ سهلةٍ ويسيرة، دون أن تُعدم المضمون العالي، والمعنى الغالي. فدعت الحاجة إلى تدوينها وإخراجها بشكل كتابٍ يؤرشف هذه الخطب ويوثقها، كها من شأنه أن يكون مرجعاً مهمّاً للخطباء وروّاد المنبر وأئمة الجُمع وبُغاة العلم والمعرفة.

وقد احتوى هذا الجزء من هذه السلسلة اثنتين وثلاثين خطبة أُلقيت بين شهري رجب عام (١٤٢٦)، وذي الحجة عام (١٤٢٧) للهجرة النبويّة المباركة، أي: في الفترة الممتدة من شهر آب لعام (٢٠٠٥) إلى نهاية كانون الأول عام (٢٠٠٦) للملاد.

منهجنا في العمل

تلخُّص عمل المؤسسة بها يلي:

١ ـ تدوين مادة خطب الجُمع المسموعة وتنضيدها حرفيّاً بشكلٍ دقيق.

٢ _ إعادة صياغة عبارات الخُطب وتقويمها من خلال الحذف والإضافة،
 وتحويل الجمل من شكلها الخطابي إلى شكلها الكتابي.

٣ ـ تخريج العناوين للخُطب والمطالب التفصيليّة في كلّ خطبة بها يتناسب مع مضامينها.

٤ - تحقيق المطالب الواردة في الخُطب؛ من خلال:

أ) تخريج الآيات والروايات والأدعية والنصوص الواردة في الخطب وذكر مصادرها.

ب) توثيق المعلومات الواردة في الخطب من أقوال العلماء وبياناتهم بإرجاعها إلى مصادرها.

ج) توضيح بعض المصطلحات العلمية والمفردات الغامضة، وتعريف بعض الأعلام ما يُسهم في بيان المعنى المقصود وإيضاحه.

د) إضافة العديد من التعليقات في هامش الكتاب، والتي تتضمّن شواهد نقليّة من آياتٍ ورواياتٍ وأقوالِ للعلماء في تأييد ما ورد في متن الخطبة، وزيادة إيضاحه.

٥- إدراج بعض الإضافات الضروريّة على متن الخطبة، لمل الفراغ الذي أوجبته الظروف التي أُلقيت فيها الخطب، وقد حاولنا تقليص هذه الإضافات قدر الإمكان؛ للحفاظ على مضامين الخطب ومستواها.

وقد ساهم عدّة من الإخوة الأفاضل في إعداد هذا الجزء، وهم كلّ من: الشيخ نعيم الساعدي، والشيخ حيدر النصراوي، والشيخ عصام العلي، والشيخ يوسف العلي، والأستاذ نجم الويس، فقد تنوّعت جهودهم في سبيل إنجاز هذا العمل بمراحله المتقدمة من خلال تدوين مطالب هذه الخطب وإعادة صياغتها وتحقيقها وتقويمها وإخراجها، فشكر الله سعيهم وبارك جهودهم، وأحسن جزاءهم.

وقد كان للأساتذة الكرام أعضاء اللجنة العلميّة في مؤسسة الخلق العظيم جهودٌ متواصلة في الإشراف العلمي على العمل والمراجعة المتأنّية للكتاب وإبداء الملاحظات القيّمة التي أسهمت في خروجه بهذه الحُلّة القشيبة، فشكر الله سعيهم وجزاهم خير جزاء المحسنين.

ونرى لزاماً علينا أن نتقدم بالشكر والامتنان لسماحة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينيّة المقدّسة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته)، على رعايته

للمؤسسة ودعمه لمشاريعها، فنسأل الله تعالى أن يمدّ في عمره، ويجعل هذا المشروع المبارك ذخراً له ولنا.

وختاماً: نرجو أن يساهم هذا العمل المتواضع في التعريف بشيء يسيرٍ من معارف القرآن الكريم والعترة الطاهرة الله وأن يشارك في نشر الفضيلة والخُلق الرفيع في مجتمعاتنا الإسلامية، ونسأل الله تعالى أن يتقبّل منّا ومن القائمين على هذا العمل والمنجزين له بأحسن القبول، وأن يجعله ذخراً لنا ولهم جميعاً يوم نلقاه؛ ﴿ وَهُمُ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلّا مَنْ أَنَى اللهَ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴿ اللهِ ال

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

اللجنة العلميّة في مؤسسة الخَلق العظيم ٢/ذي الحبحّة/ ١٤٤٠هـ ٢/٠١٩/٨

(١) الشعراء: آية ٨٨.



مقدّمة الخطبة''

بير ـــ لَمِ لِلَّهِ الدِّمْ يَرَالِكُم مِرَالِكُم مِرَالِكُم مِرَالِكُم مِرْالِكُم مِرْالِكُم مِرْالِكُم مِر

الحمد لله الأوّل بلا أوّل كان قبله، والآخِر بلا آخِر يكون بعدَه، الذي قَصُرت عن رؤيته أبصارُ الناظرين، وعجزت عن نعته أوهامُ الواصفين. ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واخترعهم على مشيّته اختراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبّته... والحمدُ لله على ما عرّفنا من نفسه، وألهَمَنا من شُكرِه، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيّته، ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيده، وجنبنا من الإلحاد والشكّ في أمره، حمداً نُعمّرُ به في مَن حمِدَه من خلقه، ونسبِقُ به مَن سَبَقَ إلى رضاه وعفوه "".

(١) أُلقيت هذه الخطبة بعد طول انقطاع لساحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي (دامت بركاته) بسبب تدهور حالته الصحيّة؛ لذا بدأ الخطبة بتقديم الشكر لكلّ مَن دعا له بالشفاء، أو وقف

بسبب منمور عنه الطومنين على المنه المطب المعالم المساور على من دع به المسام الوول معه في مرضه، قائلاً: «إخوتي المؤمنين وأخواتي المؤمنات، أتقدّم بالشكر الجزيل والثناء الجميل الجميع المؤمنين والمؤمنات الذين رفعوا أكفّهم بالدعاء، وتوسّلوا لله تعالى في شفاء المرضى

وشفائي خاصّة، وأسأل الله تعالى أن يقضي حوائجهم في الدنيا والآخرة.

وأتقدّم بوافر الشكر والاحترام والإجلال لكلّ مَن وقف معي وقفة الأخ المؤمن الصادق في إيهانه، وأسال الله تعالى أن يحشرهم مع النبيّ وآله.

وأتقدّم بالشكر أيضاً إلى جميع إخوتي الذي زاروني في محنتي، وبعثوا في نفسي الأمل وراحة البال. وأتقدّم بالشكر أيضاً لجميع الإخوة الأطبّاء في مستشفى الحسين الله العام، الذين ساهموا في الأيّام الأولى في معالجتي.

وأتوجّه بالشكر الخاصّ لجميع الإخوة من مدينة البصرة وخاصّةً الدكتور الحمداني».

⁽٢) الصحيفة السجّاديّة: ص٢٩، من دعائه الله إذا ابتدأ بالدعاء ابتدأ بالتحميد لله عزّ وجلّ والثناء عليه.

مستويات إحياء ذكر الإمام على الله الله

إنّ المتبِّع لكلمات الإمام أمير المؤمنين وخطبه ووصاياه، يُلاحظ أنّ الإمام أغنى الفكر الإنساني بأبعاده المختلفة؛ السياسية منها، والاقتصاديّة، والاجتماعيّة، والتربويّة، والأخلاقيّة، أغناها بالعلوم والمعارف. وهذا ما يجب علينا إبرازه والتأكيد عليه في إحيائنا لذكر الإمام إلى فإنّ لإحياء ذكر أهل البيت الله وضائلهم ومناقبهم مستويين:

المستوى الأوّل: المستوى الظاهري

وهو عبارة عمّا نلاحظه من قيام شيعة أمير المؤمنين الظهار معالم الفرح والسرور والابتهاج بهذه الذكرى وأمثالها من المناسبات، وإقامة الاحتفالات والمهرجانات الشعريّة والفكريّة والعقائديّة التي تذكّر بفضائل أمير المؤمنين الطهوا الأطهار المؤمنين المؤمني

المستوى الثاني: المستوى الحقيقي

وهو إحياء فكر أمير المؤمنين الله وفضائله ومناقبه، ولهذا المستوى من الإحياء مرتبتان:

المرتبة الأُولى: إحياء ذكر الإمام أمير المؤمنين في وفكره ومناقبه وسيرته في أعماق النفس والقلب، ويتمثّل هذا في تطهير النفس والقلب من رذائل الصفات ومذامّ الأخلاق والعقائد.

المرتبة الثانية: أن يتمثّل فكر الإمام أمير المؤمنين الله وسلوكه في سلوك المسلمين وشيعة أهل البيت الله وفي أفعالهم الخارجيّة.

⁽١) أُلقيت هذه الخطبة في اليوم الثالث عشر من شهر رجب، الذي يُصادف ذكري ولادة الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب اليّلاِ.

إذاً، هناك إحياءٌ ظاهري وإحياءٌ حقيقي، والظاهري مقدّمة للإحياء الحقيقي؛ إذ من خلال الإحياء الظاهري يتجلّى الولاء والمتابعة لأمير المؤمنين وأهل البيت اليها، ومن خلال الإحياء الحقيقي في القلوب والمهارسات الخارجيّة؛ يكون الإحياء الواقعي لفكر أمير المؤمنين الله وفضائله ومناقبه.

ضرورة إحياء فكر الإمام عليّ الله في العلاقة بين الحاكم والمحكوم

بعد هذه المقدّمة نتعرّض إلى الجانب الفكري من خلال الجوانب المشعّة والمشرقة لفكر أمير المؤمنين الله وتحديداً الفكر الاجتهاعي، وكيفيّة تنظيم العلاقة بين الراعي ورعيّته، وبين الحاكم والمحكوم، وبين الرئيس والمرؤوس، وبين المدير ومَن يُديره.

ولا يُتصوّر بأنَّ هذا الأمر لا يهم شريحةً واسعةً من المجتمع، وإنّما يهم شريحةً خاصّة ضيّقةً فقط، حتى يُقال: فلهاذا نتعرّض له؟ ولماذا لا نتعرّض إلى غرض يشمل طبقةً وشريحةً أوسع؟ فإنّ من الواضح أنّ هناك أسباباً كثيرةً تقف وراء التعرّض إلى بيان طبيعة العلاقة بين الراعي والرعيّة؛ منها:

السبب الأوّل: هو أنّه منذ استشهاد أمير المؤمنين الله لم يعتلِ الخطّ الإسلامي من أتباع أهل البيت الله مواقع قياديةً في الدولة إلّا في الفترة الحاليّة. فمنذ قرابة (١٤٠٠) سنة لم تتسنَّ الفرصة للخطّ الإسلامي من شيعة أهل البيت الله أن يَتسنّموا مواقع القيادة في السلطة التشريعيّة والتنفيذيّة والقضائيّة إلّا في هذا الوقت، من هنا لا بدّ أن نُحيي تلك الأفكار والرؤى التي قاد بها الإمام الله الدولة، وسار في ضوئها في سياسته و في تعامله الاقتصادي والاجتاعي مع رعيّته.

السبب الثاني: لا بدّ أن نزرع الثقة في نفوس المسلمين، وفي نفوس أتباع أهل البيت الثاني: لا بدّ أن نزرع الثقة في نفوس المسلمين، وفي نفوس أتباع أهل البيت المؤلفة بأنّ الخطّ الإسلامي من هذه الطائفة قادرٌ على إدارة المجتمع وبصورة كفوءة تقود إلى التقدّم والازدهار الذي كان ينشده أمير المؤمنين في دلك النامان. نزرع الثقة إلّا بدراسة منهج أمير المؤمنين في حاكميّته لرعيّته في ذلك الزمان.

ولو تأمّلنا وتعمّقنا في ما طرحه أمير المؤمنين في كيفيّة تنظيم هذه العلاقة؛ نجد أنّ هذا الفكر لا يشمل الحاكم مع الرعيّة فقط، ولا يشمل رئيس الجمهوريّة ورئيس الوزراء فقط، بل يشمل كلّ إنسان يقود شريحةً من المجتمع وإن كانت هذه الشريحة صغيرةً، فيشمل المحافظ، ويشمل مجلس الإدارة، ويشمل رئيس المؤسّسة، ويشمل المدير العامّ، بل يشمل حتى مدير الدائرة ومدير المدرسة والمشرف في إدارة رياض الأطفال.

وبتعبير آخر: إنّه يشمل كلّ إنسان يدير ويقود مجموعةً من المجتمع لتحقيق أهداف معيّنة مها كانت هذه الشريحة كبيرةً أو صغيرةً.

ولكي نُثبت للآخرين تلك الصورة المشرقة التي كان ينشدها المسلمون دائماً في عودة دولة أمير المؤمنين إلى الحياة، فإنّ ذلك يتوقّف على مدى استيعابنا لفكر الإمام إلى ومدى تطبيقنا له. ومن هنا فها نريد بيانه في المقام أمران:

الأمر الأوّل: أودّ أن أبيّن طبيعة العلاقة القائمة بين الحاكم والمحكوم، بين الرئيس والمرؤوس، وبين المدير والأشخاص الذين يديرهم؛ فطبيعة هذه العلاقة هي طبيعة الحقوق التي فرضها الله تعالى على كلّ من الراعي والرعيّة، على كلّ من الحاكم والمحكوم، على كلّ من الرئيس والمرؤوس؛ فهناك حقّ في عنق الحاكم، وحق في عنق المحكوم، فيجب على الحاكم أن يؤدّي هذه الحقوق، ويجب على الرعيّة (المحكوم، المرؤوس) أن تؤدّي هذه الحقوق؛ حتى تنتظم العلاقة بينها، ويمكن الوصول إلى الأهداف والنتائج المرجوّة من هذه القيادة.

الأمر الثاني: نجد من خلال النصوص التي وردت عن أمير المؤمنين الله أنّ منصب القيادة والرعاية لأيّة مجموعة من الناس هو أمانة إلهيّة جعلها الله تعالى في عنق ذلك الشخص، ويجب عليه أن يُؤدّي تلك الأمانة بإخلاص، وإن لم يؤدّها فلا فائدة فيه، بل الكرسي الذي يجلس عليه أفضل منه، والأولى أن يتخلّى عن ذلك

الموقع ويتركه لغيره؛ لكي يُدير تلك العمليّة السياسيّة أو الاجتماعيّة بكفاءة وإخلاص.

وسوف أبين هذين الأمرين من خلال ما ورد من نصِّ عن أمير المؤمنين الله يُشير فيه إلى طبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم والحقوق المفترضة على الجانبين:

قال الإمام الله في الخطبة الرابعة والثلاثين من (نهج البلاغة): «وأعظمُ ما افترضَ سبحانه من تلك الحقوق حقّ الوالي على الرعيّة، وحقّ الرعيّة على الوالي، فريضة فرضها الله سبحانه لكلً على كلّ، فجعلها نظاماً لأُلفتهم وعِزّاً لدينهم»(١٠).

توضيح ذلك: يُبيّن الإمام بأنّ أداء الحقوق من كلا الجانبين _ الراعي والرعيّة _ سيؤدّي إلى نتائج مهمّة:

منها: تنشئة علاقة المحبّة والودّ والأُلفة بين الحاكم والمحكوم؛ وبالتالي من الممكن لهذه الدولة أن تبقى، ولهذا النظام أن يستمر.

ومنها: أنّ في انتظام العلاقة بين الراعي والرعيّة ستكون العزّة والكرامة ورفعة الشأن والاحترام بين الأُمم.

وإلى هذين الثمرتين أشار الإمام ﷺ، بقوله: «فجعلها نظاماً الأُلفتهم، وعِزّاً للدينهم».

حقوق الرعيّة على الراعي

في البداية أذكّر بها أشرت إليه سابقاً، من أنّ هذه الحقوق لا تختصّ بفئة دون أخرى، ولا بمنصب دون غيره، بل تشمل كلَّ إنسانٍ يُدير مجموعةً من المجتمع، فإنّ عليه أن يُراعي هذه الحقوق والالتزامات التي جعلها الله تعالى أمانةً في عُنقه.

قال الإمام على: «أيّها الناس، إنّ لي عليكم حقّاً، ولكم عليّ حقّ، فأمّا حقّكم عليّ؛

⁽١) نهج البلاغة، خطب الإمام على الله : ج٢، ص١٩٨.

فالنصيحة لكم، وتوفير فيئكم عليكم، وتعليمكم كي لا تجهلوا، وتأديبكم كيها تعلموا» $^{(\prime)}$.

في هذا المقطع من الخطبة الشريفة يذكر الإمام الله أربعةً من حقوق أبناء الشعب والأُمّة على رئيس الدولة. وبعبارة أُخرى: يذكر حقوق المرؤوس على الرئيس.

الحق الأوّل: النصيحة

أُولى مسؤوليّات الرئيس هي النصيحة للمرؤوسين، وللنصيحة معنيان:

المعنى الأوّل: النصيحة بمعنى أن يرشدهم إلى ما فيه مصلحتهم، ويهديهم إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات.

المعنى الثاني: بمعنى النصح؛ وهو الإخلاص أو الخلوص والصدق"؛ لذلك يُقال للعسل الخالص: العسل الناصح". وذلك بأن يكون الرئيس ناصحاً ومخلصاً لأُمّته وللمجموعة التي يقودها، وأن تكون قراراته حكيمة ومتينة ومدروسة بها يؤدي إلى تحقيق الحقوق المعنويّة والرفاه المادّي، وأن تكون قراراته مبنيّة على أساس رعاية الصالح العامّ والمصلحة العامّة للشعب أجمعه، وأن يُبعد عن الأُمّة ما فيه انتقاصٌ من شأنها وعزّتها وكرامتها، أو ما يُؤدّي إلى تحطيم البُنية التحتيّة لدولتها.

نصحتُ بني عوفٍ فلم يتقبّلوا رسولي ولم تنجحْ لديهم وسائلي وهو باللام أفصح... والاسم النصيحة.

والنصيح: الناصح. وقوم نصحاء. ورجل ناصح الجيب، أي: نقي القلب.

قال الأصمعي: الناصح الخالص من العسل وغيره، مثل الناصع. وكلّ شيء خَلَص فقد نصح. الجوهري، إسهاعيل بن حمّاد، الصحاح: ج١، ص٠٤١ ـ ١١٥ ـ مادة (نصح).

⁽١) المصدر السابق: ج١، ص٨٤.

⁽٢) انظر: العيني، محمود بن أحمد، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: ج٢٢، ص٠٨٨.

⁽٣) نصح: نصحتك نصحاً ونصاحة. قال الذبياني:

الحق الثاني: توفير الفيء

وقد أشار الإمام الله إلى هذا الحقّ بقوله: «وتوفير فيئكم عليكم». وللفيء معنى خاص، ومعنى عامّ؛ المعنى الخاص: هو المال الذي يدخل بيت مال المسلمين من الخراج. أمّا المعنى العام: فهو جميع الأموال التي تدخل بيت مال المسلمين. وهذا هو المعنى الذي قصده الإمام الله.

وكأنّ الإمام الله يقول: كما أنّ هناك أمانةً سياسيّةً ملقاةً على عاتق الرئيس والحاكم، هناك أمانة ماليّة ملقاة على الرئيس والحاكم ومدير الدائرة ومدير المدرسة والمشرف على أيّ عملٍ، وفي أي موقع كان؛ هذه الأمانة الماليّة تعني صرف الموارد الماليّة في ما فيه المصلحة للشعب وللمرؤوسين.

وإذا ما أردنا أن نطبق ذلك على ما نعيشه اليوم في الوضع العراقي الراهن، يكون مؤدّاه: أنّه لا بدّ من وضع الخطّة الاقتصادية لتوفير الرفاه الاقتصادي ومعالجة الخلل والتدهور الاقتصادي في البلد، وكذلك إعطاء حقوق الطبقة المحرومة والفقيرة، وتلك الشرائح التي عانت كثيراً بسبب نظام حكم فاسدٍ وظالمٍ حرمها من حقوقها، فيجب على مَن يتصدّى للقيادة أن يُعطيها ما تستحقّه من حقوق.

هذا المعنى هو الذي يقصده أمير المؤمنين الله ولكي يتوفّر هذا المال على المرؤوسين؛ فلا بدّ من معالجة الفساد المالي والفساد الإداري الذي استشرى في مؤسّسات الدولة، وفي صفوف الموظفين بصورة باتت تهدّد الدولة والشعب.

الحق الثالث: رفع الجهل

وقد أشار الله إلى هذا الحق في قوله: «وتعليمكم كي لا تجهلوا». بمعنى: أنّ من السياسات التي ينبغي أن يضعها الحاكم والرئيس هي السياسة التعليميّة؛ بحيث يرفع الجهل والتخلّف والأُميّة؛ حتى يكون هذا الشعب شعباً واعياً لحقائق الأُمور،

ولا تنطلي عليه الأقاويل والعقائد المنحرفة والباطلة؛ شعباً يستطيع أن يرتقي إلى مستوى الشعوب المتطوّرة في الميدان العلمي والاقتصادي والاجتماعي.

الحق الرابع: وتأديبكم كيما تعلموا

نبَّهَ الإمام الله إلى هذا الحق بقوله: «وتأديبكم كيها تعلموا»، وعندما قرأت هذه العبارة في أحد المصادر تصوّرت أنّ الناقل قد أشتبه في النقل، وظننتُ أنّ الصحيح هو: «كيها تعملوا»؛ لأنّ التأديب هو تربية أفراد المجتمع على الفضائل الأخلاقيّة، أو قلّ: يُراد من التربية أن يكون المجتمع صاحب أخلاق، وليس الهدف منها تعليم المجتمع.

نعم، هذه السياسة التعليميّة تؤدّي إلى أن يسود العلم وسط المجتمع، وأنّ الحاكم يؤدّب المجتمع، ويُراد من التأديب هو: العلم. هذا ربّم يكون معنى آخر! ولكنّ العبارة صحيحة جدّاً، ولا بدّ أن نلتفت إلى المعنى الذي يقصده الإمام المله بقوله: «وتأديبكم كيم تعلموا».

توضيح ذلك: إنَّ العلمَ علمان؛ نظري، وعملي. والعلم العملي هو عبارة عن المعرفة العقليّة بها يتعلّق بالأُمور العمليّة، وما ينبغي على الإنسان فعله والاتصاف به من الفضائل والأخلاق القويمة، وما ينبغي عليه تركه والتعالى عنه.

وكأنّ الإمام يُريد أن يقول: من حقّ الرعيّة على الحاكم ألّا يضع لها سياسةً تعليميةً في مجال العلوم الأكاديميّة فقط؛ أي: في مجال الطبّ والهندسة والكيمياء والفيزياء وأمثالها فقط، بل هناك حقّ آخر _ وهو حقّ مهم _ وهو أن يضع الحاكم والرئيس سياسةً تعليميّةً أخلاقيّةً، ولا بدّ أن يضع الحاكم منهجاً تربويّاً وأخلاقيّاً لتهذيب نفوس الطلبة والأساتذة، وكلّ أصناف الأُمّة، كلُّ بحسبه.

فالطبيب ينبغي أن يملأ قلبه رحمةً، أمّا لو امتلأ قلبه حبّاً للمال وللإثراء على حساب المرضى؛ فسوف لا يهمّه بيع الدواء بأسعار باهظة، ولا يهمّه أن يموت

المريض إذا احتاج إلى عمليّة ولم يستطع أن يدفع ثمنها، ويكون قد خان وظيفته وشرفه المهني والعلمي.

والمهندس من دون تربية لا تهمّه حياة المواطنين؛ فقد يوافق على إنشاء أبنية ومدارس بمواصفات غير قانونيّة من أجل أن يربح أكثر.

والقاضي غير العادل والفاسد يحكم بغير العدل وبغير الإنصاف من أجل مبلغ من المال يُقدّم له كرشوة.

فها قيمة التعلم إذا لم يتتلمذ الطلبة على الأخلاق والتربية الحميدة؟! فإنّ من المهمّ جدّاً أن يتخرّج الطالب وهو يحمل معه فضائل الأخلاق والأفعال الحميدة.

ومن هذا المنبر أوجّه ندائي إلى الإخوة المسؤولين عن التربية والتعليم: من المهمّ أن يُوضع في مناهج التعليم ـ سواء كان في المدارس الابتدائية أو المتوسطة أو الإعدادية أو الجامعات ونؤكّد على الجامعات ـ دروس التربية الإسلاميّة؛ لتربية الطالب على فضائل الأخلاق، وفي الوقت نفسه لا بدّ من الاعتناء بهذا المنهج جيّداً في المراحل الابتدائيّة والمتوسطة والإعداديّة، فمع أنّ درس التربية الإسلاميّة موجود، لكنّه دون المستوى المطلوب، وكأنّه درس هامشي.

إذاً فمن حقّ المرؤوسين على الرئيس وعلى الراعي أن يضع لهم المناهج التربويّة والأخلاقية؛ لكي يخرج الطبيب والمهندس والقاضي والكيائي والفيزيائي وهم يحملون أخلاق الحضارة الإسلاميّة، حتى نستطيع أن نبني الدولة بها نأمل إليه.

الحق الخامس: الرحمة للرعيَّة والعطف عليهم

فقد جاء في عهد الإمام إلى مالك الأشتر حينها ولاه مصر: «وأشعر قلبك الرحمة للرعيّة، والمحبّة لهم، واللطف بهم» ((). هذه السياسة _ سياسة الرحمة والعطف

⁽١) نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ الله : ج٣، ص٨٤.

واللطف _ ستؤدّي إلى توطيد العلاقة بين الحاكم والمحكوم؛ وحينئذ سيكون هذا الشعب محبّاً لقائده، وحينها تتوثّق هذه العلاقة، وتقوى الأواصر بين الحاكم والمحكوم؛ سيجعل ذلك من الدولة دولةً قويةً وشعباً يُحافظ على تلك الدولة، فلا يُراد من الحاكم أن يكون سيفاً مسلّطاً على رقاب رعيّته.

إذاً سياسة القلب الرحيم والمودّة والعطف للرعيّة من الأُمور المهمّة التي تُنتج قوّة الدولة وقوّة العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

الحق السادس: سعة الصدر

من جملة الأُمور والحقوق ـ التي نتصيدها من كلمات الإمام أمير المؤمنين الله سعة الصدر، وهي من الصفات التي تُعتبر أساسيّةً في نجاح أيّ إنسان يقود مجموعةً ما، وحتى تتحقّق أهدافه وغاياته من تلك القيادة لا بدّ أن يتحلّى بسعة الصدر؛ فكلّ مَن يقود مجموعةً، ويُريد أن يصل إلى هدف وغاية لا بدّ أن تواجهه صعوبات ومعوقات ناشئة من نفس العمل الذي يقوم به، وصعوبات ومعوقات ناشئة من طبيعة عمل المرؤوسين الذين يعملون معه، فلا بدّ أن يتحلّى هذا الرئيس والحاكم والقائد والمدير والمشرف بسعة الصدر حتى يمكن أن يصل إلى هدفه وغايته، وإلّا فسوف تراه مضطرّاً إلى التراجع في ربع الطريق أو منتصفه، ولا يستطيع حينئذٍ أن يُحقّق تلك الأهداف والغايات.

يقول أمير المؤمنين الله الرياسة سعة الصدر» ((). أي: إنّ الوسيلة التي ينبغي أن أتبعها حتى أصل إلى هدفي ومقصودي وغايتي هو أن أوسّع صدري، وأتحمّل الكثير من المعوّقات التي تحول دون وصولي إلى الهدف.

⁽١) المصدر السابق: ج٤، ص٤٢، رقم الخطبة١٧٦.

وهنا يكون الكلام موجّهاً إلى كلّ إنسان مسؤول عن أيّة شريحة من شرائح المجتمع: حتى تصل إلى هدفك وغايتك؛ لا بدّ أن تتحلّى بسعة الصدر.

الحق السابع: مواصلة اللقاءات

وقبل بيان تلك النتائج هنا أُوجّه كلامي إلى الإخوة المسؤولين فأقول: من الضروري لكلّ مسؤول، وفي أيّ موقع كان، لا بدّ من إجراء اللقاءات المتواصلة مع أفراد الشعب، ومع أفراد الأُمّة.

يقول الإمام الله مبيناً النتائج السيئة للاحتجاب عن الأُمّة: «فإنّ احتجاب الولاة عن الرعيّة شُعبةٌ من الضيق، وقلّةُ علم بالأُمور، والاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه»("). ويطول كلام الإمام الله في بيان النتائج السلبيّة والسيئة للاحتجاب عن الأُمّة.

⁽١) المصدر السابق: ج٣، ص١٠٣، من كلام أمير المؤمنين في كتابه إلى مالك الأشتر.

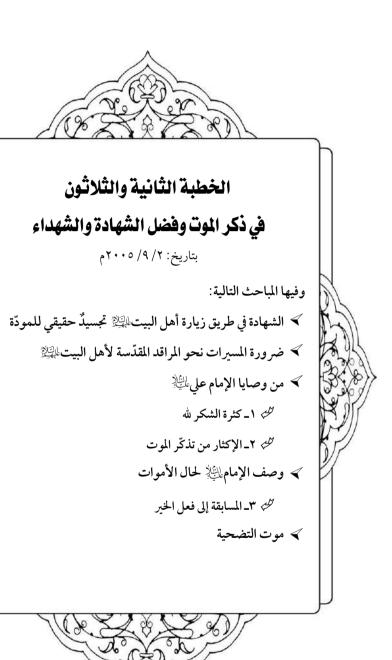
⁽٢) المصدر نفسه: ج٣، ص١٠٣.

ويمكن أن نُبيِّن بعض النتائج الإيجابيَّة التي تُكتسب باللقاءات المتواصلة مع الأُمَّة:

أوّلاً: أنّ الرئيس أو الحاكم سيكسب ودّ الرعيّة والمرؤوسين ومحبّتهم، وكذلك المدير وأيّ إنسان مسؤول، وحينها يبني هذا القائد والحاكم هذا النوع من العلاقة؛ فحينئذٍ ستقوى الأواصر بين الرعيّة والراعي، وبين الحاكم والمحكوم، والرئيس والمرؤوس، ويمكن أن تُحقّق الأهداف المرجوّة، فتقوى تلك الدولة، ويقوى نظامها، ويُضمن ديمومته واستمراره.

ثانياً: من خلال اللقاء مع جماهير الأُمّة يطّلع الحاكم على الأُمور التي تهمّ حياة الناس، ويعرف ما يدور في نفوسهم من الخلَجات والأماني والتطلّعات، وربّها يكون أحد القادة الذين يعملون تحت إمرة ذلك الرئيس قد انتهج سياسة ظالمة أو عنيفة اتجاه الرعيّة، فحينئذ يستطيع أن يطّلع الحاكم أو المسؤول أو المدير على تلك الأُمور، فإذا احتجب عنهم؛ احتجبت تلك الأُمور عنه. وفي الوقت نفسه يستطيع أن يطلع على رأي الناس في السياسة التي ينتهجها، فمن المكن أن يكون غافلاً عن بعض الأُمور السيّئة في سياسته وإدارته، فيلتفت إليها من خلال هذا اللقاء، لذلك نرى الإمام الله يوصي ولاته الذين عهد إليهم إدارة شؤون بعض البلدان أن يكثروا من لقاءاتهم ومواصلة هذه اللقاءات مع الأُمّة.

وختاماً أقول: إنّ في الوقت الحاضر، حيث استطاع الخطّ الإسلامي والمخلصون من أبناء هذه الطائفة أن يعتلوا المواقع القياديّة في إدارة البلد في السلطات التشريعيّة والتنفيذيّة والقضائيّة، لا بدّ أن يدرسوا بعناية فائقة منهج أمير المؤمنين الله كلي تبقى تلك الصورة المشرقة التي رسمها النبيّ أين وأمير المؤمنين في إدارة تلك البلدان، وحتى تُثبت لنا هذه القيادات أنّها كفوءة وقادرة على إدارة شؤون البلاد بها يوصلها إلى أمانيها.



مقدّمة الخطبة

بير لِللهِ الدِّمْ يَرَالِحَدِ لِنَهِ الدِّمْ يَرَالِحَدِ لِنَهِ

اللّهم لك الحمد على كلّ خير أعطيتنا، ولكَ الحمد على كلّ شرّ صرفته عنّا، ولك الحمد عدد ما أبليت ولك الحمد عدد ما أبليت وأوليت، وأخذت وأعطيت، وأمتّ وأحييت، وكلّ ذلك إليك، تباركت وتعاليت. لا يذلّ مَن واليت، ولا يعزّ مَن عاديت، تُبدي والمعاد إليك، وتقضي ولا يُقضى عليك، وتستغني ونفتقر إليك، فلبيّك ربّنا وسعديك. ولك الحمد عدد ما ربيّت وآويت، فإنّك ترث الأرض ومَن عليها، وإليك يُرجعون (۱).

اللَّهمّ صلّ على أبي القاسم محمّد نبيّ الرحمة وأهل بيته الميامين الطاهرين.

أيّها الإخوة الموالون لآل بيت المصطفى، أيّتها الأخوات الناهجات نهج الطاهرة البتول عليك والحوراء زينب عليها ، سلام عليكم من ربِّ غفور رحيم ورحمة منه وبركات.

أُوصيكم إخواني وأخواتي ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تعالى، والحذر من غضبه ونقمته، والاجتناب عن معاصيه، وعدم الاغترار بهذه الدنيا الدنيّة، المهلكة طلّابها، المحشوّة بالآفات.

وأُوصيكم إخواني وأخواتي بالمسابقة إلى الخيرات، والمسارعة إلى المثوبات، والالتحاق بركب عباد الرحمن الذين فازوا بسعادة الدارين.

(١) ابن طاووس، علي بن موسى، الدروع الواقية: ص٢٠١، دعاء اليوم التاسع من الشهر.

الشهادة في طريق زيارة أهل البيت السلا تجسيدٌ حقيقي للمودّة

إخوتي وأخواتي المقتدين نهج آل الرسول على بالصبر والاستعداد للتضحية والشهادة، أرى من الواجب على في هذا اليوم أن أتقدم بعزاءين: عزاءٌ أوّل أتقدّم به لصاحب العصر والزمان ، ولمراجعنا العظام وللأُمّة الإسلاميّة بمناسبة ذكرى استشهاد سابع أئمّة الهدى، الإمام الممتحن الكاظم للغيظ، الإمام موسى بن جعفر الله وعزاءٌ ثانٍ أتقدّم به أيضاً لصاحب العصر والزمان ولمراجعنا العظام وللأُمّة الإسلاميّة باستشهاد كوكبة أُخرى من أتباع أهل البيت الله ، الذين رحلوا في مسيرة الحبّ والولاء والمودّة لكاظم الغيظ والعافي عن الناس، الشهيد الصابر الإمام موسى بن جعفر النه (۱).

مرّ علينا جميعاً حديثٌ طويلٌ عن آل الرسول عَيْنِ ومن ضمن فقراته: «... مَن مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً»(٢). فهل هذا الحبّ الذي ورد في هذه الفقرة من

⁽١) إشارة إلى استشهاد كوكبة من أتباع أهل البيت المنظ إثر أعمال إرهابيّة أثناء أدائهم لمراسيم زيارة الإمام الكاظم الله ، وكان أهمّها حادثة (جسر الأئمّة) ببغداد، حيث ذهب ضحيتها قرابة الألف شهيد ومئات الجرحي، وكانت تلك الفاجعة قد حصلت بتاريخ: الأربعاء، ٣١ / ٨/ ٢٠٠٥م.

سهيد وسات البرحي، وقالت الله البحلي، قال: قال رسول الله الله الله ومَن مات على حبّ آلِ محمّد مات شهيداً، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيهان، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد جعل الله تعالى محمّد بشره ملك الموت بالجنّة ثم منكر ونكير، ألا ومَن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان من الجنّة. ألا ومَن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله. ألا ومَن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومَن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة». مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة». الثعلبي، أحمد بن محمّد، الكشف والبيان: ج٨، ص١٣٤. الزنخشري، محمود بن عمر، الكشّاف: ج٣، ص٢٦٤. وعنه: ابن طاووس، على بن موسى، سعد السعود: ص١٤١. وعنه أيضاً: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٢٣، ص٢٣٣.

ليس الأمر كذلك، وإنّها الحبّ هو المودّة الحقيقيّة التي وردت في هذا الحديث، هو الحبّ الذي ترجمته هذه الكوكبة من النساء والأطفال والشيوخ والشبّان؛ ذلك الفتى الذي كان يحتضن كتاب (مفاتيح الجنان) وهو يسير في رحلة الشهادة إلى الإمام موسى بن جعفر الله. هذا هو الحبّ الحقيقي الذي يموت عليه الإنسان شهيداً، وأصدق مصاديق هذا الحبّ هو هذا المنار والطريق الذي رحلت من خلاله كوكبة جديدة من محبّي آل الرسول المنظية، والذين عبروا عن حبّ حقيقي ومودّة صادقة لآل الرسول المنظية حينها تحدّوا الإرهاب الصدّامي التكفيري، وزحفوا في مسيرات لا يُوقفها ولا يفرّقها شيء، وليس لها هدف إلّا الولاء والمودّة لآل البيت المنتابية من خلال التوجّه نحو مرقد الإمام الشهيد موسى الكاظم الله.

ضرورة المسرات نحو المراقد المقدّسة لأهل البيت المليل

بعض الإخوة يطرح مقترحاً، وهذا المقترح بعيدٌ كلّ البعد عمّا ورد في هذا الحديث وما يطرحونه هو: لماذا لا تصدر من المراجع فتوىً لمنع هذه المسيرات؛ لأنّها تكلّفنا _ خاصّة في السنين الأخيرة _ هذه التضحيات؟!

وفي الحقيقة أنَّ هذه التضحيات ليست مقصورةً على هذه السنين بعد سقوط نظام صدام اللعين، وإنَّما هي موجودة ومستمرَّة دائماً، منذ أن عُرف الولاء والحبَّ لآل بيت النبيَّ عَيَالِيُّهُ.

يقترحون أنَّ على المراجع العظام أن يصدروا فتوىً لإيقاف هذه المسيرات لزيارة الأئمّة الأطهار الله ففي عاشوراء سقط في كربلاء المئات من الشهداء والجرحي،

وسقط كذلك في الكاظميّة المئات من الشهداء والجرحي، وآخر رحلة من رحلات الشهادة والتضحية هي الرحلة التي ضحّى فيها المحبّون من أتباع أهل البيت الله .

أقول جواباً لذلك: إنّ الذي أريده منكم من خلال هذه الفقرة التي سأتلوها عليكم، ما هو جوابكم أوّ لا للإرهاب؟ وما هو جوابكم لَن يحمل الحبّ السطحي والمودّة السطحيّة التي لا تتجاوز أو تتخطّى التعبير عن الاستعداد للتضحية؟

أقول: بعد أُسبوعين ستكون رحلة الولاء والبيعة لقائم آل محمد في زيارة النصف من شعبان، حيث تزحف الملايين نحو مرقد الإمام الحسين للأداء مراسيم الزيارة الخاصة والتهنئة بذكرى الولادة الميمونة لمحيي العدل الإلهي والسنة المحمدية.

من وصايا الإمام علي الطِّلا

بهذا اليوم المبارك حيث تصادف ذكرى المبعث النبويّ الشريف وزيارة أمير المؤمنين الله من الوصايا المهمّة المؤمنين الله من الوصايا المهمّة للميّد الوصيّين وإمام المتقين أمير المؤمنين الله عيث يُوصي بهذه الوصيّة بتقوى الله تعالى، وتذكّر الموت دائماً، وإقلال الغفلة عن الموت. ويوصى بالصبر على الطاعة،

والاجتناب عن المعصية؛ ليكون ذلك من المقدّمات لتحصيل هذه المنقبة العظيمة من الإيهان.

١. كثرة الشكر لله تعالى

يقول الله في الخطبة رقم (١٨٨) التي تضم وصيته التي يحت فيها على ضرورة التزام التقوى: «أُوصيكم أيّها الناس بتقوى الله وكثرة حمده على آلائه إليكم، ونعمائه عليكم، وبلائه لديكم. فكم خصّكم بنعمة، وتدارككم برحمة، أعورتم له فستركم، وتعرضتم لأخذه فأمهلكم»(١٠).

يُشير الإمام الله من خلال كلامه إلى أُمور يغفل عنها أغلب الناس؛ حيث يغفلون عن كثرة الآلاء والنعم التي أنعمها الله على عباده، كها نلاحظ ذلك واضحاً، حيث يقول البعض مثلاً: ماذا أعطاني الله؟ في واقع الحال أنّ كلّ إنسان غارق في نعم الله تعالى، وهي لا تُعدّ ولا تُحصى. فيوصي الإمام الله بتقوى الله تعالى، وهو ويوصي أيضاً بكثرة الشكر والحمد لله تعالى؛ باعتبار أنّ هناك قانوناً أساسيّاً، وهو أنّ مفتاح زيادة النعم هو الشكر لله تعالى على تلك النعم، فيقول الله: «وكثرة حمده على آلائه إليكم ونعائه عليكم وبلائه لديكم». فإنّ البلاء قد يكون للخير، وقد يكون للشرّ، والمقصود من كلام الإمام إله هنا هو ابتلاء الناس ببلاء الخير. ثم يُبيِّن الله أنّ الله تعالى خصّ كلّ واحدٍ منا بنعم كثيرة.

يلتفت أحد الإخوة إلى فكرةٍ _ وهي التفاتة لطيفة _ فيقول: كم هناك من الميكروبات والفيروسات والجراثيم التي تسبّب آلاف الأنواع من الأمراض، فكلّ واحد منكم حينها عافاه الله تعالى من هذه الأمراض، فإنّها هي _ في حقيقة الأمر _

⁽١) نهج البلاغة، خطب الإمام على الله : ج٢، ص١٢٨.

نعمةٌ أنعمها الله تعالى عليه، فكل واحد منّا خصّه الله تعالى بجملة نِعم تستحقّ الشكر والحمد على ذلك. يقول الله «فكم خصّكم بنعمةٍ، وتدارككم برحمةٍ، أعورتم له فستركم»(۱).

إنّ هذه الأُمور القبيحة التي تضمرونها وتبدونها لله تعالى، ولكنّ ما هو تعاون الله تعالى معكم، حينها تظهرون هذه القبائح له؟! يقول الله: «أعورتم له فستركم»، بخلاف القانون الذي يتعامل به أفراد البشر، فإنّ الله تعالى يستر كلّ إنسان، فلو رجع الإنسان إلى نفسه لوجد أنّ حياته مليئة بالكثير من قبائح الأفعال ومذامّ الصفات، ولكنّ الله تعالى يسترها عليه، فإنّ هذه نعمة من النعم الكبيرة التي تستحقّ الشكر.

٢ ـ الإكثار من تذكّر الموت

ثم يذكر الله وصيته مقدّمةً من المقدّمات المهمّة لتحصيل التقوى، وهي: تذكّر الموت دائماً وعدم الغفلة عنه، يقول الله وأوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه ان هذه الفقرة لا تنهى عن أصل الغفلة، بل تنهى عن إقلالها بمعنى أنّ على الإنسان المؤمن أن يُكثر من ذكر الموت، ويقلّل من الغفلة عنه باعتبار أنّ تذكّر الموت يجعل الإنسان على معرفة بصورة حقيقيّة بالحياة الدنيا، وأنّها حياة لا تستحقّ هذا الاهتهام الكبير. بينها الدار الحقيقيّة هي الدار التي ليس فيها فناء ولا موت، وليس فيها فقر، وليس فيها مرض، وليس فيها جهل، وليس فيها كِبَر، بل هي حياة وليس فيها فقر، وليس فيها مرض، وليس فيها جهل، وليس فيها كِبَر، بل هي حياة

⁽١) أعورتم له؛ يعني: أظهرتم له عوراتكم، والمقصود بالعورات هنا: مذامّ الصفات، وسيئ الأفعال، والأُمور القبيحة في نظر المشرّع الإسلامي.

⁽٢) نهج البلاغة، خطب الإمام على اليلا : ج٢، ص١٢٨.

فيها الغِنى السرمدي، والعلم، والشباب، والحياة الدائمة، وهي الحياة التي تستحقّ الاهتمام والمزيد من بذل الجهد في إعمارها من خلال ما أمر به الله سبحانه. إنّما نكون في الصورة الحقيقيّة لهذه الحياة حينها نتذكّر الموت.

وهنا أُوصي الشباب خاصة أن يهتموا بهذا الأمر؛ باعتبار أنّ مرحلة الشباب هي مرحلة النهوض في الحياة الدنيا، فعلى الشاب أن يوازن بين متطلباته وطموحاته في حياته، وبين ما يعدّه لآخرته؛ وأن يُهارس الأُمور التي تذكّره بالموت دائهاً؛ كالمشي خلف الجنازة، وحضور الدفن، ثم النظر إلى القبر؛ النظر إليه بصورة مليّة؛ لتكون صورة الدار الحقيقيّة التي سينزل فيها حاضرة في ذهنه دائهاً غير مغفول عنها، وشاخصة أمام عينيه دائهاً، حتى يكون على استعداد نفسي تامّ بالتقرّب من الله تعالى، حتى ينعكس هذا الفعل على سلوكه؛ فيحدّ من نزق الشباب وطيشه.

فمن المسائل المهمّة التي يُوصي بها الإمام الله هي أن نتذكّر الموت، ونلاحظ أنَّ أمامنا الكثير من الفعاليّات التي تذكّرنا بالموت، ولكنّ نحن نغفل عن المهارسة الحقيقيّة لها؛ كها هو في حال المشي خلف الجنازة، حيث نرى الكثير يتكلّم بأمور الدنيا، ولا يتّعظ ولا يعتبر من حال هذا المحمول على الأكتاف في جنازة إلى مثواه الأخير، فإنّ مَن يتحدّث في أُمور الدنيا فمصيره مثل مصير صاحب الجنازة المسار بها.

يقول الإمام الله : «وأُوصيكم بذكر الموت وإقلال الغفلة عنه، وكيف غفلتكم عمّا ليس يغفَلُكم؟». هل الموت ينسى أحداً منّا؟ أو يترك أحداً منّا؟ نحن غافلون عنه، ولكنّه ليس بغافل عنّا! يتعجّب الإمام الله ، فيتساءل: كيف تغفلون عن أمر هو ليس بغافل عنكم؟!

ثم يقول: «وطمعكم في مَن ليس يمهلكم، فكفى واعظاً بموتى عاينتموهم». يقول الله يكفى أن يكون الواعظ لنا هؤلاء الموتى الذين كانوا مثلنا، ربّم نرى

شاباً يافعاً قويّاً، لكنّه يُحمل على الأكتاف فجأةً، ويُنقل إلى القبر، فيقول الله: لا بدّ من الاتّعاظ بهذه الحال: «حملوا إلى قبورهم غير راكبين، وأُنزلوا فيها غير نازلين». فهل نزل أحدٌ من الموتى في قبره برغبته وإرادته واختياره؟ وهل حُمل على نعشه إلى القبر وهو راغب بهذا الحمل؟ كلّا، كلّ واحدٍ منّا يودّ أن يبقى ويعيش.

إنّ هذا الأمر المحتوم لا بدّ أن يجري علينا وإن كان ليس برغبة الكثير منّا، فهو أمر حتمي.

وصف الإمام الطيل لحال الأموات

ثم يصف الإمام الله حال هؤلاء الذين نُقلوا إلى القبور قائلاً: «كأنّهم لم يكونوا للدنيا عُمّاراً، وكأنّ الآخرة لم تزل لهم داراً»، فكثير من الناس حينها يبني الدار، وحينها يشتري الأثاث والكثير من حطام الدنيا، فكأنّ حاله يقول: إنّني سأخلد في هذه الدنيا، ولكن حينها تراه محمولاً على الجنازة، ثم يُنزل به إلى القبر؛ ترى حاله كأنّه لم يعمّر تلك الدار لأجل أن يعيش فيها دهراً طويلاً.

ثم يُبيِّن الإمام اللهِ: إن الناس يستوحشون من الموقع والمقرّ الحقيقي، يستوحش الإنسان من القبر، يستوحش من تلك الدار، وأمّا المنزل الذي اتّخذه مقرّاً ومقاماً وهي الحياة الدنيا _ فإنّه يُوطن ويستأنس به، يقول اللهِ: «أُوحشوا ما كانوا يُوطِنون، وأُوطنوا ما كانوا يُوحِشُون. واشتغلوا بها فارقوا، وأضاعوا ما إليه انتقلوا. لا عن قبيح يستطيعون انتقالاً، ولا في حسن يستطيعون ازدياداً. أنسوا بالدنيا فغرتهم، ووثِقوا بها فصرعتهم».

٣. المسابقة إلى فعل الخير

ثم يوصي الإمام الله بالمسابقة إلى الخيرات، والمسارعة إلى الفعل الصالح بعد أن بين حقيقة هذه الدنيا، وما هي الدار الحقيقيّة التي ينبغي أن نستحسنها؟ يقول الله:

«فسابِقوا ـ رحمكم الله ـ إلى منازلكم التي أُمرتم أن تَعْمُرُوها، والتي رغبتم فيها، ودُعيتم إليها». فالمنزل الحقيقي الذي أُمرنا أن نعمرَه هو هذه الرحلة إلى القبر، ثم إلى دار الآخرة؛ هذه هي المنازل التي ينبغي أن نعمرها، بل ينبغي على العاقل اللبيب أن يشتغل بتعميرها من خلال العمل الصالح، ومن خلال فعل الخيرات.

ثم يقول إلى المعنى الله عليكم بالصبر على طاعته، والمُجانبَة لمعصيته؛ فإنّ غداً من اليوم قريب». فيوم الانتقال من هذه الدنيا قريب بحسب القاعدة المعروفة: (إنّ كلّ آتٍ قريب)، لا بمعنى أنّه قريب بأنظارنا، ولكنّ بها أنّه لا محال سيأتي، فهو قريب. ويقول إلى السرع الساعاتِ في اليوم، وأسرع الأيّام في الشهر، وأسرع الشهورَ في السنة، وأسرع السنين في العمر»، فهذا العمر مؤلّف من خسين، أو ستين، أو سبعين سنة، كلّ سنة مؤلّفة من شهور، وكلّ شهر مؤلّف من أيّام، وكلّ يوم مؤلّف من ساعات، هذه الساعة الواحدة التي نعيشها الآن ما أسرع مجيئها وانقضاءها. يقول إلى القرية عذا العمر يتألّف من هذه الساعات، وهي تمضي سريعاً، فالعمر يمضي، وغداً هو اليوم الذي يُمثّل الحقيقة الصارخة حين نرحل عن هذه الدنيا، ونُحمل إلى القرر.

موت التضحية

ونحن نستعرض صور البطولة والثبات على المبدأ؛ أُذكّركم مرةً أُخرى بأنّ هناك فرقاً كبيراً بين إنسان يموت على فراشه، ثم يُحمل إلى قبره، وإنسان يبحث عن الموت. فرقٌ واضح بين هذا وذاك؛ بين إنسانٍ يبحث الموت عنه، وإنسانٍ آخر هو يبحث عن الموت من أجل التضحية في سبيل مبدئه ودينه. هذا الذي يبحث عن الموت قد استرخص الحياة، وطلب لقاء الله تعالى حينها يُنقل إلى القبر، ويُبعث يوم القيامة مضرّجاً بدمه، مقطّع الأوصال، فها أجمل هذا الإنسان حينها يُختم له بهذه الخاتمة!

الكلّ سيرحل؛ مَن يعيش ثمانين سنة، أو مئة سنة، أو مَن يعيش عشرين سنة، ثم ينتقل إلى ربّه شهيداً. كلاهما سيرحلان لكن شتّان بين مَن يطلب الموت ومَن يطلبه الموت!

هناك بونٌ شاسعٌ بين خاتمة الإنسان الذي يبحث عنه الموت، وخاتمة الإنسان الذي هو يبحث عن الموت، موت الشهادة والتضحية؛ لذلك _ إخواني أتباع أهل البيت المنية _ دعونا نعيش دائماً حياة الشهادة والتضحية، فها دام هدفنا هو أتّنا نحب أهل البيت المنية لا بدّ دائماً أن نُعبّر عن حبّنا ومودّتنا الحقيقيّة، فلتبق هذه المسيرات مليونيّة دائماً كها هو ديدن هؤلاء الأتباع المحبّين، ونتحدّى بها الإرهاب، ونتحدّى من هم امتداد ليزيد وبني أُميّة أعداء آل محمّد الله فإنّ هؤلاء يؤلمهم أن يروا أنّه ما يزال هناك الملايين وهم يزحفون نحو آل البيت المنيقة.

هذه المسيرات إنّما يُريد أصحابها أن يُعبّروا عن قوّة حبّهم، وقوّة ارتباطهم، وولائهم لآل البيت على وكها هو الحال في حياة الأئمّة على حينها كان الحاكم الظالم الطاغوت يرى التفاف الناس حول الإمام على فيبعث في طلبه، ثم يقتله بالسمّ أو بطريقة أُخرى. اليوم يُغيظ هؤلاء _ أحفاد يزيد ومعاوية ومروان _ أن يَروا أتباع أهل البيت على ما زالوا يُقدّمون الآلاف تلو الآلاف من القرابين، وأنتم إن شاء الله على العهد باقون.

أُمنيتنا جميعاً أن نموت على حبّ آل محمّد على الله المبادئ الحقة، وأن تبقى هذه المسيرات تزحف حتى لو قطعوا أيدينا وأرجلنا، نقولها حقيقة لا خيالاً: لو قطعوا أيدينا وأرجلنا، وقطعوا ألسنتنا، سنبقى _ يا أبا عبد الله، ويا قائم آل محمّد على العهد والوفاء معكم، وأشدّ ما يُفرحنا هو أن نرحل عن هذه الدنيا ونحن مضرّجون بدمائنا، فنفتخر هناك بأنّنا قد قدّمنا شيئاً من أجل حبّ آل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين.



مقدّمة الخطبة

بير لِللهُ الدِّمْ يَالَكُم بِهِ المُحْرِيلُ المُ

الحمد لله الكريم الوهّاب الغفور التوّاب، مفتّح الأبواب سريع الحساب، ليس له شريك ولا فوقه مليك. (سبحانك ربّنا ولك الحمد، أنت الله الغنيّ الدائم الملك، أشهد أنّك إله لا تخترَم الأيّام ملكك، ولا تُغيِّر الأيّامُ عزَّك، لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك، ولا ربّ سواك، ولا خالق غيرك، أنت خالقُ كلّ شيء، وكلّ شيء خُلْقُك، وأنت ربُّ كلِّ شيء، وكلّ شيء عبدك، وأنت إله كلّ شيء، وكلّ شيء يعبدك، وأنت إله كلّ شيء، وكلّ شيء يعبدك، وأنت إله كلّ شيء، وكلّ شيء يعبدك، ويُسبّح بحمدك ويسجد لك) (۱).

اللّهم صلّ على البشير النذير السراج المنير، الطهر الطاهر والعلم الزاهر، المنصور المؤيّد أبي القاسم محمّد وعلى آل بيته النجباء المطهّرين من الدنس والرجس، اللّهم سلّم وبارك عليهم بأفضل سلامك وأطيب بركاتك.

أيّها الإخوة في دين الله تعالى، أيّتها الأخوات في محبّة آل بيت الرسول عَلَيْهُ؛ سلامٌ عليكم بها واليتم آل الرسول ورحمةٌ من الله وبركات.

أوصيكم إخواني وأخواتي ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تعالى والتمسّك بحبله المتين، والتمسّك بطاعة آل البيت الأطهار، والسير على نهج إمام العصر وصاحب الزمان المنافقي .

⁽١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٤٦٩.

وظائف المؤمنين في عصر الغيبة

نرى أنّ الكثير من الأحاديث الشريفة قد اهتمّت ببيان طبيعة التحرّك والنشاط والعمل الذي ينبغي أن يقوم به المؤمنون تجاه أنفسهم واتجاه مجتمعهم؛ تمهيداً لخلق الأرضيّة الصالحة لتأسيس دولة العدل الكبرى بقيادة الإمام المنتظر في أرجاء الأرض كافّة.

ونتعرّض في هذه الخطبة إلى بيان وظيفتين يجب على المؤمنين مراعاتهما في عصر الغيبة؛ الوظيفة الأُولى نتعرض لها بشيء من التفصيل؛ نظراً لأهميّتها.

الوظيفة الأُولى: المعرفة الصحيحة والواضحة لغيبة الإمامريكيك

هناك الكثير من النصوص التي توجه المؤمنين إلى هذا التكليف وما يترتب عليه، وهو تكوين صورة جلية وفكرة واضحة عن غيبة الإمام وقيادته للمجتمع، وأنّ الإمام والمحتمع على أوضاع المجتمع، وما يمرّ به المؤمنون من أحوال متغيّرة، وما يتعرّض له أتباع أهل البيت ومصائب من ويلات ومصائب ونكبات. وتُبيّن بعض هذه النصوص أنّ هذه الفكرة والمعرفة ينبغي أن تكون واضحة راسخة في أعهاق النفس؛ لكي تحقق أهدافها. إنّ وضوح هذه المعرفة وترسخها في ذهن المؤمن لا بدّ أن يكون مبنياً على الأدلة النقلية السليمة، والبراهين العقلية الواضحة في ما يتعلق بغيبة الإمام في ونذكر هنا ما يتعلق بهذا التكليف الأول ونُبيِّن بعض الثمرات من وراء هذه المعرفة.

ثمرات المعرفة الصحيحة لغيبة الإمام عليها

الثمرة الأُولى: حينها تكون هناك صورة واضحة ومعرفة عند المؤمن عن غيبة الإمام؛ فيستطيع أن يواجه الكثير من الشبهات التي تُطرح هنا وهناك حول غيبة الإمام الله وتنال من العقيدة المهدوية.

الثمرة الثانية: هي ما تحققه هذه المعرفة من رفد النفس بالحصانة الفكرية والعقائدية، التي يمكن للمؤمن خلالها أن يواجه الدعاوى الكاذبة الضالة المُضلة التي تصدر من هنا وهناك، وتدّعي الاتصال بالإمام الحجّة المنتظر، وغير ذلك من الدعاوى التي ربّم يدّعيها البعض من الاتّصال بالواسطة مع الله تعالى، كما ظهر ذلك جليّاً وواضحاً. لا بدّ أن تكون هذه المعرفة عميقة مستندة إلى الأدلّة والبراهين؛ حتى يستطيع المؤمنون أن يحصّنوا أنفسهم ضدّ هذه الأفكار.

يجب ألّا نستهين بهذه الأُمور، فنحن نُشير ونُنبّه على ذلك لأنّنا قد أطّلعنا على هذه الدعوات وتلك الاستجابات التي تحصل لها للأسف. إنّ البعض ممّن يحمل الشهادات الأكاديميّة العليا، نراهم يتأثّرون بمثل هذه الأُمور، فهناك طبيب ـ مثلاً ـ تأثّر بهذه الدعوات الضالّة، وسار في نهج هذه الدعاوى الكاذبة، لذا لا بدّ أن تتوفّر عند المؤمن تلك المعرفة الواضحة والراسخة؛ حتى يستطيع أن يُواجه هذه الدعوات الضالّة المنحرفة.

الثمرة الثالثة: أنَّ هذه المعرفة تُعطي حافزاً إضافيّاً للمؤمن يدفعه نحو العمل الإصلاحي وتغيير نفسه وتغيير المجتمع؛ لأنّه يشعر بأنّ هناك إماماً يراقب أعماله؛ لأنّ الآية القرآنيّة الكريمة تقول: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيرَى اللهُ عَمَلَكُو وَرَسُولُهُ وَ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ ((). فإنّ المراد من المؤمنين الذين يرون أعمال العباد هم الأئمّة المعصومون الشيّ (()) فالإمام الله حين يراقب أعمالنا، ويطّلع على تحرّكاتنا ونشاطنا، وأيّ تقدّم في الحركة

⁽١) التوبة: آية ١٠٥.

⁽٢) «عن عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله قوله: ﴿ وَقُلِ اَعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُم وَرَسُولُهُ, وَرَسُولُهُ, وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾، قال: هم الأئمّة تعرض عليهم أعمال العباد كلّ يوم إلى يوم القيامة». الصفار، محمّد بن الحسن، بصائر الدرجات: ص٤٤٧.

الإيهانيّة لأتباعه، ويشعر المؤمن بذلك من خلال هذه المعرفة _ وذلك بعد الرقابة الأساسيّة هي الرقابة الإلهيّة _ كلّ هذا يُعطي حافزاً إضافيّاً للمؤمن لكي يسير في حركة الإصلاح للمجتمع ولنفسه، من خلال هذه المراقبة.

هذه بعض النتائج والثمار المتربّبة على الوظيفة الأُولى وهي المعرفة الحقيقيّة لغيبة الإمام المهدي الله ولكن لا بدّ للإخوة المؤمنين أن يرفدوا أنفسهم بمختلف المعارف المتعلّقة بالإمام الله وأن يسعَوا في إحياء الشعائر التي تُعمّق الارتباط به كقراءة دعاء الندبة في يوم الجمعة، وحضور المجالس والمحاضرات التي تتحدّث عن المعرفة التفصيليّة لحركة الإمام الله .

الوظيفة الثانية: انتظار ظهور الإمام الله

إنّ من التكاليف والوظائف المهمّة التي نتعرّض لها إن شاء الله بشيء من التفصيل هي وظيفة انتظار ظهور الإمام إلى ، فهناك إمامٌ منتظرٌ ، وأنت _ أيّها المؤمن _ عبدٌ مُنتظِر لظهوره ، فلا بدّ أن تفهم حقيقة الانتظار التي رفعها الله تعالى إلى مصافّ أفضل العبادات. وهنا لا بدّ أن نستعرض بعض الأحاديث التي ورد فيها تقييم الشريعة الإسلاميّة لمسألة الانتظار.

الأحاديث الواردة في الانتظار

الحديث الأوّل:

ورد في بعض الأحاديث عن الإمام علي الله: «أفضل عبادة المؤمن انتظار فرج الله تعالى» (''. لا بدّ من الإشارة إلى أنّ انتظار الفرج الوارد في هذا الحديث وبعض الأحاديث الأُخرى هو انتظار الفرج بعنوانه العامّ، فقد يمرّ الإنسان أحياناً بضائقة

⁽۱) البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج١، ص٢٩١، باب المحبوبات، ح٤٤٠. وعنه المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٥٢، ص١٣١، ح٣٣.

وشدّة وابتلاء، وينتظر الفرج من الله تعالى للخلاص من هذه الحالة، فهذا أيضاً انتظار للفرج، ولكن بملاحظة بعض الأحاديث الأُخرى يمكن أن نتوصّل إلى أنّ أبرز وأظهر مصاديق انتظار فرج الله تعالى هو انتظار فرج الظهور.

وفي هذا الحديث _ الوارد عن الإمام علي الله _ اعتبر الانتظار عبادةً أوّلاً، واعتبرت هذه العبادة في قمّة هرم العبادات _ المندوبة _ وكها هو معلوم فإنّه يوجد سُلّم من العبادات، ولكلّ عبادة مرتبة من الفضل والامتياز عند الله تعالى، وما يقع في القمّة من هذه العبادات _ من حيث كونه وسيلةً تقرّب إلى الله تعالى _ هو انتظار ظهور الإمام الله . يقول الإمام أمير المؤمنين في الحديث: «أفضل عبادة المؤمن انتظار فرج الله»، فقد عبر عنها بالعبادة، ثم في تقييم هذه العبادة يقول: إنها أفضل العبادات.

الحديث الثاني

ورد عن الإمام الصادق ﴿ أَنَّ المنتظر يدخل في زمرة أولياء الله تعالى، فيكون ولياً من أولياء الله بسبب تحليه بهذه الفضيلة. يقول الإمام ﴿ الله في لشيعة قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أُولئك أولياء الله ﴿ لاَ خُوفُ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمُ يَحَنَّوُنُ ﴾ (١) (١) فالإمام ﴿ هنا يُبيّن واحدةً من علامات الشيعة الحقيقيين، وهي كونهم منتظرين لظهور الإمام ﴿ إِلَيْهِمْ وَهَى كونهم منتظرين لظهور الإمام ﴿ إِلَيْهُمْ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُلهُ اللهُ ا

الحديث الثالث:

قد لا يتصوّر البعض أنّ هناك مرتبةً أعلى من مرتبة أصحاب رسول الله عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ اللهُ عَلَيْكُ

⁽١) يونس: آية ٢٢.

⁽٢) القمّي، محمّد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٥٧، ح٥٥.

الذين أسسوا دولة الإسلام، وحملوا ثقافة القرآن وطبقوها على أنفسهم، ونقلوها إلى أبناء المجتمع، وإلى الأُمم كافّة، فهّل هناك أعظم من منزلة أُولئك المجاهدين في معركة بدر وأُحد الذين حملوا ثقافة القرآن؟! لكن نرى النبي عَيْنِي _ في ما روي عنه _ يُخاطبهم، ويقول لهم: «سيأتي قومٌ من بعدكم الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم». فيتعجّب الصحابة، كيف أنّ هؤلاء القوم وصلوا إلى هذه المرتبة؟! وما هو العمل الذي استحقّوا به ذلك؟! فيسألون النبي عَيْنِي متعجبين: يا رسول الله، نحن كنّا معك في بدر وأُحد، نحن قاتلنا وجاهدنا واستشهد الكثير منّا، والكثير منّا عمّل آلام الجراح، وقدّمنا التضحيات؟!

يُبيّن لهم النبيّ عَيْنِ الله وفعاً عنهم هذا التعجّب، فيقول: «إنّكم لو تحملون لما حملوا لم تصبروا صبرهم»(۱).

فهنا يذكر الرسول الأكرم على عظم المصائب والابتلاءات التي ستمرّ بأُمّة القائم ألله ويقول لهم: لو أنّكم تحملون ما تحمل هذه الأمّة من الظلم والقهر والاستبداد والسجون والقتل والإرهاب؛ سوف لن تصبروا كما صبروا. فهذا الحديث يُبيّن عظم الأجر والفضل عند الله تعالى لمن يكون منتظراً حقيقياً.

الحديث الرابع:

يُبيّن الإمام السجّاديا في منزلة المنتظِر لدولة الإماميا وظهوره، ويقول اللهِ: «إنّ

⁽۱) عن أبي عبد الله عليه قال: «قال رسول الله عليه الله عن أبي عبد الله عليه الرجل الواحد منهم له أجر خمسين منكم. قالوا: يا رسول الله، نحن كنّا معك ببدر وأُحد وحنين، ونزل فينا القرآن؟! فقال: إنّكم لو تحملون لما حملوا لم تصبروا صبرهم». الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة: ص٢٥٦.

القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كلّ زمان ".. بمعنى لو وضع هذا القول ميزاناً للتفاضل لوجدنا أنّ الذين يؤمنون بإمامته على مع أنّه غائب عنهم، وينتظرون ظهوره، ويستعدّون لدولته، هم في قمّة الإيمان والامتياز بالنسبة إلى الأزمنة الأُخرى في ضوء هذه الأحاديث وبيان مراتب الفضل.

كلا؛ فإن مثل هذه الحالة من الانتظار لا تتناسب مع إعطاء هذه القيمة وهذه المنزلة للمنتظرين كما ورد في الأحاديث، بل هذا الفهم لمعنى الانتظار يرفضه العقل، وترفضه الفطرة السليمة، وترفضه الأحاديث الشريفة _ التي سأُبيّن بعضاً منها _ وترفضه سرة العقلاء أيضاً.

أوضّح ذلك من خلال بعض الأمثلة:

المثال الأوّل: أنت _ أيّها المؤمن _ إذا كنت تنتظر إنساناً عزيزاً على نفسك، وله موقع الاحترام والتقدير والإجلال، وتنتظر أن يزورك وأنت تستضيفه، فإنّ الحالة

⁽۱) عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني إلى الله عن أبي حالة الكابلي، قال: حدّثني صفوان بن يحيى، عن إبراهيم بن أبي زياد، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي خالة الكابلي، قال: دخلت على سيّدي عليّ بن الحسين زين العابدين الله فقلت له: يابن رسول الله، أخبرني بالذين فرض الله عزّ وجلّ طاعتهم ومودّتهم... «يا أبا خالد، إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل من أهل كلّ زمان؛ لأنّ الله تبارك وتعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة، وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله عن وجلّ سرّاً وجهراً». بالسيف، أُولئك المخلصون حقّاً وشيعتنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله عزّ وجلّ سرّاً وجهراً». القمّي، محمّد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص٣٢٠.

التي عندك ليست هي الشعور بالفرح والاعتزاز بقدوم هذا الضيف فقط، بل إنّك ستعمل من أجل تهيئة الأجواء لاستقبال هذا الشخص بها يتناسب مع مكانته ومنزلته عندك.

المثال الثاني: لو كان الإنسان ينتظر ظاهرةً طبيعيةً تُهدّد حياته، فإنّ ما يفرضه العقل والفطرة وسيرة العقلاء على هذا الإنسان ليس هو الشعور بالخوف النفسي فقط، بل لا بدّ أن يُصاحب هذه الحالة النفسانيّة الكثير من الاستعداد لدفع مخاطر تلك الظاهرة. وكذلك لو كنت تنتظر ظاهرةً كبيرةً تهمّ المجتمع، وتؤدّي إلى سعادته، فلا شكّ في أنّ سيرة العقلاء والعقل تفرضان عليك التفاؤل والترقّب لهذه الظاهرة، بل العمل والاستعداد لها.

وهذا المعنى هو ما يجب أن يُرعى في مرحلة الغيبة الكبرى وانتظار الإمام عليها.

منزلة المؤمن في زمن الغيبة

أودَّ هنا أن أُبيِّن نقطةً تتعلَّق بمَن يعيشون حالة الظهور، وأُولئك الذين يعيشون حالة الانتظار، ولكن لا يُتاح لهم أن يكونوا في دولة القائم الله في عداد أصحاب الإمام ومناصريه.

إخواني، هل يمكن لكلّ منّا أن يكون بمنزلة مَن يكون مع الإمام الله فعلاً، ويشترك في بناء دولته؟

نعم، يُمكن ذلك من خلال بعض الأحاديث التي سأذكرها هنا لأُبيّن هذا المعنى، وأُبيّن ما هو الانتظار الحقيقي والانتظار الصادق الذي نصل به إلى المراتب العُليا من الفضل التي ذكرناها.

ورد عن الإمام السجّادﷺ: «إنّ أهل زمان غيبته القائلين بإمامته والمنتظرين لظهوره أفضل أهل كلّ زمان». يُبيِّن الإمام الله في فقرات الحديث الأُخرى كيف

تصير أنت _ أيّها المؤمن، أيّها القائل بإمامة الإمام والمنتظِر لظهوره _ أفضل أهل كلّ زمان؟ فيقول: «لأنّ الله تعالى أعطاهم من العقول والأفهام والمعرفة ما صارت به الغيبة عندهم بمنزلة المشاهدة». هؤلاء بلغوا ما بلغوا من المعرفة والمرتبة العقليّة والإدراك والوعي والمعرفة بالغيبة، بحيث إنّ الإمام وإن كان غائباً عنهم ولا يرونه، ولكنّهم بلغوا مرتبةً من العقل والفهم والإدراك والوعي حتى كأنّ الإمام حاضرٌ فعلاً بينهم، ويتمسّكون بطاعته، ويسيرون على نهجه.

ثم بعد ذلك يُبيِّن الإمام السجّاد الله أيضاً مرتكزاً آخر من هذه المرتكزات للانتظار الحقيقي: «وجعلهم في ذلك الزمان بمنزلة المجاهدين بين يدي رسول الله على بالسيف». فكأنّ الإمام على يقول: أنت - أيّها المنتظر - لا يُكتفى منك أن تعيش الحالة النفسيّة من التفاؤل والأمل بظهور الإمام، بل يجب أن يُصاحب هذه الحالة النفسانيّة الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله، وتكون حينئذ بمنزلة أصحاب رسول الله على الذين شاركوا في معركة بدر وأُحد. ولا يكون الجهاد دائماً بالسيف والسلاح فقط، بل هناك جهادٌ أعظم من هذا الجهاد، وهو حركة التغيير والإصلاح في المجتمع وفي الفرد.

ثم يُبيِّن الإمام أيضاً: «أُولئك المخلصون حقّاً، وشيعتُنا صدقاً، والدعاة إلى دين الله عزّ وجلّ سرّاً وجهراً».

وهنا أذكر حديثاً آخر ثم أُبيّن مرتكزات الانتظار الحقيقي، يقول الإمام الصادق في بيان إمكانيّة أن يكون الإنسان من أصحاب الإمام في ومن المقاتلين بين يديه والمشاركين في بناء دولته: مَن سرّه أن يكون من أصحاب الإمام القائم في فلينتظر، ويعمل بالورع ومحاسن الأخلاق».

أنت _ أيّها المؤمن _ حينها تكون متورّعاً عن المحارم، ملتزماً بالتقوى، متحلّياً بالأخلاق الحميدة، حينئذٍ ستكون مُنتظِراً حقيقيّاً، وإلّا _ من دون الالتزام بهذه

الأُمور _ فأنت منتظرٌ كاذب، ليس لديك ما يدلّ على صدق انتمائك للإمام الله وانتظارك له.

يقول الله: «فلينتظر وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر»، أي: يعيش حالة الأمل والتفاؤل بأنّ الأهداف التي يُريد الوصول إليها ستتحقّق في يوم من الأيّام، وهذا في الواقع يُعطيه حالةً من الاستقرار النفسي على الرغم ممّا يواجهه من المصاعب والأزمات والويلات والسجون والاعتقالات والتقتيل، وغير ذلك من المصاعب التي يتعرّض لها المؤمن.

ثم يقول عنه: «فإن مات وقام القائم بعده، كان له من الأجر مثل أجر مَن أدركه، فجدّوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيّتها العصابة المرحومة»(''.

مرتكزات الانتظار الحقيقي

من خلال التأمّل في هذه الأحاديث، يمكن أن نطّلع على بعض المرتكزات التي لو عمل بها الإنسان المؤمن، وصار في هذه المرتبة العظيمة عند الله، أمكنه أن يكون بمنزلة أصحاب الإمام الله الله المرتبة العظيمة عند الله المرابع ا

المرتكز الأول: هو ترسيخ الارتباط بالإمام الله ، بأن تكون لدينا حالة الاعتقاد الراسخة والشعور النفسي بأن ظهوره يُحتمل في أقرب وقت ممكن، ونحن على قيد الحياة، فنكون على ترقب ظهوره الله قبل أن نفارق الحياة.

⁽١) روى الشيخ الطوسي بسنده: «عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الله أنّه قال ذات يوم: ألا أُخبركم بها لا يقبل الله عزّ وجلّ من العباد عملاً إلّا به؟. فقلت: بلى. فقال: شهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده، والإقرار بها أمر الله، والولاية لنا، والبراءة من أعدائنا (يعني الأئمّة خاصّة) والتسليم لهم، والورع، والاجتهاد، والطمأنينة، والانتظار للقائم الله. ثم قال: إنّ لنا دولةً يجيئ الله بها إذا شاء. ثم قال: مَن سرّه أن يكون من أصحاب القائم؛ فلينتظر، وليعمل بالورع ومحاسن الأخلاق وهو منتظر، فإن مات وقام القائم بعده؛ كان له من الأجر مثل أجر مَن أدركه، فجدّوا وانتظروا، هنيئاً لكم أيّتها العصابة المرحومة». الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة: ص٢٠٧.

وهذا الأمر يتطلّب منّا الاستعداد الفكري والعقائدي والنفسي؛ حتى يمكن لنا أن نكون من الأشخاص الذين يُمهّدون لظهور دولة الإمام المنتظر على الأنّ تقوية الارتباط بالإمام من شأنه أن يُجنّب الإنسان الكثير من الإحباطات النفسيّة التي تتولّد عنده بسبب ظروف القهر والاستبداد.

ممكن أن تُستنفد طاقة الإنسان المؤمن، وحينئذٍ يتراجع عن حركته الإيانية والجهاديّة. لكنّ هذا الشعور النفسي وتقوية الارتباط بالإمام يعطيه ذلك الرصيد الذي يستطيع من خلاله أن يستمرّ في حركته الإيانيّة والجهاديّة.

المرتكز الثاني: وهو أمرٌ صعبٌ مستصعب أعيشه في نفسي ومع إخواني المؤمنين وخاصة الإخوة طلبة العلم وهو الإخلاص لله تعالى في أعمالنا، وتطهير حركتنا ونشاطاتنا من أيّة شائبة من شوائب الدنيا، فإنّ هذا أمر ليس بالسهل اليسير، وفي الواقع لو استطاع الإنسان أن يصل إلى هذه المرتبة فإنّه يستطيع أن يصمد أمام قوى الكفر والظلم والظلام، وبدون هذا الأمر قد لا يصمد الكثير منا، وربّها يتراجع في منتصف الطريق أو قبل منتصفه؛ لأنّه لا يحمل صفة الإخلاص في عمله لله تعالى. فعلى الإنسان الذي يتراجع في مسيرته أن يبحث في أعماق نفسه هل أنّه يعمل خالصاً لوجه الله تعالى؟ سوف يجد أنّه يعمل من أجل مصالح دنيويّة، ولأجل مصالح شخصية ضيّقة، وحينئذ سيرهق ويتعب ويتراجع؛ كها أشار الإمام السجّادين في الحديث السابق الذي مر ذكره: «أُولئك المخلّصون حقاً».

صفة الإخلاص من الصفات المهمّة للمنتظِر الحقيقي الذي يمكن أن يكون من أصحاب الإمام، ويستطيع أن يتحمّل الصعاب والشدائد التي يمرّ بها في حياته. المرتكز الثالث: تربية النفس على الفضائل وتطهيرها من الرذائل، حتى يكون الإنسان ناصراً للإمام لل بدّ من إيجاد ذلك في نفسه، وهذا هو الجهاد الأكبر.

المرتكز الرابع: التحرّك على الصعيد الاجتماعي من خلال أداء واجب الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله تعالى؛ نلاحظ في حديث الإمام السجّاد الله عن المتقدّم في بيان وصف المنتظر الحقيقي ـ أنّه يقول: «أُولئك الدعاة إلى دين الله عزّ وجلّ سراً وجهراً». يريد الإمام الله أن يُلفت أنظارنا إلى مسألة مهمّة؛ وهي: أنّ المؤمن ينبغي عليه العمل الجهادي والدعوة إلى الله، لكنّ أُسلوب العمل وكيفيّته تختلف باختلاف الظروف التي تُحيط به؛ فإذا كانت هناك دولة ظالمة تُحارب أفكار أهل البيت الله في فليكن تحرّكه سرّياً، وعليه أن يدفع عن إخوته المؤمنين، وإذا كانت الظروف مؤاتية ـ كها هو الحال الآن والحمد لله؛ حيث نعيش هذه الحرّية فعليه أن يدعو إلى الله تعالى بصورة علنيّة واضحة.

إنّ النقطة المهمّة المركزيّة التي يُريد الإمام الله الوصّول لها هي القول: أيّها المؤمن، لا تُعطِ لنفسك الذرائع والمسوّغات والمبرّرات فتتوقّف عن عملك الجهادي وأداء الواجبات الدينية وإصلاح المجتمع؛ بحجّة وجود حاكم ظالم، ووجود قوّة مستبدّة تقهرك وتمنعك عن هذا العمل، وإنّها لا بدّ أن تتكيّف مع الظروف التي تحيط بك، فتارة تتهيّأ لك ظروف يمكنك من خلالها الدعوة جهاراً، وتارة لا يتهيّأ لك ذلك، ولكنّ هذا لا يعني أنّك تتقاعس وتجلس في زاوية البيت بحجّة أنّ هناك موانع، وأنّ هناك مَن يُحارب هذه الدعوة، بل لا بدّ أن تتحرّك وتنشط وفق ما تقتضيه الظروف التي تعيشها.

المرتكز الخامس: من جملة المرتكزات المهمّة في هذا الجانب الصبر، فكما أنّ الإخلاص مهمّ في حركة المؤمنين ونشاطهم من أجل التهيئة لدولة الإمام المنتظر على فإنّ الصبر وتحمّل الصعاب والشدائد مهمٌ جدّاً من أجل الظفر والوصول إلى الأهداف، فكما عشنا في زمن الطاغية اللعين ـ صدّام ـ ظروفاً قاهرة وصبرنا عليها، وكُلّل ذلك الصبر بالظفر. كذلك نمرٌ الآن بظروف صعبة قاسيّة،

ومحاربة شديدة لأتباع أهل البيت الله ولا بدّ أن نصبر، ولا يعني هذا الصبر خضوعاً أو خنوعاً أو تقاعساً عن أداء الواجب، وإنّها الصبر أن أتحمّل هذه المصاعب والشدائد وهذا النزيف المستمرّ من أنهار الدم كي أصل إلى هدفي؛ هذا الصبر يشحذ همّتي لكي استمرّ في هذه الرحلة الصعبة.

المرتكز السادس: من جملة المرتكزات المهمّة للمؤمن المنتظِر أيضاً هو المستوى العالي من الوعي والإدراك، وليس المطلوب منّا فقط أن يكون لدينا الوعي والإدراك لغيبة الإمام الله بلا بلا بلا أن نملك الوعي والإدراك للظروف التي تُحيط بنا؛ الظروف السياسيّة وغيرها، ولا بلا أن نعرف كيف نتعامل مع هذه الظروف؛ إذ قد وضع لنا أهل البيت الله نظام النيابة والمرجعيّة العامّة؛ فلدينا مراجع عظام يشخّصون لنا تكاليفنا، ويعطونا الإدراك والوعي التامّ والصحيح للظروف التي تحيط بنا، وكيف ينبغي أن نتعامل معها وفق المقاييس والمعايير الإسلاميّة.

أكتفي بهذا المقدار، وأستغفر الله لي ولكم، والحمد لله ربّ العالمين.



القسم الأوّل

بتاریخ: ۱۶ / ۱۰ / ۲۰۰۵م

وفيها المحاور التالية:

🗸 أهميّة الدعاء في شهر رمضان

◄ في رحاب دعاء اليوم الأوّل من الشهر الفضيل

🔪 الصوم الظاهري والصوم الحقيقي

🗸 القيام الظاهري والقيام الحقيقي

🗸 الذكر وعدم الغفلة

◄ من أسباب الغفلة: الذنوب

🗸 طرق رفع المعاصي وآثارها

مقدّمة الخطبة

بير لِللهِ الدِّمْ يَرَالِحَدِ مِنْ

«الحمد لله الذي هدانا لحمده، وجعلنا من أهله، لنكون لإحسانه من الشاكرين، وليجزينا على ذلك جزاء المحسنين. والحمد لله الذي حبانا بدينه واختصّنا بملّته، وسَبَّلَنا في سُبُل إحسانه لنسلكها بمنّه إلى رضوانه، حمداً يتقبَّله منّا ويرضى به عنّا.

والحمد لله الذي جعل من تلك السُّبل شَهْرَه؛ شَهْرَ رمضان، شهر الصيام وشهر الإسلام، وشهر الطهور، وشهر التمحيص، وشهر القيام، ﴿ الَّذِي أَنْ زِلَ فِيهِ الْمُعَرَّعَانُ هُدَى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَتٍ مِّنَ اللهُ دَى وَالفَرْقَانِ ﴾ "، فأبان فضيلته على سائر الشهور بها جعل له من الحُرُمات الموفورة والفضائل المشهورة، فحرَّم فيه ما أحلّ في غيره إعظاماً، وحَجَرَ فيه المطاعم والمشارب إكراماً، وجعل له وقتاً بيِّناً لا يُجِيزُ أن يُقدَّم قبله، ولا يقبل أن يُؤخَّر عنه، ثم فضّل ليلةً واحدةً من لياليه على ألف شهر، وسمّاها ليلة القدر» ".

أيّها الإخوة الصائمون، أيّتها الأخوات الصائمات، سلام عليكم من ربّ شهر رمضان ورحمة منه وبركات(٤٠٠).

⁽١) سَبّلنا: أوضح لنا الطريق.

⁽٢) البقرة: آية ١٨٥.

⁽٣) الصحيفة السجّاديّة، ص١٨٦.

⁽٤) أُلقيت هذه الخطبة في شهر رمضان المبارك من عامّ ١٤٢٦هـ في بداية العشرة الثانية من الشهر.

أُوصيكم إخواني وأخواتي ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تعالى وترويض النفس على طاعته واجتناب نواهيه، وتحليتها بفضائل الأخلاق، وتخليتها من مذامّ الصفات. وإنّ من رحمة الله تعالى بعباده أن جعل لهم إلى تلك الغاية النبيّلة _ ألا وهى التقوى _ سُبلاً مُشرَعة متى ما سلكها المؤمن فقد بلغ مناه ونال مبتغاه.

أهمّيّة الدعاء في شهر رمضان

ومن جملة تلك السبل والوسائل صوم شهر رمضان، ومن جملتها أيضاً الدعاء _ فإنّه سلاح المؤمن كما ورد في بعض الأحاديث _ هذا الشهر المبارك الذي جعله الله تعالى ميداناً يستبق فيه المؤمنون لبلوغ الكمالات وتطهير النفس من رذائلها، وتحصين الإنسان بإرادة العقل والشرف في ممارساته ومواقفه وأقواله.

إنّ من جملة مفردات الدعاء المهمّة في حياة الصائم: الأدعية اليومية، ولكنّ علينا في البدء أن نعي حقيقة الدعاء الذي جعله الله تعالى وسيلةً لبلوغ التقوى والكمال.

دعاء المؤمن _ أيّها الإخوة الصائمون _ هو تلك الوسيلة الروحيّة التي تقوّي ارتباطه بالله تعالى، وتفتح له آفاق الرحمة لتهذيب النفس وتطهيرها، وإنّها يحصل ذلك إذا استشعر المؤمن معاني الدعاء التي منها أن تعيش _ أيّها الإنسان _ مشاعر العجز المطلق والفقر التامّ أمام الله تعالى صاحب القدرة التامّة والغنى المطلق، وأن تعتقد أنّه لا فاعل ولا مؤثّر في الوجود إلّا الله تعالى وحده.

في رحاب دعاء اليوم الأول من الشهر الفضيل

ولا بأس هنا بأن نتعرض إلى فقرات دعاء اليوم الأوّل من أيّام شهر رمضان المبارك؛ هذه الفقرات التي أُريد منها أن تكون مفتاحاً للوصول إلى غايات وأهداف الصوم السامية؛ وذلك من خلال تذكير هذا الدعاء الصائم بحقيقة ما هو المطلوب من المؤمن من صيام وقيام، وانتباه ويقظةٍ.

نقرأ في دعاء اليوم الأوّل: «اللّهمّ اجعل صيامي فيه صيام الصائمين، وقيامي فيه قيام القائمين، ونبّهني فيه عن نومة الغافلين، وَهبْ لي جُرمي يا إله العالمين»(۱).

ونلاحظ في المقطع الأوّل منه تنبيهاً موجّهاً إلى الصائم، حيث ينبغي أن يكون صومه وفق أُسس تربويّة حتى يمكن أن يصل إلى الغاية والهدف من الصوم الذي أشارت إليه الآية القرآنيّة: ﴿كُنِبَ عَلَيْتُكُمُ ٱلصِّيامُ كَمَا كُنِبَ عَلَى ٱلَذِيبَ مِن قَبَلِكُمْ لَعَلَكُمْ تَنَقُونَ ﴾ (").

الصوم الظاهري والصوم الحقيقي

فهناك حُرُمات ينبغي على الصائم أن يراعيها، والذي يظهر من الآية القرآنيّة والفقرة الأُولى من هذا الدعاء _ «اللهمّ اجعل صيامي فيه صيام الصائمين» _ أنَّ هناك صومين:

الصوم الأوّل: الكفّ عن شهوة البطن والفرج، وهذا لا يحقّق للصائم إلّا سقوط التكليف، وهو المعبّر عنه بالصوم الظاهري، والذي أشارت إليه بعض الأحاديث الشريفة، ومنها: «كم من صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع والعطش» (").

إنّ مثل هذا الصائم قد فهم الحياة على أنّها حياة الأكل والشرب وإشباع الملذّات الجسمية، ومن نتائج مثل هذا النمط من الحياة قساوة القلب، وموت الضمير، وفقدان الإحساس الروحي، كما وردت هذه المعاني في حديثٍ عن الإمام الصادق الله المؤمن من كثرة الأكل، وهي مورثة شيئين:

⁽۱) ابن طاووس، عليّ بن موسى، إقبال الأعمال: ج١، ص٢٣٠، دعاء اليوم الأوّل من شهر رمضان.

⁽٢) البقرة: آية ١٨٣.

⁽٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٩، ص٤٩٤، باب آداب الصائم، ح٢٤.

قسوة القلب، وهيجان الشهوة. والجوع إدامٌ للمؤمن، وغذاءٌ للروح، وطعامٌ للقلب، وصحّة للبدن»(١٠).

الصوم الثاني: الصيام الحقيقي وهو ما أشارت إليه الفقرة الأُولى من الدعاء، إنه صوم الإنسان الذي فهم الحياة الدنيا بأنها معبَرُ للوصول إلى الكهال والرقي الروحي، وفهم الصوم على أنّه وسيلة وآلة لبلوغ ذلك الكهال والسمو الروحي، الذي أشارت إليه بعض الروايات الواردة عن المعصومين الله ومنها: «فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم عن الكذب، وغضّوا أبصاركم، ولا تنازعوا، ولا تحاسدوا، ولا تعتابوا، ولا تماروا، ولا تكذبوا، ولا تباشروا، ولا تخالفوا، ولا تغاضبوا، ولا تسابّوا، ولا تشاتموا»".

القيام الظاهري والقيام الحقيقي

ثم ننتقل إلى المرحلة الثانية التي توضّحها الفقرة الثانية من الدعاء، وهي مرحلة أخرى من مراحل الارتقاء بالنفس، وذلك من خلال ممارسة القيام الحقيقي، إذ كما أنّ هناك صومين ـ صوماً ظاهرياً، وصوماً حقيقياً ـ هناك قيامان في الصلاة والدعاء وباقي مفردات العبادات؛ ظاهري وآخر حقيقي، وهذان النوعان تشير إليهما الأحاديث الشريفة في المرحلة الثانية التي تتجلّى من خلال القيام الحقيقي الذي يتمثّل بالتفاعل التامّ بين القائم ومَن يقوم له، وما يستدعيه من حضور القلب وتفاعل المشاعر مع الكلمات التي يردّدها العبد، والأفعال العباديّة التي يقوم بها.

وأمّا القيام الآخر _ والذي يهارسه أغلب الناس، وهو القيام الظاهري _ فليس

⁽١) الجزائري، عبد الله بن نعمة الله، التحفة السنيّة: ص١٧٣.

⁽٢) القمّي، أحمد بن محمّد، النوادر: ص٢١. والرواية عن أبي عبد الله الصادق المالاً.

فيه إلّا أنّ المتعبّد يشعر بثقل تلك العبادة على جسمه ونفسه وروحه، وقد نظرت بعض الأحاديث الشريفة إلى هذا النوع من القيام، واعتبرته قياماً ظاهريّاً.

ورد عن رسول الله عَلَيْكُ : «لا يقبل الله صلاة امرئ لا يحضر فيها قلبه مع بدنه» (٠٠٠).

أيُّ صلاة لا ينظر الله تعالى إليها؟ إنها الصلاة التي يهارسها أغلب الناس، فإذا كان القلب في الصلاة أو الدعاء محجوباً عن الله تعالى بسبب الغفلة، وإنها يحرّك الإنسان لسانه فقط بحكم العادة، فها أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شُرّعت لتصقل القلب وتجذبه لله تعالى، بحيث يتهاهى العبد من خلال ارتباطه بالله سبحانه وانقطاعه إليه، ويضعف حبّ الدنيا في نفس العبد.

ولقد ارتبط موضوع القيام بموضوع الصيام في دعاء اليوم الأوّل من شهر رمضان؛ نظراً لاشتراك الموضوعين ـ الصيام والقيام ـ في الوصول إلى هدف واحد وغاية أساسيّة ومهمّة في حياة المؤمن، ألا وهي تخلية النفس وتطهيرها من الرياء والإطراءات المادّية الدنيويّة، وتصفية القلب وتهيئته للحضور دائهاً وعدم الانشغال بأيّ شيء سوى ذكر الله تعالى.

الذكر وعدم الغفلة

ثم ينتقل الدعاء في الجزء الآخر منه، حيث يقول: «ونبّهني فيه عن نومة الغافلين». هذا الجزء يتحدّث عن الموارد السلبيّة التي تعارض عمليّة تطهير النفس، وهي: الغفلة.

والغافلون هم الذين، لا ينتفعون بها يشاهدونه من آيات الله تعالى، وما يسمعونه من مواعظ أهل الدين، وما تلقّنه لهم فطرتهم من الحجّة والبيّنة، يقول تعالى في

⁽١) الطبرسي، حسين النوري، مستدرك الوسائل: ج٤، ص١٠٩، ح٢٥٥/ ٨. نقلاً عن القطب الراوندي في لبّ الألباب.

وصف هؤ لاء الغافلين: ﴿وَلَقَدُ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِ وَٱلْإِنسِ ۚ لَهُمْ قُلُوبُ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَفَانُ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أَوْلَتِكَ كَٱلْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أَوْلَتِكَ هُمُ ٱلْغَنْفِلُونَ ﴾ ".

وحينها يسأل المؤمن عن كيفيّة الاستيقاظ من الغفلة فيمكن إجابته بأمرين:

أ ما عملته النفس ومراقبتها، ويعني ذلك: التنبّه واليقظة إلى ما عملته النفسُ من الطاعات والحسنات، فعلى العبد أن يشكر الله تعالى على ما وفقّه لذلك. وأمّا مَن وجدها قد ارتكبت المعاصي والسيئات فعليه أن يؤنّبها ويوبّخها ويعزم على عدم العودة لها.

ب ـ الذكر الدائم لله تعالى. وأيُّ ذكر هذا الذي نقصده؟ إنّه الذكر الذي يكفّ الإنسان به يده ولسانه وقلبه عن محارم الله تعالى، وقد بيّن الإمام الصادق الله هذا المعنى المقصود من الذكر في الحديث الذي يقول إلى فيه لأحد أصحابه: «ألا أُخبرك بأشد ما فرض الله تعالى على خلقه؟ إنصاف الناس من نفسك، ومواساتك أخاك، وذكر الله في كلّ موطن... »(*).

فهل المراد من الذكر الحقيقي هو أن نسبّح الله ونقدّسه ونهلّل له، ونقول: سبحان الله والحمد ولا إله إلّا الله... أو المراد من الذكر الحقيقي هو الذي يوقضنا من الغفلة؟

يُبيّن الإمام الله والحمد لله ولا إله إلّا أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر.. ». فإذا لم يكن هذا من الذكر، فأيّ شيء وأيّ مفهوم ينطبق عليه الذكر؟

⁽١) الأعراف: آية١٧٩.

⁽٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٤٥، باب الإنصاف والعدل، ح٨.

يقول الله والحمد لله... هو من مصاديق ذكر الله تعالى، لكنّ الذكر الحقيقي المطلوب من المؤمن هو كما يقول الله: «وإن كان موطن إذا هممت (أو هجمت) على طاعة أو معصية»، عندما تكون أنت _ أيّما العبد _ بين طريقين، طريق يؤدّي إلى طاعة الله تعالى، وطريق آخر يؤدّي إلى المعصية والمحرّمات، فإذا اخترت طريق الطاعة فحينان تكون من الذاكرين لله تعالى حقيقة، وهذا هو الذكر الحقيقي.

من أسباب الغفلة: الذنوب

إنّ من أسباب الغفلة ارتكاب الذنب، ومن آثار ذلك حصول ظُلمة في القلب تؤدّي بالإنسان إلى حالة من الشقاوة تتركّز فيه، فتحدث فيه حالةً من تكرار الذنب، يقول الإمام الصادق إلى في بيان آثار الذنب على الإنسان في حياته الدنيويّة: «إنّ الرجل يذنب الذنب فيُحرَم صلاة الليل...» أي: يُسلب منه التوفيق لأداء المزيد من العبادات.

والعمل السيئ له تأثير عاجل وقريب، يقول الإمام الله : «...وإنّ العمل السيئ أسرع في صاحبه من السكين في اللحم»(۱)، فكما أنّ السكين عندما تجعلها في اللحم فإن لها التأثير المباشر، كذلك الذنوب فإنّ لها من هذا التأثير ما هو قاسٍ وسريع الأثر والتحقق على الإنسان في الحياة الدنيا.

فها هو الطريق الذي نستطيع من خلاله رفع تلك الآثار الحاصلة من الذنوب وارتكاب المعاصي؟

طرق رفع المعاصي وآثارها

الطريق الأوّل: هو أن يسلك العبد الجاني ومرتكب المعاصي طريق التضرّع

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص٢٧٢، باب الذنوب، ح١٦.

والبكاء، وإذا لم يستطع البكاء فليتباكَ على ما اقترفه من ذنوب ومعاص؛ لأنّ المعاصي ورذائل الصفات تشكّل حاجزاً صلباً من القساوة، ممّا يحجب القلب عن الله تعالى، فيأتي البكاء _ هنا _ ليزيل ذلك الحاجز أو الحاجب، ويفتح أمام النفس آفاقاً واسعةً بينها وبين الله سبحانه تعالى.

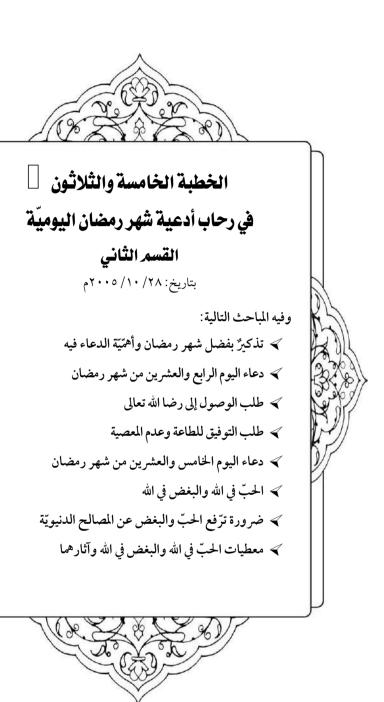
الطريق الثاني: عمل الطاعات والحسنات؛ فإنّه نور يمحي تلك الظلمة التي حصلت من اقتراف الذنوب والسيئات، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَتِ يُذْهِبُنَ السَّيّاتِ ﴾ (١).

وفي الختام إخوتي الصائمين وأخواتي الصائبات، فإنّ روحانية شهر رمضان تجعل الإنسان المؤمن ينقاد مسرعاً إلى التوبة والحصول على العفو، والسعي إلى تزكية نفسه وتنقيتها من شوائب الدنيا، والارتقاء مها إلى ما يوصلها إلى الله تعالى.

أسأل الله لي ولكم ولجميع المؤمنين والمؤمنات التوفيق لصيام شهر رمضان وقيامه، وأن يهب لنا جميعاً رحمته وعفوه وغفرانه، إنّه سميع مجيب.

والحمد لله ربّ العالمين.

⁽١) هود: آية ١١٤.



مقدّمة الخطبة

بير لِللهِ الدِّمْ يَرَالِحَدِ مِنْ

الْحُمْدُ لله الأُوَّلِ بِلَا أُوَّلِ كَانَ قَبْلَه، والآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَه، الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُؤْيَتِه أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ، وعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِه أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ، ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِه الْخَلْقَ ابْتِدَاعاً، واخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِه اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِمِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِه، وبَعَثَهُمْ إِلَيْق ابْتِدَاعاً، واخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِه اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِمِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِه، وبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِه، لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْه، ولَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّماً إِلَى مَا أَخْرَهُمْ عَنْه ''.

اللّهم صلِّ وسلّم وبارك على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين.

إخواني المؤمنين وأخواتي المؤمنات، أُحيّيكم في هذا الشهر المبارك بتحيّة السلام والمحبّة والبركة.

تذكيرٌ بفضل شهر رمضان وأهميّة الدعاء فيه

أُوصيكم إخواني وأخواتي بتقوى الله تعالى والامتثال لأوامره والاجتناب عن نواهيه، وقد جعل الله تعالى من فضله ولطفه لعباده وسائل وسبلاً للوصول إلى التقوى والخوف منه عزّ وجلّ، ومن جملة تلك الوسائل والسبل هو شهر الصوم والطاعة، شهر الإنابة والمغفرة والرحمة، وهذا ما يُلفت أنظارنا إلى وجود عدد كبير من الأدعية في هذا الشهر المبارك، منها ما هو عامّ يُقرأ في كلّ يوم من أيّام هذا

(١) الصحيفة السجّاديّة: ص٢٨.

الشهر كدعاء الافتتاح، ومنها خاصّ يتعلّق بكلّ يوم، فهذا الشهر الفضيل من أغنى الشهور وأكثرها من حيث الأدعية وفقرات الاستغفار والتسبيح.

لعلّ من بين أهم الأُمور التي ينبغي للعبد أن يُلفت نظره إليها، وهو متوجّه بالدعاء والتضرّع إلى ربّه هو: معرفة ما يحتاج إليه، ونوعيّة الدعاء التي تنسجم وحالة الداعي، فأنت أيّها العبد تريد أن تقول لربّك: إنّي عاجز، إنّي فقيرٌ لا أستطيع أن أصف ما أصبو إليه، وأنت القادر، وأنت الغني، بك وبفضلك أُحقق ما أصبو إليه، وأنا أُقرّ بضعفي وعجزي، فكن عوناً لى في الوصول إلى ما تُريده منّى.

وفي الدعاء تكون الاستعانة المطلقة بالله سبحانه وتعالى، صاحب القدرات المطلقة والعطايا التي لا حدود لها، وحينها يُطلب منه سبحانه العفو والعون والمدد فلا شكّ في أنّه تعالى لا يُخيِّب سائله، بل سيأتيه المدد والعون.

دعاء اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان

لا يخفى لما في الدعاء من توجيه من قِبَل الله سبحانه إلى ما ينبغي للعبد أن يفعله، وإرشاد إلى العقائد الصحيحة والأخلاق الكريمة، ونحن لو تأمّلنا في أدعية الأيّام التي وردت في الكتب المعتبرة؛ لوجدنا فيها هذا المعنى، مثلاً: ورد في دعاء اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان: «اللّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِيْهِ ما يُرْضِيكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِمّا يُؤْذِيكَ، وَأَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ فِيْهِ لأن أُطِيعَكَ وَلا أَعْصِيكَ، يا جَوادَ السَّائِلِينَ» (١٠).

طلب الوصول إلى رضا الله تعالى

في دعاء اليوم السابق(١) وكأنّ العبد يطلب من الله تعالى أن يمتحن قلبه بالتقوى،

⁽۱) ابن طاووس، عليّ بن موسى، إقبال الأعمال: ج١، ص٣٩٢، ونقله الشيخ الكفعمي في المصباح: ص٦١٦.

⁽٢) إشارة إلى دعاء اليوم الثالث والعِشرين: «اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي فِيْهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَطَهِّرْنِي فِيْهِ مِنَ

ثم يقصد من خلال دعاء هذا اليوم مرتبةً أعلى؛ وهي أن يصل إلى رضا الله تعالى؛ حيث يقول الداعي: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِيْهِ ما يُرْضِيكَ». ويأتي السؤال هنا: كيف يستطيع الإنسان التوصّل إلى هذا المقام؟

لو تأمّلنا بعض الأحاديث والروايات؛ لوجدنا أنّ طريق التأمّل في عظمة الله تعالى وكبريائه وجلاله وجماله ولطيف صنعه بخلقه هو ما يمكّننا من الوصول إلى أسمى المراتب وأجلّها، وهي رضا الله سبحانه وتعالى.

إنّ بعض الروايات تُبيّن لنا أنّ جوهر الدين الحقيقي هو الحبّ في الله تعالى، ومن خلاله يمكن أن يصل الإنسان إلى هذا الرضا، والذي سيكون طريقاً إلى ما في فقرات الدعاء الواردة في اليوم اللاحق ((). كما نتوصّل من خلال بعض الأحاديث الشريفة إلى الآثار الدنيويّة والأُخروية التي يصل إليها العبد من خلال حبّ الله تعالى، والذي يوصل إلى رضوانه؛ ففي حديثٍ عن الإمام الصادق الله يقول فيه: «حبّ الله إذا أضاء على سرّ عبده أخلاه عن كلّ شاغلٍ وكلّ ذكرٍ سوى الله، والمحبّ أخلص الناس سرّاً لله، وأصدقهم قولاً، وأوفاهم عهداً، وأذكاهم عملاً، وأصفاهم ذكراً، وأعبدهم نفساً. تتباهى الملائكة عند مناجاته، وتفتخر برؤيته، وبه يعمر الله تعالى بلاده، وبكرامته يكرم عباده، يُعطيهم إذا سألوه بحقّه، ويدفع عنهم البلايا برحمته، ولو علم الخلق ما محلّه [عند] الله ومنزلته لديه ما تقرّبوا إلى الله إلّا بتراب قدميه» (().

هذه هي منزلة المحبّ لله تعالى. ثم في حديث آخر نجد أنّ الله تعالى جعل من آثار حبّ الله واليقين به وبصفاته وبأفعاله السعادة والراحة والطمأنينة وسكينة

العُيُوبِ، وَامْتَحِنْ قَلْبِي فِيْهِ بِتَقْوى القُلُوبِ، يا مُقِيلَ عَثَراتِ المُذْنِبِينَ». ابن طاووس، عليّ بن موسى، إقبال الأعمال: ج١، ص٣٨٧.

⁽١) يعني دعاء اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان.

⁽٢) مصباح الشريعة المنسوب إلى الإمام الصادق التله: ص١٩٢، ب٩٢ في حبّ الله.

النفس، فقد جاء في حديث عن الإمام الصادق الله يقول فيه: «إنّ الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين، وجعل الهمّ والحزن في الشكّ والسَّخَط» (١٠).

طلب التوفيق للطاعة وعدم العصية

الفقرة الأَخرى من الدعاء يطلب الداعي فيها من الله تعالى أن يوفّقه لطاعته وعدم معصيته، فيقول: «.. وَأَسْأَلُكَ التَّوْفِيقَ فِيْهِ لأن أُطِيعَكَ وَلا أَعْصِيكَ، يا جَوادَ السَّائِلِينَ»، يتحقّق هنا وعي بحقيقة الدعاء؛ حيث يطلب السائل أن يحضى بالتوفيق كي تتحقّق العبوديّة لله في طاعته تعالى والاجتناب عن معاصيه.

هناك بعض الأحاديث ورد فيها بيان آثار هذه الطاعة، ومن جملتها ما ورد عن الإمام الصادق الله عزّ وجلّ عبداً من ذُلِّ المعاصي إلى عِزّ التقوى إلّا أغناه من غير مال، وأعزّه من غير عشيرة، وآنسه من غير بشر»(")، فنجد أنّ في تقوى الله وطاعته تعالى عِزّاً ومنعةً وقوّةً للإنسان، على عكس المعصية فإنّ فيها الذلّ والهوان.

إنّ من آثار طاعة الله تعالى أنّ الله يُغني عبده حين يهبه غنى النفس، وفي الوقت نفسه _ أيضاً _ يُعطيه العِزّة حتى لو لم يكن لديه من الأسباب الدنيويّة المعنويّة والمادّية للعزّة؛ فإنّ طاعة الله تسلك بالعبد طريق العِزّة والمنعة، وتمنحه الأنس النفسي والسكينة الروحيّة.

إنّ العبد حين يطيع الله تعالى ويتقرّب منه، ويجتنب معاصيه يكون في حالة من الرفعة والكرامة والغنى وعدم الشعور بالوحدة.

دعاء اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان

إنّ دعاء اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان المبارك، مكمّل لما جاء من

⁽١) المجلسي، محمّد تقي، روضة المتّقين: ج١٣، ص٩٥.

⁽٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٧٦، باب الطاعة والتقوى، ح٨.

قبله، يقول الداعي فيه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي فِيْهِ مُحِبَّاً لأَوْلِيائِكَ، وَمُعادِياً لأَعْدائِكَ، مُسْتَنَّا بِسُنَّةِ خاتَمِ أَنْبِيائِكَ، يا عاصِمَ قُلُوبِ النبيّينَ»(۱).

الحبّ في الله والبغض في الله

كأنّ هذا الدعاء يُشير إلى معنى مهم لا بدّ من الالتفات إليه؛ وهو أنّه إذا كان الحبّ لله وفي الله تعالى طريقاً للوصول إلى مرضاته سبحانه، والتي هي مرتبة مهمّة فوق التقوى؛ فإنّ من مفردات هذا الحبّ الحقيقي لله تعالى هو حبّ أوليائه، وبغض أعدائه.

وهذا المعنى في الواقع هو تما تؤول إليه طبيعة النفوس والفطرة السليمة. فإنّ الإنسان إذا أحبّ شيئاً أحبّ ما هو قريب من ذلك الشيء، وأحبّ ما يجاوره، وما له ملامسة وعُلقة به، لذا نرى قول الشاعر _ الذي لعلّه طرق أسهاعكم كثيراً _ ينطلق من هذا المعنى، فيقول:

أمر على الديار ديار ليلى أُقبّ ل ذا الجدار وذا الجدارا وذا الجدارا ودا الجدارا أن الديار التي الديار التي ولكن حبّ مَن سكن الديارا وودا الجدارا ودا العدارا ودا ال

فهو يقبّل جدران الدار! فهل لأنّه يحبّ هذه الدار؟ كلا، وإنّم الأنّه يُحبّ مَن سكن هذه الدار، ولأنّ هذه الجدران كانت قريبةً من الإنسان الذي أحبّه، فيقبّلها حبّاً وتعظيماً وإكراماً لمّن أحبّ.

كذلك الإنسان الذي يُحبّ الله تعالى حقيقةً، فإنّ هذا الحبّ سوف ينعكس على سلوك الإنسان المحبّ في حبّه لأولياء الله، وكذلك في بغضه ومعاداته لأعداء الله سبحانه، وإلّا فلن يكون هذا الحبّ حبّاً حقيقيّاً.

⁽١) الكفعمي، إبراهيم بن علي، المصباح: ص٦١٦. دعاء اليوم الخامس والعشرين.

⁽٢) الأميني، عبد الحسين أحمد، الغدير: ج٥، ص١٥١. للشاعر قيس بن المُلوّع.

ضرورة ترفّع الحبّ والبغض عن المصالح الدنيويّة

قد يقول قائل: نحن أتباع أهل البيت الله ولا شكّ بأنّنا قد سرنا في هذا المسير الطبيعي، وهو حبّ الله تعالى؛ حبّ أوليائه، أمّا الذين يخالفون مسلك آل البيت الله فإنّهم لم ينتقلوا إلى هذا المسير الحقيقي والطبيعي.

أقول: كلا، نحن لو تأملنا في مواقفنا اتجاه هذا الإصلاح، واتجاه أفراد المجتمع الذين يريدون أن ينتقلوا بالمجتمع من حالة الفساد والتردّي أو الوضع الذي لا يتوافق مع الفطرة الإنسانيّة إلى وضع أفضل؛ نجد أنّنا نعادي هؤلاء أحياناً، نُعادي قادة الإصلاح؛ لأنّه قد يكون فعل قائد الإصلاح في محلّه، ولكنّه يتعارض مع مصالحنا الدنيويّة ومطالبنا الشخصيّة، فحينئذ نعاديه، شيئاً الحبّ الحقيقي لله تعالى.

حينها يراجع الإنسان نفسه يجد فيها شيئاً من البغض والمعاداة لبعض الدعاة إلى الله، ولو أراد أن يبحث عن السبب الحقيقي لوجد أنّ خطط ذلك المصلح والداعي إلى الله تتعارض مع مصالحه الدنيوية والشخصية، فحينتل يحمل في نفسه العداء والبغض، ويطلق الافتراء والكذب والتلفيق على ذلك الداعي والمصلح بسبب انه يتقاطع مع مصالحه، وحينل لا نستطيع أن نقول: إنّنا من المحبيّن لأولياء الله تعالى!

معطيات الحبّ في الله والبغض في الله وآثارهما

في هذا الدعاء المبارك ندعو الله تعالى أن يكون عوناً ومسدداً لنا بأن نكون من المحبّين لأولياء الله؛ لأنّ مرتبة حبّ أولياء الله والدعاة والقادة والمصلحين إنّا تعبّر عن حقيقة الإيهان وحقيقة وجود الخير في ذات الإنسان. وهذا المعنى ورد في بعض الأحاديث الصادرة عن أهل بيت العصمة عن ففي حديث عن الإمام الباقر الله يقول: «إذا أردت أن تعلم أنّ فيك خيراً فانظر إلى قلبك... »؛ أي: لا تنظر إلى كثرة صلاتك وصيامك وذكرك ودعائك، وغير ذلك من العبادات الظاهريّة، وإنّا الضابط الذي ينبغي أن نتحرّك من خلاله أو أن نتعبّد به هو ما يشير إليه الإمام الله إن كان يُحبُّ أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته، ففيك خير، والله الإمام الله الله كن كان كيبً أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته، ففيك خير، والله

يُحبُّك وإذا كان يبغض أهل طاعة الله، فليس فيك خير، والله يبغضك والمرء مع من أحتَّ»(''.

في بعض الأحيان تكره إنساناً مطيعاً لله تعالى وتضمر له السوء؛ لأنّ هناك اختلافاً أو تعارضاً بينك وبينه في أُمور دنيويّة بحتة؛ فاعلم حينئذٍ أنّ هذا القلب ليس فيه خير. وإذا كان قلبك يبغض أهل طاعة الله ويحبّ أهل معصيته لأجل مصالح دنيويّة مشتركة بينك وبينهم، فحينئذٍ يكون قلبك خالياً من هذا الخير الذي أشار إليه هذا الحديث...

وورد في حديث آخر أنّ حقيقة العبادة، وحقيقة الإيهان بالنسبة إلى الإنسان مناط بمدى حبّه لأولياء الله وأهل طاعته، ومدى بغضه لإعداء الله وأهل المعاصي، كما في الحديث عن رسول الله عليه الله الله عبداً عَبَدَ الله ألف عام ثم ذُبح كما يُذبح الكبش، ثم أتى الله ببغضنا أهل البيت، لردّ الله عليه عمله»(").

وفي حديث آخر عن الإمام الصادق الله يبيّن فيه أنّ حقيقة الإيمان إنّما هي مضمونة بالحبّ في الله والبغض في الله يقول الإمام الله حينها يسأله سائل عن الإيمان: هل أنّ الحبّ والبغض مقياسٌ ومعيار للإيمان بالله تعالى، أم أنّ هذه العبادات الظاهريّة فقط هي المقياس والمعيار؟ يسأله السائل عن الحبّ والبغض هل هو من الإيمان؟ يقول الإيمان إلّا الحبّ في الله، والبغض في الله (٣٠؟! ويؤكد الإمام الله على أنّ مَن لم يُحبّ على الدين، ويبغض على الدين، فلا إيمان له.

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٢٧، باب الحبّ في الله، ح١١.

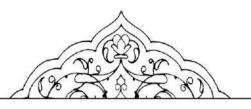
⁽٢) البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج١، ١٦٨، ح١٣٠.

⁽٣) عن فضيل بن يسار قال: «سألت أبا عبد الله الله عن الحبّ والبغض، أمِنَ الإيهان هو؟ قال: «وهل الإيهان إلّا الحبّ والبغض؟». ثم تلا هذه الآية: و﴿حَبَّ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمُنَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُورُ وَهُلُوبِكُورُ وَهُلُ الْإِيمُنَ وَأَيْنَهُ وَ وَالْفُسُوقَ وَالْمِصْيَانَ أَوْلَتِكَ هُمُ الرَّشِدُونَ ﴾».[الحجرات: آية ٧]. المصدر السابق: ج١، ص٢٦٢، ح٣٢٦.

فلنجعل المقياس والمعيار في عواطفنا وفي وجداننا هو الحبّ والبغض ومدى التزام مَن نحبّه أو مَن نبغضُه بقيم الإسلام، ومقدار طاعته واتباعه له، وحينئذٍ يمكن أن نقول: نحن من المؤمنين حقّاً. يقول تعالى في حديث قدسي: «بجلالي، وجمالي وعلائي وارتفاعي لا يُؤثِر عبدٌ هواي على هواه، إلّا جعلتُ غناه في نفسه، وضمنت الساوات والأرض رزقه، وكنتُ له من وراء تجارة كلِّ تاجر»(۱).

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لأن نكون من المحبّين لأوليائه والمعادين لأعدائه، وأن يكون حبّنا لمَن هم في أعلى مراتب الولاء لله تعالى، وهم محمّد الله الله وسم العالمين والحمد لله ربّ العالمين

⁽١) القمّي، محمّد بن عليّ، الخصال: ص٣، ح٥.



الخطبة السادسة والثلاثون المسؤوليّة الدينيّة والأخلاقيّة تجاه النازحين في ضوء المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

بتاریخ: ۱۱/۱۱/ ۲۰۰۵م

وفيه المباحث التالية:

التحديات الاجتماعيّة للهجرة إلى المدينة

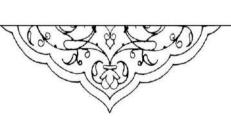
◄ أهداف المؤاخاة

بيان مضامين الآيات السابقة

المسؤولية تجاه النازحين في ضوء الآيات السابقة

الخطوات المطلوبة من المسؤولين وأبناء الشعب اتجاه النازحين

والمهجّرين



مقدّمة الخطبة

بِيْدِ لِللَّهِ ٱلدِّمْ يَزَالُكُمْ يَرَالُكُمْ يَرَالُكُمْ يَرَالُكُمْ يَرَالُكُمْ يَرَالُكُمْ يَر

الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوّته، وميّز بينها بقدرته، وجعل لكلِّ واحدٍ منها حدّاً محدوداً وأمداً موقوتاً، يولج كلاً منها في صاحبه، ويولج صاحبه فيه، بتقدير منه للعباد في ما يغذوهم به ويُنبتهم عليه، فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب، وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومنامه، فيكون ذلك لهم جماماً وقوّة، ولينالوا به لذّة وشهوة، وخلق لهم النهار مبصراً ليبتغوا من فضله، ويتسبّبوا إلى رزقه، ويسرحوا في أرضه؛ طلباً لما فيه نيل العاجل من دنياهم؛ ودرك الأجل في آخرتهم".

أُوصيكم إخواني وأخواتي بالتآخي في الله تعالى ونصرة إخوانكم المظلومين المهاجرين من ديار التي أُجبروا على تركها بعد أن حلّ بها الإرهاب والضلال.

قال الله تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه وواضح بيانه في سورة الأنفال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَنهَدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِمِمْ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَنَصَرُوٓا أُوْلَتِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآةُ بَعْضِ ﴾ ".

و فِي آية أُخرى من هذه السورة يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَنَصَرُواْ أَوْلَئَجِكَ هُمُٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَهُمُ مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ ".

أودّ أن أبين ـ هنا ـ المضامين التي تعرّضت لها الآيتان الكريمتان؛ والسبب الذي

⁽١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٥٤٠.

⁽٢) الأنفال: آية٧٧.

⁽٣) الأنفال: آية ٧٤.

يدعوني إلى التعرّض لذلك هو بيان الاستحقاقات الإيهانيّة الملقاة على عاتق المسؤولين وأهالي المدن الآمنة التي ينزح إليها إخوتهم من تلك المدن التي تعاني من الإرهاب وسفك الدماء وانتهاك الأعراض وإباحة الأموال.

تعرّضت الآيتان إلى بيان طائفتين من المؤمنين؛ وهاتان الطائفتان تشكّلان ركناً أساسيّاً في بناء المجتمع الإسلامي الأوّل، وفي انطلاق الدولة الإسلاميّة الفتيّة بتلك القوّة التي استطاعت أن تجتاح العالم، وأن تنشر الإسلام. وفي الوقت نفسه تتعرّض هاتان الآيتان إلى بيان طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تسود بين الطائفة المهاجرة، والطائفة الأُخرى التي آوت ونصرت، وما هي الاستحقاقات الإيهانيّة الملقاة على عاتق تلك الطائفة التي آوت الطائفة الأُولى؟

هاتان الطائفتان هما:

الطائفة الأولى: طائفة المهاجرين التي حملت دعوة الإسلام واعتنقت هذه الدعوة في أوّل انطلاقتها، وحملت روح القرآن وروح القيم الإسلاميّة، وقدمت بسبب ذلك الكثير من التضحيات، فقد تعرّضت لأشكال متعدّدة من ممارسات المشركين؛ من الإرهاب والتجويع والتشريد، ثم بعد ذلك حينها اشتدّت تلك الحملة الإرهابيّة وحملة التعذيب من قبَل أعداء التوحيد على هؤلاء المؤمنين اضطر هؤلاء المؤمنون ـ بعد أن وجدوا المأوى والنصرة من الطائفة الثانية ـ أن يتركوا الأهل والأحبّة، وأن يُفارقوا ديارهم، ويتركوا أراضيهم وأحبّتهم وأهلهم؛ لأنّه لو استمرّ الحال على ما هو عليه، وبقوا في مكّة لكان من المكن للإسلام أن ينتهي في تلك المرحلة؛ لأنّ الإسلام في بداياته، وهؤلاء يشكّلون أوّل تجمّع للإسلام، فبالقضاء عليه يتمّ القضاء على الإسلام. لكنّهم حينها وجدوا المأوى والنصرة من مؤمني المدينة خرجوا من مكّة وارتحلوا متوجّهين إلى المدينة.

الطائفة الثانية: طائفة مؤمني المدينة، هذه الطائفة بعد إيهانها استشعرت عمق المسؤوليّة الإيهانيّة اتجاه دعوة النبيّ عَيَّاليّه على دعوة التوحيد العظيمة، واتجاه المهاجرين، فاتخذوا موقف النصرة والتأييد والإيواء للنبيّ عَيَّاليّه ومَن معه، وآزروه ونصروه، وآووا الطائفة الأُولى من المهاجرين.

التحديات الاجتماعية للهجرة إلى المدينة

وحينها حصلت هذه الهجرة كانت هناك مسؤوليّة كبيرة أمام النبيّ عَيَالِيُّهُ، وتنشأ هذه المسؤولية من أمرين:

الأمر الأول: الاختلاف المجتمعي الكبير بين طائفتي المهاجرين والأنصار، فيمكن القول: إنّه بعد الهجرة قد وجد مجتمعان مختلفان في المدينة، وليس مجتمعا واحداً؛ وذلك لأنّ المجتمع الذي ناصر النبيّ ألله واستقبله ووقف معه له عاداته، وتقاليده؛ له طريقة عيشه الخاصّة بأفراده، له _ كذلك _ أُسلوب في التفكير يختلف تماماً عمّا كان عليه المهاجرون؛ لأنّهم _ أي المهاجرين _ جاؤوا من مجتمع آخر يختلف عن مجتمع أهل المدينة من حيث العادات والتقاليد، وأُسلوب العيش وإدارة الحياة الاجتماعية، وحتى أُسلوب التفكير أو طريقته، وهنا يكمن خطر يهدد المجتمع؛ لأنّه حينها يكون هناك مجتمعان مختلفان من حيث الأعراف والتقاليد وطريقة العيش والتفكير فلا شكّ في أن تحدث _ هناك _ فجوة بين المجتمعين، ويحصل حاجز نفسي والتفكير فلا شكّ في أن تحدث _ هناك _ فجوة بين المجتمعين، ويحصل حاجز نفسي بينهها؛ الأمر الذي يشكّل خطورة على مجتمع المدينة المسلم؛ نظراً إلى كثرة الأعداء الذين كانوا يحيطون بالمدينة، ويضيّقون على النبيّ النبيّ ويتربّصون به الدوائر من أجل القضاء على دينه وما يدعو إليه.

في خضم هذا التنوّع في الحياة وأساليب التفكير وما إلى ذلك، يوجد هناك المشركون، وهناك اليهود، وهناك المنافقون، وكان من الممكن لو بقي الحال الاجتماعي في المدينة قائماً على وجود مجتمعين بينهما ما بينهما من الاختلاف والحاجز

النفسي وغير ذلك من الأُمور؛ لكان من الممكن لهؤلاء الأعداء أن ينفذوا إلى هذا المجتمع ويتمكّنوا من تفكيكه وتفتيته.

الأمر الثاني: وجود الأرضية الصالحة، فلقد وجد النبي عَلَيْ النصرة لدينه وأتباعه حتى يتمكّن من إرساء أُسس الدولة الإسلامية الفتية. وكان المراد من هذه الدولة أن تنطلق في مجتمع الجزيرة العربية وفي بقية مجتمعات العالم؛ لكي تنشر الإسلام، وهذه الدولة الإسلامية لا يمكن أن تؤدّي دورها إلّا إذا بُنيت في مجتمع متاسك تسوده الأُلفة والمحبّة والانسجام والمودّة.

فلا بد ـ من أجل هذين الأمرين ـ أن يتخذ النبي الله خطوة يتبع فيها سياسة عنكة من أجل إيجاد مجتمع متهاسك ومترابط اجتهاعيًا، يعيش حالة الانسجام والود والتآلف؛ حتى يستطيع أن ينطلق بهذا المجتمع لتأسيس دولته ونشر دعوته.

أهداف المؤاخاة

من هنا اتخذ النبي عَلَيْلُهُ خطوة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكان لهذه الخطّوة العديد من الأهداف التي توخّاها عَلَيْلُهُ؛ فهناك الهدف النفسي، والهدف الاجتماعي، والهدف السياسي.

أوّلاً: الهدف النفسي

وهو من الأبعاد المهمّة، تصوّروا - أيّها الإخوة - حينها تغادرون مدينتكم، تتركون بيوتكم؛ حيث الأرض التي ولدتم، ونشأتهم وترعرعتم فيها، وحينها تبتعدون عن أهاليكم وأحبّتكم، وتتركون موارد رزقكم، وتنتقلون إلى مدينة جديدة؛ مدينة غريبة عنكم في عاداتها ونمط عيشها، لا شكّ أنّكم ستعانون، وأوّل ما تعانون منه آلام الغربة؛ هذه المعاناة النفسيّة الشديدة التي من الممكن أن تشل قدرات الإنسان وطاقاته وتجعله جامداً لا يستطيع أن يتحرّك وينتج ويبدع. وهذه حالة طبيعية لكل إنسان، والمهاجرون الذين هاجروا من مكّة إلى المدينة إذا لم

يستشعروا من أهل المدينة أنهم يعيشون وسط أهلهم وأحبتهم فحينئذٍ من الممكن لهذه المعاناة والآلام النفسية أن تشلّ قدرات هؤلاء المهاجرين، مع أنهم يحملون في قلوبهم وأرواحهم وأنفسهم روح الإسلام وعقيدة التوحيد، وكانت لديهم الكثير من الطاقات والقدرة على المقاومة والصمود بسبب ما تحمّلوه من الإرهاب والتعذيب الذي صدر من المشركين؛ فإن هذه الطاقات والقدرات من الممكن أن تُشلّ ولا يمكن الانتفاع بها لتأسيس الدولة الإسلامية والانطلاق بها لنشر دعوة الإسلام في ما لو لم تُتخذ خطوة اجتماعية يمكن من خلالها أن يشعر المهاجرون المغتربون عن وطنهم أنهم وسط وطنهم وأحبتهم وأهلهم، هذا العامل النفسي كان المغتربون عن وطنهم أنهم وسط وطنهم وأحبتهم وأهلهم، هذا العامل النفسي كان من المهم جداً إن يُعالج من خلال اتّخاذ النبي المهاجرين المهاجرين والأنصار.

ثانياً: الهدف الاجتماعي

إنّ الهدف الآخر الذي توخّاه النبيّ الله من المؤاخاة هو استبدال قيم المجتمع المدني _ تلك القيم القبليّة التي كانت هي الأساس في بناء علاقات النصرة والمودّة والتآزر والتعاضد _ بقيم إسلاميّة جديدة، فالإسلام _ من خلال العديد من الآيات القرآنيّة _ يعتمد التقوى والتديّن كأساس لبناء علاقات الأُخوّة والمودة والمحبّة والتآزر والتكاتف، وليس آصرة العشيرة والانتهاء إلى قبيلة واحدة هو الأساس في المنظور القرآني والإسلامي لبناء هذه العلاقات في المدينة.

إنَّ أبناء قبيلتي الأوس والخزرج عاشوا مئة وعشرين سنة (١) من الحروب الدامية

⁽۱) «وصف بعض المؤرخين حال الأنصار قائلاً: كانت الحرب بين الأوس والخزرج عشرين ومائة سنة، حتى قام الإسلام وهم على ذلك، فكانت حربهم بينهم وهم إخوان لأب وأمّ، فلم يسمع بقوم كان بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم. ثم إنّ الله عزّ وجلّ أطفأ ذلك بالإسلام، وألّف بينهم برسوله محمّد عَلَيْ فذكرهم جلّ ثناؤه إذ وعظهم عظيم ما كانوا فيه في جاهليّتهم

بينها، ونشأ عن ذلك الكثير من الأحقاد والضغائن والبغض بين القبيلتين، الأمر الذي أدّى إلى تفكك المجتمع المدني، فأراد النبيّ الله والتقوى ونقولها بكلّ أسف: جديدة يكون التفاضل فيها على أساس القرب من الله والتقوى ونقولها بكلّ أسف: إنّ تلك القيم القبليّة لا تزال باقية في نفوس البعض، وفي بعض مجتمعاتنا المسلمة والمؤمنة، فالبعض منّا ينصر فلاناً ويؤازره ويعضده؛ لأنّه من مدينته وإن كان الشخص الذي من المدينة الأُخرى أكثر منه تديّناً وتقوىً. ونحن الآن نعاني الكثير بسبب محاولة استبدال هذه المفاهيم والقيم بالقيم الإسلاميّة، ففي منطق الإسلامي، لا بدّ أن تكون العلاقات مبنيّة على المودّة والمحبّة والتآلف على الأساس الإسلامي، وليس على الأساس القبلي والعشائري، أو الانتهاء إلى المدينة الواحدة أو البلد الواحد.

أراد النبيّ عَيَالَ في البعد الاجتماعي من خطوة المؤاخاة أن يستبدل تلك القيم بقيم جديدة؛ أراد أن يقول لأهل المدينة: إن هؤلاء الغرباء _ بنظركم _ من أهل مكّة، لكنّهم يرتبطون معكم في آصرة الدين والتقوى والتوحيد، وينبغي عليكم أن تُوآزروهم، وتوفّروا لهم المأوى والحياة التي يشعرون من خلالها بأنّهم في مدينتهم، وبين أهلهم وأحبّتهم.

إنّ هذا البعد الاجتماعي يُعدّ بُعداً مهمّاً؛ لأنّه يخلق مجتمعاً متديّناً متوحّداً متماسكاً قادراً على الصمود في وجه الأعداء ومؤامراتهم.

من البلاء والشقاء بمعاداة بعضهم بعضاً، وقتل بعضهم بعضاً، وخوف بعضهم من بعض، وما صاروا إليه بالإسلام واتباع الرسول الميان به، وبها جاء به من الائتلاف والاجتهاع، وأمن بعضهم من بعض، ومصيّر بعضهم لبعض إخواناً». الطبري، محمّد بن جرير، تأويل آي القرآن: ج٤، ص٤٦.

ثالثاً: الهدف الاقتصادي

كان مجتمع المدينة يمتلك خبرات مهمّة؛ حيث كان يهارس نوعاً من الحياة الاقتصاديّة والحياة الزراعيّة، كها أنَّ مجتمع مكّة كان يهارس نوعاً آخر من الحياة الاقتصاديّة، وهو: التجارة، ومن الممكن أن تنشأ الكثير من المشاريع المشتركة من خلال تلاقح الخبرات الاقتصاديّة بين المجتمعين، ومن الممكن كذلك أن يُعاد تأهيل أهل مكّة ـ الذين رحلوا إلى المدينة ـ في المجال الاقتصادي، بحيث يُهارسون حياتهم الاقتصاديّة الطبيعيّة اليوميّة. فحينها يهاجر بعض الناس إلى مدينة أُخرى، وتُعطّل الطاقات الاقتصاديّة فلا شكّ في أنّ ذلك يولّد الكثير من المشاكل، على العكس ما لو استُثمرت هذه الطاقات، فمن المكن ـ حينيًذ ـ أن يستفاد منها في المدينة الجديدة؛ وهذا ما حصل من خلال المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

رابعاً: الهدف السياسي

أراد النبي عَيَّالَ من المؤاخاة أن يُنشئ نسجاً واحداً منسجاً بين المهاجرين والأنصار يعيشون من خلاله كجسد واحد في مواجهة المؤامرات والدسائس التي كانت تحاك ضدّهم من قِبَل المشركين واليهود.

تقرأون كثيراً الحديث الوارد عن النبي النبي الذي يُشير إلى أسمى معاني التعاضد والتلاحم بين المؤمنين، لكن للأسف يبقى مضمون هذا الحديث حبيساً وسط الكتب وسطورها، ولا يطبّق في أرض الواقع. يُبين الحديث لنا أنّ مَثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد؛ حيث يقول الحديث: «المؤمنون في تبارّهم، وتراحمهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى تداعى له سائره بالسهر والحمّى»(۱).

⁽١) الكوفي، الحسين بن سعيد، المؤمن: ص٣٩، باب الأُحوّة بين المؤمنين، ح٩٢.

وإذا ما رجعنا إلى واقعنا المعاصر وما نعيشه في هذه الأيّام من إرهاب وتهجّر على أُسس طائفية مقيتة، أدّى إلى نزوح الكثير من الأفراد والأُسر من ديارهم من (تلعفر)، أو من (سامراء)، أو من (الدور)، أو من (اللطيفية)، أو من (اليوسفية) لا بدّ لنا في هذا الظرف الحرج أن نستحضر سيرة النبيّ عَيَّالًا وكيفيّة تعامله مع ظاهرة الهجرة، وأن نعاملهم طبق روح الإسلام، فهؤ لاء الأخوة هم بالنسبة إلى كلّ واحد منّا كالقلب والكبد والرئة، عضو مهمّ في هذا النسيج الاجتماعي الإيماني، وينبغي إذا تعرّض هذا الجزء إلى ابتلاء أو مصيبة أن نعيش معه هذا البلاء وهذه المصيبة من أجل أن ينهض هذا المجتمع كجسد واحد، ويقف في وجه المؤامرات وفي وجه ما يحاك ضدّه.

هذه الأهداف الأربعة التي كان النبي الله الله يَعْ يَعْلَيْهُ يتوخّاها من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.

بيان مضامين الآيتين السابقتين

نذكر بعض المضامين التي تعرّضت لها الآيتان، ثم من بعد ذلك نتطرّق إلى واقع الحال الذي نعيشه: جاء في الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ ... ﴾، يمكننا أن نتصوّر الهجرة وصعوباتها، كها لو كنت أنت ابن كربلاء _ مثلاً _ حينها يضطرّك النظام الصدّامي الظالم أن تغادر، فتغادر من أجل النجاة من القهر والظلم والاستبداد _ في فترة حكمه الظالمة _ إلى مدن أُخرى، فهجرت على إثر ذلك أهلك وأحبّتك وأبناءك، وهجرت أرضك وأموالك، وكلّ شيءٍ هو عزيز عندك في هذا المكان ".

⁽١) مناطق عراقيّة شهدت أحداثاً إرهابيّةً مروّعة، وكانت تُسمى بالمناطق الساخنة؛ لكثرة ما تشهده من قتل وتهجير واغتيالات.

⁽٢) الهَجْر: ضدّ الوصل. وقد هجَرَهُ هَجْراً وهِجراناً. والاسم الهِجرة. والهجرتان: هجرة إلى الحبشة، وهجرة إلى المدينة. والمُهاجرة من أرض إلى أرض: ترك الأولى للثانية. والتهاجر: التقاطع. والهجُر أيضاً: الهذيان. الجوهري، إسهاعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٢، ص٨٥١. «هجر: هجرة يهجره هجراً، بالفتح، وهِجراناً بالكسر: صرمه وقطعه. والهجر: ضِدّ الوصل. هجر الشيء

فالمهاجرون من أهل مكّة كذلك هجروا مدينتهم وأحبّتهم وأرضهم وعملهم؛ لكي يحفظوا دينهم، ويبقوا على تلك العقيدة، وكان بإمكانهم أن يتخّلوا عن عقيدة التوحيد، وأن يعيشوا وسط المشركين، ولكنّهم من أجل الحفاظ على دينهم رحلوا عن مكّة.

ومن صفاتهم أنّهم ﴿ وَجَهَدُواْ بِأَمُولِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللّهِ ﴾ ((). هذه صفات الطائفة الأُولى، وهم المهاجرون.

أمّا الطائفة الثانية فقالت عنهم الآية: ﴿ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَنَصَرُوا ﴾، فالطائفة الأُولى حينها غادرت وطنها وجدت مأوى، ووجدت وطناً آخر لها في المدينة، والذين هم الطائفة الثانية، وهم: ﴿ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَنَصَرُوا ﴾، أي: آزروا النبيَّ عَيَا الله وآزروا النبيَّ عَيَا الله وآزروا المهاجرين ونصروهم في دينهم، فها هي طبيعة العلاقة التي ينبغي أن تسود بين هاتين الطائفتين، وبين هذين المجتمعين؟

﴿ أُولَكَتِكَ بَعْضُهُمُ أَولِيَآهُ بَعْضِ ﴾؛ أي: إنّك تعيش وسط مدينتك ووسط أهلك وأحبّتك، وفي أرضك آمناً ومستقرّاً، وتمارس حياتك اليوميّة، فإنّ علاقتك مع هؤلاء النازحين هي علاقة الولاية الإيهانيّة؛ حيث الجميع يعيش في دائرة واحدة من الإيهان.

وبمعنىً آخر: ينبغي عليك _ إن كنتَ حقّاً داخلاً في هذه الولاية _ أن تعضد المهاجرين وتنصرهم وتؤازرهم وتفتح الأبواب واسعةً لهم.

لقد ترجم الأنصار هذه العلاقة إلى واقع حيِّ معاشٍ؛ حيث كان الواحد منهم يقتسم ماله وداره مع أخيه المهاجر، بل البعض ذهب إلى أبعد من ذلك، كانت له

يهجره هَجْراً: تركه وأغفله وأعرض عنه... فكلّ مَن فارق بلده من بدوي أو حضري أو سكن بلداً آخر فهو مهاجر..». الزبيدي، محمّد مرتضى، تاج العروس: ج٧، ص٦٠٦_ ٢٠٠٠. (١) الأنفال: آية ٧٧.

عدّة زوجات؛ يُطلّق واحدةً، ثم تعتدّ، وبعد ذلك يتزوّجها شخص من المهاجرين. لماذا كلّ ذلك؟ حتى يشعر المهاجر أنّه حينها غادر وطنه وأهله وزوجته وأحبّته، وترك أمواله، فهو يعيش في وطنه أيضاً، ويهارس حياته الطبيعيّة، فإنّه ليس غريباً.

أراد الأنصار أن يقولوا للمهاجرين: أنتم لستم غرباء، بل أنتم جزء منّا، إنّكم معنا في حياتنا، فمنّا الذي يُعطيكم نصف داره، والذي يُعطيكم نصف ماله، وهكذا. حتى أصبح _ في فترة سنوات قليلة _ هذا المجتمع المتهاسك بفعل هذه الإجراءات الحكيمة من النبيّ من أرقى المجتمعات، واستطاع أن ينطلق من دولة قويّة ومعه جيش قويّ؛ بحيث نشر الإسلام في ربوع الجزيرة العربيّة وبلدان أخرى خلال بضعة سنوات.

نلحظ في الآية الأُخرى ـ أيضاً ـ بياناً لطبيعة الاستحقاق الإيهاني تجاه هؤلاء الذين يُهاجرون من وطنهم ويتركون أهلهم وأحبّتهم وأموالهم، حيث يُختبر فيه صدق الإيهان لدى الأفراد، يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَضَرُواْ أَوْلَيَهِكَ هُمُ ٱلمُؤَمِنُونَ حَقًا ﴾ (الله عنه الخطوات الأخوية الإيهانية الصادرة من الأنصار؛ لما كانوا قد دخلوا في دائرة الإيهان الحقيقي.

وأمّا واقعنا المعاصر فكل واحدٍ منّا يدّعي أنّه مؤمن وموالٍ لأهل البيت الله ، فهل يجد في نفسه أنّه مصداق لهذه الآية؛ مصداق للإيواء والنصرة لإخوانه الذين نزحوا وهاجروا وتركوا وطنهم وأهلهم؟

لقد تجسّدت في قوله تعال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَنَصَرُواْ ﴾ حقيقة الإيهان، وليس الإيهان الكاذب الذي هو مجرّد دعوى لا تتجاوز اللسان. فها هو جزاء هاتين الطائفتين؛ الذين ضحّوا بأموالهم وأرواحهم وهاجروا وتركوا مدينتهم، والذين وفّروا لهم المأوى والسكن ونصروا المهاجرين؟

⁽١) الأنفال: آية ٧٤.

الجواب: ﴿ لَهُمْ مَّغُفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾، فسيغفر الله تعالى ذنوب هؤلاء ويسترها عليهم، وإضافة إلى ذلك لهم رزق كريم. وقد ذُكر تفسيران لمعنى: ﴿ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾: الأوّل: إنّه الرزق الواسع العظيم في الدنيا. والثاني: المطعم والمشرب الهنيء في الآخرة، الذي لا يتغيّر

في الجوف ويصير نجواً " غائطاً، وإنَّما يرشح من الجسد كرشح المسك.

هذا هو جزاؤهم في الآخرة. ونحن _ إخواني _ غارقون في الذنوب والمعاصي، ونحتاج إلى مغفرة الله تعالى، ونحتاج إلى هذا الرزق الكريم؛ لكي نعيش سعداء في الدنيا والآخرة.

المسؤوليَّة تجاه النازحين في ضوء الآيتين السابقتين

الآيتان السابقتان تُبيّنان الواقع الحالي الذي نعيشه الآن؛ فالعراق يمرّ بمرحلة تأسيسيّة لدولة جديدة؛ دولة يعيش الشعب فيها في ظلّ أجواء الديموقراطيّة والحرّيّة والعدالة والكرامة؛ دولة استعاد فيها أتباع أهل البيت على ما يستحقّونه من مواقعهم في قيادتها وفي السلطات التشريعيّة والتنفيذيّة والقضائيّة؛ بحكم كونهم أكثريّة سكّان العراق، ولهم الحقّ الطبيعي _ كها للباقين _ أن يتبوأوا المواقع التي يستحقّونها بحسب هذه النسبة السكّانية في مواقع قيادة الدولة.

تأتي هذه الانعطافة المهمة في تاريخ العراق واستعادتهم لبعض حقوقهم في ظلّ

⁽١) أنظر: الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٥، ص١٦٤. والطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٤، ص٠٠٥. قال صاحب مجمع البيان: «وقيل الرزق الكريم ها هنا: طعام الجنّة؛ لأنّه لا يستحيل في أجوافهم نجواً، بل يصير كالمسك ريحاً».

والنجو: ما خرج من البطن من ريح وغيرها. والنجو: استطلاق البطن، وقد نجا نجواً. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٦، ص١٨٦.

موجة كبيرة من المؤامرات والدسائس التي بدأت تُحاك ضدّ العراق وضدّ أتباع أهل البيت الميت من جهاتٍ داخليّة وخارجيّة، ونجد هذه الحملات الشعواء الهمجيّة ـ التي سببّت المجازر والمذابع ـ لا يقتصر الاشتراك فيها على البعثيين والإرهابيين من داخل العراق فقط، وإنّها هناك جهات خارجيّة من بعض دول الجوار تدعم هذا الإرهاب، وهذه الحملة الشعواء المستمرّة من المجازر والمذابع والتمثيل بجثث أتباع أهل البيت اليين، كلّ ذلك لأجل إجهاض هذا التأسيس للدولة العراقيّة الجديدة، وأهداف أُخرى يُريدها الإرهابيّون، منها: إفراغ المناطق المختلطة من شيعة أهل البيت اليين، وإظهار الحكومة بمظهر العاجز عن توفير الأمن والاستقرار هم، وتغيير التركيبة السكّانية لتلك المناطق من أجل تحقيق أهداف سياسيّة خاصّة.

فها هو الموقف الإيهاني المطلوب منّا في ظلّ هذه التحدّيات الخطيرة؟

الخطوات المطلوبة من المسؤولين وأبناء الشعب تجاه النازحين والمهجّرين

نتحدّث في المقام عن طبيعة الحالة التي نمرّ بها، وما هو الموقف المطلوب من المسؤولين في الدولة؟ وما هو الموقف المطلوب من المؤسّسات وأهالي هذه المدن التي نفتخر بأنّنا فيها وننتمي إليها، سواء في مدينة الحسين، أم في النجف مدينة أمير المؤمنين الله كيف نترجم ولاءنا واتباعنا لأهل البيت الله ترجمة حقيقية على أرض الواقع تجاه هؤلاء _ الإخوة _ النازحين من تلك المناطق، بعد أن بدأت تشتد هذه الحملة، ويكثر النزوح من تلك المناطق؛ تلعفر، وسامراء، وديالي، وبعقوبة والدورة، واللطيفيّة، واليوسفيّة()، ومناطق كثيرة؟

أمامنا جميعاً مسؤوليّات ووظائف كبيرة:

المسؤوليّة الأُولى، وتقع على عاتق المسؤولين، وهي توفير فُرص العمل لهذه

⁽١) مناطق متفرّقة من مدن العراق شهدت أحداثاً خطيرةً على مستوى القتل والتهجير والترويع، واعتبرت_آنذاك_مناطق ساخنةً ومناطق صراع مستمرّ.

الشريحة الكبيرة. قد يتصوّر البعض أنّ هذا الأمر سيؤدّي إلى إفراغ تلك المدن من أتباع أهل البيت الله ، لكن نحن لا نقول بذلك، ولا نرغب في حصوله، وإنّما نتحدّث عمّن اضطر ونزح من تلك المدن، فلا بدّ أن نوفّر له أجواء النصرة والتأييد كما فعل الأنصار، والذي يستطيع أن يبقى هناك في تلك المدن، وأن يدافع عن نفسه وأهله فليبق هناك حتى لا يتحقّق هدف الإرهابيين الذين يريدون إفراغ تلك المدن والمناطق من أتباع أهل البيت الله .

المسؤوليّة الثانية: وهي ملقاة على عاتقنا؛ لأنّنا سنُسأل يوم القيامة عن موقفنا تجاه إخواننا النازحين. فلو أنّكم تعرّضتم ـ لا سمح الله ـ إلى هذه الظروف، فها الذي تتمنّونه من أهالي المدن التي ستنزحون إليها؟ لذا ينبغي معاملتهم كها تحبّون أن يعاملكم الآخرون به؛ فالذي يستطيع أن يوفّر مأوىً لهؤلاء ولو بقدر إيجار بسيط عليه أن يفعل ذلك، والذي يستطيع أن يوفّر المأكل والمشرب والملبس لهؤلاء فعليه أن يسعى في ذلك.

يجب أن نرى هذه الاستحقاقات الإيهانية واضحة وظاهرة وسط مجتمعنا، فها دمنا نحن نعتقد بأنّنا حَلَة القرآن وأتباع أهل البيت الله يجب أن نترجم هذا الإيهان إلى واقع حيِّ معاش، فمَن لا يستطيع أن يوفّر المأوى المادّي أو المأكل أو المشرب لإخوانه النازحين والمهجّرين، فعلى الأقلّ عليه أن يتعاطف معهم، ويوفّر السند المعنوي لهم، ولا يجعلهم يشعرون بأنّهم غرباء في هذه المدينة أو في تلك.

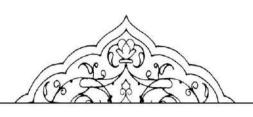
لكن ـ ومع شديد الأسف ـ نرى البعض يتثاقل من وجود هؤلاء النازحين، مع أنّهم كان بإمكانهم أن يتخلّوا عن ولاية أهل البيت الله وعن ولائهم لدينهم ووطنهم، ويُظهروا عدم الولاء، ويظهروا التعاطف مع الإرهابيين، ويبقوا في تلك المدن، فهم حينها غادروا تلك المدن، إنّها فرّوا بدينهم؛ لكي يحافظوا على دينهم ومعتقدهم وولائهم.

فالموقف الإيهاني المطلوب منّا جميعاً أن نقدّم كلّ ما بوسعنا من الدعم المادّي، والدعم المعنوي، لنواسي هؤلاء ونشاركهم في ظروفهم، إلى أن تنعدم هذه الغربة، وينجلي هذا الهمّ.

ختاماً نذكر بموقف آخر تجاه الإخوة الذين نزحوا من مدن الجنوب في الحرب العراقية الإيرانية؛ وكثير من الشكوى تصل من هؤلاء الإخوة بإنهم يُعامَلون حتى من بعض المسؤولين ربيا، ومن بعض المواطنين معاملة الغرباء، ويتضايق البعض من وجودهم، ويحاول البعض أن يحصرهم في دائرة خاصة بعيدين عن أفراد المجتمع. فهذا العمل منافٍ تماماً لقيم القرآن وقيم الإسلام، فهؤلاء - أيضاً - نزحوا وتعرضوا للخطر والتهديد، وهاجروا إلى تلك المناطق، إنهم يشتركون معنا بالعقيدة والدين والتوحيد والإسلام والولاء لأهل البيتهاي.

إذاً كيف ينبغي أن نفعل لكي نصنع مجتمعاً متاسكاً مترابطاً متآزراً حتى نستطيع أن نواجه به هذه المخاطر؟

ينبغي أن يُراجع كلُّ واحدٍ منّا ما يصدر منه من موقف، يقارنه مع الموقف الذي تعرّض له القرآن الكريم؛ لكي نكون مؤمنين حقّاً، ولكي نحصل على مغفرة الله تعالى؛ وذلك الرزق الكريم الذي وعد به تعالى في محكم كتابه الكريم. والحمد لله ربّ العالمين.



الخطبة السابعة والثلاثون الموالاة للقيادة الإلهيّة ودور القيادة في الحفاظ على المجتمع المسلم

بتاریخ: ۲۰۱۵/۱۱/۵م

وفيه المباحث التالية:

🔪 أهمّيّة وجود القائد في كلّ المجتمعات

🗸 صفات القيادة الرشيدة والقائد الصالح

🗸 صنفان من القيادة وكيفيّة التعامل معهما

🗸 نوعان من الولاء في القرآن الكريم

لله الأوّل: الولاء السلبي

الثانى: الولاء الإيجابي

◄ من صفات الدولة الإسلامية

مقدّمة الخطبة

أيّها الإخوة وأيّتها الأخوات، أيّها الموالون لآل بيت المصطفى عَلِي الله المور والفرح على بدءاً بشارة من النبيّ المصطفى عَلِي الله المرور والفرح على قلوبكم، فلقد ورد عن النبيّ عَلِي الله الله الله الله الله ويموت عماي، ويسكن جنّة عدن التي غرسها ربّي»، وهل هناك أعلى وأسمى من هذه المضامين التي يتمنّى كلُّ واحدٍ منكم أن ينالها؛ وهي مَن أحبّ أن يجيا حياة المصطفى عَلِي الله ويبيه ويبي ويبي المصطفى عَلِي أَن يُعلد في الجنّة: «فليوالِ عليّاً من بعدي، وليوالِ وليّه، وليقتدِ الله عليّة من بعدي؛ فإنّه عترتي، خُلقوا من طينتي، وزُقّوا فها وعلماً، ويل للمكذّبين بفضلهم من أُمّتي، القاطعين منهم صلتي، لا أنالهم الله شفاعتي» (١٠).

سبحانك ربّنا ولك الحمد، أنت الله القائم على عرشك أبداً، أحاط بصرك بجميع الحّلق، والحّلق كلّهم على الفناء، وأنت الباقي الكريم القائم الدائم بعد فناء كلّ شيء، الحيّ الذي لا يموت، بيدك ملكوت الساوات والأرض ودهر الداهرين. أنتَ الذي قصمت بعزّتك الجبّارين، وأضفتَ في قبضتك الأرضين، وأغشيتَ بضوء نورك الناظرين، وأشبعتَ بفضل رزقك الآكلين، وعلوت بعرشكَ على العالمين، وأعمرتَ ساواتك بالملائكة المقرّبين، وعلّمتَ تسبيحك

⁽١) ابن شهر آشوب المازندراني، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج١، ص٢٥١.

الأوّلين والآخرين، وانقادتْ لك الدنيا والآخرة بأزمّتها، وحفظتَ السهاوات والأرضين بمقاليدها، وأذعنتْ لك بالطاعة ومَن فوقها(١٠).

قال الله تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْلَا نَنَّخِذُواْ ٱلْكَنفِرِينَ أَوْلِيَا عَلَيْكُمُ سُلُطَنَا شُرِينًا ﴾ ".

وقال تعالى في آية أُخرى من كتابه المجيد: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكُوٰةَ وَيُظِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ ۚ أَوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِينُ حَرِيمُ ﴾ ".

وقال تعالى في آية ثالثة: ﴿ إِنَّهَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوْةَ وَيُؤَتُونَ ٱلزَّكُوةَ وَهُمُ رَكِعُونَ ﴾ ''.

وقال تعالى في آية رابعة: ﴿ يَكَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا لَنَّخِذُواْ الَّذِينَ اَتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أَتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْلَاكِنَ مُنْ أُوتُواْ اللَّهَ إِن كُمُنُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ (٥).

أهميّة وجود القيادة في كلّ المجتمعات

هناك مقصد وهدف ابتغي الوصول إليه من خلال اختيار هذه الآيات القرآنية التي تتحدّث عن مواصفات القيادة ونوعها، التي يجب على المؤمنين أن يوالوها، وأن ينقادوا ويخضعوا لها، وإن كنتُ لا أُصرّح بالهدف والمقصد، ولكنّ اللبيب اليقظ والواعى سيعرف هذا المقصد من هذه السطور والكلمات.

⁽١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٥٥.

⁽٢) النساء: آية ١٤٤.

⁽٣) التوبة: آية ٧٠.

⁽٤) المائدة: آية٥٥.

⁽٥) المائدة: آبة٥٧.

إنّ من الأُمور الضروريّة والمهمّة جدّاً في انتظام أيّ مجتمع إنسانيًّ وجود القيادة فيه، وهناك الكثير من الأحاديث والروايات التي تُبيّن ضرورة وجودها، وحديثنا هنا عن أصل القيادة، وليس عن نوعها؛ لأنّ هذه الضرورة نابعة من أنّ كون انتظام المجتمع ـ وسيادة القانون وهيبته واحترامه، والحقوق والحرّيات وحفظ الحُرمات ـ إنّها هو منوط بوجود قيادة للمجتمع، وعلى العكس من ذلك فيها لو فَقَدَ المجتمع أصل القيادة؛ فإنّ الفوضى والاضطراب وعدم احترام القانون وانتهاك الأعراض والحُرمات سيسود في المجتمع، كها لاحظتم ذلك واضحاً بعد سقوط النظام البائد، وانعدام مؤسسات الدولة، كيف أنّ الفوضى والاضطراب وانتهاك الحرمات عمّت هذا المجتمع. وليس الحديث هنا عن فساد القيادة السابقة، وإنّها الحديث عن أصل وجود القيادة في المجتمع.

صفات القيادة الرشيدة والقائد الصالح

بعد أن بينًا ضرورة وجود قيادة في كلّ مجتمع، فإنّ المشرّع الإسلامي قد اهتم اهتهاماً شديداً في بيان نوع القيادة التي تُحقّق الأهداف المنشودة للنوع الإنساني، وبيّنَ مواصفات القائد الذي من خلاله يمكن أن يصلح المجتمع، ويسعد في الدنيا والآخرة، وتنتظم معه شؤون المجتمع. ولم يكتفِ ببيان مواصفات القيادة وشروطها، بل عيّن شخص القائد أو القيادة؛ كها هو واضحٌ في تعيين أشخاص الأنبياء والأوصياء، وكها هو واضحٌ في تعيين عليّ الله والأئمة الله عن بعده كقادة للمجتمع الإسلامي.

والسبب في ذلك هو أنّ المشرّع الإسلامي لم يهتمّ ببيان الشروط والمواصفات للقائد فقط، وإنّما بيّن بالإضافة إلى ذلك شخص القائد وشخص القيادة؛ لأنّ الفرد الإنساني _ مهما امتلك من القدرات _ لا يستطيع أن يشخّص القائد الذي يصلح

للمجتمع، بل حتى مَن كان في أعلى مراتب الحكمة والوعي والدراية؛ كالأنبياء والأوصياء لم يُسمح لهم أن يشخّصوا القائد والوصي من بعدهم؛ لذلك فإنّ مسألة تعيين الأوصياء لم تكن بتشخيص من الأنبياء، وإنّا كان هذا الشأن المهمّ بأمر واختيار من الساء، ومن ثمّ يُعرِّف النبيّ شخص القائد من بعده إلى الأُمّة.

وهذه القيادة المُعيّنة من السياء قد تُتاح لها الفرصة في حكم الأُمّة وتوليّ شؤونها المختلفة، وقد تكون هناك ظروف تغيب أو تُغيّب فيها القيادة، وليس لها بسط اليد على إدارة شؤون المجتمع، وحينئذٍ مع غياب هذه القيادة السياويّة المعيّنة مِن السياء، إمّا أن تحكم شؤون المجتمع قيادة مفروضة بالقوّة _ وهناك رأي للشريعة الإسلاميّة في ما يتعلّق بالتعامل مع نوع هذه القيادة _ وإمّا أن يكون اختيار القيادة متروكاً لأفراد الأُمّة؛ وهذا هو الأمر المهمّ الذي أُريد التحدّث فيه، والذي يتسق مع الظروف التي نعيشها الآن ويتناسب معها.

لا أُريد التعرّض إلى بعض الآيات الشريفة التي تتحدّث عن تعيين عليِّ الله والأئمّة الله عن بعده لقيادة هذه الأُمّة؛ فإنّه ليس موضع الحديث في هذه الظروف، وهو أمر واضح، وإنّها أتحدّث عن الظروف التي تغيب فيها القيادة السهاويّة المعيّنة من السهاء وليست هي مبسوطة اليد، وقد تمرّ الأُمّة بظروف يُترك فيها اختيار نوع القيادة لهم، والظروف الحاليّة التي نعيشها ينطبق عليها هذا الأمر.

هل يمكننا حينها نتدبّر في الآيات القرآنيّة التي تلوتها عليكم أن نلتقط منها ونشخّص ما هي المواصفات التي ينبغي أن نختارها؟ هل بإمكاننا أن نجعل من هذه الآيات القرآنيّة منهجاً وطريقاً نخطو عليه باتجاه تحديد واختيار القيادة الأفضل، أو الأسلم، أو التي أقلّ محذوراً مقارنةً بالأقسام الأُخرى من القيادات؟!

صنفان من القيادة وكيفيّة التعامل معهما

قبل أن أُبيّن المواصفات التي يذكرها القرآن الكريم للقيادة لا بدّ أن أُبيّن نوع التعامل الذي أشارت إليه الآيات القرآنيّة؛ فإنّ هناك نوعين من القيادة:

النوع الأوّل: القيادة الكافرة والظالمة وإن كانت تتظاهر بصفة الولاء للإسلام، ونوع التعامل ـ الذي أشارت إليه الآيات القرآنية ـ بالنسبة إلى هذا النوع من القيادة هو عدم جواز الخضوع والركون والانقياد إلى مثل هذه القيادة، بل وأكثر من هذا إذا كان الأمر قد تُرك للأُمّة في أن تختار هذا النوع من القيادة، أو تختار غيرها؛ لا يجوز للأُمّة أن تُوصل باختيارها مثل هذا النوع من القيادة إلى المقاعد العليا والإدارة العليا للأُمّة.

النوع الثاني: القيادة الإسلاميّة، وقد بيّنتْ الآيات القرآنيّة نوع التعامل مع هذه القيادة فيما لو اتّصفت بهذه الصفة، فنوع التعامل الذي تتعرّض إليه الآيات القرآنيّة هو الخضوع والانقياد والطاعة لهذه القيادة، وإذا ما تُرك أمر الاختيار للأُمّة في أن تُوصل هذا الصنف أو ذاك إلى المراكز والمفاصل المهمّة في الدولة، فإنّ الآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة تُشير إلى أنّ الأُمّة ينبغي أن تُحسن الاختيار في إيصال القيادة الإيمانيّة المتّصفة بهذه المواصفات إلى مواقع القيادة، وحينئذٍ لو أحسنتْ الاختيار ـ كما تبيّن الآية القرآنيّة الثانية ـ فإنّ الله تعالى سيرحم هذه الأُمّة رحمة الدنيا والآخرة، كما يُشير ذيل الآية: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ عَنِ ٱلمُنكر وَيُقِيمُونَ وَاللّمَعْرُونِ وَيَنّهُونَ عَنِ ٱلمُنكر وَيُقِيمُونَ الله عَزيدَنُ الصَّلُوةَ وَيُؤتُونَ اللهُ عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ عَن الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ عَن الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ عَن الله عَل الله عَن الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ عَن الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ عَن الله عَن الله عَن الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ الله عَزيدَنُ عَنْ أَن يوصل هذه الرحمة التي وعد بها.

⁽١) التوبة: آية ٧١.

نوعان من الولاء في القرآن الكريم

يذكر القرآن الكريم نوعين من الولاء تجاه القيادة؛ هما: الولاء السلبي، والولاء الإيجابي. ونوضّحها في ما يلي:

الأوّل: الولاء السلبي

وهو ما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿ يَكَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا نَنَّخِذُواْ ٱلْكَفِرِينَ أَوَلِيآ ءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَن تَجَعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلُطَنَا مُّبِينًا ﴾ (١٠).

فالقيادة الكافرة التي لا تُقيم لمبادئ الإسلام ومعارفه وأحكامه وزناً، هذه القيادة لا يجوز أن يتولّاها الإنسان المؤمن، ولكن في الوقت نفسه لا مانع - كما تُشير بعض الآيات الأُخرى - من أن يُقيم المؤمنون علاقات مع هذه السلطة الكافرة إذا كان ذلك يحقّق لهم مصالحهم، أو تصبّ في تحقيق هذه المصالح.

والحديث المهم هنا والذي أود أن أُلفت النظر إليه هو: هناك قيادات ربّها تتظاهر بالإسلام، ولكنّها في الواقع تحمل نفس النهج الذي تحمله القيادات الكافرة، التي تُريد أن تفصل بين المجتمع والإسلام، وتُريد أن تُبعد القيم الإسلامية عن المجتمع الإسلامي، وتجعل الهوّة كبيرة بين المجتمع وبين القيم والأحكام والعادات الإسلامية.

نعم، هناك من القيادات مَن يدّعي _ بحسب الظاهر _ أنّه ينتمي إلى الإسلام، ولكنّه في منهجه وأفكاره ورؤاه وسياسته العمليّة وهدفه متفقٌ مع الكافر، فهذا النوع تُحذّر منه الآيات القرآنيّة أيضاً.

لو تأمّلنا في الآية الرابعة التي تلوتها عليكم: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا نَنَجِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ

⁽١) النساء: آية ٤٤٤.

دِينَكُمْ هُزُوا وَلِمِبَا مِنَ الَذِينَ أُوتُوا الْكِنَبَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَآ ۚ وَاتَّقُوا اللّهَ إِن كُنهُم مُّوَّمِنِينَ ﴾ "، نراها تُشير إلى القيادة الكافرة، ولكن إذا لاحظنا علّة النهي عن اتّباع مثل هذه القيادة، لوجدنا أنّها تتّخذ الدين وأحكامه وقيمه هزواً ولعباً.

من الممكن أن يكون هناك بعض الرموز التي تدّعي ـ بحسب الظاهر ـ انتهاءها إلى الإسلام، ولكنّها تشترك في هذه الصفة مع الكافر، فحينها نلاحظ أنّ هذه الصفة يمكن أن تكون وردت علّةً للنهي عن اتّخاذ الكفّار أولياء، يمكن أن تنطبق هذه الآية على بعض القيادات التي تتّخذ الدين هزواً ولعباً، وتريد أن تفصل بين المجتمع الإسلامي وقيمه وعاداته وأحكامه.

الثاني: الولاء الإيجابي

قلنا: إنّ التشريع الإسلامي أمر المؤمنين بأن يخضعوا وينقادوا لمثل هذه القيادات إذا توفّرت فيها جملة من المواصفات التي يأتي ذكرها، وفي بعض الأحيان قد يُترك الأمر للأُمّة لأن تُوصل بيدها القيادة التي من النوع الثاني، أو توصل القيادة التي من النوع الأوّل، لذا بيّنت الآية المباركة: ﴿ وَٱلْمُؤُمِنُونَ وَٱلْمُؤُمِنُونَ وَٱلْمُؤُمِنَاتُ بَعْضُهُمُ أَوْلِياً وَمِن النوع الأوّل، لذا بيّنت الآية المباركة: ﴿ وَٱلْمُؤُمِنُونَ وَٱلْمُؤُمِنَاتُ بَعْضُهُمُ أَوْلِيااً وَلِيالَهُ مِن النوع الأوّل، لذا بيّنت الآية المباركة: ﴿ وَالْمُؤُمِنُونَ وَالْمُؤُمِنَاتُ بِعَضُهُمُ أَوْلِيااً وَاللّهُ وَلِيالًا اللّهُ من اللّه منكم القدرة على إدارة الأُمور وقيادتها فليتّخذ من بعضكم، أي: من نفس جسدكم _ وهم المؤمنون الآخرون، الذين يمتلكون القدرة والقابليات لإدارة شؤون الأُمّة _ قادةً، فإنّ الفرصة إذا كانت قد أُتيحت لكم فمن الممكن أن تتّخذوا منهم قيادةً.

ومن جملة الصفات التي يجب أن تتمتّع بها هذه القيادة هي:

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾، فهم في علاقة روحيّة دائمة مع الله تعالى.

⁽١) المائدة: آية ٧٥

﴿ وَيُؤَتُونَ الزَّكُوةَ ﴾، يحاولون أن يجعلوا المجتمع الإسلامي مجتمعاً يكفل أفراده بعضهم بعضاً من خلال الضرائب الشرعيّة، وفي الوقت نفسه هم خاضعون في أفكارهم وتوجّهاتهم وسياستهم للمنهج السياسي والاقتصادي الإسلامي القويم.

﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾، أي: إنَّهم في دائرة الطاعة لأوامر الله ورسوله.

إنّ هذه الصفات هي صفات أهل الإيهان، وهي صفات إيجابيّة تخدم الفرد والجهاعة والأُمّة والمجتمع.

هذه القيادات التي تُريد إشاعة الفضيلة، وتريد أن تُبعد المجتمع عن الرذيلة، وتُريد أن تَجعل التواصل والتآصر والتلاحم بين أفراد المجتمع، وتنشر القيم الإسلامية من خلال هذه الفريضة الاجتماعية، وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحينها ننتهج هذا النهج تكون النتيجة والثمرة التي وعدنا الله تبارك وتعالى بها هي قول الآية الكريمة: ﴿أُولَكِكَ سَيَرُحُهُمُ مُ اللّهُ ﴾ (١). أي: حينها نتّخذ هذا النوع من القيادة والولاية ستنزل الرحمة الإلهية.

يذكر بعض المفسِّرين في بيان مفردات الرحمة الإلهيَّة في المقام: إنَّ الخير والبركة الإلهيَّة الدنيويَّة والأُخرويَّة ستعم المجتمع (١٠).

من المؤكّد أنّ الخير والبركة الإلهيّة تدخل فيهما أُمور كثيرة؛ فهناك خير وبركة الهيّة معنويّة ستكون للمجتمع؛ كصيانة الحرّيّات، وصيانة الحقوق، فيستطيع

⁽١) التوبة: آية ٧١.

⁽٢) أنظر، مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٦، ص١٢٢، قوله: «إنّ كلمة (الرحمة) التي ذُكرت هنا لها مفهوم واسع، ويدخل ضمنه كلّ خير وبركة وسعادة، وسواء في هذه الحياة، أو في العالم الآخر».

المجتمع أن يُهارس شعائره وعباداته وما يعتقد به، وهو يتمتّع بكامل الحرّيّات في ذلك، وحينئذٍ _ كها بيّنًا _ ستشيع الفضيلة وتنتشر، ويبتعد المجتمع شيئاً فشيئاً عن الرخمة المعنويّة؛ الرحمة الرخمة المعنويّة؛ الرحمة المادّيّة التي نعبّر عنها بالرخاء الاقتصادي والمعيشي.

ثم يُبيّن الله تعالى في ذيل هذه الآية، فيقول: أنا حينها أعد المؤمنين بهذا الوعد؛ هل أنا عاجز عن الوفاء به؟! هل ليست لديّ القدرة على أن أفي بهذا الوعد؟! هل كذبتُ في وعدٍ مع المؤمنين أو مع الناس؟! حاشاه تعالى، يقول: ﴿إِنَّ اللّهَ عَزِينَ كَاللهُ عَزِينَ وَعَدِ مَع المؤمنين أو مع الناس؟! حاشاه تعالى، يقول: ﴿إِنَّ اللّهَ عَزِينَ الله عَزِينَ القدرة التامّة، ومَن أصدق وعداً من الله؟! بحيث إنّ الله تعالى سيفي بأن يُنزل الرحمة الدنيويّة والأُخرويّة، الرحمة الأُخرويّة تُشير إليها الآية في قوله تعالى: ﴿أُولَكِهِكَ سَيرَ مَهُ مُهُ الله ﴾، والرحمة هنا _ كها ذكرنا _ مطلقة تشمل الخيرات والبركات والرفاه المادّي الدنيوي وكذلك الأُخروي.

وتقول الآية التالية: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَتِ جَنَّتِ تَجَرِى مِن تَحَنِّهَا الْأَنْهُ لُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ أَلْمُؤْمِنِينَ وَاللَّهِ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَالِكَ اللَّهَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَالِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (١٠).

ومن مجموع هذه الآيات، يمكن أن يُضاء الطريق لكلّ ذي لبِّ ووعي ويقظة، ولكلّ إنسانٍ يُؤثرِ المصالح العليا لبلده وشعبه على مصالحه الشخصيّة، ولكلّ إنسانٍ يتمتّع بالنظرة الثاقبة العميقة الواعية، يمكن لهذه الآيات أن تُرشدنا وتُضيء لنا الطريق إذا اهتدينا مهدها.

أسأل الله تعالى أن يمن علينا جميعاً بالتوفيق لأن نسير على مسلك أوليائه، وأن نكون عند حسن ظنه، وأن نلتزم بتلك المضامين التي أرشدنا إليها أهل البيت الله المناه عند حسن عند حسن عند حسن ظنه، وأن نلتزم بتلك المضامين التي أرشدنا إليها أهل البيت

⁽١) التوبة: آية ٧٢.

من صفات الدولة الإسلاميّة

«اللّهمّ إنّا نرغب إليك في دولة كريمة»، يطلب الإمام إلى في هذه الفقرة من هذا الدعاء النصرَ والمكسبَ المعنوي قَبل المكسب الدنيوي، مع أنّ كثيراً من الناس لا يهمّهم إلّا المكتسبات المادّية الدنيويّة، ولا ينظرون إلى المكتسبات والإنجازات المعنويّة المهمّة.

يقول الإمام الله: «تُعزُّ بها الإسلام وأهله، وتُذلُّ بها النفاق وأهله»؛ إنّ هذه العِزّة، وهذه الكرامة أهم من الرخاء المادي والدنيوي، فإنّه على الرغم من أنّا نعيش الآن في وضع إرهابي، وهناك أنهار من الدماء تجري، ولكنّ السبب في ذلك هو الشريحة الإرهابيّة التي لا تُريد للإسلام الحقّ أن يعيش العيشَ الكريم والعزيز، كما هي الحال في دولة أمير المؤمنين إله فقد عاش المؤمنون في ظلّ تلك الدولة تحت الحروب ونزيف الدم المستمرّ، ولكن مَن كان السبب في ذلك النزيف؟ هل كانت القيادة التي تحكم ذلك البلد هي السبب؟ كلا، وإنّما الشريحة الإرهابيّة التي لا تُريد للإسلام - كما قلنا - الحقّ أن يعيش عزيزاً كريماً.

إنّ هذه الدولة تفتح الآفاق واسعةً للشرائح المؤمنة أن تتولّى مواقع القيادة. «وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك، والقادة إلى سبيلك، وترزقنا بها كرامة الدنيا والآخرة»(۱).

يركّز الإمام على صفات هذه الدولة: العزّة والكرامة، والمَنعة للمؤمنين، والذُّل والهوان للكافرين والمنافقين؛ هذه هي الصفات المطلوبة، فينبغي أن يكون نظر المؤمن الواعي إلى هذه المكتسبات قبل المكتسبات الأُخرى.

والحمد لله ربّ العالمين.

⁽١) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٥٨١، دعاء كلّ ليلة من شهر رمضان.



مقدّمة الخطبة

بير لِللَّهِ الدِّمْ يَرَالُحَدِ مِنْ الدِّمْ مِرَالُحَدِ مِنْ الدِّمْ مِرَالُحَدِ مِنْ الدِّمْ مِرَالُحَدِ مِنْ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد وآل بيته الطيّبين الطاهرين.

سبحانك ربّنا ولك الحمد، أنتَ الله القائم على عرشك أبداً، أحاط بصرك بجميع الخلق، والخلق كلّهم على الفناء، وأنت الباقي الكريم القائم الدائم بعد فناء كلّ شيء، الحيّ الذي لا يموت، بيدك ملكوت الساوات والأرض ودهر الداهرين.

أنتَ الذي قصمتَ بعزّتك الجبّارين، وأضفت في قبضتك الأرضين، وأغشيتَ بضوء نورك الناظرين، وأشبعتَ بفضل رزقك الآكلين، وعلوتَ بعرشك على العالمين، وأعمرتَ سهاواتِك بالملائكة المقرّبين، وعلّمتَ تسبيحك الأوّلين والآخرين، وانقادت لك الدنيا والآخرة بأزمّتها، وحفظتَ السهاوات والأرضين بمقاليدها، وأذعنتْ لك بالطاعة (۱).

خطبة أمير المؤمنين الله في التنفير من الدنيا

أُوصيكم إخواني وأخواتي ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تعالى، وأُحذركم الاغترار بهذه الدنيا الفانية، فقد ورد عن عليِّ أمير المؤمنين الله في خطب كثيرة بليغة

⁽۱) الطوسي، محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد: ص٥١٥. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٨٧، ص٨١٥ ـ ١٦٩، دعاء ليلة الأثنين.

التنفير من الدنيا والتحذير من الاغترار بزينتها وزخارفها والانخداع بها. يقول النفير في خطبة له في التنفير من الدنيا وفي وصفها: «دارٌ بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة، لا تدوم أحوالها، ولا يسلمُ نُزّالها. أحوالٌ مختلفة وتاراتٌ٬٬٬ متصرِّفة، العيش فيها مذموم، وإنّا أهلها فيها أغراض٬٬٬ مستهدَفَة، ترميهم بسهامها، وتفنيهم بحمَامِها٬٬٬ مستهدَفة، ترميهم بسهامها، وتفنيهم بحمَامِها٬٬۰.

واعلموا عبادَ الله أنّكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل مَن قد مضى قبلكم؛ ممّن كان أطولَ منكم أعاراً، وأعمرَ دياراً، وأبعدَ آثاراً، أصبحتْ أصواتهم هامدةً، ورياحُهُم راكدةً، وأجسادُهُم باليّةً، وديارُهُم خاليةً، وآثارُهُم عافيةً (السّبدلوا بالقصور المشيّدة، والنّبارق المهدة (السخورَ والأحجارَ المسنّدة، والقبورَ اللّاطئة اللّم اللّم على الخراب فناؤها، وشُيّد بالتراب بناؤها، فَمَحلُّها مقترب، وساكنها مغتربٌ، بين أهل محلّةٍ مُوحشين، وأهلِ فراغٍ مُتشاغلين، لا يستأنسون

⁽۱) تارات: جمع تارة، يُقال: «فعلَ ذلك تارةً بعد تارة، أي: مرّةً بعد مرّة، والجمع: (تارات) و(تِيرَ)، وهو مقصور من تيَّار، كما قالوا: قامات وقِيَم، وإنّما غُيّر لأجل حرف العلّة، ولولا ذلك لما غُيّر... قال الشاعر: (يقوم تارات ويمشي تِرَا).

وأتاره، أي: أعاده مرّة بعد أُخرى». الجوهري، إسهاعيل بن حمّاد، الصحاح: ج٢، ٢٠٣ ـ مادة: (تير).

⁽٢) والغَرَضُ: هو الهدف الذي يُنْصَبُ فيرمى فيه، والجمع أغْراض. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج٧، ص١٩٦.

⁽٣) الحِمَام بمعنى الموت.

⁽٤) آثارهم عافيةً، أي: مندرسة.

⁽٥) النهارق _ جمع نُمْرُقة _ تُطلق على الوسادة الصغيرة وعلى الطّنْفِسة: أي البساط، ولعلّه المراد هنا. نهج البلاغة، خطب الإمام على اليّلا: ص ٦٧١، تحقيق: صبحي صالح.

⁽٦) اللَّاطئة: لطأ بالأرض، أي: لصق. المصدر السابق.

بالأوطان، ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قُرب الجوار ودنوِّ الدَّار، وكيف يكون بينهم تزاور، وقد طَحَنهم بكلَّكَلهِ البِلَى (١) وأكلتهم الجنادلُ والثرى؟»(١).

يُحذّر الإمامُ الله الإنسانَ العاقلَ الله رك الواعي من الاغترار والانخداع بهذه الدنيا، ويُبيّن الله أوصاف الدنيا الحقيقيّة التي لو تأمّل فيها العاقل اللبيب لوجد أنّها لا تستحقّ هذا الاهتهام والتوجّه، على العكس من الحياة الحقيقيّة التي يجدها الإنسان العاقل، فالدار الآخرة هي تلك الدار التي ينبغي أن يتوجّه المؤمن إليها، ويسعى نحوها.

أوصاف الدنيا في خطبة الإمام للطُّلِّهِ

من جملة الأوصاف التي ذكرها الإمام الله للدنيا، يقول: «دار بالبلاء محفوفة»، أي: إنّ البلاء والمكاره والأسقام والعلل تُحيط بهذه الدنيا من كلّ جانب، وحتى الإنسان الذي تمكّن من مادّيات هذه الدنيا، وتمكّن من أسباب القوّة والغِنى والصحّة وغير ذلك فيها، لا تخلو حياته من البلاء والمصائب والمكّدرات والمكاره، فهو في طوال عمره لا يخرج من بلاء إلّا ويدخل بعد فترة في بلاء آخر.

ثم يقول الله: «وبالغدر معروفة»، فالإنسان الذي نال شيئاً من حطام الدنيا وزينتها وزخرفها، قد يناله العُجب من هذه المغريات الدنيويّة، ولكنّ مثل هذه الدار لا يأمنها الإنسان العاقل اللبيب، فهي معروفة بالغدر والخداع، فها أن يُعجب

⁽۱) الكلكل: هو صدر البعير، كأنّ البِلى _ بكسر الباء _ أي: الفناء جَمَل تُرك عليهم فطحنهم. الشيخ محمّد عبده، شرح نهج البلاغة: ج٢، ص٢٢٠.

⁽٢) نهج البلاغة، خطب الإمام على الله : ص٣٤٩، رقم الخطبة: ٢٢٦. وتكملة الخطبة: «وكأنْ قد صرتم إلى ما صاروا إليه، وارتهنكُم ذلك المضجع، وضمّكُم ذلك المستودع، فكيف بكم لو تناهتْ بكم الأُمور، وبُعثرت القبور: ﴿هُنَالِكَ تَبَلُوا كُلُّ نَفْسِ مَّا أَسَلَفَتُ وَرُدُّوا إِلَى اللّهِ مَوْلَمَهُمُ الْحَقَّ وَمَنْكَ عَنْهُمُ مَا كَانُوا يَعْتُمُ اللّهِ عَنْهُم مَا كَانُوا يَعْتُمُ مِنْ اللّهِ عَلْمَا يَعْتُمُ مِنْ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَى مَا عَلَيْكُمُ وَلَعْتُمُ مَا كَانُوا يَعْتُمُ مِنْ اللّهُ عَنْهُمُ وَلَعْتُمُ عَلَيْكُمُ عَلْمُ مَا كَانُوا يَعْتُمُ مِنْ اللّهُ عَلَى مَا عَلَيْكُمُ وَالْتُعْتُمُ عَلَى المُعْتَعُمُ وَالْتُمْ عَلْمُ عَلَيْكُمُ مَا كُلُوا يَعْتُمُ مِنْ اللّهُ عَنْمُ اللّهُ وَبُعْمُ وَالْتُوا يُعْلِكُ مُنْ اللّهُ عَنْهُمُ مَا كُنُوا يَعْتُمُ وَمُوا يَعْمُ اللّهُ عَلَيْهُمُ وَاللّهُ عَنْهُمُ مُنْهُمُ وَاللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْكُوا يُعْتَمُ وَالْتُوا يَعْتُمُ مِنْ اللّهُ عَلَيْكُوا يَعْتُمُ مِنْ اللّهُ عَلْمُ عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا عَلَيْكُوا اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلَيْكُولُولُ اللّهُ عَلَيْكُولُولُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُوا اللّهُ عَلْمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُولُولُ اللّهُ عَلَيْكُوا عُلْمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ مُنْ أَنْ عُلْمُ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللّهُ عَلَيْكُولُولُ اللّهُ عَلَيْكُمُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُعْلِقُ الْمُعُولُولُ عَلَيْكُوا اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْلُولُولُولُ اللّهُ اللّهُ عَلْمُ اللّهُ اللّهُ عَلِي اللّهُ اللّهُ اللّ

الإنسان بشيء من أحوال الدنيا إلّا وتراه بعد فترة قصيرة ـ من حيث لا يشعر ـ يقع في بلاء يُفقده تلك الحالة التي كان فيها من الازدهار والغِنى والصحّة، وغيرها من الأمور التي تنال إعجاب الإنسان.

يقول إلى مبيّناً كيف أنّ هذه الدنيا تكون خدّاعةً: «لا تدوم أحوالها، ولا يسلم نزّالها»، فالإنسان مهما نال من أسباب القوّة في هذه الحياة، ومهما كان في حال صحّة أو قوّة أو مال أو شباب، أو غير ذلك من الأُمور، فإنّ هذه الحال لا تدوم أبداً، ومهما امتلك الإنسان من هذه الأسباب فإنّه قد يخسر _ فجأةً _ منها الشيء الكثير، ويعيش في حالة فقدان لشبابه وصحّته ولعزّته وكرامته، كما نرى ذلك واضحاً من هذه الأحوال المتغيّرة.

يقول الله : «أحوالٌ مختلفة، وتاراتٌ متصرّفة، العيش فيها مذموم، والأمان منها معدوم، وإنّا أهلها فيها أغراض مستهدَفة».

ثم يقول الله: «واعلموا عبادَ الله، أنَّكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل مَن قد مضى قبلكم ممّن كان أطول أعهاراً، وأعمر دياراً، وأبعد آثاراً».

يدعو الإمام إلى الاعتبار والاتعاظ بأحوال الأُمم السابقة، فإنّنا نسير على نفس الطريق والسبيل الذي سارت عليه تلك الأُمم. ثمّ يُبيّن إلى أنّ بعض تلك الأُمم كان أفضل منّا؛ فمنهم مَن عمّر سنين طويلةً في هذه الحياة، كما تنقل كتب التاريخ؛ فكان الواحد منهم يعمّر في هذه الحياة الدنيا مئات السنين. إنّهم كانوا أطول منّا أعهاراً، ولكنّ حالهم آل إلى ما نراه الآن، فكيف بنا نحن الذين نعيش

⁽١) وقد دلّنا الكتاب الصادق على أنّهم كانوا أطول أعهاراً بقوله: ﴿ فَلَيِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت: آية ١٤]. وثبت أنّهم أبقى آثاراً، فإنّ من آثارهم الأهرام، والإيوان، ومنارة الإسكندريّة، وغير ذلك. ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة: ج٧، ص٢٣٢.

أعماراً هي أقل بكثير من أعمار أبناء تلك الأُمم، مع أنّهم عمّروا الدنيا أكثر ممّا عمّرناها، ومع ذلك ساروا على طريق وصفه الإمام الله عنه وأصبحت أجسادهم بالية، وأصواتهم هادمة، وديارهم خالية، وآثارهم عافية»، فنحن _ أيضاً _ نسير على نفس السبيل والطريق الذي ساروا عليه.

ثم إنّ حال القصور والحال التي كانوا عليها: «فاستبدلوا بالقصور المشيّدة والنّارق الممهّدة»، وتلك العيشة الرغيدة، وذلك الرفاه والتنعّم والتلذّذ بملذّات الحياة الدنيا، قد استُبدلت بالأحجار والقبور، ويقول الإمام في وصف هذه الحال الجديدة: «التي قد بُنى على الخراب فناؤها، وشُيِّد بالتراب بناؤها».

ثم يُبيّن الله كيف يعيش هؤلاء في قبورهم، فيقول: «فَمَحلّها مقترب، وساكنها مغترب، بين أهل محلّةٍ مُوحشين، وأهل فراغٍ مُتشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان، ولا يتواصلون تواصل الجيران»(۱).

⁽١) (فمحلَّها مقترب وساكنها مغترب) يُحتمل أن يكون المراد أنّ محلّ القبور ومكانها قريب من الأحياء، ولكن ساكنها غريب عنهم. وأن يكون المراد أنَّ محلّ كلّ منها قريب من الآخر، ولكن ساكنوها غرباء، يعنى أنّهم تدانوا في خططهم وقربوا في مزارهم وبعدوا في لقائهم.

⁽بين أهل محلَّة موحشين)، أي: ذوي وحشة ليس بينهم مودّة ولا إلفة، وعلى كون موحشين بصيغة المفعول فالمعنى استيحاش الأحياء منهم، وحاصله: إنّهم لا يستأنسون بأحد ولا يستأنس بهم أحد، لا من الأحياء ولا من الأموات.

⁽وأهل فراغ متشاغلين) أي: فراغ من الأُمور الدَّنيويّة، متشاغلين بالأُمور البرزخيّة من السؤال والجواب والثواب والعقاب.

⁽لا يستأنسون بالأوطان) كاستيناس الأحياء بأوطانهم.

⁽ولا يتواصلون تواصل الجيران) كتوصّل أهل الدّنيا بجيرانهم، (على ما بينهم من قرب الجوار ودنوّ الدّار)، وحاصله: إنّهم جيران لا يتأنسون، وأحياء لا يتزاورون، بليت بينهم عرى التّعارف، وانقطعت منهم أسباب التّواصل، فكلّهم وحيد وهم جميع، وبجانب الهجران وهم جيران، (وكيف يكون بينهم تزاور) وتأنّس (وقد طحنهم بكلكله البلي)، استعارة بالكناية شبّه البلي

أوصاف الحياة الهنيئة

هنا يأتي سؤال، وهو: إنّ الإمام الله حينها يصف هذه الدنيا بأوصاف تجعلنا ننفر منها، ولا نرغب فيها، هل هكذا الدنيا دائها هي محلّ نفرة وابتعاد من الإنسان؟!

كلّا، فهناك عيش مذموم، وهناك عيش ممدوح، هناك الكثير من الروايات التي حذّرت الإنسان المؤمن من نوع من العيش، ونوع من الحياة في هذه الدنيا؛ باعتبار أنّها ممرٌ ومعبرٌ ووسيلة نصل من خلالها إلى الحياة الباقية؛ هذه الحياة التي تتّصف بأنّها شباب لا هرم فيه، وصحّة لا سقم معها، وحياة لا موت معها، يقول النبيّ في رواية وردت عنه كها ينقلها أمير المؤمنين في: إنّ من جملة خطابات الله تعالى شأنه للنبيّ في ليلة المعراج: «...يا أحمد، هل تدري أيّ عيش أهنا، وأيّ حياة أبقى؟ قال في قال النبيّ في ليلة المعراج: «...يا أحمد، هل تدري أيّ عيش أهنا، وأيّ حياة أبقى؟ يغتر بها، كذلك هناك أوصاف _ أيضاً _ ونوع من النشاط الذي يقوم به الإنسان مَن أن بهذه الحياة تجعل العيش فيها ممدوحاً، وتجعل هذه الحياة الدنيا مباركاً فيها، كما بينه هذا الحديث: «قال: أمّا العيش الهنيء في الحياة الدنيا، فهو الذي لا يفْتُر صاحبه عن ذكري، ولا ينسى نعمتى، ولا يجهل حقّى، يطلب رضاي في ليله ونهاره».

هذا هو وصفٌ لما يمكن أن يُهارسه الإنسان المؤمن، بحيث يحوّل عيشه إلى عيش

بالجَمَل الضّروس الّذي يرضّ ويدقّ ما يركب عليه بكلكله، أي: صدره، فأثبت له الكلكل تخييلاً، والطحن ترشيحاً، والجامع أنّ البلي يجعل الأجساد أجزاءً دقاقاً مثل الدّقيق والطّحين، وكذلك يجعل الضّروس بكلكله ما برك عليه عند الصّيال، ومحصّله استبعاد تزاورهم مع اضمحلال أجسامهم وانحلالها بالبلي، وكونهم ممزّقين كلّ ممزّق. (وأكلتهم الجنادل والثرى) استعارة تبعيّة كما في قولهم: نطقت الحال، والمراد إفناؤها لهم، فاستعار لفظ الأكل للإفناء، أي: كيف يكون بينهم تزاور وقد أفنتهم الجنادل والترّاب؟!». الخوئي، حبيب الله، منهاج البراعة في

شرح نهج البلاغة: ج١٤، ص٣٣٤.

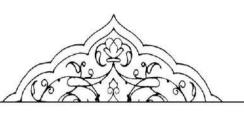
هنيء في هذه الحياة الدنيا، ويكون مقدّمةً لتلك الحياة الحقيقيّة في الآخرة، كها يصفها في قوله: «وأمّا الحياة الباقية فهي التي يعمل لنفسه، حتى تهون عليه الدنيا، وتصغر في عينيه، وتعظم الآخرة عنده، ويُؤثر هواي على هواه، ويبتغي مرضاي، ويعظّم حقّ عظمتي، ويذكر علمي به، ويراقبني بالليل والنهار عند كلّ سيئةٍ ومعصية، وينفي قلبه عن كلّ ما أكره، ويبغض الشيطان ووساوسه، ولا يجعل لإبليس على قلبه سلطاناً ولا سبيلاً. فإذا فعل ذلك أسكنتُ قلبه حبّاً حتى أجعل قلبه لي، وفراغه واشتغاله وهمّه وحديثه من النعمة التي أنعمتُ بها على أهل محبّتي من خلقي، وأفتح عين قلبه وسمعه حتى يسمع بقلبه وينظر بقلبه إلى جلالي وعظمتي، وأضيّق عليه الدنيا، وأبغض إليه ما فيها من اللذّات، وأُحذّره من الدنيا وما فيها، كما يُحذّر الراعي غنمه من مراتعَ الهَلكة، فإذا كان هكذا يفرّ من الناس فراراً، وينقل من دار الفناء إلى دار البقاء، ومن دار الشيطان إلى دار الرحمن».

ثم يُبيّن في هذا الحديث كيف أنّ الله تعالى يسبغ على هذا الإنسان كرامته وهيبته وعزّته فيقول: «يا أحمد، ولأُزيّننه بالهيبة والعظمة، فهذا هو العيش الهنيء، والحياة الباقية، وهذا مقام الراضين»(۱).

أسأل الله تعالى ألّا يجعلنا من المغترّين بهذه الحياة الدنيا، وأن يوفّقنا للعيش الهنيء ونيل رضاه، إنّه سميع مجيب.

والحمد لله ربّ العالمين.

⁽١) الديلمي، الحسن بن محمّد، إرشاد القلوب: ج١، ص٢٠٤، باب٥٥، في ما سأل الرسول ربّه ليلة المعراج. وعنه المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٧٤، ص٢١، ح٢.



الخطبة التاسعة والثلاثون محاسبة النفس

بتاریخ: ۱۲/۱۲/ ۲۰۰۵م

وفيها المباحث التالية:

➤ الهدف التربوي من تأكيد القرآن على إحصاء الأعمال وتدوينها

🗸 معنى كتاب الأعمال في يوم القيامة

✓ آراء المفسّرين في حقيقة الكتاب

🔪 الدرس التربوي من إحصاء الأعمال وتدوينها

٧ وصايا النبي الله والأئمة الله في محاسبة النفس

الموارد التي يُسأل عنها العبد يوم القيامة

الأعمال التي تهوّن الحساب يوم القيامة

✓ كيفيّة محاسبة النفس

مقدمة الخطبة

بيْسِ لِمَالُهُ الْرَّحْيِزَالَ حَيْدِ

الحمد الله الأوّل بلا أوّل كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قَصُرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين. ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واخترعهم على مشيّته اختراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبّته، لا يملكون تأخيراً عيّا قدّمهم إليه، ولا يستطيعون تقدّماً إلى ما أخرهم عنه. وجعل لكلّ روح منهم قوتاً معلوماً مقسوماً من رزقه، لا ينقص مَن زاده ناقص، ولا يزيد مَن نقص منهم زائد().

أيّها الإخوة المؤمنون، أيتها الأخوات المؤمنات، أُوصيكم ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تعالى، والاستعداد والتهيّؤ ليوم تُنشر فيه كتب أعمالكم، يومَ يقول الإنسان: ﴿يَوَيِلَنَنَا مَالِ هَنَا ٱلۡكِتَبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلّاَ أَحْصَنْهَا ﴾ "، «وحاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا، وزنوها قبل أن تُوزنوا» ".

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ وَكُلَّ إِنسَنِ أَلْزَمْنَهُ طَتَبِرَهُ، فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ, وَوَكُلَّ إِنسَنِ أَلْزَمْنَهُ طَتَبِرَهُ، فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ, وَوَكُلَّ إِنسَنِ أَلْوَمْ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ('').

الهدف التربوي من تأكيد القرآن على إحصاء الأعمال وتدوينها

انتهج القرآن الكريم وسائل متعدّدةً لإشعار الإنسان بمسؤوليّته إزاء الأقوال والأفعال التي تصدر عنه، بل حتى العقائد التي يعتقد بها، وأراد القرآن بذلك أن

⁽١) الصحيفة السجّاديّة: ص٢٨.

⁽٢) الكهف: آية ٩٤.

⁽٣) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص٩٩.

⁽٤) الإسراء: آية ١٣ ـ ١٤.

يُعمّق هذا الشعور في نفس الإنسان، حتى يكون رادعاً له عن ارتكاب المعاصي والمحرّمات، ومحفّزاً له على اكتساب محاسن الصفات والأفعال، ومن جملة تلك الوسائل التي أراد منها القرآن الكريم تعميق هذا الشعور في النفس هو مسألة إحصاء الأعمال والأقوال، وتدوينها كما تشير إليه الآية القرآنيّة الكريمة: ﴿ وَكُلّ إِنسَنِ أَلْزَمَنَهُ طُتَهِرَهُ، فِي عُنُقِهِ ﴾؛ فإنَّ لفظ الطائر في اللغة يُستعمل بمعنى الطير، ولكن هنا في هذا الاستعمال القرآني لم يُرد به هذا المعنى، بل أريد منه عمل الإنسان، سواء كان خيراً أم شرّاً، فالمقصود من ﴿ طَكَهِرَهُ ﴾ أي: عمله من خير أو شرّ، من قبيح أو حسن. وجملة: ﴿ فِي عُنُقِهِ ﴾ هذا التعبير القرآني أريد منه أنّ أعمال الإنسان وعقائده، سواء أكانت حقّاً أم باطلاً، سواء أكانت شرّاً أم خيراً، فإنها لازمة للإنسان لا تفارقه إلى غيره.

إنّ هذه الأعمال _ صغيرها وكبيرها _ تُسجّل في صحيفة أعماله، ويُنشر للعبد كتاب الأعمال يوم القيامة؛ بحيث تنكشف له أعماله على حقيقتها وواقعها انكشافاً لا غموض ولا لبس فيه.

معنى كتاب الأعمال في يوم القيامة

يقول بعض المفسِّرين: إنَّ الإنسان في يوم القيامة سوف يقرأ هذا الكتاب وإن كان أُمِّياً لا يعرف القراءة. وهنا نتساءل: ما المراد من حقيقة هذا الكتاب، فهل

جنس هذا الكتاب_الذي يُنشر يوم القيامة من جنس هذه الكتب التي نتداولها في حياتنا الدنيا؟

آراء المفسّرين في حقيقة الكتاب

الرأي الأوّل: إنّ هذا الكتاب في الحقيقة هو صحيفة أعمال الإنسان في هذه الدنيا، التي تُدوّن فيها عقائده وأقواله وأفعاله، وإذا كانت صحيفة الأعمال هذه لا تظهر له في الحياة الدنيا بسبب حجاب الغفلة؛ فإنها يوم القيامة سوف تظهر له حينها يُرفع هذا الحجاب، وسينظر الإنسان في حقيقة تلك الصحائف، كما في الآية القرآنيّة الكريمة: ﴿ لَقَدُ كُنتَ فِي عَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ ﴾ "؛ فإنّ كشف الغطاء: هو رفع حجاب الغفلة في يوم القيامة، فيكون بصر الإنسان على درجة من القوّة بحيث تظهر له حقيقة أعماله: ﴿ لَقَدُ كُنتَ فِي عَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَا فَكُشُونَ الْمَوْمَ حَدِيدًا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَا فَكُشُونَا الله فَلَهُ وَمَنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَيَعَلَمُ وَمُنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَيَطَآءَكَ

الرأي الثاني: إنَّ حقيقة هذا الكتاب هي: روح الإنسان، ونفس الإنسان؛ حيث تنطبع وتنتقش أعماله وأفعاله وأقواله في هذه النفس والروح، وتظهر له يوم القيامة⁽¹⁾.

الرأي الثالث: إنَّ حقيقة هذا الكتاب هي نفس الأعمال التي يعملها الإنسان؛ حيث تظهر له يوم القيامة على حقيقتها(٠٠).

⁽١) ق: آية ٢١.

⁽٢) ق: آية ٢١.

⁽٣) أنظر، الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج٨، ص ٤٢٠.

⁽٤) المصدر نفسه: ج٨، ص٥٢٤.

⁽٥) «قوله تعالى: ﴿ وَغُغْرِجُ لَهُ مُومَ ٱلْقِيَكُمَةِ كِتَبَاكُلَقَنَهُ مَنشُورًا ﴾ ، يوضّح حال هذا الكتاب قوله بعده: ﴿ اقْرَأْ كِننَكَ كَنّى بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ ؛ حيث يدلّ أوّلاً: على أنّ الكتاب الذي يُحْرَج له هو كتابه نفسه لا يتعلّق بغيره. وثانياً: أنّ الكتاب متضمّن لحقائق أعماله التي عملها في الدنيا من غير

الدرس التربوي من إحصاء الأعمال وتدوينها

إنّ الذي يهمّنا مما تقدّم، هو الدرس التربوي الذي نُريد أن نصل إليه من خلال هذه الآيات القرآنيّة، سواء أكانت حقيقة هذا الكتاب هي الرأي الأوّل أم الثاني أم الثالث، فهذا الكتاب هو صحيفة الأعمال التي سيظهر فيها كلّ شيء، وكأنّ هذه الآيات تريد أنْ تقول للإنسان: أيّها الإنسان، تأنّ في كلّ ما يصدر عنك، تأمّل في مجال العقائد التي تعتقد بها؛ هل هي ضمن الموازين الشرعيّة والعقليّة فتعتقد بها، أم أنّها خلاف هذه الموازين فتجتنب عنها؟

وإذا أردت أن تفعل فعلاً تأنَّ فيه واعرضه على الميزان الشرعي والميزان العقلي، فإذا كان يوافق الموازين الشرعيَّة والعقليَّة؛ فافعله وأقدم عليه، وإنْ لم يكن كذلك فتحنَّه.

وكذلك الكلام الذي تتكلّم به، لا تتعجّل فيه؛ لأنّه سيُسجّل بتهامه، فكلّ كلمة تخرج من فمك ستُسجّل، فربّها تكون من منبع الخير ولها تأثيرات إيجابيّة، وربّها

أن يفقد منها شيئاً، كما في قوله: ﴿ وَيَقُولُونَ يَوْيَلْنَنَا مَالِ هَنَذَا ٱلْكِتَبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَىنَهَا ﴾ الكهف: آية 8 ع. وثالثاً: أنّ الأعمال التي أحصاها بادية فيها بحقائقها من سعادة أو شقاء، ظاهرة بنتائجها من خيرٍ أو شرِّ ظهوراً لا يستتر بستر، ولا يُقطع بعذر، قال تعالى: ﴿ لَقَدُ كُنُتُ فِي غَفَايَةٍ مِّنَ هَذَا فَكَشَفَنَا عَنَكَ غِطَآءَكَ فَصَرُكَ ٱلْمِيْمُ حَدِيدُ ﴾ ق: آية ٢٢.

ويظهر من قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَحِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتُ مِنَ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتُ مِن شَوَءٍ ﴾ (آل عمران: آية ٣٠) أنّ الكتاب يتضمّن نفس الأعهال بحقائقها دون الرسوم المخطوطة على حدّ الكتب المعمولة في ما بيننا في الدنيا؛ فهو نفس الأعهال يُطلع الله الإنسان عليها عياناً، ولا حجّة كالعيان. وبذلك يظهر أنّ المراد بالطائر والكتاب في الآية أمرٌ واحدٌ؛ وهو العمل الذي يعمله الإنسان، غير أنّه سبحانه قال: ﴿ وَمُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِينَمَةِ كِتَبُا ﴾ ، ففرّق الكتاب عن الطائر، ولم يقل: (ونخرجه)؛ لئلّا يوهم أنّ العمل إنّها يصير كتاباً يوم القيامة وهو قبل ذلك طائر وليس بكتاب، أو يوهم أنّ الطائر خفيٌّ مستورٌ غير خارج قبل يوم القيامة، فلا يلائم كونه ملزماً له في عنقه » .الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٣، ص٥٥.

تكون من منبع الشرّ، وتكون لها آثار سلبيّة ربّها تمتدّ سنين عديدةً، فإنْ كانت الأقوال خيراً فتكلّم بها، وإنْ كانت شرّاً فتجنّب عنها.

على الإنسان أن يتذكّر _ دائماً _ بأنّ هناك الملائكة الحفظة الذين يكتبون عليه كلَّ شيء: العقائد، الأفعال، الأقوال، صغيرها وكبيرها، فتأنَّ وتأمّل _ أيّها الإنسان _ فإن وجدت فيه شرّاً فتجنّب عنه.

وصايا النبيَّ عِلِّيالًا والأئمَّة اليِّكِ في محاسبة النفس

لو تأمّلنا في الكثير من الأحاديث التي وردت عن النبيّ الله والأئمة الله والأئمة الله وجدنا العديد من الوصايا التي يُوصي بها النبيّ الله والأئمة الله جاءت مؤكدة على أن يُحاسب الإنسان المؤمن نفسه، ويعرض نفسه باستمرار على ميزان العقل والشرع؛ والغرض من ذلك أن يُبصر من خلال هذا الحساب عيوب نفسه، فالإنسان بها أنّه يحبّ الكهال وعدم النقص، والعيوب تؤشّر على ذلك النقص، بل هي بحدّ ذاتها نقص، لذا فإنّ الإنسان يتعامى عن هذه العيوب وهذا النقص.

ومن هنا فإنّ النبيّ عَيْلِ والأئمة على يوصون الإنسان في كلّ يوم أن يُراجع نفسه وأن يُحاسبها، كما لو كان للإنسان شريك في عمل أو في مال، فإنّه في كلّ يوم سوف يُحاسب هذا الشريك؛ لئلّا يتعرّض إلى خسائر متراكمة. يقول النبيّ عَيْلِهُ في وصيّته لأبي ذرِّ رضوان الله عليه: «يا أبا ذر، حاسب نفسك قبل أن تُحاسب؛ فإنّه أهون لحسابك غداً». إنّ الحساب في الحياة الدنيا سهلٌ يسير، وأمّا الحساب يوم القيامة فإنّه من الصعوبة والعسر بحيث يتمنّى الإنسان لو أنّه حاسب نفسه في كلّ يوم في الحياة الدنيا.

«وزن نفسك قبل أن تُوزن، وتجهّز للعرض الأكبر، يوم لا تخفى على الله خافية». ثُم يبيّن النبيَّ عَيِّالله في تكملة هذه الوصية: إنّ من جملة مفردات التقوى وأُسسها أن يُحاسب الإنسان المتقى نفسه أشد من محاسبة الشريك لشريكه في ماله: «يا أبا ذر، لا

يكون الرجل من المتقين حتى يُحاسب نفسه أشد من محاسبة الشريك شريكه، فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمِن حلال أو من حرام؟»(١٠).

الموارد التي يُسأل عنها العبد يومر القيامة

تُشير هذه الوصية إلى بعض الأُمور التي يُحاسب عليها الإنسان يوم القيامة، وهناك أحاديث أُخرى تتعرّض إلى ذكر الأُمور التي يُحاسب عليها الإنسان في ذلك اليوم؛ فمنها ما يُشير إلى محاسبة الإنسان على عمره في ما أفناه، وعن شبابه في ما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفي ما أنفقه (").

إنّ الله تعالى منح الإنسان الطاقة ونعمة العمر، ونعمة الشباب، وفي مرحلة الشباب هناك من القوّة والطاقات والمواهب ما يستطيع الإنسان أن يربح الشيء الكثير من خلالها، فلذلك ورد التعبير بالنسبة إلى الشباب: عن شبابه في ما أبلاه، وعن عمره في ما أفناه. وفي بعض الروايات: إنّ الإنسان يُحاسب على نعمة الولاية لأهل البيت المناه.

إذاً من خلال هذه الأحاديث نعلم أنّ على الإنسان أن يُحاسب نفسه؛ لأنّ هنالك رقيباً يُسجّل عليه، وراصداً يرصد كلّ شيء يصدر عنه، يقول الإمام أمير المؤمنين في بعض خطبه: «اعلموا عباد الله أنّ عليكم رَصداً من أنفسكم، وعيوناً من جوارحكم، وحفّاظ صدقٍ يحفظون أعمالكم وعدد أنفاسكم، لا تستركم منهم ظلمة ليلٍ داج، ولا يكنكم منهم باب ذو رتاج، وإنّ غداً من اليوم قريب» ".

⁽١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص٩٨، ح١٠٨٠ ٧.

⁽٢) إشارة إلى الحديث عن رسول الله عَيْنِيلَهُ قال: «لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة، حتى يُسأل عن أربع: عن عمره في ما أفناه، وشبابه في ما أبلاه، وعن ماله مِن أين كسبه وفي ما أنفقه، وعن حبّنا أهل البيت». الصدوق، محمّد بن على، الأمالى: ص٩٣، ح٧٠ . ١٠.

⁽٣) نهج البلاغة، خطب الإمام على العلي : ص٢٢٢.

الأعمال التي تهوّن الحساب يوم القيامة

ولا بأس بأن نختم هذه الخطبة بالتعرّف على بعض الأُمور التي تهوّن على الإنسان حساب يوم القيامة، والتي منها:

أوّلاً: صلة الرحم

ورد في بعض الأحاديث: إنّ صلة الرحم تهوّن الحساب يوم القيامة، فقد روى الشيخ الكليني بسنده، عن أبي عبد الله الله «صلة الرحم تهوّن الحساب يوم القيامة، وهي: منسأة في العمر، وتقى مصارع السوء. وصدقة الليل تطفئ غضب الربّ»(۱).

ثانياً: قلّة المال

ورد أيضاً أنّ قلّة المال في الدنيا توجب تخفيف الحساب في الآخرة، وتعتبر هذه مواساةً للفقير الذي لا يملك شيئاً من حطام الدنيا، فعن النبي عَلَيْكُ : «شيئان يكرهها ابن آدم: يكره الموت؛ والموت راحة للمؤمن من الفتنة. ويكره قلّة المال؛ وقلّة المال أقلّ للحساب»(").

ثالثاً: القناعة

في حديث آخر يُذكر أمرٌ آخر كمصدر من مصادر قلّة الحساب، ألا وهو: القناعة بها رزق الله تعالى عباده، فعن النبيّ عَيْنَا : «... اقنع بها أُوتيته، يخفّ عليك الحساب»(").

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٥٧، باب البرّ بالوالدين، ح٣٢.

⁽٢) الصدوق، محمّد بن على، الخصال: ص٧٤، ح١١٥.

رابعاً: حسن الخُلق

ومن جملة الأُمور التي تخفّف الحساب يوم القيامة: حسن الخُلق؛ فعن أمير المؤمنين ﴿ ﴿ ... حَسِّنْ خَلَقَك؛ يَخفّف الله حسابك ﴾ (١).

كيفية محاسبة النفس

نذكر هنا حديثاً ورد عن أمير المؤمنين في كيفيّة محاسبة الإنسان لنفسه، يقول في جواب سؤال: كيف يُحاسب المرءُ نفسه؟ قال: «إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه»، فإنّ الإنسان حينها يعمل في كلّ يوم، وتصدر عنه الكثير من الأفعال والأقوال، فلا بأس أن يرجع إلى نفسه في كلّ ليلة، ويستعرض ما الذي صدر عنه في هذا اليوم من أقوالٍ وأفعالٍ. ثم قال: «يا نفسي، إنّ هذا يوم مضى عليكِ لا يعود إليكِ أبداً». فإنّ القول الذي صدر ربّها يكون وفق الموازين الشرعيّة، وربّها لا يكون كذلك، وربّها يكون من المعاصي والذنوب، وقد شُجّل هذا الأمر في اليوم الذي مضى ولا يمكن أن يعاد الكلام إلى مصدره، ولا يمكن أن يبجع العمل والفعل إلى الحال الذي كان قبل صدوره.

«والله يسألكِ عنه بها أفنيته، فها الذي عملتِ فيه، أذكرتِ الله أم حَمدْتِهِ؟ أقضيتِ حوائجَ مؤمنٍ فيه»؛ يُسأل عن بعض الأُمور سواء كانت على مستوى الإلزام أم على مستوى الاستحباب، فها الذي صدر من الإنسان، هل صرف هذه الطاقة، وهذا الوقت في الأُمور التي يحبّها الله تعالى؟ «أنفّستِ عنه كَرْبَهُ؟ أحفظتيه بظهر الغيب في أهله ووُلْدِه؟ أحفظتيه بعد الموت في مخلّفِيه؟ أكففتِ عن غِيبةٍ أخ مؤمن؟ أعنتِ مسلماً؟

⁽١) في موعظة أمير المؤمنين الله إلى رجل اسمه: نوف، قال: «يا نوفُ، صِلْ رَحِمَك يزيد [يَزِد] الله في عمرك، وحسِّنْ خُلُقك يخفّف الله حسابك...». الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي: ص٧٠-٢١٠، ح٩.

ما الذي صنعتِ فيه؟ فيذكر ما كان منه، فإن ذكر أنّه جرى منه خير، حَمِدَ الله وكبّره على توفيقه»؛ إذ وفق القانون القرآني: ﴿لَإِن شَكَرْتُمُ لَأَزِيدَنَّكُمُ ﴾ (()، حينها يحمد الإنسان الله على توفيق بفعل الخير؛ سيزيده الله توفيقاً للمزيد من أعمال الخير.

«وإن ذكرَ معصيةً أو تقصيراً استغفر الله وعزم على ترك معاودته» إذا ذكر فعلَ معصيةٍ أو قولَ معصيةٍ، طلب من الله تعالى المغفرة، لكنّ هذه المغفرة التي يقصدها الإمام أمير المؤمنين إلى هي المغفرة التي لا تتجاوز لقلقة اللسان، أم أنّها استغفار نابعٌ من أعهاق القلب؟

لا بدّ أن يكون هذا الاستغفار نابعاً من الندم، وصادراً من أعماق النفس والقلب، هذا الندم الذي يستتبعه العزم على عدم العودة لهذه المعصية، أمّا إذا كان الاستغفار مجرّد لقلقة باللسان فلا ينفع المؤمن شيئاً.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من العاملين بهذه الوصايا، وأن يهوّن علينا الحساب يوم لا تخفى على الله خافية، وأن يُؤتى كلّ منّا كتابه بيمنه.

والحمد لله ربّ العالمين.

⁽١) إبر اهيم: آية٧.

⁽٢) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص٩٨، ح١٠٨١ ٨/ ٨.



مقدّمة الخطبة

بير لِللَّهِ الدِّمْ يَرَالُحَدِ مِنْ الدِّمْ مِرَالُحَدِ مِنْ الدِّمْ مِرَالُحَدِ مِنْ الدِّمْ مِرَالُحَدِ مِنْ

اللّهم لك الحمد على كلّ خير أعطيتناه، ولك الحمد على كلّ شرِّ صرفته عنا، ولك الحمد عدد ما خلقت وذرأت وبرأت وأنشأت، ولك الحمد عدد ما أبليت وأوليت وأغنيت، وأخذت وأعطيت، وأمتّ وأحييت، فكلّ ذلك لك وإليك، فتباركت وتعاليت، لا يذلّ مَن واليت، ولا يعزّ مَن عاديت، تُبدئ والمعاد إليك، وتقضي ولا يُقضى عليك، وتستغني ونفتقر إليك، فلبيّك ربّنا وسعديك، ولك الحمد على ما ورثت وأورثت، فإنّك ترث الأرض ومَن عليها وإليك يرجعون (۱).

الحمد لله الذي هدانا لشعائر توحيده ومناسك دينه. اللَّهم صلِّ على أبي القاسم محمّد نبيّ الرحمة وعلى أهل بيته الميامين الطاهرين.

أيّها الإخوة الموالون لأهل بيت المصطفى عَيْنِ أيّتها الأخوات الناهجات نهج فاطمة الزهراء والحوراء زينب اليّل ، سلامٌ عليكم من ربِّ غفورٍ رحيمٍ ورحمةٌ منه وبركات.

أُوصيكم _ إخواني وأخواتي _ ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تعالى، والحذر من غضبه ونقمته، والاجتناب من معاصيه، وعدم الاغترار بهذه الدنيا الدنيّة اللهلكة لطلّابها، المحشوّة بالآثام. وأُوصيكم بالمسابقة إلى الخيرات، والمسارعة إلى المثوبات، والالتحاق بركب عباد الرحمن الذين فازوا بسعادة الدارين.

⁽١) ابن طاووس، على بن موسى، الدروع الواقية: ص١٩٠.

مقدّمة البحث

قال الله تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه وواضح بيانه: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْتَا لِإِبْرَهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَنَ لَا نَشْرِلَتَ فِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآبِفِينَ وَٱلْقَآبِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَا نَشْرِلِتَ فِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّآبِفِينَ وَٱلْقَآبِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ الشَّجُودِ ﴿ وَ وَالْتَاسِ بِٱلْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْنِينَ مِن كُلِّ فَجِّ الشَّجُودِ ﴿ وَ اللَّهُ فِي النَّاسِ بِٱلْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْنِينَ مِن كُلِّ فَجِ عَمِيقٍ ﴿ وَاللَّهُ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱللَّهُ اللَّهُ فِنَ آتِنَامِ مَعْلُومَنْتِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِنْ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ عَلَيْ اللهُ عَلَيْ اللهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ اللهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْكُولُونَ اللّهُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْكُولُولُولُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْكُولُولُ اللّهُ عَلَيْلُولُ اللّهُ عَلَيْكُولُولُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُولُ اللهُ اللهُ عَلَيْلُولُ اللهُ اللهُ عَلَيْكُولُولُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَيْ اللّهُ عَلَيْكُولُ اللهُ اللّهُ عَلَيْكُ اللّهُ عَلَيْكُولُ اللهُ اللّهُ اللّهُ عَلَيْكُولُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللهُ اللهُ الل

تستعرض هذه الآيات القرآنية مسألة تجديد بناء البيت الحرام على يد النبيّ إبراهيم الخليل (عليه وعلى نبيّنا وآله أفضل التحيّة والسلام)، ثمّ تتعرّض إلى مسألة وجوب الحجّ وفلسفته، وبعض الأحكام الإلهيّة المتعلّقة بهذه الشعيرة العظيمة.

بناء الكعبة من قبل إبراهيم الطلا

يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَهِيمَ ﴾؛ يأتي الفعل (بوّأنا") _ هنا _ بمعنى: إعداد المكان، فالآية الكريمة تخاطب النبيّ الأكرم عَلَيْ وتقول له: تذكّر إذ أعدّ الله تعالى ذلك المكان، وأمر بتجديد بنائه لغرض تهيئته لإقامة الشعائر الإلهيّة، فإنّه بعد حصول طوفان نوح الله تهدّم ذلك البناء وخفيت معالمه، حتى أنّ أسس هذا البيت قد خفيت ولم تكن ظاهرة بعد أن غطّاها التراب".

وللمفسّرين عدّة أقوال في بيان كيفيّة اهتداء ابراهيم الله إلى مكان البيت العتيق، وكيفيّة إرشاد الله تعالى ورعايته له، من جملتها رأيان:

⁽١) الحج: آية ٢٦ ـ ٢٨.

⁽٢) «تبوّاً لنفسه بيتاً؛ أي اتّخذه، وبوّاتُ له بيتاً؛ أي اتّخذته له». الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان: ج٥، ص٢١٨.

⁽٣) أنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في كتاب الله المنزل: ج١٠م٠٣٣.

الرأي الأوّل: إنَّ الله تعالى أرسل عاصفةً أزالت التراب عن أُسس ذلك البيت بعد أن كانت خافيةً غير ظاهرة للعيان، وبعد حصول هذه العاصفة بدأت أُسس ذلك البيت تنجلى، وحصلت الهداية الإلهية لإبراهيم الله في تبيين ذلك المكان.

الرأي الثاني: إنّ الله تعالى أرسل سحابةً ظلّت ذلك المكان؛ بحيث اهتدى إبراهيم الله إلى مكان البيت بعد أن خفيت معالمه عليه (١٠).

تطهير البيت الحرام وجعله رمزا للتوحيد

بدأ إبراهيم إلى في تجديد بناء ذلك البيت، وبعد ذلك جاءه الخطاب الربّاني؛ فإنّه بعد أن أتمّ إبراهيم إلى البناء المادّي للبيت لا بدّ من التهذيب والاستعداد للبناء المعنوي؛ لكي يكون ذلك المكان جاهزاً ومهيّئاً لأداء المناسك التي كان المحور فيها هو توجيه العبد نحو محور التوحيد؛ وهو الله تعالى وحده، فجاء الخطاب الربّاني إلى إبراهيم إلى بعد إنهاء البناء الظاهري للبيت _ بضرورة تطهير ذلك الموقع من أي وثن وقذارة ورجس ظاهر أو باطن، حيث كانت هناك الأصنام ومظاهر الشرك وما تستتبعها من طقوس الذبح والدماء والمخلّفات التي تُترك حول البيت، فكان لا بدّ من تطهيره وتهيئته؛ لكي يكون جاهزاً لأداء شعائر التوحيد.

جاء الخطاب الربّاني في المقطع الثاني من الآية الكريمة: ﴿ أَن لَا تُشْرِلتُ فِي شَيْعًا وَطَهِّرْ بَيْتِي لِلطَّآبِفِينَ وَٱلْقَآبِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾؛ ففي مناسك الحبّ المفروض توجّه العباد بقلوبهم والقصد إلى جهة واحدة؛ وهي جهة الحقّ وحده، وهو شعار التوحيد.

من هنا جاء البناء المعنوي، الذي يهدف إلى بناء الذات التوحيديّة عند كلّ فرد،

⁽١) أُنظر: المصدر السابق.

والإبقاء على المكان الذي يُريده الله سبحانه خالياً من الأرجاس والأوثان، فقد أزال إبراهيم الله تلك الأصنام من ذلك الموقع؛ لتتجه الأبصار إلى بناء واحدٍ يمثّل رمز التوحيد، ثم من بعد ذلك تأتي هذه الشعائر وتؤدّى في محيط إيهانيٍّ خالصٍ لا يمسّه شيء من الشرك، ولا يخالفه شيء من ذلك الضلال وفقدان الهداية (۱).

الأذان في الناس للحجّ

بعد أن حصل التطهير، وبعد أن تمتّ عمليّات الاستعداد والتهيؤ في ذلك

(١) ﴿ وَطَهِيرَ بَيْتِيَ ﴾ قال قتادة: يعني من عبادة الأوثان. وقيل: من الأدناس. وقيل من الدماء، والفرث، والأقذار التي كانت تُرمى حول البيت. ويلطخون به البيت إذا ذبحوا». الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٧، ص٣٠٩.

وجاء في مسالك الإفهام في قوله تعالى: ﴿وَطَهَرَ بَيْتِي ﴾: «من عبادة الأوثان والشرك، أو من الأقذار التي كانت تُرمى حول البيت. وعن الصادق الله : (نحّ عنه المشركين). وقيل: المراد بناؤه على الطهارة بأن يكون بصدق النيّة وخلوص العقيدة، كها قال: ﴿ أَفَمَنُ أَسَسَ بُنْيَكَنَهُ عَلَى تَقُوى مِنَ الله إلى الله الإفهام إلى آيات من الله ﴾ [التوبة: آية ١٩٠]». الفاضل الجواد، جواد بن سعيد، مسالك الإفهام إلى آيات الأحكام: ج٢، ص١١٧ ـ ١١٨٠.

أمّا صاحب (الميزان) فيذهب إلى التطهير المعنوي دون المادي، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَطَهِرَ وَلِمُ مِنْ وَلِلَا اللهِ وَالْمُ اللهُ وَلِي وَلَا اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَاللهُ وَلِمُ وَلهُ وَاللهُ وَالله

المكان، جاء الخطاب الربّاني الثاني لإبراهيم الله للإعلان والتنبيه على ضرورة أداء شعائر التوحيد؛ بأن يُعلم الناس بوجوب مناسك الحجّ، وهذا ما أشارت إليه الآية القرآنية الثانية: ﴿ وَأَذِن فِي ٱلنّاسِ بِٱلْحَجّ يَأْتُوك رِجَالًا وَعَلَى كُلّ ضَامِرٍ ﴾. وكلمة (رجالاً) هنا بمعنى: (راجل)؛ أي: ماشٍ. وضامر بمعنى: الحيوان المهزول والقليل اللحم''. ﴿ يَأْنِينَ مِن كُلِّ فَيِج عَمِيقٍ ﴾؛ تُستعمل كلمة (الفجّ) في الأصل بمعنى اللحم''. ﴿ يَأْنِينَ مِن كُلِّ فَيِج عَمِيقٍ ﴾؛ تُستعمل كلمة (الفجّ) في الأصل بمعنى المسافة بين الجبلين''، ولكن استُعملت هنا بمعنى الطريق الواسعة. والعميق: العيد''.

يذكر بعض المفسّرين بأنّ إبراهيم الله عندما تسلّم هذا الأمر الربّاني، قال: إنّ أذاني لا يصل إلى أسهاع الناس! فكيف يَبلُغُ هذا الأذان أو الإعلان الربّاني إلى جميع الناس؟ فأجابه سبحانه وتعالى: بأنّ وظيفتك هي الإعلان والأذان في الناس بالحجّ، وأمّا إيصاله إلى جميع مسامع الناس فالله تعالى هو كفيل بذلك. فالمقصود من ﴿ وَأَذِن فِي ٱلنّاسِ ﴾ أي: أعلن وجوب هذه المناسك على الناس.

فصعد إبراهيم على موضع المقام المعروف الآن، ووضع إصبعيه في أُذنيه، وقال: (يا أيّها الناس، كُتب عليكم الحجّ إلى البيت العتيق، فأجيبوا ربّكم)('').

⁽١) والضامر: المهضم البطن المهزول الجسم. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٣، ص٣٧٤، (١) واضامر).

⁽٢) (الفجّ: الطريق الواسع بين الجبلين، والجمع فجاج. وفججت ما بين رجلي أفجها فجاً، إذا فتحت. يقال: هو يمشي مفاجاً، وقد تفاج). الجوهري، إسهاعيل بن حمّاد، الصحاح: ج١، ص٣٣٣_مادة: (فجج).

⁽٣) العميق: البعيد. قال الراجز: (يقطعن بعد النازح العميق). الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البحرين: ج٧، ص١٤٣٠.

⁽٤) وَفِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ إِبْرَاهِيمَ اللَّهِ لَمَّا فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ؛ جَاءَ جَبْرَئِيلُ فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ فِي النَّاسِ بِالْحُجِّ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ وَ مَا عَسَى أَنْ يَبْلُغَ صَوْتِي؟ فَقَالَ تَعَالَى: أَذِّنْ وَعَلَيَّ الْبَلَاغُ. فَعَلَا

يقول بعض المفسّرين: إنّ هذا النداء وصل إلى أسماع جميع الناس، حتى الذين في أصلاب آبائهم وأرحام أُمّهاتهم؛ فردّوا: (لبّيك اللّهمّ لبّيك). وإنّ جميع الذين يشاركون في أداء مناسك الحجّ منذ ذلك النداء وإلى يوم القيامة هم الذين لبّوا دعوة إبراهيم الله ، وهم الذين قدّر الله تبارك وتعالى لهم أن يؤدّوا هذه المناسك".

معطيات الحجّ ومنافعه

الذي يهمّنا _ هنا _ هو أن نتعرّض إلى المعطيات المهمّة والأبعاد والأهداف ذات المضامين العظيمة التي أرادها المشرّع الإسلامي من خلال أداء هذه المناسك، والتي ينبغي لمن يتوجّه لأدائها أن يتوجّه بإخلاص إلى الله تعالى، حيث تترتّب على ذلك جلة من الأُمور التي لها ارتباطٌ عميق وجوهري بحياة المؤمن؛ فهنالك أبعادٌ تربويّةٌ متعدّدة عرضتها الآية اللاحقة: ﴿لِيَشَهُدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾؛ أي: إنّكم أيّها الناس الذين ستأتون _ في ما بعد _ لأداء هذه الذين لبّيتم هذه الدعوة، وإنّكم أيّها الناس الذين ستأتون _ في ما بعد _ لأداء هذه

إِبْرَاهِيمُ الْمُقَامَ فَارْتَفَعَ حَتَّى صَارَ كَأَعْلَى طَوْدٍ يَكُونُ مِنَ الْجِبَالِ، وَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ يَهِيناً وَشِمَالاً وَشَرْقاً وَعَرْباً وَنَادَى: أَيُّهَا النَّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَيُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَأَجِيبُوا. فَأَجَابَهُ مَنْ كَانَ فِي وَعَرْباً وَنَادَى: أَيُّهَا النَّاسُ، كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَيُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ فَأَجِيبُوا. فَأَجَابَهُ مَنْ كَانَ فِي أَصْلابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ: لَبَيْكَ اللَّهُمَّ لَبَيْك». النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج٨، ص ١١ - ١٢.

المناسك، سترون بأعينكم المنافع والبركات المادّية والمعنويّة وعلى الصعيدين الدنيوي والأُخروي، كما يُشير إلى ذلك حديث ورد عن الإمام الصادق عن حينها سأله أحد الأشخاص استفساراً عن طبيعة هذه المنافع التي تعرّضت إليها الآية؛ فهل هي منافع الدنيا أو منافع الآخرة؟ فأجاب عن المنافع الآخرة المعطيات _ المنافع والبركات _ التي سيحصل عليها الناس تشمل منافع الدنيا ومنافع الآخرة (۱).

ولا بأس في المقام أن نتعرّض إلى بعض هذه المعطيات والبركات، والغرض من ذلك التذكير بحجم هذه المعطيات المهمّة وأبعادها في حياة الفرد المؤمن، حتى نتعرّف إلى فلسفة الحجّ وثهاره؛ لكي يستطيع المؤمن أن يجنيها من خلال أداء تلك المناسك؛ فإنّ هذه الفريضة العظيمة تزخر بالقيم الأخلاقيّة والتربويّة من نواح عديدة تخصّ سلوك الإنسان المسلم وتربيته لنفسه، وعلاقته مع مَن حوله، وعبادته وعلاقته بربّه جلّ وعلا، وكثير من الأمور التي يقدّمها الحجّ على هيئة دورة تربويّة متنوّعة ذات مضمون عالٍ على الصعيد النفسي الخاصّ ـ بكلّ مَن خاض هذه التجربة ـ وعلى الصعيد الاجتماعي، والصعيد الثقافي، وغير ذلك.

ومن جملة تلك الثهار والمعطيات:

أوّلاً: المعطى الأخلاقي لشعيرة الإحرام

نلاحظ بعض أبعاد هذا المعطى الروحي من خلال نُسك الإحرام، حيث يحضر

هذه المناسك مختلف الطبقات من الناس؛ الحاكم والمحكوم، الرئيس والمرؤوس، السلطان والرعيّة، المسؤول وعوامّ الناس، فالكلّ يخلع ثيابه ليرتدي ثوبين بهيئة واحدة، وكأنّ هذه الشعيرة تُريد أن تُعيد الإنسان إلى فطرته، وتُعيده إلى المقياس الفطري للتهايز والتفاضل بين الناس؛ فإنّ هنالك الكثير من الناس معيارهم ومقياسهم في التفاضل هو الامتيازات الدنيويّة، ومن جملتها الثياب التي يرتديها كلّ من الحاكم والرئيس والملك مثلاً، فحينها تكون لهم هذه الثياب الخاصّة، فمن الممكن أن تبعث في نفوسهم الشعور بالزهو والغطرسة والكبرياء والتسلّط على الآخرين وقهرهم، لكن حينها يأتي في هذه الشعيرة، ويخلع عنه تلك الثياب غير الخذ بنظره منصبه أو رتبته العسكريّة أو غير ذلك من الامتيازات والمناصب، فيأتي دور التهذيب الروحي، حيث تجسّد هذه الشعيرة الدينيّة لهم القيم الأخلاقيّة دور التهذيب الروحي، حيث تجسّد هذه الشعيرة الدينيّة لهم القيم الأخلاقيّة العظيمة في التواضع والتساوي بين البشر على اختلاف طبقاتهم ومراتبهم.

إنّ هذه الشعيرة تُريد أن تقول للناسك: إنّ المقياس في التفاضل والتهايز إنّها هو في السبق المعنوي، والتقرّب من الله وعبادته، واكتساب القيم الأخلاقيّة السامية؛ فإنّ القدرة على سبق الآخرين في المجال المعنوي وأداء هذه العبادات، والعمل على تعزيز الروح الأخلاقيّة وقيمها في السلوك هو المقياس الحقيقي في التفاضل والتهايز، وهو المقياس الفطري.

إنّ الإنسان الثري بسبب عملكه للمال ربّما تشعره هيئته بها يرتديه وما يأكله وما ينتقل به بأنّه صاحب امتيازات، فيقول في نفسه: أنا أفضل من الآخرين. وربّما تؤدّي به مثل هذه النظرة إلى الاستعلاء والتجبّر والشعور بأنّه صاحب امتياز وشأن يتعالى به على الآخرين. لكنّه حين يأتي إلى الحجّ ويلبس الملابس نفسها التي يلبسها الفقير، فإنّ هذه الهيئة تقول له: عُد إلى الميزان والمعيار الفطري في التفاضل والتمايز؛ فإنّك في الحقيقة الإنسانيّة سواء مع جميع الخلق، ولا ميزة لك على الآخرين.

نعم، التمايز الحقيقي والمعيار الحقيقي في التفاضل هو النجاح بهذا السبق المعنوي في أداء هذه العبادة والمناسك، وهي ثمرة من الثمار الروحيّة التي يجنيها الناسك المحرِم.

ثانياً: المعطى التربوي لغفران الذنوب في الحجّ

إنّ الحاجّ حينها يؤدّي شعيرة الحجّ، يشعر بأنّه بهذه الشعيرة _ وبغيرها من المناسك _ يكون قد خرج من الذنوب والمعاصي والجرائم التي اقترفها، وعاد طاهراً نقيّاً منها كها ولدته أُمّه. وهذا الأمر سيفتح له مستقبلاً مشرقاً، وآفاق رحمة واسعة للانطلاق في العمل والطاعة لله تعالى، فقد ورد في بعض الأحاديث بأنّ الحاجّ أو المعتمر يخرج من ذنوبه كهيئته يوم ولدته أُمّه(۱)، وهذا الشعور يبعث في نفسه الأمل نحو مستقبل مشرق وجديد.

ثالثاً: التذكير بقادة الإسلام ورموزه

من جملة الآثار التي يحصل عليها الناسك حينها يؤدّي مناسك الحجّ، وفي تلك الأماكن، هو تذكّره قادة المسيرة الإيهانيّة على وجه الأرض، وجهادهم وتضحياتهم في سبيل إعلاء كلمة الإسلام، الأمر الذي يؤدّي إلى تقوية الرابطة بينه وبين تلك الشخصيّات والرموز من الأنبياء والأئمّة والصالحين الذين قادوا مسيرة التوحيد وأحيوها، وناضلوا دونها، وهذا ما يجعل تلك الرموز حيّةً في عقل المؤمن ووجدانه، ويكون حافزاً مهمّاً للاقتداء بهم، والسير على نهجهم.

رابعاً: تطهير النفس من الشحّ وتعميق روح التضحية

عادةً ما يأتي الحاجّ أو المعتمر من مناطق بعيدة، ويبذل الكثير من المال والجهد، وربّم يضحّي بنفسه في سبيل أداء هذه المناسك، كلّ ذلك من أجل التقرّب إلى الله تعالى، والإخلاص له سبحانه وامتثال أوامره، فإنّ قطع المسافات الطويلة وقصد بيت الله الحرام من الأُمور التي تعمّقُ فضيلة البذل والتضحية في النفس والمال في سبيل طاعة الله تعالى.

أذكر لكم مثالاً يُعبّر عن عمق التضحية في سبيل الله تعالى: يذكر المفسِّر المشهور أبو الفتوح الرازي في تفسيره لهذه الآية أمراً يستدعي التأمّل والاقتداء، يقول: إنَّ شخصاً لقيَ في طوافه شيخاً هزيلاً بدت عليه آثار السفر، وقد رسم التعب علائمه على جبينه، فتقدّم إليه وسأله: من أين أنت؟ أجاب: أتيتُ من فجِّ عميقٍ طال قطعه خسة أعوام، فأصبحتُ شيخاً هزيلاً من شدّة تعب السفر وآلامه.

إنّ هذا الرجل قد جاء من منطقة بعيدة ونائية جدّاً، ولم تكن وسائل النقل آنذاك سهلةً كما هو المتعارف في عصرنا، فقد قطع خمسة أعوام من أجل الوصول إلى هذا المكان على كبر سنّه، حتى بدت آثار تعب السفر عليه إلى أن وصل.

يقول: فقلتُ له: والله لهيَ مشقّة، إلّا أنّها طاعة خالصة وحبٌّ عميق لله تعالى، تهون دونها هذه التضحيات وهذه المشاقّ التي تبذلها.

لقد أراد هذا الشخص أن يهوّن على الشيخ تلك الآثار التي حصلت له بسبب مشقّة السفر، ليدخل السرور والفرح إلى قلب هذا الشيخ الكبير، وأنشد مستشهداً بهذين البيتين من الشعر:

زُر مَن هويتَ وإن شطّتْ بك الدارُ وحالَ من دونه حُجبُ وأستارُ لا يمنعنّ ك بعد لهُ من زيارته إنّ المحبّ لَمن يهواه زَوّارُ(١)

⁽١) أُنظر: النيشابوري، الحسين بن علي، روض الجنان وروح الجنان في تفسير القرآن (تفسير أبي

إذاً الحجّ يُعمّق لدى الفرد روح التضحية بالمال والنفس في سبيل الله تعالى، و في سبيل أداء هذه المناسك المباركة.

خامساً: التدرّب على مراقبة النفس

من جملة المعطيات المهمّة التي ينبغي أن يكون لها تواجد وحضور عند الإنسان المؤمن، هي التربية الأصيلة لعنصر مراقبة النفس، وهناك الكثير من الآيات والروايات التي تحتّ الإنسان على أن يُعمّق هذا الشعور في داخله من خلال الإحساس الدائم بوجود رقابة إلهيّة مستمرّة. ويمكن لهذا المعطى أن يوجد أو يتقوّى من خلال أداء مناسك الحجّ، فبعد أن يُحرِم الحاجّ، تحرُم عليه الكثير من الأُمور؛ وعليه في كلّ لحظة، وفي كلّ دقيقة أن يراقب نفسه وأفعاله وأقواله؛ كي لا يرتكب محرّماً من هذه المحرّمات، فهناك أكثر من عشرين أمراً من المحرّمات التي لا يجوز للمُحرِم أن يرتكبَ شيئاً منها طالما هو في فترة الإحرام؛ كالتضليل، ومجامعة النساء، والنظر للمرأة بشهوة، والنظر في المرآة، واستعمال الطيب، وغير ذلك من المحرّمات الكثيرة التي يحتاج المحرِم لأجل اجتنابها أن يكون في رقابة مستمرّة على نفسه، وعلى أعماله وأفعاله.

وقد يُتساءل: لماذا شُرّعت كلّ هذه المحرّمات الكثيرة؟

فنقول: هناك أسباب كثيرة، من جملتها: إنّ الله تعالى يُريد أن يربّي الإنسان المؤمن ويعمّق في نفسه الشعور بأنّ هناك رقيباً دائم الإحاطة بكلّ ما يفعله الإنسان؛ من أجل أن يبقى هذا الشعور ملازماً له في فترة حياته حتى لا يقع في المعاصي والمحرّمات.

الفتوح الرازي) (فارسي): ج١٣، ص ٣٢٠. وانظر: مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١٠، ص٣٢٣.

سادساً: تقوية الإرادة

من جملة معطيات الحجّ وثهاره أيضاً: التربية على تقوية عنصر الإرادة لدى المؤمن، فالإنسان ـ وبسبب ضعف إرادته ـ لا يستطيع أن يتخلّى عن الكثير من العادات السيئة والأفعال والأقوال التي توقعه في مخالفة القانون الشرعي، وتُسبّب له الكثير من المشاكل داخل المجتمع، ومن جملة المحرّمات التي ورد النهي عنها بالنسبة إلى المُحرِم مسألة الفسوق؛ وهي تشمل: الكذب، والسبّ، والشتم، والمفاخرة المحرّمة والتباهي أمام الآخرين بالنسب والمال أو الجاه إذا كان مستلزماً لهتك حرمة المؤمن. وكذلك مسألة الحلف بالله تعالى بالإخبار عن أمر أو نفيه.

إذا انتهى المؤمن عن مثل هذه الأُمور، عندئذ سيشتد عنصر الإرادة في نفسه، وبالتالي يستطيع في بقية أيّام حياته أن تكون له أرادة قويّة يتغلّب بها على العادات السيئة، وما تعوّد عليه لسانه من إطلاق العنان بحيث يتحدّث بكلّ شيء.

لا بدّ أن تكون للإنسان المؤمن الإرادة القويّة التي يستطيع من خلالها أن يوقف اللسان، وكذا الجوارح الأُخرى عن كلّ عملِ محرّم، وعن كلّ معصية.

سابعاً: إحياء روح التآخي بين المسلمين

من المعطيات المهمّة لفريضة الحجّ، هو ما يمكن أن نعبّر عنه بالمعطى السياسي، الذي له دور كبير وهامّ في وقتنا الحاضر، ويتمثّل في أنّ للحجّ تأثيراً كبيراً في الحدّ من الكثير من عوامل التعصّب القومي والعنصري والطائفي والقضاء عليها.

إنّ الحواجز التي تحجز المسلمين بعضهم عن البعض الآخر بالحدود الفاصلة بين البلدان، واختلاف اللسان والقوميّة والطائفة، هذه كلّها تزول في الحجّ، وحينئذ سوف يشعر المسلمون بالوحدة وبالتقارب. وفي الوقت نفسه من الممكن لبعض المسلمين أن يطّلع على ما يعانيه سائر المسلمين في بلدانهم من مشاكل ومصاعب، ومن الممكن من خلال الحوار الذي يحصل بين المسلمين أن يطّلع بعضهم على

أفكار الآخرين ورؤاهم ومدى حقيقتها، وأن يتعرّفوا على عدوّهم المشترك وخططه في بثّ الخلاف والتفرقة بين المسلمين بشتّى الوسائل.

هذا التقارب من شأنه أن يردم الهوّة والتناقض بين الأفكار للوصول إلى رؤى ناضجة تعود بالنفع لكلّ المسلمين.

وأود ـ هنا ـ أن أنقل مقولة لأحد السياسيين الأجانب ـ وإن أمكن إدراك مضمونها من القرآن الكريم وروايات المعصومين الله ـ لنعرف مدى أهمية هذا البعد السياسي في الحج، يقول: (الويل للمسلمين إن لم يعرفوا معنى الحج، والويل لأعدائهم إذا أدرك المسلمون معنى الحج)(۱).

إنّ هؤلاء يستشعرون الخطر فيها إذا أدرك المسلمون عمق الآثار والمعطيات والثهار التي تحصل للأُمّة الإسلاميّة إذا أدّوا مناسك الحبّ بصورها الصحيحة وكها يريدها الله تعالى. يقول أمير المؤمنين إلى في ما ورد عنه: «الحبّ تقوية للدين» (").

والحمد لله ربِّ العالمين.

⁽١) أُنظر: مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٠، ص٣٣٠.

⁽٢) قال على الله الله تعالى الإيمان تطهيراً مِن الشَّرْكِ، وَالصَّلَاة تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ، وَالرَّكَاة تَسْبِيباً لِللَّرْفِ، وَالصَّلَاة تَنْزِيها عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْأَمْر بِالْمُعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعُوامِ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكِرِ رَدْعاً لِلسُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ مَنْهاةً لِلْعَدَدِ، وَالْمُعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعُوامِ، وَالنَّهْيَ عَنِ المُنْكِرِ رَدْعاً لِلسُّفَهَاءِ، وَصِلَةَ الْأَرْحَامِ مَنْهاةً لِلْعَدَدِ، وَالْقَصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ، وَإِقَامَةَ الْمُتُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكَ شُرْبِ الْحَمْرِ تَخْصِيناً لِلْعَقْلِ، وَالْقِصَاصَ حَقْناً لِلدِّمَاءِ، وَإِقَامَةَ الْمُتُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ، وَتَرْكَ اللَّوَاطِ تَكْثِيراً لِلشَّلْمِ، وَالشَّهَادَاتِ وَتَرْكَ الرِّنَاءِ تَعْقِيقاً لِلسَّبِ، وَتَرْكَ اللَّكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلسَّبِ، وَتَرْكَ اللَّكَذِبِ تَشْرِيفاً لِلصَّدْقِ، وَالسَّلَامَ أَمَاناً مِنَ المُخَاوِفِ، وَالْأَمَانَة السَّرِقَةِ إِعْلَاماً لِلْأُمَّةِ، وَالطَّاعَة تَعْظِيماً لِلسُّلْفَان». ابن شهر آشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: يظاماً لِلأُمَّةِ، وَالطَّاعَة تَعْظِيماً لِلسُّلْطَان». ابن شهر آشوب، محمّد بن علي، مناقب آل أبي طالب: ج٢، ص٣٧٧ —٣٧٢.



مقدّمة الخطبة

بير ـــ لَمِ لِللَّهُ الدُّمْ يَرَالَ حَدِيثِ

«الْحَمْدُ لله الْأَوَّلِ قَبْلَ الْإِنْشَاءِ وَالْإِحْيَاءِ، وَالْآخِرِ بَعْدَ فَنَاءِ الْأَشْيَاءِ الْعَلِيمِ الَّذِي لَا يَنْشَى مَنْ ذَكَرَهُ، وَ لَا يَنْقُصُ مَنْ شَكَرَهُ، وَلَا يُخِيِّبُ مَنْ دَعَاهُ، وَ لَا يَقْطَعُ رَجَاءَ مَنْ رَجَاهُ».

«والحُمْدُ لله الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمحمّد نَبِيِّه ﷺ دُونَ الأُمم المَّاضِيَةِ والْقُرُونِ السَّالِفَةِ، بِقُدْرَتِه الَّتِي لَا تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وإِنْ عَظُم، ولَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وإِنْ لَطُف، السَّالِفَةِ، بِقُدْرَتِه الَّتِي لَا تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وإِنْ عَظُم، ولَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وإِنْ لَطُفَ، فَخَتَمَ بِنَا عَلَى جَمِيعِ مَنْ ذَرَأً، وجَعَلَنَا شُهَدَاءَ عَلَى مَنْ جَحَدَ، وكَثَّرَنَا بِمَنِّه عَلَى مَنْ قَلَى مَنْ جَحَدَ، وكَثَّرَنَا بِمَنِّه عَلَى مَنْ قَلَى مَنْ جَحَدَ، وكَثَّرَنَا بِمَنِّه عَلَى مَنْ قَلَى مَنْ جَحَدَ، وكَثَرَنَا بِمَنِّه عَلَى مَنْ قَلَى مَنْ جَحَدَ، وكَثَرَنَا بِمَنِّه عَلَى مَنْ وَرَاهُ وَلِهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا يَعْفُونُهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَا يَعْفُونُهُ وَاللّهُ وَلَا يَعْفُونُهُ وَاللّهُ وَلَا لَعْلَا شَهُ وَاللّهُ وَلَا لَهُ وَلَا لَكُونَا اللّهُ وَلَا يَعْفُونُهُمْ اللّهُ وَلَا يَعْفُونُهُمْ وَلَا يَعْفُونُهُمْ وَاللّهُ وَلَا يَعْفُونُهُمْ وَلَا يَعْفُونُهُمْ وَلَا يَعْفُونُهُمْ وَاللّهُ وَلَمْ اللّهُ وَلَا يَعْفُونُهُمْ وَاللّهُ وَمِنْ عَلَى مَنْ جَمِيعِ مَنْ ذَرَاً وَعَعَلَنَا شُهُمَا وَاللّهُ وَلَا يَعْفُونُهُمْ وَلَوْنَهُ وَلَا يَعْلَى مَنْ جَعَلَى اللّهُ وَلِهُ عَلَى مَا يَعْفُونُهُمْ وَاللّهُ وَلَوْلُهُ وَاللّهُ وَلَا لَعْلَا لَهُ مِنْ عَلَيْ مَنْ جَعَلَى مَنْ جَعِيعِ مَنْ ذَرَالًا وَلَا لَعْلَا شُهُولَاءً عَلَى مَنْ جَعَلَا مُنْ جَعِيعِ مَنْ ذَرَالًا وَعَلَا شُهُولَاءً عَلَى مَنْ جَحَدَهُ وَلَا لَا لَهُ عَلَى مَنْ عَلَا عَلَى مَا لَا لَهُ عَلَى مَا لَا عَلَى مَلْ عَلَى عَلَى مَا عَالَهُ عَلَى مَا عَلَى عَلَى مَا عَلَى عَلَى مَا عَلَى مَا عَلَى عَلَى مَا عَلَى عَلَى عَلَى عَلَى اللّهُ عَلَى عَلَا عَلَا عَلَى عَلَ

الحمد لله الذي ألهمنا ولاية آل بيت نبيه على وجعلهم لنا سُفن نجاة ومراكب هداية، وختم بهم الأوصياء والأئمة. اللهم فصل عليهم أفضل ما صليت على أحدٍ من أنبيائك ورسلك وأصفيائك.

السلام على الحسين، وعلى عليّ بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين.

السلام على الحسين الذي سمحت نفسه بمهجته، السلام على المرمّل بالدماء، السلام على المهتوك الخباء، السلام على غريب الغرباء، السلام على شهيد الشهداء، السلام على ساكن كربلاء، السلام على مَن بكته ملائكة السهاء، السلام على الجيوب

المضرّجات، السلام على الشفاه الذابلات، السلام على الشيب الخضيب، السلام على الخدّ التريب، السلام على البدن السليب، السلام على الأجسام العارية في الفلوات، تنهشها الذئاب العاديات، وتختلف إليها السِّباع، السلام عليك يا مولاي يا أبا عبد الله الحسين ورحمة الله وبركاته(۱).

أيّها الإخوة الحسينيون، أيّتها الأخوات الفاطميّات الزينبيّات، سلام عليكم بها جاهدتم وصبرتم في سبيل الله تعالى ورحمة منه وبركات.

تجديد العهد مع الحسين الله ومبادئ نهضته العظيمة

في عاشوراء الحسين عاشوراء الدم والتضحية والشهادة، لا بدّ من استذكار ما جرى في كربلاء من بطولات نادرة، وما صحبها من سموِّ إنساني رفيع لدى الثائرين وقائدهم العظيم؛ المتمثّل بالتضحية بكلّ عزيز؛ النفس والولد والمال، وترك الدعة في سبيل المبدأ والخُلق الإنساني، وإبقاء قيم السهاء حيّةً نابضةً في النفوس بعد ما أماتها الظالمون المستكرون.

ومن أهم ركائز المبدئيّة التي ينبغي أن تبقى حيّةً في نفس كلّ محمّديًّ علويًّ حسينيًّ مهدويّ، هو الاستعداد للتضحية والشهادة في سبيل المعتقد والمبدأ الإسلامي الأصيل، وإذا كانت كرامة أهل البيت الله من الله تعالى هي الشهادة "، حيث كان الختم لهم بها عادةً، لا يحيدون عنها في حياتهم الكريمة، فقد كُتب لنا نحن شيعتهم أن نعبّد طريق ولائهم بالدماء الطاهرة التي اصطبغت بها شوارعنا

⁽١) أُنظر: المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٨، ص٢٣٤، باب١٨.

⁽٢) هكذا كان موقف أهل البيت الملياني وهم يواجهون الطغاة في كلّ عصر، فهذا ـ مثلاً ـ كلام الإمام زين العابدين وهو يردّ على ابن زياد قائلاً: «أبالقتل تهدّدني يابن زياد؟ أما علمت أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة». ابن طاووس، عليّ بن موسى، اللهوف في قتلى الطفوف: ص٩٥.

وأسواقنا وأماكن عبادتنا، لنبقى صامدين على طريق ولايتهم، ونتأسّى بتضحياتهم.

إنّ التضحيات التي يقدّمها كلّ موالٍ إنّها ينتهجها من نهج الفداء، الذي تمتدّ جذوره إلى حياة أهل البيت الله وسيرتهم، وما هذه الدماء التي يقدّمها أتباع أهل البيت الله إلّا لتكون مشاعل على طريق الحرّية والعزّة والكرامة والإباء.

ومن أجل ذلك كان لزاماً علينا أن نجدد عهدنا وميثاقنا مع أبي الأحرار إلى في هذه الساعة، وفي كلّ يوم، وفي كلّ عام ما دمنا أحياءً، وأن نُبقي أمانينا ولهفتنا وشوقنا للشهادة _ حينها نردد: ﴿يَكَلَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمُ فَأَفُوذَ فَوَزًا عَظِيمًا ﴾ (() حيّة نابضة بالعطاء، فلا نبخل بأجسادنا التي تُقطّعها ذئاب الإرهاب ووحوش التكفريين.

يا أبناء الحسين الله ، جدّدوا عهدكم مع الحسين الله الله يخيفنكم ولا يرهبنكم استمرار الخطّ الأموي من خلال نهجه البربري المتمثّل بالتقتيل والتشريد والإرهاب، فها ذلك إلّا ضريبة الولاء لأهل البيت الله التي ندفعها دماً وسجناً وتشريداً ورعباً.

جددوا عهدكم مع الحسين أن تدفعوا ضريبة الولاء دائماً وأبداً، أجساداً مقطّعة، وأشلاء متناثرة في أماكن العبادة والأسواق والشوارع، جددوا هذا العهد مع الحسين الميلان.

إطلالة على فضل الشهادة وفلسفة الابتلاء

أود " - هنا - أن أتعرّض إلى بعض خصائص الشهادة، وعطاء الشهيد لأُمّته؛ حيث يبقى الشهيد نبراساً وينبوعاً دائهاً نستمد منه روح الحياة الكريمة المقدّسة هذا

⁽١) النساء: آية٧٧.

⁽٢) وهنا هتف المصلّون: (لبيك يا حسين).

العطاء الذي يُغذّي وجداننا ويمنحنا من محفزات الوعي والقوّة والاستعداد لكلّ ما هو نبيل وذو شأن سام، ويُبقي أرواحنا مستعدّةً للتضحية والعطاء الدائم، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عَلَى قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله عَلَيْسَ فَوْقَهُ بِرٌّ " (فَوْقَ كُلِّ ذِي بِرِّ بَرُّ حَتَّى يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ الله فَلَيْسَ فَوْقَهُ بِرٌ " () .

إنّ من خصائص الإيهان الحقيقي أن يحمل المؤمن همّ عقيدته ورسالته، ويتفاعل مع أُمّته حتى يندك وجوده في عقيدته، فتمتلك هذه الأُمور الرساليّة قلبه وعقله ومشاعره؛ وحينئذٍ لا يُبالى أوقع الموت عليه أم وقع هو على الموت.

والشهيد هكذا يعيش ويموت في سبيل رفعة مبادئه وسمو عقيدته وعزّة قومه. قال الشاع:

لــولا الــدماء تــراقُ لم تُــرَ أُمّــةٌ بلغــت مــن المجــد العريــق مناهــا وقال آخر:

ف الموتُ عِـزٌ إذا عقيدتنا سلمت والعيش ذلٌّ وسيف الكفر يعلونا (٣)

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٤٨.

⁽٢) آل عمران: آية ١٧٩.

⁽٣) صحيفة الجهاد، العدد (٢٣٢)، هدير رجب، قصيدة في مدح السيّد الشهيد محمّد باقر الصدر الله المعدد السيّد السهد عمّد الصدر الله المعدد ا

وأمّا الشهيد فهو أساس الفضائل في المجتمع البشري، فهو يحمل روح التضحية ونسيان الذات ونكرانها، وهاتان الصفتان أساسٌ لجميع الفضائل، فبقدر ما يتّصف الإنسان بروح إيثار المبدأ والعقيدة على نفسه ومصالحها؛ يبتعد عن الرذائل، ويتحلّى بالفضائل، قال أمير المؤمنين الإيثارُ أفضلُ عبادةٍ وأجلُّ سيادة»(1).

والشهداء أكثر الناس عطاءً لأُمّتهم، وهم الذين يُحيون روح النضال والكفاح في المجتمع حينها تخمد هذه الروح بفعل إرهاب الطواغيت وقمعهم، وانشداد الإنسان إلى الدنيا وحطامها.

⁽١) آل عمران: آية ١٦٩.

⁽٢) محمّد: آية ٣١.

⁽٣) ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة: ج١٣، ص١٥٧.

⁽٤) الليثي الواسطي، عليّ بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ: ص٢٩.

والشهيد يُعطي مثالاً نموذجيّاً لكرامة الإنسانيّة حينها يُشترى المجتمع ويُباع بقليل من المال وكثير من العذاب والإرهاب، وبعد أن تُحق إنسانيّة المجتمع وكرامته، فلا يمكن إرجاعها إلّا بها تجود به روح الشهيد وتضحيته بنفسه التي تمثّل أسمى آيات التضحية والكرامة والدفاع عن المبدأ. فالشهيد يبعث الحياة في ضمير الأُمّة حينها يموت، أو يُعمل على تغييبه بطريقةٍ وأُخرى بفعل الحاكمين والطواغيت.

وصايا لإحياء روح الشهادة وتجاوز المحن والابتلاءات

ولا بأس _ هنا _ بعرض بعض الوصايا التي تُحيي فينا هذه الروح الجهاديّة الاستشهاديّة:

الأُولى: الابتعاد والتعفّف عن كلّ ما يشدّ المرء إلى الحياة الدنيا بنحو سلبي ينسيه آخرته، ويكون ذلك من خلال الوعي والإدراك لحقيقة هذه الدنيا وزخرفها وخداعها.

الثانية: معرفة أهميّة الشهادة في الإسلام، ومعرفة مفعول دماء الشهداء في الإسلام، وأنّها أهمّ مقوّمات النصر والعزّة والرفعة الإسلاميّة.

الثالثة: الاقتداء بسِير الأنبياء والأئمة الله ومعرفتها قبل ذلك، والاعتبار بمواقفهم الاستشهاديّة، فحينها يتّضح لنا أنّ صوت التكبير والتهليل الذي يعلو سهاء الإسلام والمسلمين ما كان ليرتفع لولا دماء الشهداء، حينئذٍ يمكن للمؤمن أن يرتقى بروحه إلى مستوى بذل النفس والنفيس في سبيل المبدأ والعقيدة.

الرابعة: ذكر الله تعالى دائماً والتوكّل عليه، والثقة بإجابته، ودعوته لتحقيق الأماني والتطلّعات الجهاديّة.

الخامسة: العمل في الدنيا بقدر ما يُعمّر الإنسان فيها، والعمل للآخرة بقدر

البقاء فيها، وعدم الانشغال بالمال والأولاد، وإنهّا يجب الانشغال بإصلاح عيوب النفس، وتجنّب الخوض والبحث عن عيوب الآخرين ومساوئهم.

السادسة: طاعة القيادة الإسلاميّة المخلصة والرشيدة وحمايتها والدفاع عنها.

السابعة: الإخلاص في السرّ والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، وأن يكون المؤمن صمته فكراً ونُطقه ذكراً ونظره عِبرةً.

كما أوصيكم _ إخواني وأخواتي في الإيمان _ بالعفو عمّن ظلمكم، وإعطاء مَن حرمكم، وصلة من قطعكم، عسى أن يُدركنا الله برحمته، ويُعيننا على تجاوز المحن والابتلاءات، والفوز برحمته ورضوانه.

اللّهم بحق الحسين الشهيد وجده وأبيه وأُمّه وأخيه والتسعة المعصومين من بنيه، أن تختم لنا بكرامة الشهادة في سبيلك، وترزقنا ثأرك مع وليّك وحجّتك من خلقك، إنّك سميع مجيب.

والحمد لله رتّ العالمين.



الخطبة الثانية والأربعون الابتلاء.. أهدافه وسُبل تجاوزه

بتاریخ: ۱۰/۳/۲۰۰۲م

وفيها المحاور التالية:

الملازمة بين الابتلاء والإيمان

√ فلسفة الابتلاء والاختبار

◄ حقيقة الابتلاء في زماننا

🗸 أهداف البلاء ومضامينه التربوية

🗸 صور البلاء وأشكاله

🗸 سُبل تجاوز البلاء

🗸 قصّة، وعبرة

√ القيم الأخلاقيّة والدينيّة في آخر الزمان

مقدّمة الخطبة

بِسَــلِللَّهِ الرَّمْيَ الْحَدِيدِ عِنْهِ الرَّمْيَ الْحَدِيدِ عِنْهِ الرَّمْيَ الْحَدِيدِ عِنْهِ ا

الحُمْدُ للله عَلَى مَا عَرَّفَنَا مِنْ نَفْسِه، وأَهْمَنَا مِنْ شُكْرِه، وفَتَحَ لَنَا مِنْ أَبُوابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِه، ودَلَّنَا عَلَيْه مِنَ الإِخْلاصِ لَه فِي تَوْجِيدِه، وجَنَّبَنَا مِنَ الإِخْادِ والشَّكِّ فِي بِرُبُوبِيَّتِه، ودَلَّنَا عَلَيْه مِنَ الإِخْادِ والشَّكِّ فِي أَمْرِه. حَمْداً نُعَمَّرُ بِه فِي مَنْ حَمِدَه مِنْ خَلْقِه، ونَسْبِقُ بِه مَنْ سَبَقَ إلى رِضَاه وعَفْوه. حَمْداً يُضِيءُ لَنَا بِه ظُلُهَاتِ الْبَرْزَخِ، ويُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِه سَبِيلَ البُعثِ، ويُشَرِّفُ بِه مَنازِلَنَا عِنْد مَوَاقِفِ الأَشْهَادِ، يَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِهَا كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ، ﴿ يَوْمَ لَا يُعْلَى مَوْلُ مَنْ مَوْلُكُ مَوْلَ مَوْدَا اللَّهُ عَلَى عَلِيهُ مَوْلًى عَنْ مَوْلُ شَيْعًا وَلا هُمْ يُنصَرُونِ ﴾ ﴿ '''. حَمْداً يَرْتَفِعُ مِنَّا إلى أَعْلَى عِلِّيِّنَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ عَنْ مَوْلُ شَيْعًا وَلا هُمْ يُنصَرُونِ ﴾ ﴿ '''. حَمْداً يَرْتَفِعُ مِنَّا إلى أَعْلَى عِلِيِّينَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ فَيَ مَوْلَ شَيْعًا وَلا هُمْ يُنصَرُونِ ﴾ ﴿ '''. حَمْداً يَرْتَفِعُ مِنَّا إلى أَعْلَى عِلِيِّينَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ فَي مَنْ مَوْلُ شَيْعًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ﴿ '''''.

سأتعرض في هذه الخطبة إلى بعض المضامين القرآنية والروائية الواردة عن أهل البيت الله بها يُسهم في إعانة المؤمنين على تجاوز المحن والابتلاءات، التي قد تعترضهم في حياتهم العامّة، وبخاصّة في هذا الظروف التي نشهدها في عراقنا الجريح، وفي الوقت نفسه نؤكّد على أنّ العمل وفقاً للمنهج القرآني والسيرة المعصوميّة يمكّن الإنسان المؤمن من تجاوز الآثار السلبية للمحن والابتلاءات، وينقله إلى طريق النجاح والفلاح. ومن هنا سنذكر مجموعةً من النقاط المهمّة المتعلّقة بهذا الموضوع:

⁽١) الدخان: آية ٤١.

⁽٢) المطففين: آية ٢٠.

⁽٣) الصحيفة السجّاديّة: ص٣٠.

أوّلاً: تعرّض القرآن الكريم في مجموعة من آياته إلى بيان حقيقة مهمّة وأساسيّة، وهي أنّ الاختبار والابتلاء سُنّة إلهيّة، وقانون ثابت يحكم المجتمعات، ولا محيص عن هذه السُنّة، حيث إنّ كلّ فرد يمرّ بهذه العقبة في الحياة الدنيا؛ لأهداف وحكمة سنبيّنها في ما يأتي.

يقول الله تعالى في سورة الكهف: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوۤاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَتَ وَهُمْ لَا يُقُولُونَ ﴿ وَهُمْ لَا يُقُولُونَا وَهُمْ لَا يُقُولُونَ ﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ اللَّالَا اللَّهُ اللَّالَةُ اللَّاللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّهُ اللَّهُ الللّه

وفي المضمون نفسه قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَهُ مَا يَعْلَمُ الصَّابِرِينَ ﴾ (").

وكذلك في قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمُ أَن تُتُرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهَ اللَّهَ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرًا لِيَّا يَعْمَلُونَ ﴾ "".

وقوله تعالى أيضاً في سورة محمّد عَيَّالَيُّ: ﴿ وَلَنَبَلُونَكُمْ حَتَى نَعْلَمَ ٱلْمُجَهِدِينَ مِنكُرُ وَالصَّعِيِنَ وَنَبَلُواْ أَخْبَارَكُو ﴾ ''.

وورد أيضاً في سورة الفرقان قوله تعالى: ﴿... وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضِ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونِ ۚ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ () .

هذه المجموعة من الآيات القرآنيّة الشريفة ذات مضامين عديدة، ولكنّ ما يهمّنا هو أنّ هذه الآيات تُشير إلى أنّ جميع الأُمم _ ابتداءً من خلق الإنسان الأوّل وإلى يوم

⁽١) العنكبوت: آية ٢ ـ ٣.

⁽٢) آل عمران: آية ١٤٢.

⁽٣) التوبة: آية ١٦.

⁽٤) محمّد: آية ٣١.

⁽٥) الفرقان: آية ٢٠.

القيامة ـ لا بدّ أن تتعرّض إلى الامتحان والاختبار، سواء على نطاق الفرد أم المجتمع. والهدف من ذلك هو كشف حقيقة الإنسان وجوهره، وما ينطوي عليه قلبه من صفات أخلاقية ودينيّة؛ فإنَّ الثواب والعقاب اللذين وعد بها الله تعالى المطيعينَ والعاصينَ، يترتّبان على الفعل الخارجي، لا على النيّة الكامنة في النفس، فإنّ الإنسان عند تعرّضه للبلاء والاختبار ستنكشف نواياه، وتتضح مدّعياته، وحقيقة ذاته، وما تنطوي عليه من صفات حاول إخفاءها عن الآخرين، من كونه فرداً صالحاً مؤمناً بقضاء الله وقدره، أو أنّه شاكر لله تعالى على أيّة حال، أو عنده دعوى الاستعداد للتضحية وبذل النفس والمال في سبيل الله... وغير ذلك من الصفات الإيهانيّة والمدّعيات التي لطالما يدّعيها الكثير منا.

ولكن هل يُكتفى بهذه الدعوى المجرّدة في ترتّب الثواب وصيرورة الإنسان في مرتبة مَن توفّرت فيه هذه الصفات حقيقة، أم لا بدّ من أن تُكشف حقيقة هذه المدّعيات في نفس الإنسان، وبالتالي يمكن معرفة أنّ لهذه الدعوى واقعاً عنده، وليست هي مجرّد لقلقة لسان وكلهات واهمة ينطقها أمام الآخرين؟

الملازمة بين الابتلاء والإيمان

من المسلَّم به أنّ الإنسان له سريرة وباطن يكتنف حقيقة شخصيته، سواء ما يتعلّق بالاعتقادات أم الصفات الأخلاقيّة، فَمَن صلحتْ سريرته صلح عمله، ومَن فسدتْ سريرته لا يظهر خيره إلّا نفاقاً، لذا لا بدّ من أن تُكشف حقيقة الإنسان من خلال ما يصدر عنه من أفعال وأقوال تظهر حقيقتها في الخارج، ولا سيّا إذا تعرّض لامتحان وابتلاء، وبذلك يتحدّد مصيره، وما يؤول إليه أمره عند الله تعالى، فمَن اجتاز الاختبار والامتحان واستطاع أن يثبت على مواقفه وعقيدته، فقد فاز برضا الله تعالى، ومَن انتكس وكفر، فهو من الخاسرين، وقد بيّن الله تعالى هذين الصنفين من الناس في آياته المباركة.

وعوداً على ما تقدّم من آيات قرآنيّة مباركة، فقد بيّن الله تعالى هذه العقبة التي تعترض الإنسان، وضرورة التعرّض للابتلاء والاختبار، كما في قوله تعالى المتقدّم: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ ﴾؛ فإنّ الهمزة التي تسبق الفعل: (حَسِبَ) تُفيد الاستفهام الإنكاري والتوبيخ (()، أي: إنّكم _ أيّها الناس _ هل تظنّون أن يُكتفى منكم ادّعاؤكم بأنّكم مؤمنون بالله، وأنّكم على استعداد للتضحية في سبيله؟

وهل يُكتفى منك أيّها الزائر للحسين عنه حينها تردّد في زيارتك: «يا ليتني كنتُ معكم فأفوز معكم» "؟ مع أنّ هذا الفوز الذي ناله الحسين في وأصحابه إنّها جاء بعد بذل النفوس وتقديم التضحيات تلو التضحيات؛ فإنّ التمنّي المجرّد الذي لا يتجاوز حدود لقلقة اللسان لا يوصل بالإنسان إلى مرتبة الفوز والكون مع الحسين في وأصحابه.

فلا بد من وجود امتحان واختبار يُغربل هؤلاء المؤمنين المدّعين حبَّ الحسين الله من وجود المتضحية من أجل القيم التي نهض بها، ليتّضح مَن كان مستعدّاً للتضحية فعلاً، ومَن لا استعداد له لذلك، فلا يُترك الإنسان بلا اختبار وابتلاء يُبيّن حقيقته، ففي قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتَرَكُوا ﴾، أي: يُتركوا بلا

⁽۱) جاء في تفسير (الميزان) في ما يخصّ قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللّهُ ٱلّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَذِبِينَ ﴾ اللامان للقسم، وقوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ حال من الناس في قوله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾ وعلى الأوّل فالإنكار في قوله: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنّاسُ ﴾، أو من ضمير الجمع في قوله ﴿ لا يُفْتَنُونَ ﴾، وعلى الأوّل فالإنكار وعلى والتوبيخ متوجّه إلى ظنّهم أنّهم لا يفتنون، مع جريان السنّة الإلهيّة على الفتنة و الامتحان. وعلى الثاني إلى ظنّهم الاختلاف في فعله تعالى؛ حيث يفتن قوماً ولا يفتن آخرين. ولعلّ الوجه الأوّل أوفق للسياق). الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٦، ص١٠٠٠.

⁽٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٤، ص٥٧٦، باب زيارة قبر أبي عبد الله الحسين بن علي اليُولِا.

اختبار وامتحان دعواهم المجرّدة بأنّهم مؤمنون بالله تعالى. ﴿ أَن يَقُولُواْ ءَامَنَكا ﴾، ﴿ وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾؛ فإنَّ الفعل: (يُفْتَنُونَ) مأخوذ من الفتّنة (()، والفتنة في اللغة تُستعمل في اختبار الذهب الخالص بواسطة النار؛ لكي يُعرف خلوصه من الشوائب، ولكنّ هذه الكلمة استُعملت في هذه الآية بمعنى الاختبار والابتلاء، وهو أمر إلهي لا بدّ منه، ولا بدّ أن تمرّ به كلّ أُمّة، وكلّ فرد مؤمن، وقد بيّن الله تعالى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدُ فَتَنَا اللهِ تعالى لاختبار الأُمم السابقة واللاحقة.

فلسفة الابتلاء والاختبار

لا بدّ للإنسان المؤمن أن يعرف ما هي الغاية من هذه السُنة التكوينيّة، حيث جعل الله تعالى الاختبار والابتلاء هو المعيار في معرفة حقيقة الأشخاص، وما تنطوي عليه سرائرهم، ومن هنا جاء القرآن الكريم ليزيل الستار عن هذه الفلسفة، ويكشف عن حقيقة هذا الفعل، في قوله تعالى: ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ اللّهُ الذِينَ ﴾ "، أي ستظهر حقيقة من ادّعى الإيهان.

وبعد أن بين القرآن فلسفة الابتلاء يأتي هذا التساؤل: إنّ من الأُمور البديهية - كما بيّنت الآيات القرآنية - إحاطة علم الله تعالى بكلّ شيء؛ فلا تخفى عليه صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها، وكلّ شيء مسجّل في كتاب مبين، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْ زُبُ عَن رّيِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرّةٍ فِ ٱلأَرْضِ وَلا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْبَر إِلّا فِي

⁽١) فتن: الفِتْنة الابتلاء والامْتِحانُ والاختبار، وأَصلها مأْخوذ من قولك: فتَنْتُ الفضة والذهب إِذَا أَذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيِّلِد. وفي الصحاح: إِذَا أَدخلته النار لتنظر ما جَوْدَتُه. ودينار مَفْتُون. ابن منظور، محمِّد بن مكرم، لسان العرب: ج١٣، ص٣١٧.

⁽٢) يونس: آية ٦١.

كِنَبٍ مُّينٍ ﴾، فاذا كان علم الله تعالى بهذا الوسع الذي لا يحدّه شيء، فلما قال تعالى: ﴿ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ اللَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ اللهُ تعالى لا يعلم حقيقة هؤلاء الناس، فيلجأ إلى الاختبار والامتحان، ليتضح له ما خفي عنه، كما يفعل الأستاذ في امتحان طلّابه ليعرف مستوى علمهم؟

يقول المفسّرون: إنّ هذا الاختبار ليس لأجل أن ينكشف شيء مجهول لا يعلم به الله تعالى، أي إنّه كان جاهلاً ثم علم، حاشى لله تعالى أن يكون علمه بهذه الصورة، فهذا علم محدود يستحيل عليه تعالى، فعلمه _ كها تقدّم _ قد أحاط بكلّ شيء، وإنّها المقصود من العلم هنا _ وفي غيره من الموارد المشابهة _ هو الوجود العينى، والتحقّق في الخارج.

وبعبارة أُخرى: الخروج من القوّة إلى الفعل؛ فإنّ الإيمان الذي يدّعونه ـ كالاعتقاد بالحقّ، والصبر، والشكر، والشجاعة، والسخاء، والتضحية، وغير ذلك من المدّعيات والنوايا في النفوس ـ لا بدّ أن يكون له وجود خارجي، وتحقّق عيني في الخارج؛ ليكون حصول الإنسان على الثواب عن استحقاق وجدارة؛ لأنّه قد جسّد تلك المعتقدات والقيم في الخارج، ولم تكن دعوته ذلك لسانيةً.

وبعبارة ثالثة: هو التحقّق العيني، والإيجاد الخارجي للمعلوم المجرّد، وحينئذٍ تتّضح فلسفة الثواب والعقاب.

فعلى ضوء هذه الآيات القرآنيّة لا بدّ أن يمرّ كلّ فرد وأُمّة مؤمنة _ كها تقرأون في تاريخ الأُمم _ بمراحل من الابتلاء والاختبار، وحينئذٍ تظهر حقيقة هذا الادّعاء، وحقيقة الصفات والسرائر الباطنيّة في الإنسان().

⁽١) أُنظر: الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في كتاب الله المنزل: ج١٢، ص٣٣٢.

حقيقة الابتلاء في زماننا

بعد هذه المقدّمة التي بيّنتْ فلسفة الابتلاء، نتعرّض إلى ذكر ما نمرّ به من اختبار وامتحان صعب وعسير، يُريد الله تعالى من خلاله أن يختبر حقيقة ولائنا وانتهائنا وحبّنا للإسلام، ولمذهب أهل البيت الله فهل نحن فعلاً على استعداد أن نثبت ونصمد أمام هذه المحن والابتلاءات؟ ففي كلّ يوم تصطبغ شوارعنا وأزقّتنا ومساجدنا بالدماء الطاهرة من المواطنين الأبرياء، ويُعتدّى على الممتلكات العامّة والخاصّة في البلد، وتُحطّم البُنى التحتيّة، وينهار الاقتصاد، ممّا له آثار سلبيّة وخيمة على مجتمعنا.

ومن هنا يتضح أنّ الصبر الذي تعرّضت له الآيات القرآنيّة له معنى واسع؛ فإنّ الله تعالى يُريد أن يختبرنا من خلال هذه التضحيات المستمرّة، والتي امتدّت لسنين طويلة، كي يختبرنا بأنّنا سنثبت على مبادئنا أو نتخلّى عنها، فهل نبقى صامدين صادقين على النهج نفسه من حبّنا وولائنا لأهل البيت الله ؟

إنّ الله يُريد أن يكون ما مرّ بنا والذي سوف يمرّ - وكما بيّنت الآية المباركة - عوناً لنا؛ لننجح في هذا الاختبار المهمّ، وننال رضا الله تعالى، وسوف يكتب لنا التاريخ هذه التضحيات وهذا النجاح في صفحات مشرقة، وليس من المهمّ أن نحقّق المكتسبات السياسيّة، أو غيرها من المكتسبات الدنيويّة وإن كان ذلك الأمر شيئاً مهمّاً في الحياة؛ لأنّه وسيلة لنيل الحقوق، ولكنّ الأهمّ منه هو رضا الله تعالى، والنجاح في هذا الاختبار.

أهداف البلاء ومضامينه التربويّة

قد ذكرت الأحاديث الشريفة الواردة عن المعصومين الله بعض أهدف الاختبار والابتلاء، وما ينطوي عليه من وسائل ترتقي بالإنسان، وتعزّز الروح الإيمانيّة في وجدانه، سنذكر بعضها:

الهدف الأوّل: تطهير الإنسان من الذنوب

نوّهت بعض الأحاديث إلى أنّ حصول الابتلاءات والاختبارات إنّها يكون بسبب الذنوب والمعاصي التي تصدر عن الفرد والمجتمع، فقد ورد في الحديث القدّسي الوارد عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الله عَالَ: قَالَ رَسُولُ الله عَلَيْ الله تعالى: «مَا مِنْ عَبْدٍ أَرْ يُدُ أَنْ أُدْخِلَهُ الجُنّةَ إِلّا ابْتَلَيْتُهُ فِي جَسَدِهِ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَفّارَةً لِذُنُوبِهِ، وَإِلّا شَدّدْتُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ حَتَّى يَأْتِينِي وَلَا ذَنْبَ لَهُ، ثُمَّ أُدْخِلُهُ الجُنَة ... »(۱).

ويظهر من الحديث أنّ الدخول إلى الجنّة لا يأتي إلّا بعد السير في رحلة التكامل المعنوي، وحينئذٍ يكون مهيّاً لهذا الموقع وهذا الشرف المقدّس.

الهدف الثاني: التضرّع والعودة إلى الله واستعادة الوعي

قال الله تعالى في بيان هذا الأمر: ﴿ وَلَقَدُ أَرْسُلُنَا إِلَىٰ أُمَدِ مِن قَبِّكَ فَأَخَذَنَهُم بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّء لَعَلَهُم بَضَرَّعُونَ ﴾، الضراعة تعني في حقيقتها أن نغيّر أنفسنا، وأن نستعد لإعادة النظر في سلوكنا الديني والأخلاقي، وهذا يُعدّ من الأهداف المهمّة في تعرّض الإنسان والأُمّة للابتلاءات؛ فإنّ انسياق الإنسان وراء الدنيا وزخرفها وزينتها والركون إليها، يقوده إلى أن يُصبح مظهراً للجشع والطمع والحسد والتكبّر والبخل وغير ذلك من مذام الصفات، فيغفل عن الله ويبتعد عنه، فيحتاج إلى هزّة

⁽١) عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الله الله الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله عَنَّ وَجَلَّ: ((مَا مِنْ عَبْدِ أُرِيدُ أَنْ أُدْخِلَه الجُنَّةَ إِلَّا الله عَنَّ عَبْدِ أَرِيدُ أَنْ أَدْخِلَه الجُنَّةِ فِي جَسَدِه، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَفَّارَةً لِذُنُوبِه، وإلَّا شَدَّدْتُ عَلَيْه عِنْدَ مَوْتِه حَتَّى يَأْتِيَنِي ولَا ذَنْبَ لَه، ثُمَّ أُدْخِلُه الجُنَّة. ومَا مِنْ عَبْدٍ أُرِيدُ أَنْ أُدْخِلَه النَّارَ إِلَّا صَحَّحْتُ لَه جِسْمَه، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَمَّام الْجَنَّة. ومَا مِنْ عَبْدٍ أُرِيدُ أَنْ أُدْخِلَه النَّارَ إِلَّا صَحَّحْتُ لَه جِسْمَه، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَمَاماً لِطَلِبَتِه عِنْدِي وإلَّا وَسَّعْتُ عَمَّاماً لِطَلِبَتِه عِنْدِي وإلَّا هَوَّنْتُ عَلَيْه مَوْتَه، حَتَّى يَأْتِيَنِي ولَا حَسَنَةَ لَه عَلَيْه فِي رِزْقِه، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَمَاماً لِطَلِبَتِه عِنْدِي وإلَّا هَوَّنْتُ عَلَيْه مَوْتَه، حَتَّى يَأْتِيَنِي ولَا حَسَنَةَ لَه عَلَيْه مِوْتُه، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَمَاماً لِطَلِبَتِه عِنْدِي وإلَّا هَوَّنْتُ عَلَيْه مَوْتَه، حَتَّى يَأْتِيَنِي ولَا حَسَنَةَ لَه عِنْدِي، ثُمَّ أُذْخِلُه النَّارَ ». الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٤٤٦، باب تعجيل عقوبة الذنب، ح١٠.

عنيفة توقظه وتُعيده إلى هويّته الدينيّة، وإلى الساحة الإلهيّة، فينتقد نفسه ويعود إلى رشده، ويعترف بخطئه وانحرافه ليعود إلى الله جلّ وعلا، وإلى القيم الحقّة، والصراط المستقيم، وينعم في الحياة الدنيا والآخرة.

الهدف الثالث: إيصال العبد إلى الكمال المطلوب

سأذكر حديثاً يكون مثالاً على أنّ الابتلاء الذي يتعرّض له العبد، إذا استطاع أن يستثمره، ويصبر عليه، ويتحلّى بصفة الرضا بها قسم الله له، فإنّ ذلك يقوده إلى الكهال، ويحقّق المصلحة العظيمة له وإن كانت خافيةً عليه؛ كها هي الحال في ابتلاء البعض بالفقر، فقد ورد في بعض الأحاديث: إنّ ابتلاء بعض العباد بالفقر هو البعض بالفقر، فقد ورد في بعض الأحاديث: إنّ ابتلاء بعض العباد بالفقر هو لمصلحته، وكذلك الغنى، فقد جاء عن محمّد بن يُخيى، عَنْ أَحْمَد بن محمّد بن عِيسَى، عَنِ ابْنِ مَحبُوبٍ، عَنْ دَاوُدَ الرَّقِيِّ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ الْحُذَّاءِ، عَنْ أَبِي جَعْفَرِ اللهِ عَنْ وَالسَّعَةِ والصَّحَّةِ فِي الْبَدَنِ، فَأَبُلُوهُمْ بِالْغِنَى والسَّعَةِ والصَّحَّةِ فِي الْبَدَنِ، فَأَبْلُوهُمْ بِالْغِنَى والسَّعَةِ والصَّحَّةِ فِي الْبَدَنِ، فَأَبْلُوهُمْ بِالْغِنَى والسَّعَةِ والصَّحَةِ فِي الْبَدَنِ، فَأَبْلُوهُمْ بِالْفَاقَةِ والمُسْكَنةِ والسُّقْمِ فِي أَبْدَانِمْ، فَأَبْلُوهُمْ بِالْفَاقةِ والمُسْكَنةِ والسُّقْمِ فَيُصْلِحُ عَلَيْهِمْ أَمْرُ دِينِهِمْ، وأَنَا أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ أَمْرُ دِينِ عِبَادِي اللَّوْمِنِينَ لَعِبَاداً لا يَصْلُحُ عَلَيْهِ أَمْرُ دِينِ عِبَادِي اللهُ وَلَيْ أَعْلَمُ بِمَا يَصْدُحُ عَلَيْهِ أَمْرُ دِينِ عِبَادِي اللهُ وَاللَّهُ مِنْ يَسْلُحُ عَلَيْهِ أَمْرُ دِينِ عِبَادِي اللهُ أَنْهُ وَينِ مِنْ الْمُعَنْ وَالسَّقْمِ وَالْمُ أَعْلَمُ بِمَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ أَمْرُ دِينِ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لَعْبَادِي الللهِ الْمُؤْمِنِينَ لَكِ اللهُ اللهُ وَلِي الْمُؤْمِنِينَ لَيَعْلِهُ عَلَيْهِ أَمْرُ دِينِ عِبَادِي اللهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرُ دِينِ عِبَادِي اللهُ اللهُ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنِينَ اللهُ اللهُ

إنّ القسم الثاني الذي ذكره الحديث يُشير إلى حالة بعض المؤمنين من عباد الله؛ فإنّه ربّم إذا أغناه الله تعالى وقع في التكبّر والغرور والعُجب والجشع والطمع، فتجده يبتعد عن الله تعالى وينسى الآخرة، ويخلد إلى الدنيا ويركن إليها، يُشدّد عليه

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٠٥٥.

بتسليط حاكم ظالم، أو فاقة، أو امرأة سوء، أو غير ذلك من الابتلاءات التي يُراد منها تطهير النفس، وإصلاح الحال بها يجعل هذا الإنسان قريباً من الله تعالى.

الهدف الرابع: رفع منزلة العبد والارتقاء به في الدنيا والآخرة

من أهداف الابتلاء رفع المنزلة؛ فإنّ المحن التي يمرّ بها أبناء المجتمع الآن ويصبرون عليها، مع ثباتهم على الولاء للإسلام ولمذهب أهل البيت يكون كفارةً لذنوبهم وسيئاتهم، ورفعةً لمنزلتهم، في الحياة الدنيا والآخرة. وقد ذكر لنا التاريخ الكثير من الصفحات المشرقة لأصحاب الأئمّة من أتباع أهل البيت وصلوا بذلك إلى المنزلة العظيمة والمقام السامي، وذلك حينها التزموا بتعاليم القرآن، وآثروا وضحّوا بالكثير من أجل أن تبقى سيرتهم ومنهجهم يُمثّل الالتزام الحقيقى بالإسلام.

وسنذكر في المقام حديثين يدلّان على هذا المعنى: جاء عن أبي عبد الله الله الله عظيم الأجر لمن عظيم البلاء» أن نستكشف من هذا الحديث أنّ ابتلاء العبد هو بسبب حبّ الله تعالى لعبده، يُريد بذلك أن يرفع منزلته، وإذا نجح في الاختبار فإنّ الله أعدّ له عظيم المنزلة في الآخرة والدنيا.

وعن أبي عبد الله الله الله الله الله الله الله الأوصياء، ثم الأماثل فالأماثل "".

من الواضح أنَّ أرفع الناس مقاماً عند الله هم الأنبياء، وما جاءت هذه المنزلة

⁽١) روي عن أبي عبد الله الله أنّه قال: «نعم الجرعة الغيظ لَمَن صبر عليها؛ فإنّ عظيم الأجر لمن عظيم البلاء، وما أحبّ الله قوماً إلّا ابتلاهم». المجلسي، محمّد تقي، روضة المتّقين: ج٩، ص٣٨٤.

⁽٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٠٢، ح٤.

وهذا المقام إلّا من خلال نجاحهم في الاختبارات والابتلاءات، والظروف القاسية التي مرّوا بها، ثم من بعدهم مرتبةً هم الأوصياء، ثم الأمثل في دينه، وهكذا.

الهدف الخامس: تجذير المحبّة بين العبد وربّه

إِنَّ الإنسان حينها يمرِّ بابتلاءات كثيرة، عليه ألَّا يحزن؛ لأنهّا تكشف عن حبّ الله له، وإذا رأى الإنسان نفسه غير مبتل ربّها يكشف هذا عن نقص في دينه، كها تُشير إلى ذلك بعض الأحاديث الشريفة، فعَنْ أَبِي عَبْدِ الله الله الله قَالَ وَعِنْدَهُ سَدِيرٌ: «إِنَ الله إِذَا أَحَبَ عَبْداً غَتَّهُ بِالْبَلَاءِ غَتًا، وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ - يَا سَدِيرُ - لَنُصْبِحُ بِهِ وَنُمْسِي»(۱).

إنّ الإمام الله حين يخاطب أحد أصحابه فإنّه يُريد بذلك أن يُوضّح لأتباعه من شيعة أهل البيت الله أنّ البلاء قد كُتب عليهم في كلّ صباح ومساء «لنصبح به ونمسي»، فلا يستوحش من هذا البلاء، فإنّه كها يتناول الإنسان ثلاث وجبات من الطعام في كلّ يوم، كذلك يكون البلاء مرافقاً له، فيُصبح ويُمسي به، فكإنّ الإمام الله يُريد بقوله: «وإنّا وإيّاكم» أن يُسلّي أحد أصحابه في بلائه الذي يمرّ به.

هذا الاختبار يُراد به كشف حقيقية ولائنا وحبّنا لأهل البيت اللهي ، فهو بلاء ملازم لنا في كلّ أوقاتنا إلى أن نرحل عن هذه الدنيا.

صور الابتلاء وأشكاله

الصورة الأولى

إنَّ صور الابتلاء مختلفة ومتعددة في أشكالها ووجوهها، ومن جملة هذه الابتلاءات تعرِّض المؤمنين إلى سطوة وإرهاب الحكّام الظالمين والطواغيت، الذين يقودونهم إلى السجن، أو يهارسون بحقهم أنواع الإرهاب من تشريدهم وتجويعهم وإعدامهم، وغير ذلك من الابتلاءات.

⁽١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٣، ص٢٦٣.

والآن في زماننا هذا نمر ببلاء كما كنّا في عهد الطاغية السابق، وهو ابتلاء وامتحان قاس، وهذا ما يمر به أتباع أهل البيت على مر التاريخ منذ أن حصل الانقلاب على الخطّ الإسلامي المحمّدي الأصيل، بعد أن بدأت بذرة التشيّع بالنمو، فقد كان أتباع هذا الخطّ الإسلامي الأصيل على الدوام في ابتلاء واختبار قاسٍ من قِبل الذين لا ينتمون إلى هذا الخطّ الحقيقي للإسلام، والذين لا يريدون له أن يبقى معزّزاً ومكرّماً.

الصورة الثانية

حينها يمكن الله تعالى للمؤمنين أن يعتلوا ويتسنّموا مواقع القيادة، ويصلوا إلى كرسي الحكم، وهذه الصورة من أصعب الابتلاءات التي يمرّ بها المؤمنون، حيث وضعوا أنفسهم في موضع الاختبار.

ولا بدّ أن يعرف المؤمنون هذا النوع من البلاء، وهو أنّ الله كان يُريد منهم أنّ يعملوا على إصلاح المجتمع، سواء كان هذا الإصلاح في الميدان السياسي أم الاقتصادي أم الاجتماعي، فهل يُؤثرون تطبيق هذا الهدف السامي على المواقع التي هم فيها، وعلى الكراسي والمناصب؟ وهل يهمّهم أن يطبّقوا هذه السياسة، أم همّهم الوحيد الحفاظ على تلك الكراسي والمناصب؟

إنّ لنا في مضهار السياسة والحكم والعدل قدوة رائعة ومثالاً لا يمكننا أن نتخطّاه، إنّه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب إله فقد أُتيحت له فرصة قيادة المجتمع الإسلامي، وتولّى الخلافة، وعزم على تطبيق السياسة الإسلاميّة الحقيقيّة في كلّ بلد من البلدان الإسلاميّة، وفي كلّ مجال من مجالات الحياة؛ الاقتصاديّة، والاجتهاعيّة، وتوزيع المال، وغير ذلك من شؤون إدارة الدولة الإسلاميّة، لكنّه واجه بسبب ذلك حروباً ومواقف رافضة لهذه السياسة، وكان بإمكانه الله الاستمرار في موقع القيادة لو أنّه هادنَ هؤلاء الرافضين لسياسته.

الإمام الله _ كما يُبيّن في الكثير من أحاديثه _ يعتبر أنّ هذا الموقع، وهذه القيادة، إنّما هي وسيلة وآلة لتطبيق تعاليم القرآن، ومن الطبيعي فإنّ الاتجاه المنحرف عن تعاليم القرآن لا تروق له مثل هذه السياسة العادلة؛ لذلك شُنّت عليه الحروب لإصراره على تلك السياسة الإصلاحية.

ولذا نقول: عندما تُتاح للمؤمنين فرصة تسنّمهم مواقع القيادة، والوصول إلى المناصب، حينذاك فإنّهم يُختبرون أيضاً، فهل يُؤثِرون تطبيق التعاليم الإسلاميّة على المناصب التي وصلوا إليها، أم أنّهم يُؤثرون المنصب والقيادة على تطبيق التعاليم الإسلاميّة؟ وربّها يستغلّ البعض منصبه لمحاباة أصدقائه، وممّن له علاقة وصلة بهم، فيكون هذا الموقع في الحكم مكاناً للاختبار.

الصورة الثالثة

حينها يعيش الإنسان في مجتمع يلهث وراء المادّة، فيقوده الطمع والجشع للحصول على أكبر قدر ممكن من متع الدنيا وإن كانت الطرق المؤدّية إليها محرّمةً وغير مشروعة. وهنا يأتي اختبار الإنسان المؤمن الذي يعيش الفقر، وهو يتمكّن أن يعيش مترفاً متنعّهاً لو أنّه فعل مثلها فعل الذين جرفتهم الدنيا بمتاعها وزينتها. إنّه يقع في الاختبار الحقيقي الصعب فيُختبر _ مثلاً _ سنة أو سنتين أو حتى عشر أو عشرين سنة ، فهل يصبر على هذه الإغراءات ويعيش معاناة الفقر من أجل الحفاظ على دينه وإيهانه، فيبقى إنساناً مستقيهاً قد تخطّى الاختبار والابتلاء ونجح في ذلك؟

الصورة الرابعة

حينها يعيش الشابّ - أو الشابّة - وسط مجتمع غارق في الشهوات والملذّات المحرّمة، مجتمع تتحكّم فيه الأهواء والغرائز، وهو يقاسي ويعاني بسبب وجوده في هذا الوسط؛ لأنّ عليه الحفاظ على هويّته الإسلاميّة، وعلى عفّته وشرفه، دون

الانسياق وراء المحرّمات، فيصبر على ذلك فترةً طويلةً، وهو في هذا الحرج الدائم، والحالة التي من الصعب أن يتحمّلها الشباب.

الصورة الخامسة

وهذه الصورة من الاختبار تتعلّق بالمغتربين، حيث يعيشون في مجتمع آخر ربّها يختلف تماماً عن مجتمعهم، مجتمع منغمس في المادّة، منساق وراء اللّذات والشهوات، مجتمع وصل إلى درجة عالية من الرقي المادّي والحضاري، وهو مبتن على أُسس فكريّة خاصّة، ربّها انخدع وينخدع البعض بمثل هذه الأفكار والمظاهر التي تحكم ذلك المجتمع، فينساق وراء تلك الأفكار والعادات والتقاليد، ويذوب وسط ذلك المجتمع، وبالتالي يخسر هويّته الإسلاميّة وكيانه وطابعه الإيهاني.

الصورة السادسة

وهي أشد الصور - المتقدّمة - صعوبة، وهي الابتلاء الذي يكشف الله تعالى من خلاله مدى حبّنا وولائنا لأهل البيت الله فحينا نقرأ تاريخ أتباع أهل البيت الله ومحبيهم سنشاهد صوراً بشعة من التعذيب، والإرهاب، والقسوة، والشدّة، قد مورست في حقّهم، فمنهم مَن صلبوا على جذوع النخل وقُطّعت أرجلهم وأيديهم وفُقأت عيونهم، وهناك مَن يُسجن في الطوامير؛ حيث لا يعلم الليل من النهار، فيعرف أوقات الصلاة على ما يتلوه من أجزاء القرآن.

وقد استمرّت هذه المعاناة لسنين طويلة، وتكرّرت هذه الصورة البشعة على مرّ التاريخ، وهي من أشدّ صور الابتلاء.

وعند العودة إلى الآيات القرآنيّة التي ذكرناها نرى أنّ الله سبحانه وتعالى كان قد ذكر في كثير من هذه الآيات، بأنّ الغرض من ذلك هو أن يعرف من عباده الصبر، ولا يراد من معنى الصبر أن يعيش الإنسان الذلّة والاستكانة، وإنّا يراد منه معرفة

مدى الثبات على المبدأ، ومدى الاستعداد للتضحية من أجل الحفاظ على عِزّة وقوّة وهيبة وكرامة المذهب؛ فإنّ هذا هو المعنى الحقيقي المراد من الصبر والامتحان.

وسنذكر في المقام بعض الأحاديث التي تُعين على هذا الثبات، والصبر على التضحيات الجسام، فلقد ورد في بعضها نصوص شريفة تصف ما يتعرّض له المؤمنون وأتباع أهل البيت المؤمنون واختبارات في هذا العصر والعصر السابق عليه وكذا العصر اللاحق، يقول الحديث واصفاً ما يتعرّض له أتباع أهل البيت المين : «... فَيُقْتَلُونَ وَيُحُرَقُونَ، وَيكُونُونَ خَائِفِينَ مَرْعُوبِينَ وَجِلِينَ، تُصْبَعُ الْأَرْضُ مِنْ دِمَائِهِمْ، وَيَفْشُو الْوَيْلُ وَالرَّنِينُ فِي نِسَائِهِمْ، أُولئك أولِيَائِي حَقّاً...»(۱).

ولا يوجد سبب للتعذيب والرعب والخوف من الطواغيت، إلَّا الولاء والحبِّ لأهل البيت الله .

إنّ الخوف والرعب من الطواغيت الذي عاشه ويعيشه المؤمنون في زماننا، هو نوع من أنواع التعذيب؛ فتارةً كانوا يُعاقبون بالقتل، وأُخرى بالسجن، وثالثةً بالتجويع والتشريد، ورابعةً يكون التعذيب بزرع الخوف الدائم في النفوس فيعيش الإنسان سنين طويلةً وهو بحاجة إلى الأمن والغذاء فهو يعيش حياة الرعب والخوف من الظالمين والطواغيت، كلّ ذلك بسبب الولاء والحب لأهل البيت المنطبغ وإذا لاحظنا العبارة التي يصف فيها الإمام كيفية أتباع أهل البيت المناه المناه العبارة التي يصف فيها الإمام كيفية أتباع أهل البيت المناه المناه العبارة التي يصف فيها الإمام كيفية أتباع أهل البيت المناه المناه

⁽١) هذا مقطع من حديث اللوح، وهو حديث طويل جاء فيه: «فَيُقْتَلُونَ وَيُحُرَقُونَ، وَيكُونُونَ خَائِفِينَ مَرْعُوبِينَ وَجِلِينَ، تُصْبَعُ الْأَرْضُ مِنْ دِمَائِهِمْ، وَيَفْشُو الْوَيْلُ وَالرَّنِينُ فِي نِسَائِهِمْ، أُولئك أَوْلِيَائِي حَقَّا، بِهِمْ أَدْفَعُ كُلَّ فِتْنَةٍ عَمْيَاءَ حِنْدِسِ، وَبِهِمْ أَكْشِفُ الزَّلزِلَ، وَأَرْفَعُ عَنْهُمُ الْآصَارَ وَالْأَغْلَالَ ﴿ أُولَٰتَهِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَتُ مُ مِنْ دَتِهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰتِهِكَهُمُ اللَّهُ لَمَتُدُونَ ﴾ [البقرة: آية ١٥٧]». والْمَادوق، محمّد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص ٣١١، الباب الثامن والعشرون، خبر اللوح.

الأرض من دمائهم)، لعرفنا أنّ ما حصل ويحصل لأتباع أهل البيت في شوارعهم، وجوامعهم، وحسينيّاتهم، وأسواقهم، وأزقّتهم، من قتل واضطهاد من قبل الظالمين هو بسبب أنّهم متمسّكون باتّباع مذهب أهل البيت الله الله .

ثم بعد ذلك يُشير الإمام الله إلى شدّة المعاناة النفسيّة؛ فإنّه بعد ذبح ربّ الأُسرة، وبقاء النسوة والأطفال بلا معيل، تكون معاناتهم كبيرةً؛ لذا صوّر الإمام الله هذه النتيجة بقوله: «ويفشو الويل والرنين في نسائهم»، فإنّ بيوت الموالين لأهل البيت الله لا تخلوا من الثكالي والأيتام، ولطالما كانت تضجّ بالعويل والبكاء والحزن.

إذاً لا بدّ أن نصبر الصبر الجميل، وأن نتذكّر على الدوام ما يُدّخر لنا من الجزاء؛ جزاء السعادة والمكانة والمنزلة العظيمة، لذا يقول الإمام من أهل بيت العصمة النين لا ينطقون عن الهوى: «أُولئك أوليائي حقّاً»، أي: الذين يتحمّلون هذه التضحيات هم أولياء الله تعالى حقّاً؛ إنّهم الصادقون كها تبيّن الآيات القرآنيّة التي تشيد في إيهانهم.

ولا يقتصر هذا الجزاء على المنزلة الأُخرويّة أو المنزلة المعنويّة فقط، وإنّما يذكر الإمام في تتمّة الحديث بأنّ الله تعالى يدفع بصبر هؤلاء المؤمنين كلّ فتنة عمياء، يقول الله: «... بهم أدفع كلّ فتنة عمياء حِندِسٍ (۱)، وبهم أكشف الزلازل، وأرفع عنهم الآصار والأغلال.. ».

نعم، معنى ذلك أنّه بالإمكان أن ينزل العذاب بأقوام بسبب هذا الظلم، ولكن بصبر المؤمنين وبتحمّلهم وتضحياتهم يدفع الله العذاب عن أُمم كثيرة.

⁽۱) الحِنْدِسُ: الظُلْمَةُ. وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج٦، ص٥٨، مادة (حندس).

ثم هناك جزاء آخر أعده الله لهؤلاء الصابرين: ﴿ أُوْلَتَهِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَتُ مِن زَيِهِمْ وَرَجْمَةٌ ﴾ (((()))، أي إنّكم _ أيّها المضحّون _ لكم من الأجر وحسن الجزاء أنّ الله يصلّى عليكم ويرحمكم بهذه المواقف الثابتة.

سبل اجتياز البلاء

من جملة الأُمور التي نختم بها البحث هي كيفية اجتياز هذه الصعوبات والنجاح في هذه الاختبارات والامتحانات العسيرة والصعبة، وذلك على كل شخص أن يتأمّل ويدرس تاريخ الموالين والمجاهدين، الذين تحمّلوا من التضحيات ما تحمّلوا. ومها كان نوع الابتلاء فإنّه يكون فترةً قصيرةً من الآلام ثم تنتهي، وتبدأ الحياة السعيدة اللامتناهية.

إنّ الأسباب التي تدفع بالإنسان إلى الهروب وعدم المواجهة، وربّما لا ينجح في هذه الامتحانات، هو خوفه من الآلام ووطأة المرحلة بها تحمله من محن وخسارة قد تكون كبيرةً؛ فإنّ طبيعة الإنسان تميل إلى الراحة والدعة والعيش بأمان، وما يحصل في هذه المرحلة إنّها هو تنازل عن كلّ ما تطمح له النفس من وسائل الترف والرفاهيّة، وهنا تكمن الصعوبة.

لكن لو تأمّلنا في حياة كلّ المؤمنين الذين تعرّضوا للابتلاء والاختبار وتجاوزوا ذلك بنجاح، فأعطاهم الله المكانة والرفعة السامية في الدنيا، وأعدّ لهم في الآخرة مكانة عظيمة، نجد أنّ رحلة الآلام والمعاناة لم تدوم مئات أو آلاف السنين، وإنّما كانت سنة أو سنتين أو أكثر بقليل ثمّ بعد ذلك تنتهي، وتكون بعدها رحلة طويلة من الحياة السعيدة.

⁽١) القرة: آية١٥٧.

⁽٢) القمى، على بن الحسين، الإمامة والتبصرة: ص٥٠٥، باب في ذكر حديث اللوح، -٩٢.

قصّة وعبرة

أود أن أنقل لكم شيئاً قد مررت به، وأسأل الله تعالى أن يجعله درساً لي؛ الغرض منه بيان هذا المعنى عن الدنيا وبلائها، وبها فيها من عقبات وصعاب، فإتها وإن طالت فهي قصيرة جداً بالقياس إلى ما سينعم به المؤمن من عطاء ومنزلة عند الله تعالى.

قبل الحادث الأخير (۱) الذي تعرّضتُ له بليلتين رأيتُ في المنام كأنّ هناك ماكنتين ضخمتين وأنا واقف وسط هاتين الماكنتين، ثم ابتدأت الماكنتان تسيران نحوي إلى أن صرتُ في منطقةٍ ضيّقةٍ، وبدأتْ الماكنتان تعصراني عصراً شديداً وأنا أصرخ في المنام من شدّة الآلام، بعدها بدأت الماكنتان تتحرّكان راجعتين إلى الوراء، وانتهت الآلام.

بعد هذه الرؤيا بليلتين حصل حادث الاغتيال الذي تعرّضتُ له وأُصبتُ على أثره، والذي أُريد الإشارة له هو أنّ العبرة في مثل هذه المنامات هي كأنّ الله تعالى يُريد أن يقول لي: تحمّل هذه الآلام؛ فإنّها قصيرة كأنّها لحظة.

ربّم يعاني الإنسان ويتحمّل الكثير من الآلام في سبيل مبدئه ومذهبه، لكنّ مدّة البلاء والاختبار _ بكلّ الأحوال _ قصيرة جدّاً، إنّما لحظة ثم تنتهي. وأنتم كذلك _ أيّما الإخوة _ ربّم يعاني أحدكم في السجن، ويتعرّض للأذى النفسي أو الجسدي، لكنّ ذلك سينتهي حتى لو استمرّ لسنين.

⁽۱) تعرّض سياحة الشيخ الكربلائي إلى مجموعة من محاولات الاغتيال، وكان أشدّها ما وقع في سنة (۱) تعرّض سياحة الفيرت قنبلة موقوتة قرب مرقد الإمام الحسين الله أصيب على أثرها سياحة الشيخ الكربلائي بجروح بالغة، واستشهد بسببها (۱۱) شخصاً بينهم اثنان من مرافقيه والتسعة الآخرون من المواطنين الأبرياء. وكذلك تعرّض سياحته في سنة (۲۰۰۸م) إلى محاولة اغتيال أُخرى راح ضحيّتها اثنان من مرافقيه وجُرح بسببها آخرون.

إنّ الحياة بكلّ ما فيها قصيرة جدّاً مهما امتدّت، وبلاء المؤمنين فيها سيكون لفترة وجيزة وقصيرة، ينتقلون بعدها إلى النعيم الدائم.

لو تأملنا فلسفة الجلسة بين السجدتين، فإنّ فيها إيحاءً لطيفاً جدّاً، وهو إنّني حينها أسجد في السجدة الأولى فالمعنى الإيحائي هو أنّني خُلقت من التراب، ثم بعد ذلك حينها أجلس قبل الجلسة الثانية؛ أتذكّر أنّني سأعود مرّة أُخرى إلى التراب، فهذه اللحظة القصيرة بين السجدة الأُولى والثانية تمثّل الحياة الدنيا وكأنّها قصيرة بهذا القصر! ومها نمرّ بمعاناة وشدائد ومحن وابتلاءات، ستكون قصيرة بقصر هذه الفترة الزمنية بين السجدتين، ثم بعد ذلك ننتقل إلى الحياة التي لا نهاية لها. فهذا الشعور والتصوّر عن وقتيّة البلاء سوف يُعيننا على النجاح في هذه الاختبارات.

القيم الأخلاقيّة والدينيّة في آخر الزمان

وفي الختام أذكر لكم هذا الحديث، وهو من الأحاديث التي لا بدّ أن نستذكرها في زمن غيبة الإمام التكون عوناً لنا في تخطّي ما نواجهه من عقبات وتحدّيات وبلاءات واختبارات، فنتمكن من اجتيازها بنجاح في الحياة الدنيا.

في حديثٍ عن الإمام السجّاد الله لأبي خالد الكابلي، يقول: «يَا أَبَا خَالِدٍ، إِنَّ أَهْلَ زَمَانِ عَيْبَتِهِ الْقَائِلِينَ بِإِمامتِهِ وَالمُنْتَظِرِينَ لِظُهُورِهِ أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ...». والسبب في ذلك أنّ الأشخاص الذين كانوا يعيشون مع الإمام ويتّصلون به ويشاهدونه، يستطيعون أن يتبيّنوا الحقّ، ويعرفوا طريق الخلاص حينها يلتبس عليهم وتُحيط بهم الشبهات والفتن، فباستطاعتهم أن يتبيّنوا ماذا يُريد الله تعالى منهم، وما هو الطريق لنيل رضاه.

من جانب آخر هناك مَن لم يرَ الإمامائيلِ ليستنير بنوره ـ كما هو الآن في زماننا

ونحن نعيش زمن غيبة الإمام صاحب العصر والزمان ﴿ فلا يستطيع الاتّصال به ، ومع ذلك فإنّ المؤمنين في هذا الزمان تمكّنوا من الحفاظ على عقيدتهم ومنهجهم وولائهم وحُبّهم لإمامهم، فكان الإمام ﴿ يسلّط الضوء على هذه الحيثيّة، وهي أفضليّة أهل هذا الزمان على ذلك الزمان، قال: ﴿ لِأَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَام وَالمُعْرِفَةِ مَا صَارَتْ بِهِ الْعَيْبَةُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ المُشَاهَدَةِ... »، وهذا يعني أنّ الإمام وإن كان غائباً فهم يملكون من الوعي والإدراك والبصيرة ما يضعهم في مأمن من الانحراف، وكأنّ الإمام حاضراً بين ظهرانيهم.

من هنا يمكن القول بأنّ المؤمنين من أهل زماننا الذين يتمتّعون بهذا الولاء والمعرفة بالإمام في وتكون منزلتهم منزلة المجاهدين بين يدي رسول الله عَيَّا الله عَرَّ وَ جَلَّ سِرّاً بِالسّيف؛ أُولئك المُخْلَصُونَ حَقّاً، وَشِيعَتُنَا صِدْقاً، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِ اللهِ عَزَّ وَ جَلَّ سِرّاً وَجَهْراً» ().

إذاً لكي ننال هذه المنزلة العظيمة والمقام السامي _ كما ذكر الإمام الله علينا أن نثبت ونصبر ونقدّم التضحيات المستمرّة، والصبر معناه الثبات على المبدأ، وبذل كلّ ما يُمكن بذله والتضحية به، من أجل أن نحافظ على ولائنا وانتهائنا لأهل البيت الله ونحافظ على عزّة مذهبنا وهيبته، والذود عنه بالغالي والنفيس، حتى

⁽١) عَنْ أَبِي حَمْزَةَ الثَّمَالِيِّ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَايُلِيِّ، قَالَ: «دخلت على سيدي علي بن الحسين زين العابدين...يَا أَبَا خَالِدٍ، إِنَّ أَهْلَ زَمَانِ غَيْبَتِهِ الْقَائِلِينَ بِإِمَامَتِهِ، وَالْمُتَظِرِينَ لِظُهُورِهِ، أَفْضَلُ مِنْ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ ؛ لِأَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَلَلَ أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ وَالْأَفْهَامِ وَالْمُعْرِفَةِ مَا صَارَتْ بِهِ الْعَيْبَةُ كُلِّ زَمَانٍ ؛ لِأَنَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَلَلُ أَعْطَاهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَنْزِلَةِ المُجَاهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهَ عَيْنَةُ عِنْدَهُمْ بِمَنْزِلَةِ المُجَاهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهَ عَنْ عَلَى اللهَ عَلَيْهُمْ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بِمَنْزِلَةِ المُجَاهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهَ عَنْ اللهِ عَنْ وَجَعَلَهُمْ وَلِي اللهِ عَنْ وَجَعَلَهُمْ وَاللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَلَهُ اللهُ عَنْ وَجَعَلَهُمْ وَلِي اللهِ عَنْ وَجَعَلَهُمْ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَلَا اللهُ عَلَيْهُ وَلَهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَلَاللّهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ وَلَوْ اللهُ عَلَيْهُ وَلَاللّهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ وَلَوْ عَلَى اللهُ اللّهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ عَلَى اللهُ عَلَيْهُ وَلَوْلُولُ اللّهُ عَلَيْهُ اللهُ عَلَيْهُ اللّهُ عَلَيْهُ وَلَوْلِكُ اللّهُ عَلَيْهُ اللّهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ اللهُ اللّهُ اللهُ عَلَيْهُ اللهُ الل

الخطبة الثانية والأربعون: الابتلاء.. أهدافه وسُبل تجاوزه

أسأل الله تعالى أن يوفّقكم ويكتب لكم النجاح والفوز والفلاح في هذه الاختبارات والابتلاءات... حتى نلقى الله تعالى كما يُحبّ ويرضى، إنّه سميع مجيب. والحمد لله ربّ العالمين.



مقدّمة الخطبة

بير أِللَّهِ ٱلدِّمْ يَرَالُكُم يَرَالُكُم يَرِالُكُم يَرِالُكُم يَرِالُكُم يَرِالُكُم يَرِالُكُم يَر

الحمد لله ربّ العالمين، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه من شرور أعمالنا وسيّنات أفعالنا، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد وعلى آل بيته الطيّين الطاهرين.

الحُمْدُ للله عَلَى مَا عَرَّفَنَا مِنْ نَفْسِه، وأَهْمَنَا مِنْ شُكْرِه، وفَتَحَ لَنَا مِنْ أَبُوابِ الْعِلْمِ بِرُبُوبِيَّتِه، ودَلَّنَا عَلَيْه مِنَ الإِخْلَاصِ لَه فِي تَوْجِيدِه، وجَنَبَنَا مِنَ الإِخْادِ والشَّكِّ فِي بَرُبُوبِيَّتِه، ودَلَّنَا عَلَيْه مِنَ الإِخْادِ والشَّكِّ فِي مَنْ حَمِدَه مِنْ خَلْقِه، ونَسْبِقُ بِه مَنْ سَبَقَ إلى رِضَاه وعَفْوِه. حَمْداً مُرْه. حَمْداً نُعَمَّرُ بِه فِي مَنْ حَمِدَه مِنْ خَلْقِه، ونَسْبِقُ بِه مَنْ سَبِيلَ المُبْعَثِ، ويُشَرِّفُ بِه مَنازِلَنَا عِنْد يُضِيءُ لَنَا بِه ظُلُمَاتِ الْبَرْزَخِ، ويُسَهِّلُ عَلَيْنَا بِه سَبِيلَ المُبْعَثِ، ويُشَرِّفُ بِه مَنازِلَنَا عِنْد مَوَاقِفِ الأَشْهَادِ، يَوْمَ ثُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِها كَسَبَتْ وهُمْ لا يُظْلَمُونَ، ﴿ يَوْمَ لا يُعْفَى مَوْلَى عَن مَوْلَقِفِ الأَشْهَادِ، يَوْمَ لَيْعَنِي مَوْلُ عَنْ الله عَلْ عَلَيْنَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ مَوْلَى الله عَلْ عَلَيْنَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ هُويَلُ شَيْعًا وَلا هُمْ يُنصَرُونِ ﴾ (١٠) حَمْداً يَرْتَفِعُ مِنَّا إلى أَعْلَى عِلِيِّنَ فِي كِتَابٍ مَرْقُومٍ هُويَنَا إذا الله إلى كَرِيم جِوَارِ الله و وَبُوهُمَا إذا السُودَّتِ الأَبْشَارُ، وتَبْيَضُ بِه وُجُوهُنَا إذا الله إلى كَرِيم جِوَارِ الله الله الله عَلَو الله الله المَارُ، وتَبْيَضُ بِه وَجُوهُنَا إذا السُودَّتِ الأَبْشَارُ، حَمْداً نُعْتَقُ بِه مِنْ أَلِيم نَارِ الله إلى كَرِيم جِوَارِ الله (١٠).

ملامح من سيرة النبيّ عَلَيْنَا اللهُ ودعوته

ستمرّ علينا في هذه الأيّام ذكرى رحيل النبيّ الأكرم عَلَيْكِاللهُ، الحامل لمكارم اللّخلاق، والمطْهِر الأسمى للذات الإلهيّة، سيّد الكائنات محمّد عَلَيْكِاللهُ. ولا شكّ أنّ

(١) الدخان: آية ٤١.

(٢) المطفّفين: آية ٢٠.

(٣) الصحيفة السجّاديّة: ص٣٠.

من مقدّمات إحياء ذكر النبيّ أين وأهل بيته هو التدبّر في سيرتهم ومناقبهم ومراتبهم التكامليّة. ولا يسعنا في هذا الوقت الضيّق أن نحيط بجميع ذلك بشكل تفصيلي، وقد تناولها الكثير من الباحثين والمحقّقين بالبحث والتحقيق، ولكن على الرغم من ذلك تبقى هذه الجهود غير وافية وقليلةً قياساً بها ورد من سيرة النبيّ الكريم على وأهل بيته الطاهرين الناخرة بالقيم والمثل العليا.

إنّ ما يهمّنا في المقام هو استذكار تلك السيرة المليئة بالتضحيات الجسام في سبيل تكريس قيم الإنسانيّة بها يتناسب مع متطلّبات المرحلة الراهنة، حيث تتطلّب منّا أن نتمعّن فيها ونهتدي بهديها، ونقتبس من مشاعل نورها؛ حتى نتمكّن من الاستمرار في مسيرتنا التكامليّة نحو رضا الله تعالى.

سنتطرّق في هذه الكلمة إلى بعض الملامح الوضّاءة والعطِرة من سيرة النبيّ عَيْنَ الله الله تعالى، وقيادته للأُمّة الإسلاميّة بقابليّات إنسانيّة، بمعنى أنّه لم يخرج عن طور البشريّة في سلوكه، حيث كان يُهارس حياته اليوميّة كالآخرين، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرُ يَشُلُكُمُ نُوحَى إِلَى ﴾ (١٠).

وهنا أود أن أُبيّن للإخوة والأخوات بعضاً من تلك القبسات النبويّة في الدعوى إلى الله، وكذلك طبيعة العلاقة بين الله ونبيّه على أن تنفعنا لنستضيء بها في هذه الحياة المليئة بالمصاعب والابتلاءات والحرة والتردّد.

أُوّلاً: مقوّمات الإنسان الرسالي وتجلّياتها في أخلاق النبيّ عَلَيْكُ اللَّهِ

نتكلّم أوّلاً عمّا يحتاجه الداعي إلى الله تعالى من مقوّمات في عمله؛ فإنّه لا بدّ أن يستلهمها من سيرة النبيّ الأكرم عَلَيْكُ ، وخاصةً في هذه المرحلة من حياتنا؛ حيث نكون أحوج إليها، وتتمثّل في الأُمور الآتية:

⁽١) الكهف: آية ١١٠.

١. الاستعداد الروحي والمعنوي

لا بدّ للإنسان الذي يحمل على عاتقه مهمّةً من المهام أن يكون على قدر كافٍ من القابليّة الروحيّة، والاستعداد النفسي، الذي يُمكّنه من أن يواصل طريقه لإنجاز مهمّته المنوطة به، والتي تستدعي منه الكثير من الصبر والتحدّي والصمود في سبيل تحقيق ما يصبو إليه، فلا بدّ لهذا الداعي أن يكون صاحب روح كبيرة، وذا قابليّة معنويّة؛ ليكون قادراً على أداء دوره الرسالي للقيام بهذه الوظيفة الإلهيّة.

ويمكننا أن نُحدد مقوّمات هذه الصفة الروحيّة والمعنويّة لهذا الداعي ـ الذي يُريد أن ينشر مبادئ العدل والسلام، وما أمر الله سبحانه وتعالى به ـ من خلال مجموعة أُمور، منها:

١ ـ التعلُّق والارتباط الشديدان بالله تعالى والوثوق به.

٢_التجرّد عن عالم المادّة، والترفّع عن متاع الدنيا وملذّاتها وزخرفها وزينتها.

فكان الإعداد الروحي للنبي عَلَيْ قَبل الدعوة وبعدها من مقومات نجاح دعوته المباركة، فلقد كان يقضي الأوقات التي عاشها في سبيل ذلك يتأمّل ويتدبّر في ملكوت الساوات والأرض، ويناجي ربّه بعيداً عن أجواء الشرك والضلال والفساد والانحراف عن القيم الإنسانيّة.

٣_ الإكثار من العبادة وذكر الله تعالى والدعاء.

وكذلك من المقومات التي كان يتحلّى بها الرسول عَلَيْكُ كثرة العبادة من الصلاة والصوم، والدعاء والذكر لله تعالى، والقيام بأعمال البرّ والخيرات، فلقد كان لكلّ

ذلك أثرٌ كبيرٌ في تقوية الجانب المعنوي، لذا كان الله تعالى يحتَّ نبيّه على قيام الليل والتعبّد والتهجّد؛ لأهمّيّة هذا الجانب الروحي في عمل النبيّ عَيَالِيهُ، ولأنّ المسؤوليّة التي تنتظره كبيرة، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّمُ اللَّمْزَمِلُ ۞ فَرُ الَّيْلَ إِلَّا قِلِيلًا ... ﴾ إلى أن يقول: ﴿ إِإِنَّ لَكُ فِي النّهَ المِنْ مَامك مهامّاً عظيمة لكَ فِي النّهَ المعنوي؛ لأنّ أمامك مهامّاً عظيمة عليك إنجازها.

٢. التحلّي بالصبر والثبات

لا يخلو طريق الإنسان الرسالي الداعي إلى الله تعالى من عثرات وعقبات كثيرة، فلا بد من الصبر والتحمّل، سواء أكانت هذه العقبات من الكفّار، أم من الضالين والمنحرفين، أم من قومه ومجتمعه الذي يعيش فيه، ومن جملة ما يواجه الداعي حملات الافتراء والأكاذيب والتشنيع والتشهير، ممّا يقتضي منه التحلّي بسعة الصدر والصبر، وكذلك الثقة بالله تعالى، وأنّه في نهاية المطاف سيتحقّق النصر الإلهي.

ومن هنا كان عند النبي على الاستعداد النفسي لذلك من خلال التحلي بالصبر والثقة المطلقة بالله تعالى وتعميق الاتصال به لتحمّل مثل هذه العقبات، وكان من جملة توجيهات القرآن الكريم للنبي على الإعلان بالدعوة التي كانت في الخفاء، حيث قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدُرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿ فَسَبّح بِحَمّدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السّنجِدِينَ ﴿ وَاعْبُدُ رَبّك حَتَّى يَأْنِيكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ "السّنجِدينَ ﴿ وَاعْبُدُ رَبّك حَتَّى يَأْنِيكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ "المنافقة المنافقة المنافقة

وفي موضع آخر يأمر الله تعالى نبيه على نبيه الصبر والتحمّل، فيقول له في سورة المدّثر: ﴿ وَلِرَبِّكَ فَأَصْبِرُ ﴾ ". والصبر هو أن تتلقّى هذه الحملات العدائيّة والتنكيل

⁽١) المزمل: آية ١-٧.

⁽٢) الحجر: آية ٩٧ ـ ٩٩.

⁽٣) المدّتّر: آية٧.

والإرهاب من الأعداء بروح راضية قانعة بها يحصل لها، مع الاعتقاد بأن هذه العقبات ستنتهي في ما بعد، وسيأتي الفرج عاجلاً أم آجلاً، وأن هذه الحياة زائلة لا محالة، ولكن الذي يبقى هو الأجر الأُخروي، والثواب الذي أعده الله تعالى جزاءً لهذا الصبر والتحمّل، الذي هو مفتاح النجاح والفلاح في الدنيا والآخرة، ولسوف تبقى الأجيال تذكر وتردّد ما جاء من سيرتك، وما تحمّلته في سبيل المبدأ والعقيدة.

٣. التوكّل على الله والثقة بنصره

من أهم أسباب الوصول إلى الغايات النبيلة هو الاعتاد على الله، والتوكّل عليه، والثقة به سبحانه وتعالى؛ فهو وحده القادر على كلّ شيء، وصاحب الحول والقوّة، فعلى المؤمن ألّا يختار له سبيلاً غير التوكّل على الله، ولو تتبّعنا ما مرّ به أنبياء الله تعالى وأتباعهم، من محنٍ ومآسٍ وابتلاءات، قاربت حدِّ اليأس من الفرج، فها كان الجواب الإلهي إلّا أنّ النصر قريب، قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَكَةَ وَلَمّا يَأْتِكُمُ مَّشَلُ ٱلّذِينَ خَلُواْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتُهُمُ ٱلْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاةُ وَزُلِزِلُواْ حَتَى يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلّذِينَ ءَامَنُواْ مَتَى نَصَرُاللّهِ قَرِبُ ﴾ (١٠٠٠).

فبعد ثلاث عشرة سنة من الدعوة النبوية إلى توحيد الله تعالى، وما لاقاه الرسول عشرة سبيل ذلك الطريق مع أصحابه، من الأذى والتنكيل والاضطهاد، والحرب النفسية التي شنتها عليه قريش، ومطاردتها له، وبعد فقد المحامي والمدافع عنه، وهو عمّه أبو طالب على، اشتد أذى قريش على النبي على وأصحابه، فأخذ النبي على النبي على النبي الله وأصحابه، فأخذ النبي على النبي على النبي على والسخرية والمأوى، ولكن لم يجد منهم إلّا الأذى والاستهزاء والسخرية، حيث أخذوا يعلمون صبيانهم وسفهاءهم إيذاء النبي النبي والاستهزاء به، وبعد هذه

⁽١) البقرة: آية ٢١٤.

المعاناة النفسيّة والجسديّة خرج النبيّ عَيَالِيا من الطائف وهو يعاني ممّا لاقاه من أهلها، وقد أُدميت قدماه.

وفي هذه اللحظات العصيبة من الممكن أن يتعرّض المؤمن والداعي إلى الله تعالى الله تعالى الرسالة الله حالة من الانهيار واليأس، فلا بدّ من معينٍ روحيًّ ونفسيًّ يمدّ حامل الرسالة والداعية بها يمكّنه من مواصلة المسيرة، فتوجّه النبيّ الله تعالى وانقطع إليه واستعان به من خلال الدعاء والتضرّع له تعالى في نصرته وإعانته على ما هو فيه من امتحان عظيم، فكان الجواب من قِبَل الباري عزّ وجلّ هو بُشرى المدد بالنصر، بعد أن أُغلقت أمام النبيّ عَيَليه جميع الأبواب، فجاءت ثمرة تلك المناجاة الروحية الكبيرة من النبيّ عَيليه حينها وصل إلى بستان لشيبة وعتبة ابني ربيعة "، فقد كان يَليه يقول في مناجاته: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّة حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاهِينَ، أَنْ يَنُورِ وَجْهِكَ اللَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُهَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي، أَوْ إِلَى عَدُوًّ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُهَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ عَلَى اللَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُهَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّانَيْ وَلَا خَرَةِ مِنْ أَنْ يَنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُهَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ اللَّنْ يَا وَلَا خَرَةِ مِنْ أَنْ يَنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُهَاتُ ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ عَلَى وَلَكِنْ لَكَ الْعُنْبَى حَتَّى اللَّذِي وَلَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةً إِلَّا لِكِنْ لَكَ الْعُنْبَى حَتَّى سَخَطُكَ، لَكِنْ لَكَ الْعُنْبَى حَتَّى اللَّهُ وَلَا حَوْلَ وَ لَا قُوَّةً إِلَّا لِكَنْ الْكَالَةُ الْمَالُكُ الْكَالُونَ كَالَا الْعُنْبَى حَتَّى الْكَالُونَ لَلْكَ الْعُنْبَى حَتَّى الْكَالُونَ لَلَا لَاللَّهُ الْكُونَ اللَّهُ اللَّهُ الْكَالُونَ لَكُولُ لَكَ الْعُنْبَى حَتَّى الْكَالُونَ لَكَ الْعُنْبَى حَلَى الْكَالُونَ الْتَوْرَةِ مِنْ أَنْ يَنْوِلُ فِي الْكَالُونَ الْكَالُونَ الْكَالْتُ الْكَالُونَ الْكَالُونَ لَكَ الْعُنْبُ الْكُولُ الْكَالُونُ الْكَالُونَ الْكَالُونَ الْكَالُونُ الْكَالُونَ الْكَالْمُونَ الْكُولُونُ اللَّهُ الْمَلَعُ الْكُولُ الْمُولِقُ الْمَلْقُولُ الْمَوْلُولُ اللَّهُ الْمُؤْلُولُ الْمَلَيْ الْمُعْرَاقِ الْمُولُولُ الْمُولِ الْمُولُ الْمُولُولُ الْمُولُولُ الْمُؤْلِقُ الْمُولُ

⁽١) انظر: الثعلبي، أحمد بن محمّد، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ج٩، ص١٩.

وبعد هذه المناجاة انفتح باب الأمل أمام الرسول عَلَيْ وما أن أشرق الصبح فتوجّه النبي عَلَيْ إلى القادمين إلى مكّة من الحجيج، حيث التقى بسبعة نفر منهم، قادمين من يثرب فآمنوا به؛ حيث كانوا يبحثون عن منقذٍ يخلّصهم من ذلك الصراع المقيت، بين فطرتهم السليمة، وما هم فيه من أجواء الشرك والظلام.

و لا بدّ أن نذكر في المقام ملاحظةً مهمّةً؛ وهي: إنّ مراعاة النيّة الصادقة، وجعلها الأساس في الأعمال التي يراد القيام بها، سواء كانت عباديّةً أم إنسانيّةً، وعلى مختلف النواحي، هي أن يُقصد بالأعمال وجه الله تعالى.

ثَانياً: مقوّمات الشخصيّة الإيمانيّة وتجلّياتها في أخلاق النبيّ عَيَّاللَّهُ

إنّ هذه الآيات القرآنيّة تُحدّد المقوّمات الجوهريّة للشخصيّة الإيهانيّة المتكاملة، وبعد التأمّل فيها نجد أنّها تُمثّل عملية دمج رائعة بين العنصر العبادي الروحي، والعنصر الأخلاقي الاجتماعي، وأنّهما لا ينفكّان عن بعضهما البعض؛ فقوله تعالى:

⁽١) المؤمنون: آية ١ ـ ٩.

وهذه السعة والشمول في الارتباط بالله تعالى لا يأتي من محض التوجّه الروحي الدائم لله تعالى فقط مجرّداً عن التطبيق العملي، وإنّما يأتي أيضاً من خلال المهارسة الروحيّة الواعية للعبادات الإلهيّة.

١. نماذج من الجانب العبادي في شخصيّته عَلِيُّكُمُّ اللهُ

وهذا ما نراه واضحاً في عبادة النبي على وأهل بيته الأطهار الله فتراهم إذا وقف أحدهم بين يدي الله تعالى، يصفر لونه وترتعد فرائصه، فقد وروي عن أبي عبد الله الحسين بن علي الله على عبد الله الحسين بن علي الله عربي حتى يَبْتَلَ مُصَلّاهُ خَشْيَةً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ وعبادته _ قوله: «وكان يَبْكِي حَتَّى يَبْتَلَ مُصَلّاهُ خَشْيَةً مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ غَيْرِ جُرْم»(۱).

وفي بيانٍ كيفيّة عبادة النبيِّ عَيْنَ وعمق الاتّصال الروحي بينه وبين الله تعالى،

⁽١) النوري، ميرزا حسين، مستدرك الوسائل: ج١١، ص٠٤٢، ح٥ ١٢٨٥/ ٩.

واستشعاره لعالم الغيب في كلّ أوقاته، سُئلت أُمّ سلمة عن صلاة رسول الله عَيْمَالَهُ في الله عَيْمَالَهُ في الليل؟ فقالت: «ما لكم وصلاته! كان يُصلّي ثمّ ينام قدر ما صلّى، ثم يصلّي قدر ما ينام، ثمّ ينام قدر ما صلّى، ثم يُصبح»(۱).

ولم تقتصر حياة النبيَّ على المجال العبادي، والاهتهام بالصلاة لتقوية الارتباط بالله تعالى، بل عَضدها بالاهتهام في العبادات الأُخرى؛ مثل الصوم، والحجّ، والدعاء، والصدقة، ونحو ذلك...

فلا بدّ للمؤمن من التأمّل بشكل دائم في كيفيّة سلوك النبيّ عَند العبادة في استحضار الوجود الإلهي بكلّ عظمته وجبروته وكبريائه وقدرته، حينا يقوم واقفا بين يدي الله تعالى ليستكشف كيف كانت العلقة مع الله متينة، حيث يتحوّل هذا الوقوف إلى نوع من التجلّي؛ لكونه في حضرة الباري، وبين يدي الله تعالى؛ ففي حديثه عَنِي لأبي ذرِّ الغفاري (رضوان الله تعالى عليه): «يَا أَبَا ذَرِّ، إِنَ الله تَعَالى جَعَلَ حَعَلَ وَوَيَ، وَأَنَا لا أَشْبَعُ مِنَ الطَّمْآنِ المُاء، فَإِنَّ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى المُائِعَ إِذَا أَكَلَ الطَّمَامَ شَبِع، وَإِذَا شَرِبَ المُاءَ رَوِيَ، وَأَنَا لَا أَشْبَعُ مِنَ الصَّلَاة» فَإِنَّ

وأمّا في صومه على أنّها حرمان للجسد من ملذّات الطعام والشراب وغيرها، وإنبّا كانت ممارسة سلوكيّة نافعة، يتجلّى فيها الوعي والإدراك لحقيقة هذه العبادة وجوهرها، وأنّ المقصود منها هو تقوية الإرادة، وتهذيب النفس، وتربيتها على الفضائل، وتنزيهها عن الرذائل.

وأمّا ممارسته عَيْرَا في الدعاء، فهو تعبير عن الاحتياج الدائم لله تعالى في جميع الأُمور، فدعاء الرسول عَيْرا هو عبارة عن خضوع مطلق لله سبحانه، وتسليم

⁽١) أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود: ج١، ص٣٣، ح١٤٦٦.

⁽٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص٥٢٨.

لهيمنته وسلطانه وقدرته؛ ولذلك كان النبي الذي لا يفتر عن الدعاء في جميع أوقاته، حيث كان الدعاء يمثّل عنده المعين الذي لا ينضب ماؤه، فكان منبعاً للمدد الروحي، والتعبير عن العبوديّة المطلقة لله تعالى وحده، والتي تنعكس على مجمل سلوك النبيّ وأهل بيته الأطهار المجيّل، فصاروا خير دليل على الكمال الروحي، والسلوك الأخلاقي السامي، فهم أهل التواضع والعبادة الحقّة في أبهى صورها ومراتبها وأعلاها، كما أنّهم أهل الرفعة والعزّة والسؤدد.

٢. نماذج من السلوك الاجتماعي للنبيِّ عَيْظِاللهُ

وأمّا تعامله عَيْنَ مع أفراد أُسرته أو مجتمعه أو أُمّته، فكان يتسم بسمو الأخلاق ورفعتها ونُبلها؛ من العطف والحنان والرعاية، وتوقير الكبير، واحترام الصغير، والتحلّى بآداب المجالسة والمحادثة الإيمانيّة التي دعا الإسلام إليها.

عَنْ أَبِي عَبْدِ الله اللهِ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ الله عَلَيْ يَقْسِمُ لَحَظَاتِهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ؛ فَيَنْظُرُ إِلَى ذَا وَيَنْظُرُ إِلَى ذَا بِالسَّوِيَّةِ». قَالَ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى الله

ومع أنّ النبيَّ عَيْنِ كان يُمثّل مركزاً لقيادة الأُمَّة في الفكر والعمل والتوجيه لشؤونها المختلفة، إلّا أنّه كان يبدو فرداً من عامّة الناس، فيتعامل مع الجميع _ وكأنّه أحدهم _ في تواضع واحترام.

⁽١) قال بيده: حرّكها أو أخذها. ورد في النهاية: «العرب تجعل القول عبارةً عن جميع الأفعال، وتطلقه على غير الكلام واللسان، فتقول: قال بيده؛ أي: أخذ، وقال برجله؛ أي: مشى». ابن الأثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر: ج٤، ص١٢٤.

⁽٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص ٢٧١، باب النوادر، ح١.

ينقل الإمام الصادق ﴿ شيئاً من خصاله وتعامله مع عامّة الأُمّة، فيقول: «قَالَ رَسُولُ الله عَلَيْ الله عَلَيْ أَمَرَنِي رَبِّي بِسَبْعِ خِصَالٍ: حبّ المُسَاكِينِ وَالدُّنُوّ مِنْهُمْ، وَأَنْ أُكْثِرَ مِنْ لَا حَوْلَ وَ لَا تُوَّةَ إِلَّا بِالله، وَأَنْ أَصِلَ رَهِي وَإِنْ قَطَعَنِي، وَأَنْ أَنْظُرَ إِلَى مَنْ [هُوَ] لَا حَوْلَ مِنِّي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وأَلَا يَأْخُذَنِي فِي الله لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَأَنْ أَقُولَ الحُقَّ أَسْفَلَ مِنِّي وَلَا أَنْظُرَ إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقِي، وأَلَا يَأْخُذَنِي فِي الله لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَأَنْ أَقُولَ الحُقَّ وَإِنْ كَانَ مُرّاً، وأَلَا أَسْأَلَ أَحَداً شَيْئاً ﴾ (()

ونختم خطبتنا هذه بحديثٍ ينفع المؤمنين في التوكّل على الله تعالى والاستعانة به، قال رسول الله عَلَيْهُ: «يَا أَبَا ذَرِّ، أَ لَا أُعَلِّمُكَ كَلِهَاتٍ يَنْفَعُكَ الله بِهَا». قلت: بلى، يا رسول الله. قال: «احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ وَالله عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا الله عَنَّ وَجَلَّ، وَإِذَا الله عَنْ وَجَلَّ وَالله عَنَّ وَجَلَّ، وَإِذَا الله عَنَّ وَجَلَّ، وَإِذَا الله عَنَّ وَجَلَّ، وَإِذَا الله عَنَّ وَجَلَّ الله عَنَّ وَجَلَّ، وَإِذَا الله عَنَّ وَجَلَّ الله عَنَّ وَجَلَّ بِالرِّضَا فِي الْيَقِينِ فَافْعَلْ، وَإِنْ النَّعُمُ وَا نَنْ يَضُرُّ وَكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَكْتُبُهُ الله عَنَّ وَجَلَّ بِالرِّضَا فِي الْيَقِينِ فَافْعَلْ، وَإِنْ النَّعْمَ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْفَرَجَ مَعَ الْعَسْرِ عَلَى مَا تَكْرَهُ خَيْراً كَثِيراً، وَإِنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَالْفَرَجَ مَعَ الْكُرْب، وَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً» (").

والحمد لله رب العالمين...

⁽١) مجموعة من العلماء، الأُصول الستة عشر: ص٢٤١.

⁽٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي: ص٥٣٦.



مقدّمة الخطبة

بير خَلِلَهُ الدِّمْ يَرَالَحَ مِنْ الْحَالِمَ مِنْ الْحَالِمَ مِنْ الْحَالِمَ مِنْ الْحَالِمَ مِنْ الْحَالِمَ مِنْ الْحَالِمُ مِنْ الْحَالِمُ مِنْ الْحَالِمِ مِنْ الْحِيْلِمِ الْحَالِمِ مِنْ الْحَالِمِ مِنْ الْحَالِمِ مِنْ الْحَالِمِ مِنْ الْحَالِمِ مِن

الْحَمْدُ لله الأُوَّلِ بِلَا أُوَّلٍ كَانَ قَبْلَه، والآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَه، الَّذِي قَصُرَتْ عَنْ رُوْيَتِه أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ، وعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِه أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ، ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِه الْخُلْقَ ابْتِدَاعاً، واخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِه اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِمِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِه، وبَعَتَهُمْ الْخُلْقَ ابْتِدَاعاً، واخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِه اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِمِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِه، وبَعَتَهُمْ فِي سَبِيلِ مَجَبَّتِه، لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْه، ولَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّماً إلى مَا أَخْرَهُمْ عَنْه، وجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِه، لَا يَنْقُصُ مَنْ زَائِدُّانَ.

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيّدنا أبي القاسم محمّد وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين.

حثّ الشريعة على تهذيب الجوارح

من جملة التكاليف الشرعيّة التي حثّ عليها الشارع المقدّس حفظ الجوارح "- كالسمع، والبصر، واللسان _ ممّا يشينها من المعاصي؛ حيث إنّ نجاة النفس وحفظها من الهلاك متوقّف على صيانة الجوارح من كلّ ما لا يحلّ في الشريعة، ولا

⁽١) الصحيفة السجّاديّة: ص٢٨.

⁽٢)«جوارح الإنسان: عوامل جسده من يديه ورجليه، الواحدة: جارحة. واجترح عملاً: أي: اكتسب. قال:

وكل فتى با عملت يداه وما اجترحت عوامله رهين». الفراهيدي، الخليل بن أحمد، العين: ج٣، ص٧٧.

يجوز في السنة، ولا يحسن في المروءة، وخاصّة جارحة اللسان التي خلقها الله تعالى لذكره وحمده، فهي نعمة أنعم الله بها على الإنسان، ولكنّها من الممكن أن تتحوّل إلى آفة تفتك بالإنسان، وتقوده إلى النار وغضب الله تعالى.

ولو تفحّصنا الروايات الكثيرة الواردة عن أهل بيت العصمة الحِيْ الوجدنا أنّ مفتاح السعادة والنجاة في الدارين متوقّف على حفظ الجوارح، وخاصّة اللسان، وسأتطرق إلى مجموعة من الروايات التي أكّدت هذا المعنى، وذلك بعد التعرّض إلى مقدّمة.

الهدف من خلق الإنسان

من الواضح أنّ الإنسان خُلق لغاية، وزُوّد بجملة من الجوارح، وجُعل لها وظائف تقوم بها بدقة وتنظيم في الأداء، فهي مخلوقة لكي تُساعد الإنسان في الوصول إلى الغايات النبيّلة، والأهداف السامية؛ لكي تتكامل الذات من خلال استعمالها في عبادة الله تعالى وإيصال الإنسان إلى الكمال اللائق به، ومن ثم ينال السعادة الحقيقية التي يسعى الإنسان إليها في الدنيا والآخرة، وقد جعل الله لها وخاصة اللسان الذي هو محور كلامنا في هذا البحث _ العقل مرشداً وقائداً، يدلمًا إلى كيفيّة توظيف قدراتها إلى ما يوصلها إلى تلك الغاية النبيلة.

ومن الواضح أنّ الإنسان قد يخضع لهوى نفسه وشهواتها، وينقاد إلى نوازع الشّرّ في داخله، فيوظّف هذه الجوارح ـ وخاصّة اللسان ـ إلى ما به شقاوته في الدنيا والآخرة، فتقوده إلى هلاك نفسه ومجتمعه، ولأجل ذلك أودع الله تعالى في الإنسان العقل؛ لهداية الجوارح وتقويم سلوكها، وبعث الأنبياء برسالات ساويّة تضمّنت بيان الطريق والكيفيّة في توظيفها للوصول إلى ذلك الهدف الذي خُلقت من أجله.

تأكيد الروايات على حفظ اللسان

إنّ ما قدّمه الرسول عَيْلَ من وصايا ومواعظ لأصحابه ولأُمّته، إنّما كانت لبيان فداحة بعض الأفعال ومدى خطورتها، التي يمكن أن تقودنا إلى الهلاك في الدنيا والآخرة. ومن هذه الروايات:

الرواية الأولى: سُئل رسول الله عَيْنِي من قِبَل بعض أصحابه، وهو عقبة بن عامر، قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، فِيمَ النَّجَاةُ؟ قَالَ: «امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ»(١).

ولو تأمّلنا في هذا الجواب، سنجد أنّ الرسول الله لم يحثّ السائل على نوع من أنواع العبادات المعهودة، وإنّما حثّه على أمر سلوكي بقوله: «امْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَك». وسننبيّن في مطاوي البحث بعض الأُمور التي تُبيّن السّر في حثّ الرسول الله على هذا الأمر.

الرواية الثانية: وروي عن رسول الله عَلَيْقِ أَنَّه قال: «وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلّا حصائد ألسنتهم»(").

الرواية الثالثة: عن النبيَّ عَيِّا للله يقول: «أَكْثَرُ خَطَايَا ابْن آدَمَ فِي لِسَانِهِ» (").

وفي هذا الحديث يُبيّن النبيّ الله أنّ الخطّايا التي يرتكبها اللسان مهلكة للعباد، وتقودهم إلى الشقاء والتعاسة في الدنيا، والهلاك في الآخرة.

الرواية الرابعة: وورد في الحديث أنّ رسول الله عَيْمَا قَلَ فَمَن الجُنّة، والحياة السعيدة الدائمة التي لا نهاية لها في الآخرة للمؤمنين شريطة أن يضمنوا ويتكفّلوا

⁽١) الديلمي، الحسن بن أبي الحسن، إرشاد القلوب،: ج١، ص١٠٣.

⁽٢) الحرّاني، الحسن بن علي، تحف العقول: ص٥٦.

⁽٣) قال رسول الله عَيَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَا ابْنِ آدَمَ فِي لِسَانِهِ، وَمَنْ كَفَّ لِسَانَهُ سَتَرَ الله عَزَّ وَجَلَّ عَوْرَتَهُ». الفتال النيسابوري، محمّد بن أحمد، روضة الواعظين: ص٤٦٩.

لرسول الله عَيْمَ أُمرين؛ قال عَلَيْهُ: «مَن يتكفّل لي بها بين لحييه ورجليه، أتكفّل له بالجنّة»(۱).

وهذا الحديث فيه بيان لعظيم الداء يكون في الجوارح التي بين الرأس من السمع والبصر واللسان، وبين الأسفل وهي كناية عن عفّة الفرج.

فهذه الخطوة في حفظ ما بين اللحيين والرجلين، يعني: اللسان، والفرج. أي: احفظ لسانك من الآفات والمعاصي، ووظفه لما فيه الخير والصلاح لك والمجتمع. وكذلك احفظ الفرج عمّا حرّم الله سبحانه وتعالى. ويكفينا حفظ هذين الأمرين حتى يتكفّل الرسول عمّا على نا بالجنّة، التي هي الغاية والسعادة التي ينشدها الإنسان، وأيّ كفيل وضامن أصدق من رسول الله عمي الله على الله على وضامن أصدق من رسول الله عمي الله على الله عل

السّر في تأكيد الأحاديث على حفظ اللسان، وإعطائه هذا المقام، أنّه قد جُعل طريقاً للنجاة وطريقاً للهلاك؛ وذلك لأنّه هو الآلة التي عن طريقها نُقلت المعارف الإلهيّة إلى جميع الأُمم وأفراد المجتمعات البشريّة، كلّ ذلك كان بواسطة اللسان.

الحكمة من خلق اللسان

جعل الله تعالى لجارحة اللسان دوراً مهمًا للارتقاء بالسلوك الأخلاقي والعبادي، على مستوى الفرد والمجتمع، والسرّ في ذلك أنّ الله تعالى قد جعل لهذه الجارحة من المهام والواجبات أكثر ممّا جعل لغيرها، فهي الطريق إلى القلب، وبها انتقلت المعارف الإلهيّة، والهداية الربّانيّة، وتواصلت الحضارات، فإنّ هذا الوجود الكتبي والعلمي، ومجمل تفاصيل حياتنا، هي من نتاج ممارسات أخلاقيّة واجتهاعيّة التي كان سببها اللسان، فباللسان اتّضح التوحيد وبانت معالم الدين؛ لأنّ التوحيد أمر قلبي، فلو لا اللسان لما اتّضح المراد القلبي من عقيدة التوحيد.

⁽١) الفيض الكاشاني، محمّد بن المرتضى، المحجّة البيضاء: ج٥، ص١٩٢.

وكذلك باللسان يدخل السرور على الإخوان، وذلك من خلال الكلمة الطيّبة والقول الحسن، إذ لا يخفى ما للكلمة الطيّبة من أثر فاعل ومؤثّر في إشاعة روح المسرّة والأُلفة، سواء على صعيد الأُسرة أم المجتمع، وقد ورد في وصيّة الرسول الأكرم الخياليّة لأبي ذرِّ الغفاري: «يَا أَبَا ذَرِّ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَة»(١).

الآثار السلبية للسان

كما أنّ للسان دوراً إيجابياً، كذلك له دور سلبي؛ فإنّ له وطأةً شديدةً عندما يخرج منه ما هو جارح أو متعجّل دون رويّة، أو في ما يُستغل في إثارة الأضغان والأحقاد وغير ذلك، مما يفكّك المجتمع، ويزرع روح العداء والكُره بين أفراده، ويدخل الهمّ والغمّ والحزن عليهم. فاللسان قد يكون سيفاً بتاراً، يفعل ما لا يفعله السنان، لذا قال الشاعر يصوّر هذا المعنى من خطورة هذا الدور والمسؤوليّة التي تقع على اللسان:

جِراحاتُ السِّنانِ لَهَا التِئام ولا يَلْتامُ ما جَرَحَ اللِّسانُ " نعم، للسان وقع ووطأة شديدة على الأفراد والمجتمع، حيث يمكن أن يقودنا إلى الانحلال الأُسري والأخلاقي، وهذا الأمر له الكثير من الآثار السلبيّة.

إنّ انتشار الكفر، والفتنة، والنميمة، والانحراف، وإراقة الدماء، وانتهاك الأعراض، واستباحة الأموال، هي نتيجة شذوذ اللسان عن طريق الحقّ والصواب، واستعماله في غير ما أراد الله تعالى.

باللسان تقع الفتنة بين الناس، وتُحطّم الأواصر الاجتماعيّة، أواصر المودّة

⁽١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٥، ص٢٣٣.

⁽٢) البكري، عبد الله بن عبد العزيز، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: ج١، ص٢٤.

والمحبّة والأُلفة، وخير شاهد على ما نقول ما يجري في العراق وبعض البلدان الإسلاميّة، حيث أُريقت الدماء وانتُهكت الأعراض، ولعلّ من أهمّ أسباب ذلك هو الخطاب التكفيري والتحريضي ضدّ الآخرين، ممّن لا يتّفقون معهم في الرأي أو العقيدة.

ولذا نعتقد أنّ أوّل مَن سيقف يوم القيامة للحساب على إراقة هذه الدماء الطاهرة ليس القاتل الذي فجّر نفسه، أو زرع المتفجّرات في طريق المسلمين وأراق بذلك دماءهم، وإنّها أوّل مَن يقف يوم القيامة ويُسأل عن ذلك، هم فقهاء السلطة، الذين لم يأخذوا من الإسلام إلّا إطالة اللحى وتقصير الثياب، وهذا يدلّ على أنّهم لا يحملون من العلم شيئاً، إلّا الفكر التكفيري، فهؤلاء هم أوّل من سيُوقفهم الله تعلى ويحاسبهم على كلامهم، وما جرت به ألسنتهم من تحريض وتأليب وخلق الفتن، ممّا يسبّب الاحتقان بين أبناء الشعب الواحد. ثم من بعد ذلك يقف للحساب الآخرون ممّن استمعوا إليهم، ونفذوا مخطّطاتهم الشيطانية.

إنّ أمثال هؤلاء الضاليّن قد انزلقوا في الهاوية، وتمادوا في الانحراف؛ بسبب جارحة اللسان، فقد كانوا يتلفّظون بفتاوى التكفير، ويجهرون بها بألسنتهم بلا خوف أو حياء، واللسان _ كها هو واضح _ ليس مقصوداً في نفسه، وإنّها لأجل إظهار وإبراز ما في القلوب والضهائر من عقائد فاسدة.

وقد سُئل أمير المؤمنين الله أيّ شيء ممّا خلق الله أحسن؟ فقال الله: «الكلام». فقيل: أيّ شيء ممّا خلق الله أقبح؟ قال: «الكلام». ثم قال: «بالكلام ابيضّت الوجوه» وبالكلام اسودّت الوجوه» وما تقدّم يتّضح المعنى من هذا الحديث.

⁽١) الحرّاني، الحسن بن على، تحف العقول: ص٢١٦.

جملة من آفات اللسان

إنّ بالإمكان تصوير حجم المساحة الواسعة من الهلاك التي يتسبّب بها اللسان، والتي يتعرّض إليها الفرد والمجتمع، ولا بأس بقراءة بعض كتب الأخلاق للتعرّف إلى آفات اللسان. وفي المقام نذكر جملة آفات اللسان المهلكة:

١- الكذب

يُعتبر الكذب أشد الشرور التي يتلبّس بها الإنسان ويُهارسها في حياته، وقد جُعل للكذب مراتب تتفاوت في القبح، ولكنّ تلك المراتب لا تخرجها عن كونها كبيرةً من الكبائر يستحقّ مرتكبها العذاب الشديد.

وأشدّ تلك المراتب هو الكذب على الله ورسوله والأئمّة المعصومين الله وقد ترك الأئمّة في بياناتهم العديدة ما يكشف عن خطورة هذا الفعل، حتى يكون الإنسان على حذر منها، ويعتبر ويتعظ بها، وعندما يتعرّض إلى مرتبة من مراتب الكذب، فلا يقول: إنّ هذه المرتبة لا تنطبق عليّ، وبالتالي يطمئن بنجاته من هذه الأفة الخطيرة. ولكن عندما يُراجع الإنسان نفسه، وينظر في أفعاله وأقواله، ربّها يجد انطباق واحدة من هذه المراتب عليه بدرجة خفيفة، بحيث يكون قد مارسها وهو غير متوجّه إلى أنّ هذا الفعل يصدق عليه عنوان الكذب المحرّم.

الكذب منشأ جميع الذنوب

أكّدت الروايات على قباحة الكذب وخطورته، ففي حديث عن الإمام أبي جعفر الله عزّ وَجَلَّ جَعَلَ لِلشَّرِّ أَقْفَالاً»، والقفل في هذا الحديث يعني سلوكاً وفعلاً معيّناً، وهو الباب إلى الأفعال الأُخرى المحرّمة، والتي وصفها الحديث بالشرّ، ثم قال الله : «وَجَعَلَ مَفَاتِيحَ تِلْكَ الْأَقْفَالِ الشَّرَابَ، وَالْكَذِبُ شَرُّ مِنَ الشَّرَاب» (''.

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٩٩.

قد يقبّح الإنسان الكثير من الأفعال كالزنا والسرقة... ولكنّه في غفلة عن الكذب الذي هو أشدّ القبائح والمعاصي، وأكثرها خطورة؛ لما يترتّب عليها من عواقب وخيمة كما بيّنت الروايات، لذا علينا أن نتحرّز منه، ونكون حذرين من الوقوع في شراكه، وهذا المعنى بيّنته الرواية المتقدّمة وبيّنه أيضاً حديث الإمام العسكري الله، قال: «جُعِلَتِ الْحُبَائِثُ كُلُّهَا في بَيْتٍ، وَجُعِلَ مِفْتَاحُهَا الْكَذِب»(۱).

إنّ العلاقة بين الكذب والذنوب الأُخرى تتلخّص في كون الكاذب لا يتمكّن من الصدق؛ لأنّه سيكون موجباً لفضحه، فتراه يتوسّل بالكذب عادةً لتغطية آثار ذنوبه.

وبعبارة أُخرى: إنّ الكذب يطلق العنان للإنسان في الوقوع في الذنوب، بينها الصدق يحدّه عن ذلك.

قصة وعبرة

أنقل لكم هذه الواقعة اللطيفة التي وقعت مع النبيّ عَيَالِيُّهُ، ويمكن من خلالها الوصول إلى المضمونين اللذين ذُكرا في الحديثين المتقدّمين: كان هناك رجل قد أَنِسَ بارتكاب الكثير من القبائح _ والعياذ بالله _ فكان يزني، ويسرق، ويشرب الخمر، ويكذب، فجاء يوما إلى النبيّ عَيَالُيهُ وذكر له ما هو عليه من المعاصي، قال: أنا يا رسول الله استسرّ بارتكاب أربع معاص: الزنا، وشرب الخمر، والسرقة، والكذب. والظاهر أنّه كان يُريد من الرسول عَيَالُهُ أن يساعده في تركها ولكن ليس كلّها؛ لشدّة تعلقه ببعضها، وإنّها يطلب منّه أن يترك واحدة والبقاء على فعل المعاصي الأُخرى، فخيّر النبي عَيَالُهُ في اختيار إحداها، فقال للنبي عَيَالُهُ: فاختر أيّهن شئت، وأنا أضمن لك تركها، أمّا الخصال الثلاث الأُخرى فدعنى أفعلها!

⁽١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٦٩، ص٢٦٣، باب الاستخفاف بالدين والتهاون بأمر الله، ح٨٤.

ولو تأمّلنا في هذه القصّة لقلنا: إنّ النبيّ الله الله سيطلب منه ترك الزنا أو السرقة أو شرب الخمر، ولكنّ النبيّ الله الذي وصفه الله تعالى في قوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ المُلْمُ المُلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُلْمُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ المُلْمُلْمُ المُ

وسيّتضح مدى دقة النبيّ عَيْلُهُ في علاج هذه المشاكل النفسيّة والاجتهاعيّة الخطيرة، فقد انصرف الرجل وقد عاهد النبيّ عَيْلُهُ أن يترك الكذب، فلمّا انصرف من عند النبيّ عَيْلُهُ كانت نفسه مستأنسة بها بقي من المعاصي والقبائح التي كان يعملها دون الكذب، وبعد مدّة أخذ يحدّث نفسه بأن يفعل الزنا، ثم قال في نفسه: إن سألني النبيّ عَيْلُهُ عن ذلك ما سيكون جوابي؟! فإن أنكرت، كذبتُ وبذلك نقضت ما جعلت للنبيّ عَيْلُهُ من عهد، وإن أقررت بالزنا أجرى عليّ الحدّ. وبعد أن حدّث نفسه بهذا الحديث، قرّر ترك الزنا حتى لا يضع نفسه في ذلك الموقف. ثم بعد ذلك همّ أن يسرق، فحدّثته نفسه بهذا الحديث أيضاً، وكيف يعتذر للرسول عَيْلُهُ إن سأله؟! فإن قال له: سرقت، حدّه بحدّ السرقة، وإن كذب يكون قد نقض العهد الذي عاهد رسول الله عليه.

ثم بعد ذلك هم أن يشرب الخمر، فحد ثته نفسه أيضاً بالحديث نفسه، وإذا به قد ترك السرقة، والزنا، وشرب الخمر؛ لأنّه عاهد رسول الله على أن يكون صادقاً. فرجع إلى النبي على الله على الطريق الذي يخلّصه من هذه المعاصي، فقال للنبيّ: «قد أخذت على السبيل كُلّه، فقد تركتهن أجمع» (1). فكان ترك الكذب والالتزام

⁽١) النجم: آية٣_٤.

⁽٢) «وروي أنّ رجلاً قال للنبيّ أنا يا رسول الله أستسرّ بخلال أربع: الزنا، وشرب الخمر، والسرقة، والكذب. فليّا ولّى همّ بالزنا، فقال: والسرقة، والكذب. فليّا ولّى همّ بالزنا، فقال: يسألني، فإن جحدت نقضت ما جعلت له، وإن أقررتُ حُددت. ثمّ همّ بالسرقة، ثمّ بشرب

بالصدق، قد أغلق الطريق على سائر المعاصي.

الكذب على الله

من الظواهر المتفشيّة في هذه الأيّام أنّ بعض المنحرفين عقائديّاً صاروا يدّعون الاتّصال بالله تعالى، ويعتبرون أنفسهم ممثّلين عنه مباشرة (۱)، وأخذوا ينشرون أفكارهم بين البسطاء من الناس، لذا على المؤمنين الانتباه إلى أمثال هذه الدعاوى الضالّة، وما يفعله هؤلاء هو من أشدّ مراتب الكذب، وهو الكذب على الله تعالى، وقد أعدّ الله تعالى لهم العذاب الشديد.

وليعلموا أنَّ ما سيحصلون عليه من امتيازات دنيويّة _ كالجاه، وبعض المنزلة

الخمر، ففكّر في مثل ذلك، فرجع إليه، فقال: قد أخذت علي السبيل كُلّه، فقد تركتهنّ أجمع». شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد،: ج٢، ص٣٥٧.

⁽۱) بعد سقوط النظام الصدامي نشطت الحركات العقائديّة المنحرفة في مناطق وسط وجنوب العراق، وكانت هذه الحركات تشكّل ملمحاً بارزاً من ملامح المشهد العراقي في ذلك الوقت بالخصوص، وتشترك بهدف واحد، وهو القيام بعمليّات اغتيال تستهدف المرجعيّات ورجال الدين، وإرباك الوضع الذي كان هشّاً بسبب غياب سلطة القانون في بادئ الأمر، وجعل البلد على سكة الفوضى والاقتتال الداخلي.

⁽٢) الزمر: آية ٦٠.

⁽٣) يونس: آية ٦٩.

٢- الغيبة والنميمة

تعتبر الغيبة "والنميمة" من آفات اللسان الخطيرة، والذي يتبيّن من خلال النظر في المضامين التي وردت في الأحاديث، أنّها من الآفات التي يختص بها اللسان، وكذلك قذف المحصنة، وشهادة الزور، وسبّ المؤمن، والسخريّة، والاستهزاء.

٣ـ النفاق والتملّق

وهناك آفة خطيرة قد يُصاب بها بعض الأفراد، ويمكن أن تنتشر في المجتمع إن لم تُحارب ويُوقف منها موقفاً مضادّاً؛ لأنّها من الآفات التي تفكّك المجتمع، وتزرع فيه الضغينة والكره، وتدفع به إلى الانحلال، وغياب الترابط الاجتهاعي الصادق، وهذه الآفة يُطلق عليها اسم النفاق؛ فإنّ البعض يتملّق إلى شخص، فيغرقه بألفاظ

⁽١) يونس: آية ٧٠.

⁽٢) عُرِّفت الغيبة بأنها التنبيه حال غيبة الإنسان المعيّن أو بحكمه على ما يَكره نسبته اليه، ممّا هو حاصلٌ فيه، ويُعدُّ نقصاً بحسب العرف، قولاً أو إشارةً أو تعريضاً أو تصريحاً. وأمّا ما كان لغرض صحيح فلا يحرَم، كنصح المستشير، والتظلّم وسهاعه، والجرح والتعديل، وردّ مَن ادّعى نسباً ليس له، والقدح في مقالة باطلة، خصوصاً في الدين. انظر: الشهيد الثاني، زين الدين بن على، كشف الريبة عن أحكام الغيبة: ص٥ و٣٣.

وقد تحدّث سهاحة الشيخ عن هذا الموضوع بشكل مفصّل في الجزء الأوّل من هذا الكتاب، (ص٥٨-١٠٧).

⁽٣) النميمة: الوشاية، نقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد والفتنة. انظر: الشهيد الثاني، زين الدين بن على، كشف الريبة عن أحكام الغيبة: ص٣٩٠.

وقد تحدّث سهاحة الشيخ هذا الموضوع بشكل مفصّل في الخطبة الثامنة من المجلّد الأوّل (ص١١٢-١١٤).

المدح والثناء، ومشاعر المحبّة والمودّة، حتى إذا غاب عن نظره، وخرج من مجلسه، انقلب الأمر، فتحوّل ذلك المدح إلى انتقاص وتوهين واغتياب وذكر للطعون والعيوب، وهذه من الآفات التي يتّصف بها البعض، هداهم الله تعالى إلى طريق الصدق والأمانة.

وفي حديثٍ آخر عن أبي جعفر الله عنه عنه النه المُعَبْدُ عَبْدٌ يَكُونُ ذَا وَجْهَيْنِ وَذَا لِيَسْ الْعَبْدُ عَبْدٌ يَكُونُ ذَا وَجْهَيْنِ وَذَا لِسَانَيْنِ، يُطْرِي أَخَاهُ شَاهِداً، وَيَأْكُلُهُ غَائِباً، إِنْ أُعْطِيَ حَسَدَهُ، وَإِنِ ابْتُلِيَ خَذَلَهُ "".

سبل معالجة آفة اللسان

١. التفكّر في العواقب والآثار الناتجة عن ذلك

أ ـ العواقب الأُخرويّة

التفكّر في عواقب هذه الآفات، وما يترتّب عليها من عقوبة أُخرويّة ودنيويّة أمر مهمّ جدّاً، وهو مؤثّر في النفس، فقد أعدّ الله تعالى في يوم القيامة لمَن يفعلون هذه المعاصي العذاب الشديدَ، فقد ورد في حديث عن رسول الله: «يُعَذّبُ الله اللّسَانَ بِعَذَابٍ لَا يُعَذّبُ بِهِ شَيْعاً مِنَ الجُوارِح، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، عَذَابٍ مَ عُذَابٍ لَمْ تُعَذّب بِهِ شَيْعاً مِنَ الجُوارِح، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، عَذَابٍ لَمْ تُعَذَابٍ لَمْ تُعَذّب بِهِ شَيْعاً مِنَ الجُوارِح، فَيقُولُ: يَا رَبِّ، عَذَابٍ لَمْ تُعَذَابٍ لَمْ تُعَذّب بِهِ شَيْعاً مِنَ الجُوارِح! فَيُقُولُ: يَا رَبِّ، عَذَابٍ لَمْ وَمَعَارِبَها، فَسُفِكَ مِنَ الجُوارِح! فَيُقَالُ لَهُ: خَرَجَتْ مِنْكَ كَلِمَةٌ بَلَغَتْ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَها، فَسُفِكَ مِنَ اللّهُمُ الْحُرَامُ، وَأُخِذَ بِهَا المُالُ الحُرَامُ، وَانْتُهِكَ بِهَا المُحَارِمُ؛ فَوَعِزّتِي لَأُعَذّبَنَكَ بِعَذَابٍ لَا عَذَابٍ لَا عَدَابٍ لَا عَذَابٍ لَا عَذَابٍ لَا عَذَابٍ لَا عَذَابٍ لَا عَذَابٍ لِهِ شَيْعًا مِنْ جَوَارِحِك "".

⁽١) المجلسي، محمّد تقى، روضة المتّقين: ج١٢، ص١٣٧.

⁽٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣٤٣، باب ذي اللسانين، ح٢.

⁽٣) ابن بابويه، على بن الحسين، الإمامة والتبصرة: ص٣٤.

والحديث _ كما هو الظاهر _ يوضّح أنّ أشدّ الجوارح عذاباً يوم القيامة هو اللسان، وهذا الحديث ينطبق على التكفيريّين وأفعالهم بشكل واضح، فقد كانوا ينادون بقتل مَن يخالفهم بشكل صريح، ويدعون إلى ذلك، وعلى أثر ذلك أُزهقت الكثير من الأرواح بلا ذنب.

ومن المشاكل الاجتهاعيّة الخطيرة في مجتمعاتنا اقتتال بعض العشائر في ما بينها، حيث تُسفك على أثر ذلك الكثير من الدماء المحرّمة، والسبب كها تقدّم هو كلمة قالها أحدهم، وأُسيئ استخدامها في التأجيج بين المؤمنين، وإيقاع الاقتتال. وممّا يؤسف له أنّ هذا هو واقعنا الذي نعيشه، ونحن نشاهد كلّ يوم ضياع الكثير من الأُسر بسبب كلمة تخرج من أحد المغرضين أو الجاهلين.

ب العواقب الدنيويّة

أمّا المفاسد والأضرار الدنيويّة الناتجة من ارتكاب هذه الآفات فهو التطبّع على هذه المعاصي، فتصبح جزءاً من الإنسان، ومن ثم يتطوّر الأمر إلى أن يكون جريئاً على الله تعالى في ارتكاب هذه المعاصي وغيرها، ولن يجني في دار الدنيا إلّا الخزي والعار، وسينظر إليه المجتمع على أنّه شخص منحرف في سلوكه؛ لأنّ هذا النوع من المعاصي سينكشف أمام الناس ولو بعد مدّة، ليكشف عن خُبث السريرة وسوء النيّة، وبعد ذلك لا تبقى للإنسان قيمة في المجتمع، ويفقد بذلك الاحترام والتقدير، ولا يُرحَّب به أيّنها حلّ، وهذه من الآثار الدنيويّة التي تسبّبها آفة اللسان.

٢. مراقبة النفس ومحاسبتها

إنّ تقوية جانب الرقابة الذاتيّة في الإنسان له أهمّيّة كبيرة في التكامل الأخلاقي، فلا بدّ من مراقبة هذه الحالة في النفس، وجعلها ملازمةً لها، وقد ذكر القرآن الكريم

مجموعةً من الآيات القرآنية ('' تُبيّن أنّ ما ينطق به الإنسان صغيراً كان أم كبيراً، سيُكتب في سجل عمله، وسيُحاسب عليه حساباً عسيراً، خاصّةً إذا كان لكلامه آثار سلبيّة تنعكس على الأفراد والمجتمعات.

أمّا كيفيّة تنمية هذه الحالة المعنويّة، فيكون من خلال قراءة الآيات القرآنيّة التي تناولت هذا الجانب، والوقوف عندها والتأمّل في معانيها، ومحاولة استشعار ما تبيّنه من مضامين تربويّة.

ثم التأمّل في حديث النبيّ عَيَّالِيهُ في وصيّته لأبي ذرِّ (رضوان الله عليه): «... يَا أَبَا ذَرِّ، إِنَّ الله عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِل؛ فَلْيَتَّقِ الله المُرُقُّ وَلْيَعْلَمْ مَا يَقُولُ»(").

وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي بيّنت هذه المعاني، وحذّرت من الوقوع في فخّ الشيطان.

٣. التَرَيَّث وعدم التسرَّع في الكلام

من الطرق الناجعة في اجتناب الوقوع في آفات اللسان، هي التروّي حين الكلام، وبمعنى آخر: هو التأنّي قبل إطلاق الكلام؛ لأنّ التروّي يدلّ على رجاحة

⁽١) منها قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلِ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ق: آية ١٨. ﴿وَكَانَ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴾ الأحزاب: آية ٥٦. ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيْنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ غافر: آية ١٩.

⁽٢) عَنْ أَبِي ذَرِّ، عَنِ النبي عَيْنِ فِي وَصِيَّتِهِ لَهُ، قَالَ: (يَا أَبَا ذَرِّ، الذَّاكِرُ فِي الْغَافِلِينَ كَالْمُقَاتِلِ فِي الْفَارِّينَ فِي سَبِيلِ الله. يَا أَبَا ذَرِّ، الْجُلِيسِ السَّوْء، وَإِمْلَاءُ سَبِيلِ الله. يَا أَبَا ذَرِّ، الْجُلِيسِ السَّوْء، وَإِمْلَاءُ الْفَرِّ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ، وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلَاءِ الشَّرِّ. يَا أَبَا ذَرِّ، اتْرُكُ فُضُولَ الْكَلَامِ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنَ السُّكُوتِ، وَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْ إِمْلَاءِ الشَّرِّ. يَا أَبَا ذَرِّ، اتْرُكُ فُضُولَ الْكَلَامِ وَحَسْبُكَ مِنَ الْكَلَامِ مَا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ. يَا أَبَا ذَرِّ، كَفَى بِالْمُرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ. يَا أَبَا ذَرِّ، إِنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ أَحَقَّ بِطُولِ السِّجْنِ مِنَ اللِّسَانِ. يَا أَبَا ذَرِّ، إِنَّ الله عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ؟ وَكَنْ اللهُ عَنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ؟ فَلْيَتَقِ الله امْرُقُ وَلْيَعْلَمْ مَا يَقُولُ». الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٢، فَلْيَتَقِ الله امْرُقُ وَلْيَعْلَمْ مَا يَقُولُ». الحرّ العاملي، ح٤٤٤/١/١.

العقل والرَّزانة وطمأنينة القلب، وهو يعصم الإنسان مِن الضَّلال والخطأ الناتج من التسرّع في الكلام والحكم. والتَّأنِّي في الكلام وعدم التَّسرُّع ـ سواء في نقل الأخبار، أم في الحكم واتِّخاذ القرارات ـ يجعل الإنسان في مأمن من الخطأ أو المعصية.

إنّ هناك مَن يتلقّف الأخبار بمجرّد سهاعها، فينقلها أو يتسرَّع في الحكم فيها، وهذا كلّه من الآفات المهلكة، فإنّ التَّائِي في الأُمور محمود، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلّذِينَ ءَامَنُوٓا إِن جَاءَكُمُ فَاسِقُ بِنَبَإِ فَتَبَيَّنُواْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًا بِجَهَلَةٍ فَنُصْبِحُواْ عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَكِمِينَ ﴾ (١٠).

وهذا النوع من المعالجة قد جرّبتها بنفسي ووجدت أنّ لها الكثير من الآثار، فحينها يُريد الإنسان أن يتكلّم، فعليه أن يتأمّل ويتريث قليلاً قبل أن ينطق، ومن ثم يعرض الكلام على ميزان العقل والدين؛ فإن لم تكن هناك معارضة منهما فيمكن أن يتكلّم، وإلّا فليسكت، فإنّ في السكوت السلامة. وهذا المعنى يذكره أمير المؤمنين الله في قوله: «المُرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ، فَزِنْ كَلَامَكَ وَاعْرِضْهُ عَلَى الْعَقْلِ وَالمُعْرِفَة؛ فَإِنْ كَانَ لله وَفِي الله فَتَكلّم بِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسُّكُوتُ حَيْرٌ مِنْهُ» (۱۲).

⁽١) الحجرات: آية ٦.

⁽٢) قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبِ النَّلا: «المُرْءُ خَبُوءٌ تَعْتَ لِسَانِهِ، فَزِنْ كَلَامَكَ وَ اعْرِضْهُ عَلَى الْعَقْلِ وَ المُعْرِفَة، فَإِنْ كَانَ لللهُ وَفِي الله فَتَكَلَّمْ بِهِ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسُّكُوتُ خَيْرٌ مِنْهُ؛ وَلَيْسَ عَلَى الجُوَارِحِ أَخَفُ مَؤنَةً وَأَفْضَلُ مَنْزِلَةً وَأَعْظَمُ قَدْراً عِنْدَ الله مِنَ الْكَلامِ فِي رِضَاءِ الله وَلوَجْهِهِ وَنَشْرِ آلَائِهِ وَنَعْبَائِهِ فِي عِبَادِهِ؛ أَلا تَرَى أَنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ لَمُ يَعْعَلْ فِي ما بَيْنَهُ وَبَيْنُ رُسُلِهِ مَعْنَى يَكُشِفُ مَا أَسَرَّ إِلَيْهِمْ مِنْ مَكْنُونَاتِ عِلْمِهِ وَخَزُونَاتِ وَحْيِهِ غَيْرَ الْكَلام، وَكَذَلِكَ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالْأُمُم ثَبَتَ مَا أَسَرَّ إِلَيْهِمْ مِنْ مَكْنُونَاتِ عِلْمِهِ وَخَزُونَاتِ وَحْيِهِ غَيْرَ الْكَلام، وَكَذَلِكَ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالْأُمُم ثَبَتَ مَا أَشَرَّ إِلَيْهِمْ مِنْ مَكْنُونَاتِ عِلْمِهِ وَخَزُونَاتِ وَحْيِهِ غَيْرَ الْكَلَام، وَكَذَلِكَ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالْأُمَم ثَبَتَ مِنَا اللَّهُ وَالْعَبْدِ وَأَسْرَعُ عُقُوبَةً عِنْدَ اللَّهُ عَلَى اللهُ وَأَشْدُهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ مَنْ اللَّهُ عَلَى اللهُ وَأَشْدُهُ مَا الْوَسَائِلِ وَالْكُلَام، وَعَلَيْهِ فَعَلَى اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللَّهُ الْعَلَامُ وَالْعَمُونَ مَنْ اللَّسَانُ عَرْمُ الْقَيَامَةِ. وَالْكَمَامُ مَعْرُ تُسْكِر الله عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَقَ بِطُولِ السِّجْنِ مِنَ اللَّسَان». الْقُلُوبَ وَالْعُقُولَ مَا كَانَ مِنْهُ لِغَيْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَقَ بِطُولِ السِّجْنِ مِنَ اللَّسَان». النَّهُ وَالْمَارِي مَنَ اللَّسَان ». النَّهُ مِن اللَّسَان ». النَّهُ عَنْ وَالْمُولُ وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَقَ بِطُولِ السِّعْنِ مِنَ اللَّسَان». النَّهُ وَيَ مَا النَورِي مَلَى اللَّهُ مَنْ اللَّسَان ». النَّهُ لِغَيْر الله عَزَ وَجَلَّ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَقَ بِطُولِ السِّعْنِ مِنَ اللَّسَان ».

٤ اجتناب مجالس السوء

الابتعاد عن مجالسة الأشخاص الذين تعودوا أن ينالوا من الناس ويطعنوا بهم؛ فإنّ طبيعة الإنسان تتأثّر بالمحيط الذي يعيش فيه، وفي الوقت نفسه يحاول الشخص أن يُكثر من مجالسة أهل العلم والذكر؛ باعتبار أنّ ذلك سيؤثّر عليه في تهذيب نفسه وأخلاقه ولسانه، كما في الحديث الوارد عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عَلْ، قَالَ: «قَالَ رَسُولُ الله الله عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عَلْ مَنْ يُذَكِّرُكُمُ الله وَيُولِي وَيُرِيدُ فِي عِلْمِكُمْ مَنْطِقُهُ، وَيُرغِبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ» (١٠).

٥ حبس اللسان عن فضول القول

من جملة الأُمور المهمّة في هذا الجانب الابتعادُ عن الثرثرة وفضول الحديث؛ فإنّ كثرة الثرثرة والحديث تقود الإنسان إلى الحديث في ما لا يعنيه، ومن ثم الوقوع في المعصبة.

وقد ورد عن أمير المؤمنين ﷺ: «... ومَن كثر كلامه كثر خطؤه، ومَن كثر خطؤه قلَّ ورعه مات قلبه، ومَن مات قلبه دخل النار»(").

جملة من آداب الكلام

أختم هذه الخطبة بذكر بعض الآداب التي يحسن أن نتأدّب بها أثناء الكلام، وقد أوصانا بها الرسول على والأئمّة الطاهرون الله ولكنّ ممّا يؤسف له أنّها تغيب عن الكثير من أفراد المجتمع، وليس لها حضور إلّا عند القليل من المؤمنين. من تلك الآداب:

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٩، باب مجالسة العلماء وصحبتهم، ح٣.

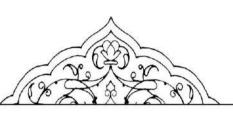
⁽٢) الفتال النيسابوري، محمّد بن الفتال، روضة الواعظين: ص٤٦٩.

1- الإقبال على المتحدّث والاستماع إليه وعدم مقاطعته إلى أن ينهي، فإذا انتهى من كلامه يمكن للإنسان المستمع أن يتكلّم ويُبيّن ما يُريد قوله، فإنّ مقاطعة الآخرين وعدم السهاح لهم بالكلام يبعث على الفوضى في الحديث، وغياب إمكان وصول المعنى المراد إيصاله للسامع، وهذا خلاف الآداب التي أوصى بها الإسلام.

٢_ الاختصار في الكلام وعدم الاستغراق والإسهاب في فضول القول
 والتكرار.

٣_ الاقتصار على ما هو ضروري، وعدم الخروج عن صلب الموضوع والدخول في تفريعات بعيدة عن محور الكلام؛ لأنّ هذا الأمر يستهلك وقت المستمع والمتكلّم بها لا فائدة منه.

والحمد لله ربّ العالمين.



الخطبة الخامسة والأربعون الاستقامة ودورها في حياة المؤمن

بتاریخ: ٥ / ٥ /۲۰۰٦م

وفيها المحاور التالية:

✓ الاستقامة في القرآن

🗸 معنى الاستقامة

🗸 وسائل الثبات على الاستقامة

🗠 الأُولى: الإرادة والعزيمة

لله الثانية: الحفاظ على طهارة القلب

الثالثة: الثقة بالله والتوكّل عليه

💯 الرابعة: الصبر

🗸 نهاذج قرآنيّة تحلّت بالصبر

طلامسة: التأمّل في ما أعده الله لأهل الاستقامة

بشارات أُعدّت لمن استقام في الدين

مقدّمة الخطبة

بير لِللهُ الدِّمْ يَالَتَحِيبُ فِي المُّالِكُمْ يَالْتُحِيبُ

الحُمْدُ لله بكلّ مَا حَمِدَه بِه أَدْنَى مَلَائِكَتِه إليه، وأَكْرَمُ خَلِيقَتِه عَلَيْه، وأَرْضَى حَامِدِيه لَدَيْه، حَمْداً يَفْضُلُ سَائِرَ الْحَمْدِ كَفَضْلِ رَبِّنَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِه. ثُمَّ لَه الْحَمْدُ مَكَانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَه عَلَيْنَا وعَلَى جَمِيعِ عِبَادِه اللَّاضِينَ والْبَاقِينَ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِه عِلْمُه مَكَانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَه عَلَيْنَا وعَلَى جَمِيعِ عِبَادِه اللَّاضِينَ والْبَاقِينَ عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِه عِلْمُه مِنْ جَمِيعِ الأَشْيَاء، ومَكَانَ كُلِّ وَاحِدةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً أَبَداً سَرْمَداً إلى مِنْ جَمِيعِ الأَشْيَاء، ومَكَانَ كُلِّ وَاحِدةٍ مِنْهَا عَدَدُها أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً أَبَداً سَرْمَداً إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَمْداً لَا مُنْتَهَى لِحِدِّه، ولَا حِسَابَ لِعَدَدِه، ولَا مَبْلَغَ لِغَايَتِه، ولَا انْقِطَاعَ لَا مُنْتَهَى لِحِدِّة، ولَا حِسَابَ لِعَدَدِه، ولَا مَبْلَغَ لِغَايَتِه، ولَا انْقِطَاعَ لَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَمْداً يَكُونُ وُصُلَةً إلى طَاعَتِه وعَفْوِه، وسَبَباً إلى رِضْوَانِه، وذَرِيعَةً إلى مَغْفِرَتِه، وطَرِيقاً إلى جَنَّتِه، وخَفِيراً مِنْ نَقِمَتِه، وأَمْناً مِنْ غَضَبِه، وظَهِيراً عَلَى طَاعَتِه، وحَاجِزاً وطَرِيقاً إلى جَنَّتِه، وعَوْناً عَلَى تَأْدِيَةِ حَقِّه ووَظَائِفِه، حَمْداً نَسْعَدُ بِه فِي السُّعَدَاءِ مِنْ أَوْلِيَائِه، ونَصِيرُ بِه فِي نَظْمِ الشُّهَدَاءِ بِسُيُوفِ أَعْدَائِه، إنَّه وَلِيُّ حَمِيدٌ".

والصلاة والسلام على محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

الاستقامة في القرآن

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اَسْتَقَامُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَيْهِكَ أَلْمَاكَيْكَ أَلَا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿ يَعَنَ أَوْلِيَا وَكُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الْلَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشَتَهِي النَّفُسُكُمُ وَلِكُمْ فِيهَا مَا نَشَتَهِي النَّهُ اللهُ عَلَى اللهُ ا

هذه الآيات القرآنيّة في سورة فُصّلت، وهي تتحدّث عن مقوّم أساسيٍّ من

⁽١) الصحيفة السجّاديّة: ص٣٢.

⁽٢) فصّلت: آية ٣٠ ـ ٣٢.

مقوّمات النجاح والتوفيق في الحياة الدنيا والآخرة، وما يمكّن الإنسان من الوصول إلى الهدف الذي يُريده الله تعالى منه، ألا وهو الاستقامة. وقد ذكرت بأنَّ الوصول إلى تلك المرتبة العالية لا يتحقّق بالإقرار لله بالربوبيّة، بل لا بدّ من أن يتبع هذا القولَ سلوكٌ عمليُّ، يكون داعهاً وسانداً لما يقول ويدّعي، ولا يمكن تحقيق هذا الهدف المهمّ بدون الوصول إلى مرحلة الاستقامة التي تحدّثت عنها الآية الكريمة.

ومن هنا نُريد أن نعرف ما هي الاستقامة المطلوبة التي ذكرتها الآية المباركة؟ وما هي علاماتها وكيفيّة الوصول إليها؟ وذلك لأهمّيّتها في المسيرة الرساليّة للفرد والمجتمع، فقد كانت العنوان والصفة البارزة لأصحاب الرسالات السهاويّة وأتباعهم من الصالحين، الذين أوصلوا أنفسهم وأتباعهم إلى الهداية والرشاد.

معنى الاستقامة

الاستقامة هي: الثبات على جادّة الشريعة المقدّسة(٠٠).

ولتوضيح هذا المعنى نقول: إنّ الإنسان يمرّ في حياته بمجموعة من المشاكل والصعوبات والابتلاءات، فمتى ما استطاع أن يصمد ويصبر، ويتحمّل تلك

⁽۱) قال الراغب: «والاسْتِقَامَةُ يقال في الطريق الذي يكون على خطَّ مستو، وبه شبّه طريق المحقّ. نحو: ﴿ آهْدِنَا آلَصِرَطَ آلْمُسْتَقِيمًا ﴾ [الفاتحة: آية ۲]، ﴿ وَأَنَّ هَلْذَا صِرَطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [الأنعام: آية ۱۵]، ﴿ وَأَنَّ هَلْذَا صِرَطِى مُسْتَقِيمًا ﴾ [الأنعام: آية ۱۵]، ﴿ وَاسْتِقَامَةُ الإنسان: لزومه المنهج المستقيم. نحو قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَدَمُواْ ﴾، [فصّلت: آية ۳۰]، وقال: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كُمَا آُمِرْتَ ﴾ [هود: آية ۱۱]». الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، مفردات ألفاظ القرآن: ص ۱۹۲.

وقال الطباطبائي في تفسيره: «المراد بقوله: ﴿ثُمَّ اَسْتَقَدَمُواْ ﴾ لزوم وسط الطريق من غير ميل وانحراف، والثبات على القول الذي قالوه، قال تعالى: ﴿فَمَا اَسْتَقَدَمُواْ لَكُمُ فَاسْتَقِيمُواْ لَمُمُّ ﴾. [التوبة: آية٧]، وقال: ﴿ وَاَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا نَنْبِعُ أَهْوَاءَهُمْ ﴾. [الشورى: آية١٥]». الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٧، ص٣٨٩.

الاختبارات والابتلاءات فسوف يصل إلى الهدف المنشود؛ ومن ثَمّ ينال رضا الله تعالى.

لكنّه متى ما تراجع وتخاذل، أو توقّف وانحرف عن الطريق، فحينئذٍ وقع في الهلاك، وخسر الدنيا والآخرة، ولن يصل إلى هدفه ومنشوده.

وهذا الأمر ينعكس بشكل جلي وواضح على الذين يتحمّلون المسؤوليّات الدينيّة والدنيويّة؛ فإنّهم يمرّون في مرحلة من مراحل حياتهم بمجموعة من المعوّقات والمصاعب، فلا بدّ أن يتسلّح الإنسان المؤمن بها يؤدّي إلى صموده في هذا الطريق، حتى يصل إلى الهدف الذي يكافح ويتحمّل الصعوبات من أجل تحقيقه.

وبعبارة أخرى: إنَّ في الحياة مغريات مادّيّة، كالشهوة المحرّمة، أو المال الحرام، أو المنصب المرموق، فإن لم يصمد الإنسان أمام هذه المحرّمات والمغريات، تعذّر عليه الوصول إلى الأهداف السامية والنبيلة التي خُلق لأجلها.

وكذلك قد تمرّ الأُمّة أو الفرد في فترة ما يشتدّ فيها الصراع بين الحقّ والباطل، ممّا يقتضي أن يكون هناك موقف يتّصف بالصلابة والثبات من أجل نصرة الحقّ، والوقوف بوجه الباطل، كها لو تعرّض الفرد أو المجتمع إلى اختبار وامتحان، سواء كان سياسيّاً، أم اقتصاديّاً، أم اجتهاعيّاً، أم عقائديّاً كمسألة الإمامة التي تمثّل موقفاً فكريّاً وسياسيّاً، ففي هذا الاختبار يتجسّد صدق الموقف الحقّ، وإمكانيّة الثبات على عليه، لذا يُعبِّر القرآن الكريم عن هذا بقوله: ﴿ إِنَّ الّذِينَ قَالُواْ رَبُّنا ﴾، أي: الثبات على المواقف، وعدم الانحراف عنها أمام نوازع النفس وشهواتها، وما تقتضيه العواطف والمهول.

وقد بيّنتْ بعض الروايات ـ كما في الرواية الواردة عن الإمام الصادق الله ـ بأنّ

الاستقامة بمعناها الأوسع والأشمل هي القبول بقيادة أهل البيت الله الله الأمّة (١٠) لأنّ هذه القيادة تمثّل الخطّ الإسلامي الأصيل في جميع ميادين الحياة الإسلامية، وهذا ما يحقّق التقدّم والرفاه للفرد والمجتمع، وهنا يأتي الثبات والاستقامة في الحفاظ على المنجزات دنيويّة كانت أم أُخرويّة.

وكما هو الحال في ما تطرحه المرجعيّة الدينيّة من مواقف سياسيّة، أو اجتماعيّة، أو أيّ موقف آخر يتناول شأناً من شؤون الحياة، وكانت الأهواء تُنازع الفرد في مخالفة هذا الأمر، فهنا يأتي الحفاظ على الاستقامة، فهل يصمد الإنسان ويثبت على الموقف الصحيح المطلوب؟

وقد يتسلّط على الأُمّة حاكم ظالم، يسومها الذلّ، والهوان، والعذاب، والتشريد، والتنكيل، والسجون، فعند ذلك تتصارع في داخل الفرد والمجتمع قوّتان؛ قوّة تميل به إلى الدنيا والسلامة والراحة، وأُخرى تميل به إلى حبّ التضحية بنفسه، أو بهاله، أو بشيء آخر؛ وهي ما يُعبّر عنها بحالة الصراع بين الحقّ والباطل، فمتى ما دبّ إليه الوهن والضعف واليأس والتخاذل والتراجع فحينئذٍ يتعذّر عليه الوصول إلى الهدف المطلوب.

وسائل الثبات على الاستقامة

لا بدّ أن نتعرّف إلى العوامل التي تُعيننا على الوصول إلى الاستقامة الواردة في القرآن الكريم، ويمكن عدّها في ما يلى:

⁽١) عن محمّد بن مسلم، قال: سألت أبا عبد الله الله عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ اللَّهُ عَلَمُوا رَبُّنَا اللّهُ ثُمَّ اَسْتَقَمُوا ﴾؟ فقال أبو عبد الله الله : «استقاموا على الأئمّة واحدا بعد واحد ﴿ تَـتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ اللَّهَ عَمَّدُ الله عَمَّدُ الله عَمَّدُ بن المُكليني، محمّد بن المُكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص ٢٢٠.

الأُولى: الإرادة والعزيمة

إنّ أوّل أمر يحتاجه الإنسان حتى يصل إلى هذه المرتبة هو: أن يكون متحلّياً بالإرادة والعزيمة والهمّة والرغبة للوصول إلى هذه المرتبة من الاستقامة، ثم بعد ذلك يأتى العون من الله تعالى، كما تتحدّث عنه الآيات القرآنيّة.

الثانية: الحفاظ على طهارة القلب

كما ورد في الحديث: «لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»(۱). متى ما طهّر الإنسان قلبه من التكبّر، والحسد، والعُجب، والرياء، والمفاخرة، والمباهاة، وبقيّة الرذائل القلبيّة؛ تمكّن من الانطلاق في رحلة الاستقامة.

الثالثة: الثقة بالله والتوكّل عليه

ممّا لا شكّ فيه أنّ للإنسان آمالاً وطموحات وحاجات، وهو بحاجة إلى الكفاح والصبر لينالها، ولا بدّ في كلّ الأحوال من الثقة بالله تعالى والتوكّل عليه، سواء كان الهدف الذي ينشده الإنسان دنيويّاً ينسجم مع الأهداف الأُخرويّة، أم هدفاً أُخرويّاً محضاً؛ لأنّ الله تعالى يرافق المؤمن في هذه الرحلة من خلال نصره وتأييده له في خطواته التكامليّة، وحينئذٍ ستتولّد لدى المؤمن الهمّة، وصلابة الموقف، والثبات والصمود، والصبر أمام المعوّقات والمشاكل والمحن، وقد ورد في الحديث النبويّ: «الأمل رحمة لأُمّتي، ولولا الأمل ما أرضعت والدة ولدها، ولا غرس غارس شحرةً» (").

وهذا مصداق من مصاديق السعى في الحياة الدنيا؛ فإنَّ الذي يغرس الشجر

⁽١) نهج البلاغة، خطب الإمام على: ج٢ ص٩٤.

⁽٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٧٤، ص١٧٣، ح٨.

يبتدئ ببذرة صغيرة، أو شجرة صغيرة، ولو لم يكن لديه الأمل في أنّ عمله الذي تُحيطه الصعاب والتحدّيات والمعوّقات سيثمر، وأنّ هناك فائدةً سيجنيها من وراء هذا الغرس، لما أقدم على ذلك العمل.

وهذا الأمل نفسه عند الأُمّ عندما ترضع طفلها وتعتني به؛ فإنّها تقوم بذلك على أمل أن يكبر، ويصبح عضواً فاعلاً يرفد المجتمع بالعطاء والطاقة، وإن غاب الأمل والرجاء فلا يوجد مبرّر لتحمّل هذا العناء والمشقّة.

في قِبال هذا، فإنّ الكثير من المؤمنين قد يدبّ اليأس والقنوط في أنفسهم من الوصول إلى الهدف والمبتغى، وذلك عندما تواجههم المعوّقات والمصاعب والمشاكل، وهذا اليأس يبعث على الفتور، وعدم الهمّة والاندفاع للوصول إلى الهدف. فيجب أن نجعل التوكّل والأمل دائماً وأبداً معلّقاً بالله تعالى، فإنّه وحده القادر على الأخذ بيد عباده للوصول إلى الهدف والمبتغى والمقصد، ومها كانت العقبات والشدائد والابتلاءات والمحن التي يمرّ بها فإنّ الله لن يتخلّى عنه.

الرابعة : الصبر

الكثير من الناس لا يمتلكون ذلك الرصيد من الصبر والمقاومة لكي يصلوا إلى هدفهم المنشود، ولو تأمّلنا الآيات القرآنيّة التي تصف مسيرة الأنبياء، سنجد أنّ سرّاً من الأسرار الأساسيّة في بلوغ الأنبياء هذه المرتبة العالية من المنزلة والمكانة وتحقيق الأهداف، هو تحلّيهم بالصبر وتحمّلهم للشدائد والمحن والاختبارات التي تعترضهم.

فإذا أراد الإنسان أن يصل إلى الاستقامة التي أرادها الله تعالى؛ فعليه أن يتدبّر في قصص الأنبياء والأئمّة وأصحابهم، ولو قرأنا آيات سورة الكهف لاعتبرنا من قصّة أُولئك الفتية الذين ضحّوا بمكانتهم الدنيويّة، فقد كانت لهم المواقع المهمّة في

رئاسة الدولة آنذاك، ولكنّهم تخلّوا عنها، وزهدوا فيها، من أجل أن يقولوا كلمة الحقّ، فتعرّضوا للسجن والتعذيب والتنكيل من أجل أن يكون لهم الموقف الثابت في نصرة الحقّ، ولم تثنهم الصعوبات أبداً، حتى بلغوا ذلك المبلغ.

نماذج قرآنية تحلّت بالصبر

ولو تأمّلنا كذلك في قصّة موسى والخضر اليَّكِيا؛ فسنجد أنّ الصبر كان عنصراً أساسيًا في بلوغ الهدف والمقصد.

وكذلك في قصّة ذي القرنين، وقصّة نوح الله الذي دعا أُمّته إلى التوحيد وعبادة الله (٩٥٠) سنة، وكانوا يصدّون عنه ويعرضون، لكنّه مع ذلك بقي صابراً محتسباً لم يتراجع أبداً، ولم يتخاذل عن المضي في تلك المسيرة التوحيديّة، حتى يصل إلى الهدف الذي ينشده، وبعد هذه السنين الطوال لم يؤمن إلّا نفر قليل من أُمّته، مع ذلك بقي مئات السنين يواصل طريقه في الدعوة إلى الله، وهو يواجه التحدّيات والمصاعب وإعراض الناس عنه، وما بلغ هذه المرتبة إلّا بذلك الصمود والصبر.

ولو تأمّلنا في مسيرة نبيّنا محمّد عَيْنَ وكيف أنّه تعرّض للابتلاءات والمصاعب، والمعاناة النفسيّة الشديدة منذ صغره ونعومة أظفاره؛ حيث فَقَدَ والديه، وعاش يتيها، وبعد الدعوة إلى الإسلام تعرّض للأذى النفسي والجسدي، حتى قال: «مَا أُوذِي نَبِيٌّ مِثْلَ مَا أُوذِيتُ» ((). وكان يواجه كلّ ذلك الأذى، وتلك المحن والابتلاءات، حتى المعاناة النفسيّة من بعض أصحابه وأتباعه فضلاً عن مشركي قريش وكفّارهم ومع ذلك استمرّ في تلك الرحلة الشاقة، متسلّحاً بالصبر والتحمّل، وهو يحمل الروح الكبيرة في مواجهة العالم، إلى أن بلغ الهدف الأسمى الذي كان ينشده، وبلغ بهذه الأمّة المراتب العالية.

⁽١) ابن شهر آشوب، محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب: ج٣، ص٢٤٧.

ثم سيرة الأئمة إلى وأصحابهم، كميثم التهار الذي تحمّل الكثير، وكان أمير المؤمنين في قد أبلغه بأنّه سيغادر الدنيا شهيداً صابراً محتسباً، حيث يُصلب على جذع نخلة في الكوفة، وتُقطع يداه ورجلاه، ومع ذلك كان لسانه يلهج بذكر فضائل على في وعندما عجزوا عن إسكاته عمدوا إلى قطع لسانه أيضاً.

وقصص أولياء الله وأصحاب الأئمّة في هذا المجال كثيرة، ولا حصر لها في مختلف المواقف النبيّلة التي قدمت لنا دروساً في الصبر والثبات على المبدأ، والنهج الإسلامي الأصيل.

الخامسة: التأمّل في ما أعدّ الله لهم من الثواب

ولو سأل الإنسان نفسه عمّا امتاز به هؤلاء العظماء عنّا، ولا أقصد الأنبياء والأئمّة الميّة عنّا فقد يُشكِل البعض بأنّهم في مرتبة لا يمكن أن نصل إليها وإنّما أقصد غيرهم من الأولياء والصالحين الذين وصلوا إلى مرتبة الاستقامة والثبات.

فعلينا أن نسأل أنفسنا: ما الذي ينقصنا عن هؤلاء العظاء الذين بلغوا هذه المرتبة من الكمال الإنساني، وحقّقوا أهدافهم؟

وبعد التأمّل سنجد أنّ الفارق بيننا وبينهم هو قوّة الإيهان بالله تعالى، والاستقامة، والصبر والصمود، والتحمّل في سبيل المبدأ والعقيدة، ولو كانت عندنا الإرادة والهمّة العالية من التحمّل والصبر والصمود وصلابة الموقف في التخلّى عن الملذّات الدنيويّة الفانية، فإنّنا سنصل إلى تلك المرتبة.

ومن هنا ندعو إلى قراءة قصص العظهاء، وقصص الأنبياء في القرآن الكريم، مع التدبّر والتأمّل والتفكّر في تلك المعاني، ثم العزم المنبثق عن قناعة في داخل النفس على الصبر والصمود في مواجهة هذه الامتحانات والابتلاءات، بالثبات والاستقامة، فإنّ عدم التراجع والتخاذل والانهزام أمام الأعداء _ مها كانوا _ يوصل الإنسان المؤمن والأمّة المؤمنة إلى مقصودها وأهدافها.

بشارات أعدّت للمؤمنين

نعود إلى ما بشّر به القرآن الكريم المؤمنين، وهي الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَ ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَدَمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَيْكِكَةُ ٱلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ (١).

لقد أعد الله تعالى مجموعةً من البشارات لمَن استطاع أن يُحافظ على مسيرة الاستقامة في عمله، ولم يركن إلى الدنيا ومغرياتها، فقد وعده الله تعالى بمجموعة من البشارات هي حصيلة ثباته واستقامته على الطريق الصحيح، وقد ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم في الآية المتقدّمة، وهي:

١. تنزّل الملائكة، والأمن، وعدم الحزن

عندما يتعرّض الإنسان للمحن والاختبارات الشديدة، والتي ربّم تجعله يتراجع عن موقفه، يأتي المدد المعنوي من الله تعالى بواسطة الملائكة التي تُلقي في قلب المؤمن ما يُطمئنه، ويُعيد إليه الهمّة والاندفاع لتحقيق الهدف".

(١) فصّلت: آية ٣٠.

⁽٢) وقع البحث بين المفسّرين في تفسير (تنزّل الملائكة) على المؤمنين، فقال في تفسير الأمثل: «هل نزول الملائكة على المؤمنين المستقيمين يتمّ أثناء الموت والانتقال من هذا العالم إلى العالم الآخر كها يحتمل ذلك بعض المفسّرين، أم أن نزولهم يكون في ثلاثة مواطن، عند (الموت)، وعند (دخول القبر)، وعند (الإحياء والبعث والنشور). أو إنّ هذه البشائر تكون دائمةً و مستمّرةً، و تتمّ بواسطة الإلهام المعنوي، حيث تستقرّ الحقائق في أعهاق المؤمنين بالرغم من أنّها في لحظة الموت ولحظة الحشر تكون بشائر الملائكة أجلى وأوضح؟

يبدو أنَّ المعنى الأخير أنسب؛ وذلك لعدم وجود قيد أو شرط في الآية.

ويؤيد ذلك: أنّ الملائكة تقول في البشارة الرّابعة: ﴿ مَحَنُ أُولِيكَ أَوُكُمُ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱللَّهُ نَيكَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾، وهذا دليل على أنّ المؤمنين من ذوي الاستقامة يسمعون هذا الكلام من الملائكة في الدنيا عندما يكونون أحياءً، إلّا أنّ ذلك لا يكون باللسان واللفظ، بل يسمعون ذلك بأذان قلوبهم بها يشعرون به من هدوء واستقرار وسكينة وإحساس كبير بالراحة عند المشاكل والصعاب.

صحيح أنَّ بعض الروايات قيَّدتُ نزول الملائكة وحضُورُهم عند الموت، إلّا أنَّ ثمّة روايات أُخرى أشارتْ إلى معنى أوسع يشمل الحياة أيضاً.

وهذا ما يدركه المؤمن بشكل واضح وجليّ في حياته وعلاقته مع الله تعالى، فقد يمرّ بعض المؤمنين في لحظةٍ ما يشعر فيها بالضعف أمام المغريات الدنيويّة، فيتّجه نحو ارتكاب معصية من المعاصي، كما لو عُرضت عليه الأموال والمناصب من أجل اتّخاذ موقف أو قرار أو فعل ليس لله فيه رضاً، فيكون سبباً في الابتعاد عن طريق الاستقامة، ولكنّه لو اتّخذ القرار الصحيح في أن يبقى على استقامته ولا يخالف التكليف الشرعي؛ فإنّ ذلك يجرمه الكثير من الامتيازات الماديّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

وكما لو تعرّض الإنسان إلى ظلم الحاكم الجائر، فيدخل السجن ويُعذّب ويتحمّل الأذى في سبيل الثبات على الموقف، لكنّه قد تسوّل له نفسه أن يتخلّى عن الحقّ، وطريق الاستقامة، لينجو من الأذى، ولكنّ ذلك على حساب خسارة رضا الله تعالى، والتخلّى عن طريق الحقّ.

ولكن في تلك اللحظة الحرجة ربّما ينقدح في قلبه ما يذكّره بالله، وعواقب تلك المعصية في الآخرة، فيحلّ في القلب الخوف من لله تعالى والرغبة في البقاء مرتبطاً به تعالى، فينصرف بذلك عن ارتكاب المعصية، وهذا هو ما تُشير إليه الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَدَمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَيْكِكَةُ ٱلّا تَخَافُواْ وَلَا يَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِالْجُنَّةِ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾.

 \Rightarrow

ويمكن أن نستنتج من مجموع الروايات أنَّ ذكر خصوص الموت هو بعنوان المصداق لهذا المفهوم الواسع، ونعرف هنا أنَّ التفاسير الواردة في الروايات غالباً ما توضّح المصاديق. إنَّ بشائر الملائكة ستشع في أرواح المؤمنين وأعماق ذوي الاستقامة حتى تهبهم القوّة والقدرة على مواجهة أعاصير الحياة ومشقّاتها، وتثبّت أقدامهم من السقوط و الانحراف». مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٥، ص٢٠٠ ـ ٤٠٣.

وورد في مجمع البيان: «قيل: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا، أي نحرسكم في الدنيا، وعند الموت، وفي الآخرة. عن أبي جعفر». الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن: ج٩ ص١٩.

فلا تحزنوا على ما فقد تمّوه من حظوظ الدنيا بسبب الثبات على الموقف، وعدم التخلّي عن مبدأ الاستقامة، فيأتي التأييد من قِبل الباري، من خلال ما يقذفه من نفحات إيهانيّة في قلب المؤمن، فيُؤيَّد من الملائكة، فيندفع في اتّخاذ الموقف المطلوب، والثبات عليه.

٢. الدخول في ولاية الله

ثم يذكر القرآن الكريم بشارةً أُخرى، وهي: ﴿ نَحَنُ أَوْلِيا َوُكُمُ فِي ٱلْحَيَوْةِ ٱلدُّنِيا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾، وهذه من البشارات التي وعد الله بها عباده الذين استقاموا وقالوا: ربّنا الله. سيكون الله مولاهم في الدنيا والآخرة، فيكون معهم ناصراً، ومؤيداً لهم بالملائكة، وهذا يتحقّق عندما تكون الأُمّة صابرةً وصامدةً. أمّا الأُمّة التي يُصيبها الوهن والضعف والتخاذل والتراجع، فليس لها نصيب من هذه العناية والتسديد من الله تعالى.

٣. البشرى بالجنّة ونعيمها

أعد الله تعالى لهم الجنة يدخلونها بسلام، والحياة في ذلك العالم هي الحياة الحقيقية التي ستُمنح لهم، وأمّا هذه الحياة فهي سراب ووهم، فهي حياة مليئة بالكدر والهم والمرض والفقر والجهل، والكثير من العذاب والشقاء والحرمان، بينها حياة الآخرة هي غنى لا فقر معه، وعلم لا جهل معه، وصحة لا سقم معها، وشباب لا هرم معه. هذه هي الحياة الحقيقية التي بشّرت بها الملائكة: ﴿ نَعْنُ وَشِبَابِ لا هرم معه. هذه هي الخياة الحقيقية التي بشّرت بها الملائكة: ﴿ نَعْنُ أَوْلِيَ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْ تَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْ تَهِي آنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْ تَهِي آنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْ تَهِي آنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْ تَهِي اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ فِيهَا مَا تَشْ تَهِي آنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْ تَهِي اللَّهُ عَلَى اللَّهُ اللّهُ الللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّه

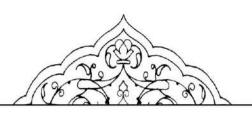
فهذه البشارة من أعظم البشائر التي وعد الله تعالى بها عباده، وما أعظمها من

⁽١) فصّلت: آبة ٣١.

بشارة! فإنّ هذه الثلة من العباد سينزلون ضيوفاً على الله تعالى الذي لا حدود لكرمه وفضله وجوده، وساحة الضيافة هي الجنّة التي تُمثّل ساحة الحياة الحقيقيّة الأبديّة.

نسأل الله تعالى لكم ولنا وللأُمّة المسلمة جميعاً الاستقامة والثبات والصمود، إنّه سميع مجيب.

والحمد لله رتّ العالمين.



الخطبة السادسة والأربعون في رحاب دعاء الإمام زين العابدين السلام

لجيرانه وأوليائه بتاريخ: ۱۲/ ۵/ ۲۰۰۲م

وفيها المحاور التالية:

المحور الأوّل: مكانة الجار وحقوقه في الإسلام

🔪 مفهوم الجار

الإسلام مكانة الجار في الإسلام على المرابع ال

ك حقوق الجار في الإسلام

🔪 المحور الثاني: جملة من حقوق الموالي

حقيقة مَن تولّى أهل البيت البياليا

🗸 جملة من صفات مَواليّ لأهل البيت اليِّكِ

💯 ۱_کتمان السرّ

🖐 ۲_ستر عورات المؤمنين

سي ٣- العطاء قبل السؤال عطاء السؤال

٤ مقابلة الإساءة بالإحسان

🗠 ٥_حسن الظنّ بالآخرين

مقدمة الخطبة

بيْد لِمَا لِللَّهُ الدُّمْ يَرَالُكُمْ يَرَالُكُمْ يَسْتُمْ

الحمد لله ربّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيّدنا ونبيّنا أفضل الخلق أجمعين محمّد وعلى آله الطيّبين الطاهرين.

الْحُمْدُ لله الأُوَّلِ بِلا أُوَّلِ كَانَ قَبْلَه، والآخِرِ بِلَا آخِرِ يَكُونُ بَعْدَه، الَّذِي قَصُرَتِه عَنْ رُوْيَتِه أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ، وعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِه أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ، ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِه الْخُلْقَ ابْتِدَاعاً، واخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِه اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِمِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِه، وبَعَتَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِه، لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْه، ولَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّماً إلى مَا أَخْرَهُمْ عَنْه، وجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِه، لَا يَنْقُصُ مَنْ زَادَه نَاقِصٌ، ولَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدٌ، ثُمَّ ضَرَبَ لَه فِي الْحَيَاةِ أَجَلًا مَوْقُوتاً، ونَصَبَ لَه أَمَداً مَحْدُوداً، يَتَخَطَّى إليه بِأَيَّامِ عُمُرِه، ويَرْهَقُه بِأَعْوَامٍ دَهْرِه، حَتَّى إذا بَلَغَ وَنَعَبَ أَثَرِه، واسْتَوْعَبَ حِسَابَ عُمُرِه، قَبَضَه إلى مَا نَدَبَه إليه مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه، أَوْ فَرَا بَلَغَ فَرَه بِعَلَوا وَبَحْزِي ٱلّذِينَ أَصَعُولُ مِعَلُوا وَبَحْزِي ٱلّذِينَ أَحْسَنُوا بِمَا عَمُوهُ إِلَا مَا نَدَبَه إليه مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه، أَوْ يَعْدُورِ عَقَابِه، ﴿ لِيَجْزِى ٱلنِينَ أَسَعُوا بِمَا عَمِلُوا وَبَحْزِى ٱلّذِينَ أَحْسَنُوا بِاللّه مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه، أَوْ فَيَعْ وَالْمَا مَا الله مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه، أَوْ الْمَاتُوعُ مِنَ مَالَكُ مَا لَذَه الله مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه، أَوْمَ مَا عَلَيْه وَلَا لَكُولُ وَلَمْ إِلَيْنَ الْعَلَقِ أَوْمَ لَا الله مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه، أَوْمَا فَهُ مِنْ مَوْفُورِ عَقَابِه، فَلَا لَكُولُ وَعَلَيْهُ مِنْ أَلْ فَعُلُوا وَيَعْزِى ٱلْذِينَ أَوْمِهُ الْمَالِقُومُ الْمَالِمُ الْمَلْ أَلَا لَيْ الْمَنْ فَوْلِ مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه، الْمَلْهُ فُورِ عَقَابِه، هُولِهُ وَلَوْلَهُ عَلَاهُ اللّهُ مَا نَذَهُ وَلَا اللّهُ مَا نَذَهُ اللّه مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه، اللهُ مَا نَذَهُ وَالْمَ الْمَالِعُ مُولِولِهُ الْمِنْ الْمُعَلِّ اللهُ مَا مَا لَهُ مَا مَا لَلْهُ اللّهُ اللهُ مَا مَوْفُورِ ثَوَالِهُ اللّهُ الْمُؤْورِ وَلَالْهُ الْمُؤْمِ اللّهُ الْمُؤْمِ اللّهُ الْمُؤْمِ اللّهُ الْمُؤْمِ اللّهُ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الللّهُ الْمُؤْمِ اللّهُ الْمُؤْمِ اللْمُؤْمِ اللّهُ ال

اللَّهمّ صلِّ وسلّم على سيّد رسلك وأنبيائك محمّد وآلِ بيته الطيّبين الطاهرين.

المقدّمة

ممّا لا يخفى على الجميع أنَّ ما خلّفه لنا الإمام زين العابدين من تراث كبير ـ من الأدعية والمناجاة ـ يشغل مكانةً كبيرةً في الفكر الإسلامي، وخاصّةً عند مدرسة

⁽١) النجم: آية ٣١.

⁽٢) الصحيفة السجّاديّة: ص٢٨.

أهل البيت الله الأهداف التي توخّاها الإمام من هذا الأثر المبارك هي أكبر من مجرّد المهارسة الروحيّة بين العبد وربّه، أو المنفعة الضيّقة، فقد وضع الله تلك الأدعية والمناجاة ليكون لها انعكاسات إيجابيّة على السلوك الخارجي، فتكون بذلك ذات تأثير اجتهاعي وإنساني له ثمرات عمليّة تُسهم في بناء قواعد المجتمع السليم، وبذلك قد أخرجها الإمام عن مجرّد المهارسة الجافّة ـ اللقلقة اللسانيّة ـ الخالية من المعنى، يعيشها الإنسان في أوقات معينة ثم تزول وتتلاشى.

لقد كان الإمام يتوخّى منها أهدافاً ذات مضامين عالية، ومن أهمّ الأهداف في هذا المجال هو تأسيس مقوّمات التربية الإسلاميّة الأصيلة، وتوجيه المؤمنين باتّجاه السلوك الصحيح في أداء دورهم في هذه الحياة.

إنّ الإمام الله قد ركّز بالدرجة الأساس على شيعة أهل البيت الله ، فهم الهدف الأوّل؛ لكونهم يمثّلون مدرسة أهل البيت الله فقد شكّلت مكارم الأخلاق، وآداب السلوك والتعامل مع الآخرين محوراً مهمّاً من محاور أدعية الصحيفة السجّاديّة المباركة.

ومن هنا كان لزاماً علينا التوجّه إلى معرفة حقيقة أنفسنا، ومقدار ارتباطها بأهل البيت الله من خلال اتباعنا لمضامين الأدعية الواردة في هذه الصحيفة المباركة، ومقدار تأثيرها على سلوكنا الخارجي؛ فإنّ العمل بتلك المضامين يكشف عن صدق اتباعنا لهم الله .

المحور الأوّل: مكانة الجار وحقوقه في الإسلام

من الخصال الحميدة في التعامل الاجتهاعي ممّا ورد في أدعية الصحيفة السجّاديّة المباركة هو الدعاء للجيران، وقد تضمّن التأكيد على مراعاة حقّ الجار بشكل يُسهم في بناء العلاقات الرصينة بين أفراد المجتمع. قال الله «اللّهم صلّ على محمّد وآلِ محمّد، وتَوَلَّنِي فِي جِيرَانِي ومَوَالِيَّ الْعَارِفِينَ بِحَقِّنَا، والمُنابِذِينَ لأَعْدَائِنَا بِأَفْضَلِ وَلَايَتِكَ»(۱).

⁽١) الصحيفة السجّاديّة: دعاؤه لجيرانه وأوليائه.

وبعد ذلك يشرع الإمام في بيان تفاصيل هذه المارسة السلوكية التي تُسهم في إصلاح النفوس وزرع المحبّة وزيادة أواصر الترابط بين المجتمع، وهو ما يبتغيه في دعائه، فيقول: «ووَفِّقُهُمْ لإِقَامَةِ سُنَّتِكَ، والأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ فِي إِرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ، وهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، ومُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وسَدِّ خَلَتِهِمْ، وعِيَادَةِ مَريضِهِمْ، وهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، ومُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وتَعَهُّدِ قَادِمِهِمْ، وكِتْبَانِ أَسْرَارِهِمْ» (الله فإن مضامين ما ورد في هذا الفقرة التي تعلقت بحقوق الجيران تحمل منهجاً تربويّاً وأخلاقيّاً ينبغي أن يتبعه الموالون لأهل الميتاهية في كيفيّة المعاشرة في ما بينهم.

مفهوم الجار

وقبل الدخول في بيان حقوق الجار لا بدّ أن نقف على بيان مفهوم الجار الوارد في الأحاديث النبويّة المقدّسة، وما هو المقصود منه؛ حيث وقع الخلاف في بيان مفهوم الجوار وحدوده، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي للجار عن معناه اللَّغوي، فالجار في اللغة هو الملاصق في السكن ".

أمّا في الاصطلاح فقد ذهب الفقهاء في تحديد مفهوم الجار إلى ثلاثة أقوال: الأوّل: أنّ الجار مَن يلي دارك إلى أربعين ذراعاً من كلّ جانب.

⁽١) الصحيفة السجّاديّة: ص١٢٤.

⁽٢) جاء في لسان العرب: «الجارُ الذي يُجاوِرُك بَيْتَ بَيْتَ». ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج٤، ص١٥٤. وفي المصباح المنير: «وَالجُّارُ المُجَاوِرُ فِي السَّكَنِ، وَالجُّمْعُ جِيرَانٌ، وَجَاوَرَهُ مُجَاوَرَهُ مُجَاوَرَةً وَجِوَاراً مِنْ بَابِ قَاتَلَ، وَالإِسْمُ الجُّوَارُ - بِالضَّمِّ - إِذَا لَاصَقَهُ فِي السَّكَنِ. وَحَكَى تَعْلَبُ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَائِيِّ: الجُّارُ اللَّذِي يُجَاوِرُكَ بَيْتَ بَيْتَ. وَالجُّارُ الشَّرِيكُ فِي الْعَقَارِ مُقَاسِمًا كَانَ أَوْ عَيْرَ مُقَاسِم. وَالجُّارُ الثَّقِيرُ. وَالجُّارُ اللَّذِي يُجِيرُ عَيْرَهُ، أَيْ يُؤْمِنُهُ مِا يَخَافُ. وَالجُّارُ الشَّرِيكِ أَيْضاً، وَالجُّارُ النَّامِرُ. وَالجُّارُ الزَّوْجُ وَالجُّارُ النَّوْجَةُ، وَيَلَ لَمَا جَارَةُ الضَّرَّةِ. وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُقَالُ فِيهَا أَيْضاً: جَارَةٌ. وَالجُّارَةُ الضَّرَّةُ، قِيلَ لَمَا جَارَةٌ الْسَيْحُرَاهًا لِلْفُظِ الضَّرَّةِ. وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُقَالُ فِيهَا أَيْضاً: جَارَةٌ وَ وَجَتَيْهِ...). المقرى، أحمد بن محمّد: المصباح المنير: ص١١٤.

الثاني: الجار هو مَن يكون إلى أربعين داراً من كلّ جانب.

الثالث: أنَّ العرف هو الذي يحدَّد مفهوم الجار وحدوده(٠٠).

مكانة الجارفي الإسلام

وفي المقام نذكر مجموعةً من الأحاديث التي بيّنت منزلة الجار، وشدّة الاهتمام به، والتي على وفقها كان الإمام زين العابدين يذكرهم في دعائه.

روي عن النبي ﷺ: أنّه قال: «وَمَا زَالَ جَبْرَئِيلُ يُوصِينِي بِالجُارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنّهُ اللهُ مُنْوَرِّ ثُهُ »(٢).

وفي حديث آخر: قيل لرسول الله عَلَيْنَ : إنّ فلانة تصوم النهار وتقوم الليل، وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلسانها، فقال: «لا خير فيها، هي من أهل النار»(").

وهذا الحديث يكشف عن أنّ حقوق الجار ذات أهميّة كبيرة في نظر الإسلام، ولا يمكن للمسلم أن يكون مسلماً مستكملاً لشروط الإسلام إلّا بحفظ حقوق الجوار؛ فإنّ الصلاة والصيام وحدهما مجرّدين عن القيم الأخلاقيّة _ ومنها حقّ الجوار الذي يكشف عن حالة إنسانيّة وترابط اجتماعي مهمّ _ لا يؤهّلان المسلم للدخول في فضاء رحمة الله تعالى ونيل رضاه.

في حديث آخر، عن أمير المؤمنين الله الله عنه النبي الله يقول لأصحابه يوماً: «ما آمن بالله واليوم الآخر مَن بات شبعان وجاره جائع»(١٠).

حقوق الجارفي الإسلام

ورد التأكيد من قِبل الشريعة الإسلاميّة على مراعاة حقوق الجوار، حتى بلغ الاهتهام بذلك أن ظنّ النبيّ عَيْنِ أنّ الجار سيُورّث، على غرار توريث الرحم.

⁽١) انظر: المحقّق الحلّى، نجم الدين، شرائع الإسلام: ج٢، ص٤٧٧.

⁽٢) الصدوق، محمّد بن على، الأمالي: ص٤٥٥.

⁽٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٦٨، ص٩٤. ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد: ج٢، ص٠٤٤.

⁽٤) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٦٨، باب حقّ الجوار، ح١٤.

وبعبارة أُخرى: إنّ الوصايا النازلة من الله تعالى على نبيّه في مراعاة هذا الأمر، بلغت من الكثرة والتأكيد أن ظنّ النبيّ الله بأنّ للجار أهميّةً توازي أهميّة ذوي الأرحام، فيكون بذلك لهم حقّ في الميراث.

نعم، إنّ حقوق الجوار كثيرة، وقد تتعدّد أسباب ومناشئ هذه الحقوق بتعدّد مقتضياتها، فقد يكون الجار غير مسلم فله حقّ واحد؛ وهو حقّ الجوار، وقد يكون الجار مسلماً فله حقّان؛ حقّ الإسلام وحقّ الجوار، وقد يكون الجار مسلماً وذا رحم؛ فيضاف إليها حقّ الرحم أيضاً.

وعلى هذا الأساس بيّن النبيّ عَيْنِ هذه الحقوق في حديثه، حيث روي عنه أنّه قال: «الجيران ثلاثة، فمنهم مَن له ثلاثة حقوق: حقّ الإسلام، وحقّ الجوار، وحقّ القرابة. ومنهم مَن له حقّان: حقّ الإسلام، وحقّ الجوار. ومنهم مَن له حقّ واحد؛ الكافر له حقّ الجوار»(۱).

ولهذا كان دعاء الإمام زين العابدين الله الحيانة من أجل الخروج عن هذا الحق، فقد ورد في مقدّمة الخبر المتقدّم عن رسول الله الله الله الله الله الله واليوم تدرون ما حقّ الجار؟ ما تدرون من حقّ الجار إلّا قليلاً، ألا لا يؤمن بالله واليوم الآخر مَن لا يأمن جاره بوائقه، وإذا استقرضه أن يُقرضه، وإذا أصابه خير هناه، وإذا أصابه شرّ عزّاه، ولا يستطيل عليه في البناء يحجب عنه الريح إلّا بإذنه، وإذا اشترى فاكهة فليهدِ له، فإن لم يهدِ له فليدخلها سرّاً، ولا يُعطي صبيانه منها شيئاً يغايظون صبيانه منها شيئاً

⁽١) النيسابوري، محمّد بن الفتال، روضة الواعظين: ص٣٨٩.

⁽٢) المصدر السابق: ص٣٨٩.

تنويه

وفي المقام أُوجّه كلامي إلى بعض الدول من جيران العراق، فأقول لهم: هل التزمتم بوصايا نبينا الأكرم الجار؟ وهل راعيتم هذا الحق العظيم للجار؟ الرجعوا إلى الإسلام الحقيقي وإلى الإيهان الحقيقي، وانظروا في الموازين الإسلامية؛ حيث جعل النبي المعبادة كفّة، ولمراعاة حقّ الجيرة كفّة أُخرى؛ فإنّ الله سائلكم يوم القيامة عمّا تفعلون في هذا الشعب المظلوم. فممّا يؤسف له أنّ هذه الحقوق التي أكّد عليها نبيّ الإسلام المي للم أي يُعتن بها من قبل بعض دول الجوار، وأنّ ما يمرّ به العراق اليوم من حملات قتل تستهدف الأبرياء من أبناء هذا البلد المظلوم من قبل بعض المجرمين المدعومين من بعض دول الجوار شاهدٌ على الاستخفاف بأحكام الله وحقّ الجوار.

المحور الثاني: جملة من حقوق الـمُوالي

يذكر الإمام الله عان متعددة (١٠٠٠ والمعنى المقصود هنا هو المحبّ والناصر والآخذ بنهج ولهذا اللفظ معان متعددة (١٠٠٠ والمعنى المقصود هنا هو المحبّ والناصر والآخذ بنهج أهل البيت الله والمتبع لهم، يقول الإمام زين العابدين الله : «وتولّني في جيراني ومَواليّ»، فقد جعل لهم الإمام حقوقاً بيّنها وسلّط الضوء عليها في فقرات الدعاء اليكون مَن يتولّى أهل البيت الله على علم بأنّ هناك حقوقاً له، عليه أن يسعى إلى استحصالها وأدائها، وأن يتوسّل إلى الله للتوفيق والإعانة على إقامة السنّة، والأخذ بمحاسن الآداب. وهذه الحقوق قد تشمل الجار إن كان ممّن يتولّى أهل البيت الله وقد ينفرد بها هو خاصّةً.

⁽۱) الولي له معانٍ متعدّدة، منها: الناصر، والمُحبّ، والمتصرّف. انظر: الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي: ج۲۲ ص۲۲.

حقيقة مَن يتولَّى أهل البيت اللَّهِ اللَّلَّ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ ا

جعل الإمام على بعض الصفات لمن ينطبق عليه عنوان (مَن يتولّى أهل البيت الله البيت الله الله المحلة الصفات التي ذكرها ما ورد عنه الله في الدعاء، قوله: «...العارفين بحقّنا والمُنَابِذِينَ لأَعْدَائِنَا...»، وهذه الجملة تشير إلى أُصول عقائديّة مهمّة يجب أن تتوفّر في شخصيّة مَن يتولّاهم الله وتشكّل الحدّ الفاصل بينه وبين غيره، ويُعبّر عنها بـ: (الولاء، والبراءة)، أي المولاة لأهل البيت الله والبراءة من أعدائهم، ولذا ورد في مضمون فقرات هذا الدعاء أحاديث كثيرة، منها ما عن تفسير الإمام العسكري الله وإنّ أعظم فرائض الله عليكم بعد فَرض موالاتنا ومعاداة أعدائنا... "().

ويعتبر المقطع الذي ورد في الدعاء بياناً لأصل الحقّ الواجب علينا، وهو الإقرار بولايتهم وإمامتهم المنصوص عليها، وأنّهم خلفاء الله في أرضه، وأوصياء نبيّه، وحُججه على عباده، وهو ما يُعبّر عنه بـ: (التوليّ). ويرافق هذا الأمر صفة أُخرى ملازمة لا تنفك عنه، وهي منابذة أعدائهم ومخالفيهم، فهاتان الصفتان من الأُصول في تحقّق مصداق الموالي لأهل البيت الميسيّد.

جملة من صفات مَواليّ لأهل البيت السِّكُمُ

لقد ورد في الأدعية المباركة صفات مهمّة يجب على شيعة أهل البيت ومَن تولّاهم أن يتحلّوا بها، كالمعاشرة الحسنة، والأخلاق الحميدة، والآداب الرفيعة. فها ورد في هذه الفقرات من الدعاء هو بيان للمعايير والموازين التي توصل إلى هذه المرتبة من الولاية لأهل البيت الله ولذا كان الإمام يُبيّن تلك الواجبات والحقوق

⁽١) تفسير الإمام العسكري: ص٧٤٥.

بلسان الدعاء، فهو في الوقت الذي يدعو فيه لنفسه كذلك يدعو أن يؤدي حقوق جبرانه ومَو اليه.

فهذه الفقرات من الدعاء عبارة عن وصايا لما ينبغي أن يتحلّى به شيعتهم من أخلاق وآداب في تعاملهم مع بعضهم البعض، يقول الإمام: «ووَفِّقُهُمْ لإِقَامَةِ سُتَّكَ، والأَخْذِ بِمَحَاسِنِ أَدَبِكَ فِي إِرْفَاقِ ضَعِيفِهِمْ، وسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وعِيَادَةِ مَرِيضِهِمْ، وسَدِّ خَلَّتِهِمْ، وعِيَادَةِ مَريضِهِمْ، وهِدَايَةِ مُسْتَرْشِدِهِمْ، ومُنَاصَحَةِ مُسْتَشِيرِهِمْ، وتَعَهَّدِ قَادِمِهِمْ، وكِثْهَانِ أَسْرَارِهِمْ، وسَتْرِ هِمْ، وتَعَهَّدِ قَادِمِهِمْ، وكِثْهَانِ أَسْرَارِهِمْ، وسَتْرِ عَوْرَاتِمْ، ونُصْرَةِ مَظْلُومِهِمْ، وحُسْنِ مُواسَاتِم بِالمُاعُونِ، والْعَوْدِ عَلَيْهِمْ بِالْجِدَةِ وَالإِفْضَالِ، وإعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّوَّالِ. واجْعَلْنِي اللَّهُمَّ أَجْزِي بِالإِحْسَانِ والإِفْضَالِ، وإعْطَاءِ مَا يَجِبُ لَهُمْ قَبْلَ السُّوَالِ. واجْعَلْنِي اللَّهُمَّ أَجْزِي بِالإِحْسَانِ مُسِيعَهُمْ، وأَعْرِضُ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِهِمْ، وأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِّ فِي كَافَتِهِمْ، وأَتُولَى بِالإِحْسَانِ بِالْبِرِّ عَامَتَهُمْ، وأَعْرِضُ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِهِمْ، وأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِ فِي كَافَتِهِمْ، وأَتُولَى بِالإِحْسَانِ بِالْبِرِ عَامَتَهُمْ، وأَعْرِضُ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِهِمْ، وأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِ فِي كَافَتِهِمْ، وأَتُولَى بِالإِحْسَانِ بِالْبِرِ عَامَتَهُمْ، وأَعْرِضُ بِالتَّجَاوُزِ عَنْ ظَالِهِمْ، وأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظَّنِ فِي كَافَتِهِمْ، وأَتُولَى عَنْهُمْ عِفَةً، وأُورِي عَنْهُمْ وَمُومُ عَنْهُمْ وَمُقَاءً النَّعْمَةِ عِنْدَهُمْ نُصُعاً، وأُوجِبُ لِمُا مَا أُوجِبُ لِحَامَتِي، وأَرْعَى لَحُومَ عَلَمْ مَا أُوجِبُ لِحَامَتِي، وأَرْعَى لِخَاصَتِي "".

إنّ فقرات هذا الدعاء الكثيرة تشكّل منهجاً عقائديّاً وأخلاقيّاً بالغ الأهمّيّة في تكوين شخصيّة الفرد الشيعي التابع لأهل البيت الله فالدعاء قد بيّن جملةً من الصفات، منها: (إقامة السُنّة، الأخذ بمحاسن الآداب، الإرفاق بالضعيف، سدّ الخلّة...)، وغير ذلك من الصفات التي ينبغي أن يتصف بها شيعة أهل البيت الله.

وقد وردت أحاديث كثيرة في هذا المجال تبيّن أنّ هناك حقوقاً بين المؤمنين يجب عليهم مراعاتها، منها ما عن ثقة الإسلام الكليني في باب حقّ المؤمن على أخيه المؤمن، بسنده عن أبي إسهاعيل، قَالَ: قلت لأبي جعفر: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّ الشِّيعَةَ

⁽١) الصحيفة السجّاديّة: ص١٢٤، دعائه لجيرانه وأوليائه.

عِنْدَنَا كَثِيرٌ، فَقَالَ: «فَهَلْ يَعْطِفُ الْغَنِيُّ عَلَى الْفَقِيرِ؟ وهَلْ يَتَجَاوَزُ الْمُحْسِنُ عَنِ الْفَقِيرِ، وهَلْ يَتَجَاوَزُ الْمُحْسِنُ عَنِ اللَّسِيءِ، ويَتَوَاسَوْنَ؟». فَقُلْتُ: لَا. فَقَالَ: «لَيْسَ هَؤُلَاءِ شِيعَةً، الشِّيعَةُ مَنْ يَفْعَلُ هَذَا»('').

إنّ معيار حقيقة الشيعي لم يكن واضحاً عند السائل، فيسأل الإمام الله عن ذلك ويخبره بأنّ الشيعة كثيرون، فيقوم الإمام بتوضيح المعيار والميزان في معرفة الشيعي عن غيره، فليس كلّ مَن ادّعى ذلك سُمّي شيعيّاً، وإنّها هناك مجموعة من الصفات عند توفّرها فيهم يصدق عليهم أنّهم شيعة، لذلك يسأل الإمام الله: هل يعطف الغنيّ على الفقير؟ وهل يتجاوز المحسن عن المسيء؟ وهل يواسي بعضهم بعضاً؟ فمَن توفّرت فيه هذه الصفات كان شيعيّاً، ومن لم يتّصف بهذه الصفات لا يُعدّ من الشيعة. ولذا جاء تأكيد الأئمة الله على مسألة التكافل الاجتاعي بين شيعة أهل البيت الله وعدّوه أمراً أساسيّاً في صدق اتّباعهم.

وعلينا أن نضع هذا الحديث نصب أعيننا، ولا سيّما مع ما يمرّ به البلد في هذه الأيّام، وما تعيشه بعض محافظاتنا من ظروف أمنية صعبة أدّت إلى نزوح العوائل المهجّرة في هذه المهجّرة إلى المناطق الآمنة، وأن نختبر أنفسنا أمام قدوم هذه العوائل المهجّرة في هذه الظروف القاسية، هل نتعامل معها على وفق هذه الموازين التي ذكرها الإمام اللهيء، أم أنّ البعض يستغل ذلك، ويعدّها فرصةً للمزيد من الربح المالي على حساب هذه العوائل المسكينة؟

وفي حديث آخر عن محمّد بن عجلان، قال: كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ الله ﷺ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَسَلَّمَ، فَسَأَلَه: «كَيْفَ مَنْ خَلَّفْتَ مِنْ إِخْوَانِكَ؟». قَالَ: فَأَحْسَنَ الثَّنَاءَ، وزَكَّى

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٧٣، باب حقّ المؤمن على أخيه، ح١١.

ومضمون هذا الحديث جاء مكمّلاً للحديث المتقدّم؛ فإنّ التعامل الذي حثّ عليه الأئمّة الله يجب أن يكون نابعاً من قلبٍ مفعم بالحنان والرحمة والعطف، حتى يستطيع مَواليّ أهل البيت الله الانطلاق بعمليّة التكامل الاجتماعي والأخلاقي.

وهناك جملة من الحقوق المهمّة التي وردت في فقرات الدعاء الوارد في الصحيفة السجّاديّة المباركة، نذكر منها على نحو الاختصار:

١ـ كتمان السرّ

حفظ أسرار الناس خُلق عظيم من أخلاق الإسلام، وأمانة من الأمانات التي يجب على المسلم أن يحفظها، وقد ورد في دعاء الإمام المتقدّم طلب التوفيق بكتمان الأسرار، في قوله: «وكِثْمَانِ أَسْرَارِهِمْ». فمراعاة هذا الحقّ يقوّي أواصر المحبّة بين أفراد المجتمع، وينزع روح الانتقام. وممّا يؤسف له أنّ مجتمعاتنا قد أهملته؛ فإنّ أسرار الناس في غاية الأهميّة، لذا يجب علينا المحافظة عليها وعدم إفشائها، لذا علينا أن نعي أنّ إفشاء بعض الأسرار قد يُسبّب حرجاً شديداً، بل ربّها تترتّب عليه أضرار كبيرة تُحطّم الأسر والأفراد.

هناك أسرار ذات خطورة كبيرة، كما هي الحال في الأسرار الأمنيّة، أو التي تتعلّق بنظام الدولة وإدارتها، وغير ذلك من الأسرار المهمّة والحساسة التي يُسهم نشرها

⁽١) المصدر السابق: ج٢ ص١٣٧، باب حقّ المؤمن على أخيه المؤمن ح١٠.

وإفشاؤها الإضرار بشخصيّات ما، أو إلى شيوع الخلاف والتناحر بين الأُسر والمجتمعات، أو يؤدّي إلى إضعاف النظام العامّ للدولة، فعلينا أن نعرف خطورة بعض الأسرار حتى نحرص على كتمانها والحفاظ عليها.

وقد ورد في الحديث عن نصر بن صاعد مولى أبي عبد الله الله عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «مذيع السرّ شاكّ، وقائله عند غير أهله كافر... »(۱).

إنّ المستفاد من هذا الأحاديث حرمة إفشاء ما في المجالس من أسرار، وحرمة إذاعة أسر ار المؤمن وطلب عيوبه وإفشائها.

٢ ـ ستر عورات المؤمنين

هنا نقف قليلاً عند هذا الحقّ الذي ذكره الإمام الله بقوله: «وسَتْرِ عَوْرَاتِهِمْ»، وليس المقصود من العورة هي العورة الظاهرة التي ينصرف ذهن الإنسان إليها حينها يسمع بها، كما تُبيّن ذلك بعض الروايات، ففي صحيح ابن سنان عن الإمام الصادق الله قال: قُلْتُ لَه: عَوْرَةُ المُؤْمِنِ عَلَى المُؤْمِنِ حَرَامٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: تَعْنِى سُفْلَيْه؟ قَالَ: «لَيْسَ حَيْثُ تَذْهَبُ، إنَّهَا هِيَ إِذَاعَةُ سِرِّه» (").

فعندما تصدر من الإنسان زلّة، أو عثرة، أو مخالفة اجتماعيّة، فلا بدّ من ستره في كلّ ذلك؛ الزلّة، أو العورة، أو الخطأ، أو العيب.

ويمكن أن يُفسّر هذا المعنى ما في بعض الأحاديث من أنّ المؤمن لا يتتبّع عورات أخيه وعيوبه، ولا يفشي عليه هذه العورات والعيوب والزلّات ليتشفّى به، أو ينال منه، فهذا ليس من الإيهان في شيء ".

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافى: ج٢، ص٣٧٢، باب الإذاعة.

⁽٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٥٩.

⁽٣) ومن جملة الأخبار الواردة في هذا المعنى ما عن أبي برزة، قال: «صلّى بنا رسول الله عَلَيْ ثم انصرف مسرعاً حتى وضع يده على باب المسجد، ثم نادى بأعلى صوته: يا معشر مَن آمن بلسانه

٣ـ العطاء قُبل السؤال

العطاء بعد السؤال من الكرم، وأمّا العطاء قَبل السؤال فهو من الجود، وقد ورد في دعاء الإمام الله و الإمام الله و الإمام الله و إعْطاء مَا يجِبُ لهُمْ قَبْلَ السُّؤَالِ»؛ فإنّ من أهم صفات الإيمان هو حفظ ماء وجه المؤمن وكرامته، فإذا كانت للمؤمن حاجة يجب المبادرة إلى قضائها قبل أن يسأل كما ورد هذا المعنى في بعض الأحاديث ()؛ فإنّ الإنسان حينما يسأل يُراق ماء وجهه. ومن هنا يجب على المؤمن حفظ كرامة أخيه المؤمن وماء وجهه، ولا يجعله مجبراً على السؤال والطلب، وإنّما يُبادر إلى قضاء حاجته لتطيب نفسه مذلك.

٤. مقابلة الإساءة بالإحسان

ثم يقول الإمام على في فقرة أُخرى من فقرات هذا الدعاء: «واجْعَلْنِي اللَّهُمَّ اللَّهُمَّ الْمُونِ عَنْ ظَالِهِمْ». هذه من صفات المؤمن الصادق، وهي مقابلة الإساءة بالعفو والترفّع عن الانتقام.

0

ولم يخلص الإيهان إلى قلبه، لا تتبعوا عورات المؤمنين؛ فإنّه مَن تتبّع عورات المؤمنين تتبّع الله عورته، ومَن تتبّع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته».

وفي رواية زرارة أيضاً، عن أبي جعفر اليلا، قال: «إنّ أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يواخي الرجل على الدين فيحصي عليه عثراته، أو زلّاته، ليعنّفه بها يوماً ما». البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج١، ص١٠٤، باب عقاب من تتبع عثرة المؤمن، ح٨٣.

إِنَّ فِي هذه الفقرات إرشاد إلى فضيلة ومكرمة من مكارم الأخلاق، والتي يفتقر مجتمعنا إليها، يقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿ خُدِ ٱلْعَفُو وَأَمُنَ بِٱلْعُرُفِ وَٱعْرِضَ عَنِ الْجَهِلِينَ ﴾ (١)، ويقول تعالى أيضاً: ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمُ وَٱصْفَحُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

قال في (الكشّاف): «العفو ضدّ الجهد كأنّه هو المشقّة، فالعفو هو السهولة، أي: خُذ ـ يا محمّد ـ ما عفا لك من أفعال الناس وأخلاقهم وما أتى منهم، وتسهّل من غير كلفة ولا تداقّهم، ولا تطلب منهم الجهد، وما يشقّ عليهم، حتى لا ينفروا، كقوله: يسّروا ولا تُعسّروا. والعرف المعروف والجميل من الأفعال. وأعرض عن الجاهلين، ولا تكافئ السفهاء مثل سفههم، ولا تمارهم، واحلم عنهم، واغضِ عمّا بستحقّه الإنسان يسوؤك منهم... فهذه دالّة على رجحان حسن الخلق من العفو ممّا يستحقّه الإنسان في ذمّة الغير من الحقوق وغيره، واستعمال اللين والملاءمة في المعاملات، والأمر بالمعروف، والإعراض عن الجهّال، وعدم مؤاخذتهم بها فعلوا بالنسبة إلى الإنسان، ويؤيّده: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَرِهِ أُونِ كَا قَالُواْ سَلَامًا ﴾ (") ("). (ويؤيّده: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَرِهِ أُونِ كَا قَالُواْ سَلَامًا ﴾ (") ("). (الله ويؤيّده ويؤيّد ويؤيّده ويؤيّده ويؤيّد و

علينا كمؤمنين أن تجود أنفسنا على الآخرين بمكارم الأخلاق، وبأفضل الآداب وأرفعها، فقد ورد في الحديث عن رسول الله عليه محدّثاً عن الله تبارك وتعالى، قال: «صِلْ مَن قطعك، واعفُ عمّن ظلمك، وأعطِ مَن حرمك، وأحسن إلى مَن أساء إليك»(٥).

إنَّ هذه الصفات التي أمر الله بها نبيَّه الكريم عليه تكاد تكون معدومةً في

⁽١) الأعراف: آية١٩٩.

⁽٢) المائدة: آية ١٣.

⁽٣) الفرقان: آية ٦٣.

⁽٤) الأردبيلي، أحمد بن محمّد، زبدة البيان في أحكام القرآن: ص٤٣٩.

⁽٥) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٦٨، ص٤٢٣.

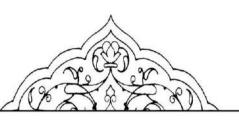
مجتمعاتنا، ولذا علينا أن نراعي إخواننا المؤمنين إذا ما صدر عنهم ما لا نرتضيه، وذلك بأن نعفو ونصفح عنهم؛ فإنّ التجاوز عنهم يدخلنا في هذه الدائرة التي بيّنها أهل البيت اللها.

٥. حسن الظنّ بالآخرين

مبدأ حسن الظنّ بالآخرين، وحمل عمل المؤمن على الصحّة، وعدم الإساءة الله، يوجب _ بطبيعة الحال _ التهاسك في البناء الاجتهاعي، ويمنع حدوث الخلل فيه، وهو ما يُعدّ من أهمّ المسائل في توطيد العلاقات بين أبناء المجتمع المؤمن، يقول الإمام الله: «...وأَسْتَعْمِلُ حُسْنَ الظّنّ في كَافّتِهمْ».

إنّ حمل الإنسان على محمل حسن في تصرّفاته وأفعاله، وتجنّب التأويل الذي يستبطن سوء الظنّ، كفيل في تكامل المجتمع، ولكن ـ وللأسف ـ كثيراً ما نجد البعض حينها يصدر عن أخيه كلامٌ، ويُحتمل أن تكون فيه سوء نيّة، وأنّه قصد الإساءة، يحمل ذلك على محمل سيّئ، ويرتّب على ذلك الآثار، مما يعكّر صفو العلاقات بين المؤمنين، ويسود التوتّر والشحناء، فلو أغلقنا باب سوء الظنّ من الأساس؛ حينئذٍ نكون قد انتصرنا على أنفسنا، وساهمنا في سدّ أبواب الشيطان. ولذا يُعتبر هذا الأمر من الأُمور المهمّة والخطيرة في بناء المجتمعات، فينبغي مراعاته والاهتهام به.

والحمد لله رتّ العالمين.



الخطبة السابعة والأربعون من ابتلاءات الأُمم الفِرق الضالّة والدعاوى الباطلة

بتاریخ: ۲۱/ ۵/ ۲۰۰۲م

وفيها المحاور التالية:

🗸 حتميّة الابتلاء والتمحيص في الآيات والروايات

🔪 الابتلاء بالفِرق الضالّة والدعاوي الباطلة

🔪 ظهور بعض الفِرق الضالّة في زمن الأئمّة الكِلْ

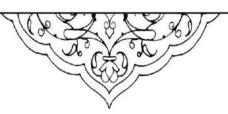
🗸 جواب الأئمة الله على بعض دعاوى الغلو

🗸 الموقف المطلوب لتجنّب الفتن

اللهُ أوَّلاً: اتّباع العلماء الصالحين

كلي ثانياً: اتّخاذ الموقف الاجتماعي الصارم تجاه أصحاب الدعاوى الباطلة

نموذج من الفِرق المنحرفة: الفِرقة البابيّة



مقدّمة الخطبة

بيْدِ لِللَّهُ الدِّمْ يَرْالَكُمْ يَسْدُ

الحُمْدُ لله الأَوَّلِ بِلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَه، والآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَه، الَّذِي قَصُرَتِه عَنْ رُوْيَتِه أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ، وعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِه أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ، ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِه الْخَلْقَ ابْتِدَاعاً، واخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِه اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِمِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِه، وبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِه، لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْه، ولَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّماً إلى مَا أَخْرَهُمْ عَنْه، وجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْسُوماً مِنْ رِزْقِه، لَا يَنْقُصُ مَنْ زَادَه نَاقِصٌ، ولَا يَزِيدُ مَنْ نَقَصَ مِنْهُمْ زَائِدُ، ثُمَّ ضَرَبَ لَه فِي الْحَيَاةِ أَجَلًا مَوْقُوتاً، ونَصَبَ لَه أَمَداً مَعْدُوداً، يَتَخَطَّى إليه بِأَيَّامِ عُمْرِه، ويَرْهَقُه بِأَعْوَامِ دَهْرِه، حَتَّى إذا بَلَغَ وَنَصَبَ لَه أَمَداً مَعْدُوداً، يَتَخَطَّى إليه بِأَيَّامٍ عُمْرِه، ويَرْهَقُه بِأَعْوَامٍ دَهْرِه، حَتَّى إذا بَلَغَ وَنَصَ مَنْ أَوْدِه وَيَرْهَهُ بِأَعْوَامٍ دَهْرِه، حَتَّى إذا بَلَغَ وَلَه مَنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه، أَوْ مَعْدُود عَقَابِه، ﴿ لِيَجْزِى النَّذِينَ أَسَتُوا بِمَا عَمُولُ وَيَعْزِى الَّذِينَ أَدْسَنُوا بِمَا عَمُولُ وَيَعْزِى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْمَعْنَ إِلَيْهِ بَالْكُورَ عِقَابِه، ﴿ فَيَتَوْلَ مَا الْمَعْمُ وَا يَعْمَلُوا وَيَعْزِى النَّذِينَ أَصَامُوا بِمَا عَمُولُ وَيَعْزِى النَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالله مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه، أَوْ مُعَرِّم عَلَى الله مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه، أَوْمُ وَعَقَابِه، ﴿ لِيَحْزِى اللَّذِينَ أَسَتُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَعْزِى النَّذِينَ أَحْسَنُوا بِمَا عَمُولُ وَيَقْوِد مَا الْمَصُولُ وَالْمَالَقُومُ الْمُ لَا مَلَهُ مَنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه، الْمُعْمُ وَلَ مَا نَذَي اللَّهُ اللهُ مَا نَذَهُ وَاللَّهُ الْمَالَا اللّه مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِه الْمِلْكُولُ وَعَمْرِي الْمُعْقُولِ الْمُولِ الْمُولِ الْمَالَعُولُ اللّهُ اللهُ مَا لَلْهُ اللهُ مَا لَا لَا اللهُ مَا لَا اللّه مِنْ مَوْفُورِ وَالْهُ اللهُ مَا مُؤْورِ مُولِولًا الللهُ مَا لَلْهُ اللّهُ اللّه مَا لَا لَهُ اللّهُ اللهُ عَلَى الْمَالِهُ اللّهُ اللْمُ اللّهُ الْمُولِ الْمُولِ الْمُعْلُولُ اللّهُ اللْمُ الْمُولِ اللّهُ الْمُولِ

أُوصيكم إخواني وأخواتي ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تعالى والاعتصام بهدي المصطفى الهادي وعترته الأطهار ومراجع الأُمّة الأبرار؛ كي تأمنوا من الغرق في بحار الفتنة والزيغ والضلال، وحَذارِ من دعاوى الباطل والفتنة والانحراف عن جادّة الصواب والهداية.

لقد كثرت في الآونة الأخيرة الدعاوى الضالّة والباطلة، والتي من جملتها

(١) النجم: آية ٣١.

⁽٢) الصحيفة السجّاديّة: ص٢٨.

دعاوى الغلو في الأئمّة الله وقد ابتلت هذه الأُمّة بأمثال هذه الدعاوى، فها تكاد الأُمّة أن تُفنّد دعوى ضالّة باطلة يتصدّى لها أهل الهداية والعقل حتى تبرز دعوى باطلة أُخرى.

وقد تنوّعت هذه الدعاوى، وأخذت أشكالاً مختلفةً وأساليب متعدّدةً، فمنها ما يحمل انحرافاً في المضمون العقائدي، ومنها ما يحمل دعاوى في مواقع دينيّة يدّعيها البعض وهو ليس أهلاً لها، ومنها دعاوى النيابة عن الإمام الحجّة المنتظر المعض والقرب منه والاتّصال به.

ومن خلال دراسة أمثال هذه الدعاوى على مرّ التاريخ، نجد أنّ الكثير منها في بعض مراحلها يُخالف صريحاً تعاليم الشريعة الإسلاميّة، بل تدعو إلى ارتكاب المحرّمات، كما سنرى ذلك من خلال استعراضنا لشيء من تاريخ تلك الفِرق التي تدّعى الدعاوى الباطلة.

حتميَّة الابتلاء والتمحيص في الآيات والروايات

لقد بيّنت الآيات القرآنيّة والروايات الواردة عن المعصومين الله _ كما سبق أن ذكرنا في خُطب سابقة _ أنّ المؤمن والأُمّة المؤمنة لا بدّ أن يمرّوا بمراحل من التمحيص والاختبار، فيخسر البعض في هذا الاختبار وتنكشف حقيقته، ويثبت صاحب الإيمان الخالص. فالابتلاء في منطق القرآن الكريم مرحلة حتميّة يجب أن يسلكها المؤمن والمجتمع في الحياة الدنيا. ومن الآيات التي ذكرت ذلك قوله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ النّاسُ أَن يُتُركُوا أَن يَقُولُوا ءَامَنَ وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (().

كما نبّهت روايات المعصومين على التحدّي الكبير الذي يواجه المؤمنين،

⁽١) العنكبوت: آية ٢.

وهو الابتلاء، ومن تلك الروايات ما ورد عن الإمام الصادق الله أنّه قال: «لا بدّ للناس من أن يُمحَّصوا ويُميَّزوا ويُغربَلوا ويُستخرَج في الغربال خلقٌ كثير»(۱).

إنّ الإمام الله يؤكّد على ضرورة مرور المؤمن والأُمّة المؤمنة بمراحل من الاختبار والتمحيص، وحتميّة ذلك؛ لكي يُميّز المؤمن الصادق من المؤمن الذي يدّعي الإيهان، وتنكشف حقيقته. وكذلك تتميّز من خلال هذه الغربلة ـ الفئة المؤمنة الحقيقيّة في إيهانها من الفئة التي تدّعي الإيهان وهي في الواقع ليست كذلك. وفي هذا إشارة إلى أنّه قد تكون نتيجة هذا التمحيص نشوء بعض الفِرق الضالة والمنحرفة التي لا تستطيع الثبات أمام الاختبارات.

وورد عن الإمام الباقر على في هذا الصدد أيضاً: «لَتُمَحَّصُنَّ يَا شِيعَةَ آلِ محمّد عَلَيْهِ فَي هذا الصدد أيضاً: «لَتُمَحَّصُنَّ يَا شِيعَةَ آلِ محمّد عَلَيْهِ فَلا يَعْلَمُ مَّحْيصَ الْكُحْلِ فِي عَيْنِهِ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى يَقَعَ الْكُحْلِ فِي عَيْنِهِ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى يَقَعَ الْكُحْلِ فِي عَيْنِهِ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى يَقَعَ الْكُحْلِ فِي عَيْنِهِ، وَلا يَعْلَمُ مَتَى يَغْرُج، وَكَذَلِكَ يُصْبِحُ الرَّجُلُ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ أَمْرِنَا، وَيُصْبِحُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا» "".

هذه الرواية تُشير إلى أمر خطير في مسألة الابتلاء، وهو سرعة تحوّل وانقلاب البعض، حيث يُصبح الشخص وهو في صفّ الهداية والإيهان، لكنّه يُمسي على ضلالة من أمره.

ولو تفحّصنا تاريخ الأئمة على سنجد الكثيرين من أتباع الأئمة الي والذين كانوا على مذهبهم يُصبحون فجأةً من أتباع الفِرق الضالّة والمنحرفة. كما ويمكن أن نلمس هذا الأمر بوضوح في عصرنا الحاضر، فقد انتشرت هذه الدعاوى الضالّة في بعض المدن، بما فيها مدينة كربلاء المقدّسة، فيمكن أن يُصبح الرجل وهو على شريعة آل محمّد عَلَيْ الكنّه يُمسي وهو يعتقد بعقائد ضالّة ومنحرفة عن جادّتهم المين.

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٠٣٧.

⁽٢) النعماني، محمّد بن إبراهيم، الغيبة: ص٢١٤، ب٢١، ما يلحق الشيعة من التمحيص، ح١٢.

ومن الواضح أنّ هذه الدعاوى الضالّة لو تُركت دون أن يُتصدّى لها، فإنها سوف تستشري بين أبناء المجتمع، وتجرّ المجتمع الى الانحراف والضلال، كما يشهد بذلك الواقع التاريخي، فقد ذكر النوبختي في كتابه (فِرق الشيعة) أنّه قد افترق عن الفرقة المحقّة أربع عشرة فرقة (١٠) وما ذلك إلّا نتيجة لانتشار الدعاوى الباطلة والعقائد المنحرفة.

والملفت للنظر أنّ جملةً من تلك الفِرق قد انحرفت في زمن وجود الأئمّة الله ومع أنّه مله ومع أنّه مله ومع أنّه مله وهم مصدر الهداية الحقيقية ـ قد تصدّوا لها بقوّة، لكن مع ذلك آمن بتلك الفِرق نفرٌ من الجهلة ومن عامّة الناس، وانخدعوا بها، ونشأت من خلالها فِرقٌ ضالّة كانت سبباً في اختلاق الكثير من البدع والأكاذيب لتوهين الفرقة المحقّة.

وفي خبرٍ آخر عن الإمام الصادق اللهِ: «وَاللهِ، لَتُمَحَّصُنَ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْأَقَل» (").

وفي رواية أُخرى عن الإمام الرضائي، قال: «وَالله لَا يَكُونُ مَا ثَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنكُمْ حَتَّى تُمَحَّصُوا وَ تُمَيَّزُوا، وَحَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا الْأَنْدَرُ فَالْأَنْدَرُ»".

والمراد من قوله إلى « مَا تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْيُنكُمْ » هو ظهور الإمام الحجّة على .

وفي رواية أُخرى عن الإمام الباقرالي، قال: «لَا يَكُونُ الَّذِي ثَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْنَاقَكُمْ حَتَّى يَشْقَى مَنْ شَقِيَ وَ يَسْعَدَ مَنْ سَعِدَ» (١٠٠).

⁽١) النوبختي، الحسين بن موسى، فرق الشيعة: ص٩٦.

⁽٢) النعماني، محمّد بن إبراهيم، الغيبة: ص٧٠٧، ب١٢ ما يلحق الشيعة من التمحيص، -١٣٠

⁽٣) المصدر نفسه: ص٨٠٨، الحديث: ١٥.

⁽٤) المصدر نفسه: ص٢٠٩، الحديث: ١٦. حيث روى النعماني بسنده عن محمّد بن منصور بن

فكأنّ الإمام الله يُريد أن يقول: أنتم معاشر شيعة آل محمّد عَيْنَ لا يُكتفى منكم بأن تدّعوا هذه الولاية لآل البيت الله بلا بلا بلا أن تمرّوا بمراحل من التمحيص والاختبار والغربلة إلى أن يتمّ تمييز الفئة التي تصمد وتثبت على الحقّ عن الفئة الأُخرى التي تنحرف ولا تثبت لها قدم.

الابتلاء بالفرق الضالة والدعاوى الباطلة

إنّ الابتلاء والتمحيص الذي يتعرّض له المؤمنون يأخذ أبعاداً وأشكالاً مختلفة، فتارة يُبتَلون بحاكم ظالم يحمل الأُمّة على الظلم والضلال والانحراف، ولا يصمد أمام سياسة هؤلاء الطواغيت إلّا القليل من المؤمنين، وأُخرى يكون الابتلاء بالدعاوى الضالّة والمنحرفة التي تنتشر في البلدان، ويجتمع حولها بعض الأتباع.

ونشهد اليوم - للأسف الشديد - موجةً جديدةً من هذه الدعاوى الضالة التي صارت تنتشر في بعض الأوساط والمجتمعات، بها فيها مدينة كربلاء المقدّسة، وقد أخذتُ هذه الدعاوى أنهاطاً مختلفةً؛ حيث يدّعي بعضهم المقام الديني السامي ليُضلّ به الناس، ويُظهر الرياضات الروحيّة والنفسيّة الشاقّة، وربّها يدّعي مقام القرب من الإمام المنتظر في وينسب البعض لنفسه خُطباً لا يُفهم منها شيء، ويقول في ذلك: إنّ تفسير هذه الخُطب والكلمات لا يعلمها إلّا نفر قليل، وهم الذين يكون لهم الاتّصال بالإمام الحجّة المنتظر في النين يكون الهم المنتفرة المنتظر في النين يكون اللهم النين النين يكون المهم الاتّصال بالإمام الحجّة المنتظر في النين يكون الهم الله النين يكون الهم النين يكون الهم النين يكون المهم الاتّصال بالإمام الحجّة المنتظر في النين يكون الهم النين المناس النين يكون الهم النين يكون الهم النين المناس النين النين النين النين النين النين المناس النين النين

⁻

الصيقل، عن أبيه، قال: «دَخَلْتُ عَلَى أَبِي جَعْفَرِ الْبَاقِرِ النَّلِا وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ، فَبَيْنَا نَحْنُ نَتَحَدَّثُ وَهُوَ عَلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ مُقْبِلٌ إِذِ الْتَفَتَ إِلَيْنَا، وَقَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ؟! هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لَا يَكُونُ الَّذِي عَكُنُّونَ إِلَيْهِ أَعْنَاقَكُمْ حَتَّى ثُمَيَّزُوا، وَلَا يَكُونُ الَّذِي تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْنَاقَكُمْ حَتَّى تُعَرَّبُوا، وَلَا يَكُونُ الَّذِي تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْنَاقَكُمْ جَتَّى تُغَرِّبُلُوا، وَلَا يَكُونُ الَّذِي تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْنَاقَكُمْ إِلَّا بَعْدَ يَكُونُ الَّذِي تَمُدُّونَ إِلَيْهِ أَعْنَاقَكُمْ جَتَّى يَشْقَى مَنْ شَقِيَ، وَ يَسْعَدَ مَنْ سَعِدَ».

وقد وجدت هذه الدعاوي صداها عند البعض من الجهلة.

وقد شهدت الآونة الأخيرة تجدّد ظهور بعض الدعاوى التي سبق أن كان لها رواج في العراق وبعض البلدان الإسلاميّة، من قبيل دعوى الغلو في الأئمّة الله فيدّعون أنّ النبيّ عَيْلُ والأئمّة الله ليسوا من الحقيقة البشريّة، بل هم حقيقة أُخرى، ويدّعون _ أيضاً أنّ الله تعالى قد فوّض للأئمّة الله مسألة الرزق والإماتة والإحياء، وغير ذلك من الدعاوى التي لا تنسجم مع عقيدة التوحيد، ومحكمات الآيات، والروايات الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة الله .

نحن لا نستغرب بروز أمثال هذه الادّعاءات؛ فقد ظهرت في وقتٍ سابق في كربلاء، ولاقت قبولاً عند البعض، وانتحل الكثيرون هذه العقائد الفاسدة، ونشأت بعض الفِرق على أساسها، ولكن من المؤسف أن نرى البعض ممّن هم على الطريقة الحقة يتبنّون أمثال هذه الدعاوى الضالّة، وهذا ما يدعونا إلى الرجوع إلى كلام الإمام الله المتقدّم: «وَكَذَلِكَ يُصْبِحُ الرَّجُلُ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ أَمْرِنَا وَيُمْسِي وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا، وَيُمْسِي عَلَى شَرِيعَةٍ مِنْ أَمْرِنَا وَيُصْبِحُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْهَا» (۱).

ظهور بعض الفِرق الضالّة في زمن الأئمّة المَيْكُ

يمتد تاريخ نشوء الفِرق الضالّة والدعاوى المنحرفة إلى زمن أئمّة أهل البيت الله عين معنى عنه عنه عنه ويدّعي البيت الله عنها دعوات الغلو فيهم الله وقد تصدّى لها - آنذاك - أئمّة أهل البيت الله بقوّة منقطعة النظير، وبيّنوا ضلالة تلك الدعوات وانحرافها، وحذّروا شيعتهم من الوقوع في متاهاتها.

⁽١) النعماني، محمّد بن إبراهيم، الغيبة: ص٢١٤، ب٢١، ما يلحق الشيعة من التمحيص، ح١٢.

يتحدث الشيخ الطوسي الله عن حدوث بعض الخلافات بين الشيعة في زمن الغيبة الصغرى في مسألة تفويض الخلق والرزق للأئمة الله عن عيث يقول: «اختلف جماعة من الشيعة في أنّ الله عزّ وجلّ فوّض إلى الأئمة الله أن يخلقوا أو يرزقوا، فقال قوم: هذا محال لا يجوز على الله تعالى؛ لأنّ الأجسام لا يقدر على خلقها غير الله عزّ وجلّ. وقال آخرون: بل الله تعالى أقدرَ الأئمّة الله على ذلك، وفوّضه إليهم، فخلقوا ورزقوا. وتنازعوا في ذلك تنازعاً شديداً».

وواضح من هذا الكلام أنّ هذا الخلاف أدّى إلى التنازع والتشتّ بين أتباع أهل البيت الله ويمكن أن يُفهم منه نشوء فرقتين على أثر هذا الاختلاف، فرقة تقول: إنّ الخلق والرزق خاصّ بالله تبارك وتعالى، ولا يمكن للأئمّة الله أن يقوموا به. وأخرى تقول: إنّ الله تعالى أقدرهم على ذلك؛ أي جعل لهم القدرة على القيام بهذه الأفعال، وفوّض إليهم فعلها.

واستمر هذا الخلاف الى أن انبرى رجل عاقل حكيم رشيد، أشار إليهم بالحلّ الفيصل في هذه القضية، يقول الشيخ في: «فقال قائل: ما بالكم لا ترجعون إلى أبي جعفر محمّد بن عثمان العمري [وهو النائب الثاني من نوّاب الإمام الحجّة الأربعة، وهو الواسطة بين الإمام في وشيعته]، فتسألونه عن ذلك، فيوضّح لكم الحقّ فيه؛ فإنّه الطريق إلى صاحب الأمر إلى فرضيت الجماعة بأبي جعفر، وسلّمت وأجابت إلى قوله، فكتبوا المسألة، وأنفذوها إليه، فخرج إليهم من جهته توقيع نسخته: إنّ الله تعالى هو الذي خلق الأجسام وقسّم الأرزاق؛ لأنّه ليس بجسم ولا حال في جسم، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، وأمّا الأئمّة في المنتفية في يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق، إيجاباً لمسألتهم، وإعظاماً لحقّهم) (۱).

⁽١) الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة: ص٢٩٣ _ ٢٩٤.

جواب الأئمّة اللِّكُ على بعض دعاوى الغلو

عند العودة إلى مضمون الرواية السابقة نرى أنّ بعض الشيعة كان يدّعي أنّ الله تعالى فوّض أمر الخلق والرزق للأئمّة الله وكان هذا هو السبب في مكاتبتهم لمحمّد بن عثمان العمري، فجاءهم الجواب وتوقيع الإمام الله بشكل صريح يرفع عنهم الإبهام، وهو أنّ الخلق والرزق بيد الله تعالى، وأمّا الأئمّة الله هوائم يسألون الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق، إيجاباً لمسألتهم، وإعظاماً لحقّهم»، فالأئمّة الله تعالى فيخلق، ويسألونه فيرزق، إيجاباً لمسألتهم، وإعظاماً لحقّهم فالأئمّة الله تعالى أن يرزقنا، وأن يمدّنا بالصحّة والتوفيق، وهؤلاء العظهاء الله لما المقام السامي عند الله تعالى، فلا يردّ حلّ وعلا لهم طلباً، فالمعطي والرازق والخالق هو الله تبارك وتعالى.

إنّ بعض الدعوات المشابهة تُطرح في هذه الأيّام، ويستجيب لها بعض المؤمنين، ومن تلك الدعوات الضالّة مَن يقول: إنّك إذا دخلت إلى مراقد الأئمّة على مشلاً فلا تطلب من الله تعالى، بل اطلب من صاحب المرقد مباشرة، فإنّه هو الذي يعطيك ما تسأل! في حين يُبيّن الإمام صاحب العصر والزمان في هذه الرواية أنّ الأئمّة على يسألون الله فيستجيب لهم، فنحن إنّا يُستجاب دعاؤنا وتُقضى حوائجنا ببركة مقام الأئمّة على وقربهم المعنوي من الله تعالى، ومقام الشفاعة لديهم عند الله، ولو لا هذا المقام وهذا الحقّ العظيم الذي لهم عند الله تعالى ما كانت لتحصل الاستجابة في الكثير من الأحيان.

ومن جملة الدعاوى الباطلة القول بأنّ النبيّ الله والأئمّة الله ليسوا من الحقيقة البشريّة، وأنّه م كانوا في عوالم أُخرى بحقائق أُخرى ونزلوا إلى الأرض بصورة البشر، ويتبنّى البعض في الوقت الحاضر عذه المضامين ويدعو إليها، ويستجيب بعض الجهلة لها، مع أنّ هذه الدعاوى مخالفةٌ لصريح القرآن الكريم؛ حيث يقول

تعالى في بيان حقيقة النبي عَيَالَيُّ: ﴿ قُلَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرُّ مِثْلُكُور يُوحَى إِلَى ﴾ ''. وينفي في آية أخرى عن لسان النبي عَيَالَهُ وأن تكون له حقيقة أُخرى غير الحقيقة البشريّة: ﴿ وَلاَ أَخْرى عَن لسان النبيّ عَيَالَهُ وأن تكون له حقيقة أُخرى غير الحقيقة البشريّة: ﴿ وَلاَ اللهِ مَلَكُ ﴾ ''، ويقول في آية ثالثة: ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِي هَلَ كُنتُ إِلّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾ ''.

ومن هنا يتبيّن لكلّ مَن له أدنى اطّلاع على المفاهيم الدينيّة أنّ هذه الادّعاءات تخالف صريح القرآن الكريم.

الموقف المطلوب لتجنب الفتن

بعد أن ذكرنا أنّ الدعاوى الباطلة تأخذ أشكالاً مختلفةً وأساليب متعددةً، فمن الطبيعي أن يُطرح هذا السؤال: ما هو الموقف الذي يجب علينا اتّخاذه حتى لا نقع في متاهات الفتنة والزيغ والضلال؟

وفي مقام الإجابة على هذا السؤال نستذكر كلاماً لأمير المؤمنين أي يُبيّن فيه أنّ مثل هذه الدعاوى تكون _ أحياناً _ من قبيل الباطل الذي يشوبه شيءٌ من الحقّ، فلا يمتلك الإنسان _ في أحيانٍ كثيرة _ القدرة على الفصل والتمييز بين الحقّ والباطل فيها، وأن يميّز الحقّ المحض عن الحقّ المشوب بالباطل، فعليه في مثل هذه الحالة أن يرجع إلى مَن لديه القدرة على هذا التمييز بينها، حتى ينجح في هذا التمحيص.

يقول على «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ الله، يَتَوَلَّى فِيهَا رِجَالٌ رِجَالاً».

عندما يبحث المجتمع المسلم عن الأسباب التي بسببها يقع في الضلالات

⁽١) الكهف: آية ١١٠.

⁽٢) الأنعام: آية ٥٠.

⁽٣) الإسراء: آية ٩٣.

والفتن، يرى أنّ هناك أهواءً وأمزجةً ورغباتٍ وعواطف يتبعها، ويدَع العقل ومَن يمثّل الشرع الحنيف دون اتّباع. يقول الإمام على: «فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ»؛ أي: أصبح الباطل واضحاً جدّاً وخالصاً لا يشوبه الحقّ؛ «لَمْ يَخْفَ عَلَى ذِي حِجىً، ولَوْ أَنَّ الْبَاطِل واضحاً جدّاً وخالصاً لا يشوبه الحقّ؛ «لَمْ يَخْفَ عَلَى ذِي حِجىً، ولَوْ أَنَّ الله الحُقّ خَلَصَ لَمْ يَكُنِ اخْتِلَافٌ، لَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ ومِنْ هَذَا ضِغْثٌ " فَيُمْزَجَانِ الله فَيُعِينَانِ مَعاً، فَهُنَالِكَ اسْتَحْوَذَ الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِه، ونَجَا الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الله الحُسْنَى» "".

فبعد أن يمتزج الحقّ مع الباطل يجيئان معاً في صورة واحدة، فليس هناك صورتان حتى يستطيع الإنسان أن يُميّز بينها، وهنا يكمن خطر الانحراف والوقوع في متاهات الفتن. ولكي نتجنّب الوقوع في تلك الفتن، ونحصّن أنفسنا منها، ينبغي الخّاذ عدّة مواقف حتى تُحفظ لأتباع شيعة أهل البيت الله وحدتهم وقوّتهم وتماسكهم، وأهمّ من ذلك سَيرهم على طريق الهداية والحقّ؛ وهذه المواقف هي:

أوّلاً: اتّباع العلماء الصالحين

لقد أرشدنا أهلُ البيت إلى وسائل النجاة من الفتن، وأوّل تلك الوسائل هي الرجوع إلى العلماء الربّانيين الصالحين الأتقياء في تشخيص الحقّ، فقد ذكرت الرواية المتقدّمة التي تضمّنت رجوع الشيعة إلى النائب الثاني للإمام الحجّة على تشخيص الحقّ في بعض الدعاوى، وقد وجدوا عنده ضالّتهم، فأبان لهم الحقّ في ما اختلفوا فيه.

⁽١) «الضِّغْثُ وَهُو قَبْضَةُ حَشِيشٍ مُخْتَلِطٌ رَطْبُهَا بِيَابِسِهَا، وَيُقَالُ: مِلْءُ الْكَفِّ مِنْ قُضْبَانٍ أَوْ حَشِيشٍ أَوْ شَمَارِيخَ». المقري، أحمد بن محمّد، المصباح المنير: ص٣٦٢.

⁽٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٥٥. و: نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ الله: ج١، ص٩٥.

وهنا نتساءل: إذا كان الإمام على قد بين لشيعته من الذي يرجعون إليه في الغيبة الصغرى، فهل سيتركنا في الغيبة الكبرى دون أن يُبيّن لنا ما هي الجهة التي نرجع إليها في مثل هذه الامتحانات، وهو يعلم أنّ أتباع آل محمّد على سيمرّون بمراحل مختلفة من الابتلاء والتمحيص والاختبار؟!

كلا، حاشا للإمام إلى أن يترك الأُمّة تتيه في بحار الفتن، بل بيّن الإمام إلى بقوله: «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا؛ فإنّه محبّتي عليكم، وأنا حجّة الله عليهم»((). والنائب العامّ للإمام الله هو المرجع الديني الذي يكون ملاذاً وملجأً للناس في معرفة حقائق الدعاوى التي تُطرح، وهل أنّها حقّ أم باطل؟

لكنّ المشكلة أنّنا في كثير من الأحيان نسير وراء أهوائنا وأمزجتنا ورغباتنا وعواطفنا! ولو تأمّلنا الرواية السابقة لرأينا أنّها بيّنت مسألةً مهمّةً، وهي التسليم لما يقوله نائب الإمام على، وهذا الأمر نفسه ينطبق على الغيبة الكبرى، فالحلّ هو أن نسلّم وننقاد إلى ما يقوله المرجع الحقّ في مثل هذه المسائل، ونبتعد عن أسر الأهواء والشهوات والرغبات والأمزجة والعواطف؛ حينئذ يتبيّن لنا الحقّ واضحاً فنتبعه، كما هو الحال في مضمون الرواية التي تبنّى الشيعة فيها فكرة مكاتبة نائب الإمام على فجاءهم الجواب الحقّ.

ثانياً: اتّخاذ الموقف الاجتماعي الصارم تجاه أصحاب الدعاوي الباطلة

يجب على المجتمع المؤمن أن يكون له موقف واضح وصارم تجاه أصحاب الدعاوى الباطلة؛ حتى لا يطمعوا في نشر أفكارهم الضالة والمنحرفة في أوساط المجتمع، ونرى هذا الأمر واضحاً في سيرة الأئمة الله ومواقفهم تجاه أصحاب تلك

⁽١) الصدوق، محمّد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة: ص٤٨٤، الباب الخامس والأربعون ذكر التوقيعات، ح٤.

الدعاوى. فمن الفِرق الضالّة التي نشأت في زمن الأنّمة اللهِ جماعة أبي الخطّاب، وأبو الخطّاب هو أحد المنحرفين، وكان قد ادّعى أنّ الإمام جعفر الصادق الله قد جعله قيمًا ووصيّاً من بعده، ثمّ ادّعى أنّه هو جعفر بن محمّد، ثم ادّعى النبوّة (۱۰).

وقد كان الإمام الصادق الله يلعنه كثيراً كها جاء في بعض الروايات، فكان الإمام الصادق الله عندما يذُكر عنده أصحاب أبي الخطّاب الغلاة يقول للمفضّل بن يزيد: «يَا مُفَضَّلُ، لا تُقَاعِدُوهُمْ، وَلا تُوَاكِلُوهُمْ، وَلا تُشَارِبُوهُمْ، وَلا تُصَافِحُوهُمْ، وَلا تُوارِثُوهُم» "".

وهذه الرواية دعوة واضحة للحصار الاجتهاعي لهذه الفِرق الضالّة، بل قد يصل الأمر في بعض الأحيان إلى حدّ العزل الاقتصادي حتى يظهر للمجتمع أنّ هؤلاء على ضلال وعلى انحراف.

ويُبيّن الإمام الصادق الله _ في مقام آخر حطر أصحاب الدعاوى الباطلة على الشيعة _ ولا سيها أصحاب دعوات الغلو _ فيقول:: «إِنَّ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ هَذَا الأَمْرَ لَمَنْ هُوَ الشَّعِة _ ولا سيها أصحاب دعوات الغلو _ فيقول:: «إِنَّ مِمَّنْ يَنْتَحِلُ هَذَا الأَمْرَ لَمُنْ هُوَ شَرُّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالمُجُوس وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا» (").

⁽١) قال العلّامة الحلي ﴿ الخطّابيّة: من فِرَق الغلاة أتباع أبي الخطَّاب محمّد بن مقلاص الأسديّ الكوفيّ، يُكنّى أبا زينب البزّاز أو البرّاد. إنّهم زعموا أنّ الأئمّة ﴿ إِلَيْ أَنبِياء ثُمَّ آلهة، والآلهة نور من النبوّة ونور من الإمامة، ولعن الصادقُ والرضا ﴿ أَبا الخطَّابِ العلّامة الحلّي، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب في تحقيق المذهب: ج٧، ص٢٨٣.

⁽٢) النوري، الحسين بن محمّد تقي، مستدرك الوسائل: ج١٢، ص٣١٥، باب تحريم مجالسة أهل المعاصى وأهل البدع، ح١٤١٨/ ١٥.

⁽٣) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٥٥، ص١٦٦، باب صفات الشيعة وأصنافهم، ح١٥. وفي رواية أُخرى: عن الحسن بن علي الخزّاز، قال: سمعت الرضائي ، يقول: «إنّ ممّن ينتحل مودّتنا أهل البيت مَن هو أشدّ فتنة على شيعتنا من الدجّال. فقلت: بهاذا؟ قال: بموالاة أعدائنا، ومعاداة أوليائنا، إنّه إذا كان كذلك اختلط الحقّ بالباطل، واشتبه الأمر؛ فلم يُعرف مؤمن من

إنّ هؤلاء ينخرون الجسد العقائدي والاجتهاعي والتربوي، الذي يمثّل خطّ الإسلام الحقيقي من الداخل، فيكون خطرهم أكبر وأشدّ على شيعة آل البيت الله الإسلام الحقيقي من الداخل، فيكون خطرهم أكبر وأشدّ على شيعة آل البيت الله الله المناسلة المناسلة

نموذج من الفرق المنحرفة: الفرقة البابيّة

إنّ صاحب هذه الدعوى هو: السيّد عليّ محمّد بن محمّد رضا الشيرازي، ولد في مدينة شيراز سنة (١٢٣٥هـ)، وتتلمذ في بداية عمره على أحد أساتذة الشيخيّة في مدينة شيراز، وانتقل بعد ذلك إلى مدينة كربلاء، وتتلمذ على أحد كبار علماء الفِرقة الشيخيّة لمدة أربع سنوات، ثمّ عاد إلى مدينة شيراز، وأخذ يُظهِر للناس الزهد والتقشّف والرياضات النفسيّة الشاقّة. وقد ادّعى أنّه أخذ هذه الدعوى من أحد أساتذته، وهي: أنّه يجب أن يكون لكلّ شيء باب وواسطة، وصار عندما يذكر المحديث النبوي: «أنا مدينة العلم وعليّ بابها» (() يلوّح للحاضرين أنّه هو الباب الذي يُؤتى منه للإمام الحجّة المنتظر الله عنه وكان من جملتهم امرأة تُدّعى (قرّة العين) (())، كانت من طلبة أُستاذه، فكوّن له دُعاةً، وكان من جملتهم امرأة تُدّعى (قرّة العين) (())، كانت

منافق». الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص١٧٩، باب وجوب حبّ المؤمن وبغض الكافر وتحريم العكس، ح٢١٢٨٩.

⁽١) الصدوق، محمّد بن على بن الحسين، الأمالي: ص٤٢٥.

⁽٢) اختُلف في اسمها، فقيل: فاطمة، وقيل: (زرّين تاج)، ولقّبت بـ(قرّة العين). ولدت في قزوين سنة (١٢٣٣هـ) في أُسرة دينيّة معروفة، والدها الملا صالح القزويني، تأثّرت بالشيخيّة،

على جانب كبير من الجهال والبراعة الأدبيّة، وكان لها دور كبير في نشر الفِرقة البابيّة، والتي تحوّلت في ما بعد إلى الفِرقة (البهائيّة) (()) استطاعت كسب الكثير من الأتباع، ونشأت على أثر ذلك فِرقة منحرفة عن الإسلام، وعن تعاليم أهل البيت اليين وقد ادّعى أتباعها أنّ صاحبهم الباب قد سافر إلى مكّة، وأنّ سفره هذا هو إحدى، علامات ظهور الإمام المنتظر في متى انتهى بهم الأمر إلى إباحة الخمور والربا والزنا.

وهنا أودّ أن أُلفت النظر إلى مسألة مهمّة؛ وهي: كان أحد أتباع علي محمّد

واعتنقت البابيّة، وأخذت تبشّر لها في مدن عديدة، منها: بغداد، كربلاء، كرمان، همدان، وغيرها. أُعدمت عامّ (١٢٦٨هـ) في طهران. انظر: الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة: ج٢، ص٢٣٩-٢٤٠.

⁽۱) البهائية: فرقة أسسها حسين علي النوري المازندراني (بهاء الله)، الذي كان من البابية الذين يتبعون علي محمّد الشيرازي (الباب)، وبعد إعدام عليّ محمّد الباب سنة (١٢٦٦)هـ في تبريز ادّعى حسين علي النوري أنّه الخليفة الحقيقي للباب. ثم نسخ الدعوة البابية، قائلاً بأنّه هو المهدي، وما الباب إلّا مبشّراً ومنجياً له من أعدائه. وبعدها ادّعى النبوّة الخاصّة، وختم دعاواه بارتقائه إلى مرتبة الإلوهية المطلقة، فكان يقول: إنّه _هو _الله في الأرض بعد أن كان مظهراً من مظاهره. عين بهاء الله خليفة له من بعده وهو ولده الأكبر عبّاس أفندي (عبد البهاء)، ومن بعده ولده الثاني محمّد علي، ثم أقفل الأمر مدّة ألف سنة. توفي حسين علي النوري (بهاء الله) في ٢ ذي القعدة سنة ١٣٠٩هـ هـ الموافق ٢٨ أيار سنة ١٨٩٢ م ودُفن في عكّا.

يعتبر البهائيون أنَّ ما يعتقدون به لا ينتمي إلى أيّ دين من الأديان السهاويّة، بل هو دين جديد، وأنَّ بهاء الله نبيٌ مرسل من الله تعالى كباقي الأنبياء والرسل، وأنّ النبيّ الأكرم الله يكن خاتم النبيّين، ولم تكن الشريعة الإسلاميّة خاتمة الشرائع السهاويّة، وقد صّرح بهاء الله في كلهاته أنّ مَن لم يؤمن بها جاء به مشرك ضالّ. وقد تصدّى علهاء المسلمين للردّ على الفرقة البهائيّة، واعتبروا البهائيين من الكفّار الخارجين عن رقبة الإسلام، وحكموا بنجاستهم وضلالهم، وقد كُتبت الكثير من الكتب في الردّ على الفرقة البهائيّة. انظر: الموسوعة الإلكترونيّة لمدرسة أهل البيت الله (ويكي شيعة): http://ar.wikishia.net

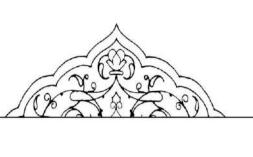
الشيرازي (صاحب الدعوة البابيّة) على اتّصال وثيق مع أحد دبلوماسيّ السفارة الروسيّة في طهران؛ حيث كان في ذلك الوقت لروسيا مطامع كثيرة في بلدان المسلمين، وخاصّة في إيران، وأرادت أن تُوجد بعض الأسباب التي تستطيع من خلالها أن تستولي على ذلك البلد، وأن تمرّر مخطّطاتها فيه عن طريق نشر الفتن والفوضي والاضطراب، فأخذ هذا الدبلوماسي يدعم هذا الداعية بشدّة، وقد انتحل الإسلام، وتزوّج من امرأة مسلمة، ولبس زيّ رجال الدين حتى يستطيع أن يقدّم الدعم القوي لهذه الفِرقة، وقد نجح بهذه الطريقة من نشر هذه الفِرقة والدعوى في الكثير من مدن إيران (۱).

وما أُريد قوله في المقام هو: إنّه حينها يكون البلد محتلاً من قوّة كافرة، فإنّ تلك القوّة الاستعماريّة تحبّ أن تنشر الفوضى والفتن والضلال في ذلك البلد، حتى تستطيع أن تهيمن وتستولي عليه، من أجل تمرير مصالحها وخططها في هذا البلد،

⁽۱) يقول بعض الباحثين عن صاحب الدعوة البابيّة: «... إنّ علي محمّد كان فتى غرّاً عامّياً لم يكن يعرف من العلم شيئاً ولا يفقه ماذا يقول، ولكنّه كان ميّالاً إلى الغلو في الزهد والعبادة على طريقة الشيعة الاثني عشريّة، فاستغله الملا (حسين البشروئي) ـ أحد تلاميذ كاظم الرشتي وكان هذا البشروئي على اتّصال وثيق مع أحد الجواسيس الروسيين في السفارة الروسيّة في إيران، ويسمّى (كنيازد الكوركي). وكان البشروئي قد تعرّف بالشيرازي في مجالس الرشتي، فلمّا مات الرشتي أخذ البشروئي يواصل الاجتماع مع هذا الشاب المغتر، وأصبح يوحي إليه أنّه سيكون له شأن وأنّ ظهور المهدي المنتظر قد دنا أجله ومن الممكن أن يكون هو باب المهدي، وما زال به حتى أعلن على محمّد الشيرازي في ٥ جمادى الأوّلي سنة ١٢٦٠ ه أنّه (باب المهدي المنتظر)، وكان في الخامسة والعشرين من عمره، ونصب البشروئي نفسه باباً للباب. ولم تمضِ مدّة طويلة حتى سوّل له البشروئي أن يعلن بأنّه هو (المهدي المنتظر)، وجلب له البشروئي ثان يعلن بأنّه هو (المهدي المنتظر)، وجلب له البشروئي ثانية عشر رجلاً من أصحابه فأظهروا أنّهم آمنوا بمهديّته». البستوي، عبد العليم عبد العظيم، المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة: ص١١٥ ـ ١١١.

وفي بقية البلدان المجاورة. ولا ندري مَن الذي يقف رواء الكثير من الدعاوى الباطلة التي نشهدها في الآونة الأخيرة؟!

في الختام أسال الله تعالى أن يخرجنا من جميع ابتلاءات الدنيا من خلال سيرنا على هدى أئمّتنا الله ومراجعنا الأبرار الحكماء، إنّه سميع مجيب. والحمد لله رتّ العالمن.



الخطبة الثامنة والأربعون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القسم الأوّل

بتاریخ: ۱٦/ ٦/ ۲۰۰۶م

وفيها المحوران التاليان:

◄ المحور الأوّل: أهميّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآثارهما الدنيويّة

والأُخرويّة

💯 النقطة الأولى: أهمّيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

殆 النقطة الثانية: آثار العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

💯 النقطة الثالثة: آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

◄ المحور الثاني: شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

مقدّمة الخطبة

بير الله الرَّمْ يَرَالِكُم الرَّمْ الرَّمْ الرَّالِيُّ الرَّمْ الرَّالِيُّ الرَّمْ الرَّالِيُّ الرَّالِيُّونِ

الْحُمْدُ لله أَوَّلَ مَحْمُودٍ وَآخِرَ مَعْبُودٍ وَأَقْرَبَ مَوْجُودٍ، الْبَدِيءِ بِلا مَعْلُومٍ لأَزَلِيَّةِ وَلا آخِرٍ لأَوَّلِيَّةِ، وَالْكَائِنِ قَبْلَ الْكَوْنِ بِغَيْرِ كِيَانٍ، وَالْمُوْجُودِ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِغَيْرِ عِيَانٍ، وَالْقَرِيبِ مِنْ كُلِّ نَجْوَى بِغَيْرِ تَدَانٍ، عَلَنَتْ عِنْدَهُ الْغُيُوبُ، وضَلَّتْ فِي عَظَمَتِهِ وَالْقَرُيبِ مِنْ كُلِّ نَجْوَى بِغَيْرِ تَدَانٍ، عَلَنَتْ عِنْدَهُ الْغُيُوبُ، وضَلَّتْ فِي عَظَمَتِهِ الْقُلُوبُ عَلَى احْتِجَابِهِ تُنْكِرُ مَعْرِفَتَهُ، ثَلَّلُ الْقُلُوبُ عَلَى الْعَبْرِ مِثَالٍ تَحُدُّهُ الْأَوْهَامُ أَوْ تُدْرِكُهُ الْأَحْلَامُ... أَحْمَدُهُ حَمْداً أَسْتَزِيدُهُ فِي لِي الْقُلُوبِ بِغَيْرِ مِثَالٍ تَحُدُّهُ الْأَوْهَامُ أَوْ تُدْرِكُهُ الْأَحْلَامُ... أَحْمَدُهُ حَمْداً أَسْتَزِيدُهُ فِي الْقُلُوبِ بِغَيْرِ مِثَالٍ تَحُدُّهُ الْأَوْهَامُ أَوْ تُدْرِكُهُ الْأَحْلَامُ... أَحْمَدُهُ حَمْداً أَسْتَزِيدُهُ فِي لِنَيِيِّهِ الْمُطَفَى، لِوَحْيِهِ لَعْمَتِهِ، وَأَسْتَجِيرُ بِهِ مِنْ نِقْمَتِهِ، وَأَتَقَرَّبُ إِليَّهِ بِالتَّصْدِيقِ لِنَبِيِّهِ الْمُطْفَى، لِوَحْيِهِ الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعَلَى النَّمَةِ وَاللهِ وَعَلَى النَّذِينَ وَاللهُ سَلِينَ وَاللَّا ثِكَةً أَجْمَعِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيهً إِلْ الْمَعْمِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيهً إِلَا اللهُ عَلَيْهِ وَاللهِ وَعَلَى النَّهِ عَلَى النَّهِ عَلَى النَّهِ عَلَى اللهِ عَلَيْهُ وَاللهِ وَعَلَى اللهِ وَعَلَى النَّهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَاللهِ وَعَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَالْمُولِينَ وَاللهُ وَعَلَى اللهُ عَلَيْهُ وَاللهِ وَعَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَاللهُ وَاللهُ وَالْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللهُ وَاللّهُ وَعَلَى النَّهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهِ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَاللّهُ وَلَهُ الللهُ عَلَيْهُ وَاللّهُ وَاللّهُ

أيّها الإخوة المؤمنون، أيّتها الأخوات المؤمنات، سلامٌ عليكم من ربِّ رحيمٍ ودودٍ، بها واليتم آل الرسول عَلَيْهُ، وبها أنتم عليه _ حيث ما زلتم تقدّمون من التضحيات قرباناً لآل الرسول عَلَيْهُ ورحمةٌ منه وبركات.

أُوصيكم إخواني وأخواتي ونفسَي _ الغارقة في بحار من الذنوب والمعاصي _ بتقوى الله تعالى والاستعداد لـ ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَنَى ٱللَّهَ بِقَلْبِسَلِيمٍ ﴾ (''.

فأتمروا بأوامره، وانتهوا عن نواهيه، وتجنّبوا مذامّ الأخلاق ورذائل الصفات.

نتطرق في هذا اليوم إلى مسألة في غاية الأهمّيّة؛ لأنّها تحتلّ مساحةً كبيرةً في ديننا الإسلامي الحنيف، ولأنّها تنعكس على مجتمعاتنا بشكلٍ مباشر؛ لما تشكّله من

⁽١) ابن طاووس، علي بن موسى، مهج الدعوات: ص١١١-١١٢.

⁽٢) الشعراء: آية ٨٨ ـ ٨٩.

واجبِ شرعيٍّ وأخلاقيٍّ؛ إنها فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، التي يتحتّم علينا إحياؤها والتذكير بها والسعي من خلالها إلى بناء مجتمع صالح، قوامه طاعة الله سبحانه والتقوى وحسن الخُلق، قال الله تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيآ أَهُ بَعْضٍ يَأْمُهُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَوَة وَيُؤْتُونَ الرَّكُوة ويُطِيعُونَ الله ورَسُولَهُ وَأُولَيَهِكَ سَيرَ مَهُمُ الله ويَسُونَ الله ورَسُولَهُ وَاللهِ عَنْ الله ورَسُولَهُ وَاللهِ عَنْ الله ورَسُولَهُ وَاللهِ عَنْ الله ورَسُولَهُ وَالله عَنْ الله ورَسُولَهُ وَاللهِ عَنْ الله ورَسُولَهُ وَاللهِ عَنْ الله ورَسُولَهُ وَاللهِ عَنْ الله ورَسُولَهُ وَاللهِ عَنْ اللهِ وقصل الله الله عَنْ الله ورَسُولَهُ وَلَيْهِ عَنْ الله ورَسُولَهُ وَلَيْقِكَ سَيرَ مَهُمُ اللهُ اللهُ عَنِينٌ حَكِيمُ ﴾ (١٠).

وقد عدّ الفقهاء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم الواجبات الدينيّة، وسيتضح سرّ ذلك من خلال بعض الآيات الكريمة والروايات الشريفة التي بيّنت هذا الواجب الديني في نظر المشرّع.

محاور الخطبة

سنتحدث عن هذه الفريضة الإلهيّة _ في هذه الخطبة والخطبة القادمة _ من خلال المحاور التالية:

المحور الأوّل: بيان أهمّيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآثارهما الدنيويّة والأُخرويّة

المحور الثاني: شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المحور الثالث: أساليب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

المحور الرابع: مراحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المحور الخامس: خصائص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

وهنالك مباحث أُخرى تتضمّنها هذه المحاور سنتحدّث عنها إن شاء الله تعالى.

(١) التوبة: آية ٧٠.

المحور الأوّل: بيان أهميّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآثارهما الدنيويّة والأُخرويّة ونتناول هذا المحور المهمّ من خلال نقاط ثلاث _ كما يشير لها عنوانه _ وهي كالتالى:

النقطة الأولى: أهمّيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لو تأمّلنا الآية الكريمة المتقدّمة، يتبيّن لنا أنّها تعرّضت لفرائض متعدّدة، فقد تضمّنت: الصلاة، والزكاة، وطاعة الله والرسول. لكنّها بعد بيان وصف المؤمنين والمؤمنات وولاية بعضهم للبعض الآخر، جاءت لتأكّد على هذا الواجب المهمّ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقدّمت ذكره على سائر الفرائض الأُخرى، في هذا الواجبات؟ وما هي دلالة هذا التقديم؟

لقد أشارت بعض الروايات إلى سرّ ذلك، وبينّت المكانة الرفيعة لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالنسبة إلى سائر الفرائض الإلهيّة الأُخرى، ومن ذلك الحديث الوارد عن الإمام الحسين الله الذي يقول فيه: «...فبدأ الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ فريضةً منه؛ لعلمه بأنّها إذا أُدّيت وأُقيمت استقامت الفرائض كلّها هيّنها وصعبها؛ وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم، ومخالفة الظالم، وقسمة الفيء والمغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها»(۱).

ويمكن أن نستفيد من هذا الحديث_وغيره_مجموعة أُمور، منها:

أوّلاً: اعتماد الفرائض الأُخرى على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنَّ هذه الفريضة لو طبّقت في أيّ مجتمع من المجتمعات التي تؤمن بالله واليوم

⁽١) الحرّاني، ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول: ٢٣٧.

الآخر، ستُفضى إلى تأدية أفراد ذلك المجتمع الفرائض كما ينبغي لها أن تُؤدّى، فيتحصّل _ في نهاية الأمر _ كيان مؤدِّ للزكاة ومقيم للصلاة، مؤتمر بأوامر الباري منتهِ عن نواهيه. وفيها لو أحجم المؤمنون عن هذه الشعيرة فسيتفشّى المنكر والرذيلة والفساد والانحطاط، وفي النهاية سوف لا يو جد أثر يُذكر لأيَّة فريضة دينيَّة، وهذا ما أكَّد عليه الحديث من أنَّ الالتزام بهذه الفريضة يُنتج استقامة الفرائض الأُخرى. وقد أشار الإمامي إلى مطلب مهمّ؛ حيث يقول: «... هيّنها وصعبها؛ وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دعاء إلى الإسلام مع ردّ المظالم، ومخالفة الظالم»، بمعنى أنّ هنالك بعض الفرائض، وبعض الأحكام تكون على مستوى عال من الخطورة بالقياس إلى غرها، فلا يكون الالتزام بها وأداؤها سهلاً ومتيسّراً، كالوقوف بوجه الظالمين الذين دأبوا على مخالفة الأحكام الإلهيّة، ومنع المؤمنين من ممارسة الشعائر الدينيّة، فيشقّ ويصعب أداء الفرائض والشعائر الدينيّة على المؤمنين في مثل هذه الحالة. لكن عندما تعمل الأُمّة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتهبّ الجماعة المؤمنة للوقوف بوجه الطاغوت والظالم واكتساح وجوده، عند ذلك سيحصل المجتمع على فسحة كبيرة تمكّنه من ممارسة ما أمرت به الشريعة من الواجبات، والتناهي عن المحرّمات.

ثَانِياً: ازدهار الجانب الاقتصادي في حين يُؤمر بالمعروف ويُنهى عن المنكر

يقول الحديث في بعض فقراته: «وقسمة الفيء والغنائم، وأخذ الصدقات من مواضعها ووضعها في حقها»، فلو أقام أهل الإيهان فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عندها سيزدهر الجانب الاقتصادي من خلال قسمة الفيء والصدقات والأُمور الأُخرى، وبحصول الرفاه الاقتصادي تكون أيدي المؤمنين مبسوطة، الأمر الذي يؤدي إلى نشر الوعي الديني من خلال بناء المؤسسات التي تهتم بنشر

التعاليم الدينيّة، وتأليف الكتب، وتأسيس الصحف الهادفة، وإنتاج البرامج التلفزيونيّة الدينيّة، وحصيلة تلك الأعمال تصبّ في كفّة الإتيان بالواجبات والنهي عن المحرّمات.

ثالثاً: استقامة العقيدة والأخلاق

إنّ الدين الذي شرّعه الباري تعالى يتضمّن العقيدة والأحكام الشرعيّة والأخلاق، ولا يتوقّف تأثير فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الحفاظ على حدود الشريعة من الواجبات والمحرّمات فقط، بل إنّها تُسهم بشكلٍ أساسٍ في الحفاظ على العقيدة الحقّة والدفاع عنها أمام الشبهات والدعاوى الضالّة والمنحرفة التي تهدف إلى تحريف العقيدة ورواج البدع والخرافات والانحرافات، فالوقوف بوجه تلك الانحرافات وأصحابها، ومواجهتها بمختلف الوسائل المؤثّرة، يُعدّ من أبرز مصاديق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

كما أنّ هذه الفريضة تتكفّل بالحفاظ على القيم الإسلاميّة، ورواج الفضائل الأخلاقيّة بين أبناء المجتمع، من قبيل: العدل، ومواجهة الظلم في الأُسرة والمجتمع والدولة على حدّ سواء، والعفاف والنزاهة، والصدق والأمانة، ومواجهة الفساد بجميع صوره، وغير ذلك من التعاليم الأخلاقيّة التي أمر بها الدين الحنيف.

وبذلك يتجلّى لنا أهمّيّة هذه الفريضة ودورها المحوري في الدين الإسلامي، والسرّ وراء تقديم هذه الفريضة على الفرائض الأُخرى.

النقطة الثانية: آثار العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ذكرت العديد من النصوص آثاراً مهمّةً للعمل بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من شأنها أن تنعكس على حياة الفرد والمجتمع في جانبيها المادّي والمعنوي، وتُساهم في سَوْق الإنسان إلى الكهال في الدنيا، ونيل الدرجات العليا في

الآخرة. كما حذّرت النصوص الدينيّة من ترك العمل بهذه الفريضة والآثار المترتّبة على إهمال هذه على ذلك الترك، وتُعتبر الآثار الاجتماعيّة من أخطر الآثار المترتّبة على إهمال هذه الفريضة والتفريط فيها. وسنتكلّم في المقام أوّلاً في آثار العمل بهذه الفريضة، ثم في آثار تركها.

إنّ الآثار والانعكاسات التي يتركها تطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة لا يمكن أن تُحصى، لكن سنتناول شيئاً منها من خلال بعض النقاط:

أ) بسط العدل

إنّ من جملة ما يترتّب على تطبيق المجتمع هذه الفريضة ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ القضاء على جميع ألوان الاضطهاد والاستغلال، وبذلك تُحفظ كرامة الإنسان، وتُجنى ثمرة بسط العدل في المجتمع. وقد ذكر النبيّ الأكرم الله ذلك، حيث يقول في ما يُروى عنه: «لا تزال أمّتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ والتقوى، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات، وسُلط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السهاء»(۱).

لقد جمع النبي النبي الأمر بالمعروف، وبين إقامة العدل ونزول البركات، وغيرها من الأُمور، ولو أنّ المسلمين تركوا ذلك لأدّى إلى تسلّط الظالمين عليهم.

ب) وحدة الصفّ الإسلامي

عندما يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الفاعل في المجتمع، فستنقشع غيوم الفُرقة، ويتّجه المجتمع إلى إعلاء شعار الدين الذي يدفع أفراده إلى الاصطفاف في طابور واحد تحت راية الإسلام، مستشعرين قيمته الفذّة، التي تدعو

⁽١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص١٢٣.

للإخاء والتكاتف والتناصر، وبذلك سيستنشق المجتمع عبير وحدة الصف، وتوحيد المواقف.

ج) إشاعة الأخلاق الحسنة

حينها يضرب الأمر بالمعروف جذوره في أوساط المجتمع ستترسّخ الفضيلة، وسينتشر من خلالها الصدق والوفاء والرأفة والحنان وغيرها من مكارم الأخلاق، وباجتثاث النهي عن المنكر لجذور الرذيلة سوف لا يبقى هناك معنى للخيانة والبخل والقساوة والبغضاء والنميمة، وبذلك تكون هذه الفريضة قد ساعدت المجتمع في رفع مستواه الأخلاقي.

د) الازدهار الاقتصادي والقضاء على الفقر

لا يشك مؤمن وعى الشريعة الإسلاميّة وأهدافها السامية بأنّ الإنفاق وإطعام الفقراء، وقضاء الحوائج، هو من مصاديق الأمر بالمعروف، كما لا يشكّ في أنّ البخل، وعدم بذل الواجبات الماليّة، هو من مصاديق المنكر، فإذا أنفق المجتمع ما عليه من الحقوق الماليّة للفقراء، سيُطعَم الجائع ويُكسى العاري ويُعالج المريض ويُؤوى اليتيم، وتُتدارك جميع الاحتياجات، وبذلك يصل المجتمع إلى قمّة التكافل الاجتماعي، والنتيجة النهائيّة القضاء على الفقر في المجتمع.

ورد عن الإمام الصادق في حديث طويل، كان من جملته ما يُشير إلى ذلك، يقول في: «إنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء، ومنهاج الصلحاء، فريضة عظيمة، بها تُقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحلّ المكاسب، وتُردّ المظالم، وتُعمر الأرض، ويُنتصف من الأعداء، ويستقيم الأمر» (().

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٥٦.

لقد أكّد الإمام على أنّ من آثار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو عمارة الأرض، وذلك يعود إلى أنّ كلّ معالم الفساد في الأرض - بمختلف مستوياته - إذا دخلت تحت سيطرة المجموعة المؤمنة، فإنّه بإقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سوف تعمر الأرض، وبالتالى يعود هذا الإعمار بآثار دنيويّة طيّبة.

أمّا لو كان العكس فسينتج انتشار المنكر، وانعدام المعروف، الأمر الذي يؤدّي إلى تراجع الإعمار، وتحطيم البُنى التحتيّة، وهلاك الحرث والزرع، وهي من المصاديق الواضحة للآثار الدنيويّة السلبيّة لترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ه) ازدهار الجانب العلمي في المجتمع

لقد أطبق العقلاء والعلماء في كلّ المذاهب والأديان على أنّ نشر العلم في أوساط المجتمعات يُعتبر من المعروف، وأنّ العمل على رفع الجهل منها يُعدّ من مصاديق النهي عن المنكر، وقد وردت العديد من الأحاديث والنصوص التي تحتّ على ضرورة أن يتحلّى الإنسان بصفة العلم، وأن يخلع عنه ثياب الجهل، ومن جملتها الحديث الوارد عن النبيّ على "طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة" وفالإسلام كما لا يُقيد طلب العلم بأفراد معيّنين، كذلك لا يقيده بمرحلة دراسية أو فئة عمريّة معيّنة، بل يستمرّ الترغيب مع الإنسان ما دام في هذه الحياة، وقد ورد في ذلك قوله على الموايات التي تُشير ذلك من الروايات التي تُشير فلا هذا المعنى.

فإذا فُرض هذا الأمر ببركة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سيشعّ نور العلم

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٠٣٠.

⁽٢) الحر العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج٢٧، ص٢٧. باب عدم جواز القضاء والإفتاء بغير علم، ح٢٠.

وبريقه على جميع المجتمع، ويُصبح مجتمعاً متعلّماً متحضّراً، بعيداً عن الأوهام والخرافات، نابذاً ما يقوله الكهنة والعرّافون والسحرة. وهذا جانبٌ من جوانب الخير الذي ذكره النبيّ الأكرم عَيَيْلِيّهُ في قوله المتقدّم: «ولا تزال أُمّتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ...».

النقطة الثالثة: آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كما لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر آثار إيجابيّة كثيرة، فكذلك لترك هذه الفريضة والتخلّي عنها آثارٌ سلبيّة وهدّامة ذكرتها النصوص، وسنتعرّض لذكر بعضها من خلال ما يلى:

أ) سلب البركات

وإلى ذلك يُشير النبي عَيَالَيْ بقوله «..فإن لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات...»، ومعلوم أنّه إذا نُزعت البركات عن أيّ مجتمع، فستحلّ بهم الأزمات الاقتصاديّة، وسيتفشّى الفقر، وتنعدم أسباب العيش الرغيد، وبذلك تَحِلُّ المآسى على البشر.

ب) شيوع الفُرقة وتسلّط الأشرار على المجتمع

إنّ الإنسان اجتهاعيّ الطبع، فلا يتمكّن من العيش بمفرده وبعيداً عن أبناء جنسه، وهو كذلك بحاجة إلى مقوّمات الحياة، من المأكل والمسكن والملبس والمشفى، ممّا يضطرّه إلى أن يكون إلى جانب أبناء جلدته، فلو تخادم الناس في ما بينهم بنوايا حسنة وبقلوب سليمة، فستتحوّل الدنيا بأعينهم إلى جنّة من جنان الأرض، ولكن لو سار الناس بمسيرة التحاقد، والتباغض، والفحشاء، والمنكر، ستتفكّك عُرى التخادم في ما بينهم، ويُصبح بعضهم عدواً للبعض الآخر، وتتحوّل دار الدنيا بأعينهم إلى غابة مليئة بالوحوش والكواسر، وخالية من معاني الإنسانيّة، وتَحِلُّ عليهم نقمة الله تعالى، ويُمنع نصره عنهم.

ومن الواضح أنَّ صمَّام الأمان الذي سيحول دون الانجرار إلى ذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلى ذلك يُشير النبيَّ عَيَّالًا في قوله: «وسلَّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء».

كها أنّ هذا التخاذل والتفكّك في المجتمع وانعدام الوحدة بين الفئات المؤمنة والصالحة فيه، يؤدّي إلى وقوع المجتمع تحت سلطة الأشرار وهيمنتهم، فهنالك تشابه كبير بين تسلّط الأشرار على المجتمعات، وبين عمل الجراثيم التي تفتك بصحّة الإنسان، فكها أنّ الجراثيم تبدأ في كثير من الأحيان بحركة سهلة بسيطة ثم بعد ذلك تنشط إلى أن تستولي على فريستها، فكذلك الأشرار والسيّئون، فهم غالباً ما ينطلقون من أعمال بسيطة في بداية نشاطهم، ثم بعد ذلك تستفحل أعمالهم إلى أن تصل الحال بهم إلى التسلّط على رقاب المجتمع.

أمّا لو أخذنا على عاتقنا العمل بالاتّجاه الوقائي، وكنّا قد منعنا كلّ ما يُهيّئ الظروف المناسبة لتواجد الجراثيم، أو كافحناها في مراحلها البدائيّة، فبالتأكيد سوف لا تستولي على جسم الإنسان. وهكذا الأمر بالنسبة لتوليّ الفجّار، فعندما يغيب عامل الأمر بالمعروف في جانبه الوقائي، فستنفتح لهم أبواب العمل، وعندما يُعارسون أعالهم الإجراميّة من دون رقيب ورادع، يقوى نشاطهم إلى أن يصلوا إلى حالة الهيمنة التامّة على المجتمع، وعندها ينتشر الظلم والفساد والرذائل. وإلى ذلك يُشير الإمام أمير المؤمنين عن عن قال: «ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيوليّ عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يُستجاب لكم»(۱).

ج) استحالة القيم

خلق الله تعالى الإنسان وفطرَه على حبّ كلّ ما هو خير وبغض كلّ ما هو شرّ،

⁽١) القندوزي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودّة: ج٢، ص٣٠.

وجاء الإسلام ينادي بالمفاهيم التي من شأنها أن تقوّي الحسّ الخيري، وتُخمد ما هو شرّ لدى جميع البشر، فإذا سار الإنسان بهذا الاتجّاه ستكون السيادة للقيم، ولكن لو ترك الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فستنتشر الرذيلة حتى تبتلع كلّ ما يمتّ لتلك القيم الخيّرة بصلة، لذلك نرى الحديث الوارد عن النبيّ يَيْنِينُ يُحذّر من وصول المجتمع إلى تلك الحالة، حيث يقول المالية: «كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر؟». فقيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟! فقال المناه وشرّ من ذلك، فكيف بكم إذا آتيتم المنكر ونهيتم عن المعروف؟». فقيل له: يا رسول الله، ويكون ذلك؟! فقال المناه وشرّ من ذلك، كيف بكم إذا رأيتم المعروف منكراً، والمنكر معروفاً؟!» «نعم، وشرّ من ذلك،

وهذه الاستحالة للقيم لا يقف أمامها إلّا فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتحول دون انتشارها واستفحالها، وتوئدها في مهدها.

د) موت الأُمم

حدّثنا التاريخ عن أُمم عاشت على سطح هذه الكرة الأرضيّة ولكن سرعان ما باغتها الهلاك الجهاعي، فانقرضت ولم يبقَ لها أثر يُذكر، وقد حكى لنا القرآن الكريم عن الأسباب الرئيسيّة التي أدّت لزوالها، فمن جملة تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَكَ أَهُلَكُنْهُمْ لَمّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾". وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَكَ ءَامَنُواْ وَاتَقَوْا لَهَنَحْنَا عَلَيْهِم بَركنتِ مِّنَ السَّمَآءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِكن كَذَبُوا فَأَخَذْنَهُم بِمَاكَانُواْ يَكْمِيوُنَ ﴾".

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٥٥.

⁽٢) الكهف: آية ٩٥.

⁽٣) الأعراف: آية٩٦.

عندما نتأمّل في هذه الآيات نجدُ أنّ المُنكر حينها يتفشّى في المجتمعات يكون هو السبب الرئيسي لانقراضها، وعلى العكس من ذلك في ما لو كان المعروف هو المتأصّل؛ فإنّ الازدهار والعمران هو ما سيكون حليف المجتمعات، وستكون هذه الأُمم حيّةً في وجودها، وما تقدّمه من عطاء للأجيال القادمة.

ه) خسارة الآخرة

لو نظرنا إلى مجتمع انعدمت فيه فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فسنجد أنّ تفشّي الفساد والرذيلة حالة ملازمة له، والنتيجة الحاصلة من ذلك أنّ الأغلبيّة الساحقة ستنحرف عن دين الله، وحاصل هذا الانحراف الخروج من دار الدنيا بوجوه سوداء، قد أسخطت خالقها، ولم تنل رضاه.

أمّا لو تأمّلنا في مجتمع قد طبّق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحذافيرها، وعمل على نشر الفضيلة، وسعى لاجتثاث الرذيلة من جذورها؛ فإنّ نتيجة ذلك السعي هو الحصول على المجتمع الصالح المحافظ على إقامة أوامر الخالق، والمبتعد عن نواهيه، ونتيجة هذه الاستقامة ستتكلّل بالرضا الإلهي، الذي ينتج عنه دخول الجنان، والتنعّم بنعيمها الأبدي. وبهذا يتضح الأثر الأُخروي لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المحور الثاني: شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من المباحث المهمّة في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الاطّلاع على شروط هذه الفريضة؛ وذلك لأنّ الكثير من الناس وخصوصاً بعض الشباب المتحمّس والمتلهّف لتطبيق دين الله في الأرض - ربّها يضلّ الطريق في الوصول إلى هذا الواجب المهمّ والحيوي، وتكون الأضرار الناجمة عن الخطأ في التطبيق بحجم كبير، وذات أثر خطير، تنعكس سلباً على المجتمع الإسلامي بشكل لا يحمد عقباه.

من هنا تتبيّن أهمّيّة التعرّض لهذا المبحث الخطير، وسنتطرّق لذكر شروط هذه الفريضة التي ذُكرت في الرسائل العمليّة للفقهاء التي اتّفقت كلماتها على ذلك:

الشرط الأوّل: معرفة المنكر والمعروف: إنّ مَن يتصدّى للأمر بالمعروف يجب عليه أوّلاً أن يكون عارفاً بهذا المعروف؛ ليمكّنه ذلك من الأمر به، وهكذا الأمر في مَن يتصدّى للنهي عن المنكر؛ إذ المفروض أن يكون له اطّلاع على أنّ ما ينهى عنه من المنكر؛ ليكون إقدامه على ذلك النهى نابعاً من المعرفة بحقيقة ما ينهى عنه.

أمّا إذ لم يكن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر مطّلعاً وذا معرفة بحكم ما يُقدم عليه، فيجب عليه _ حيئة _ تعلّم تلك الشروط في المرتبة الأولى، ثم بعد أن يُصبح عارفاً بها، يقدم على العمل بها، فيكون التعلّم من باب المقدّمة لأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر.

ومَن ذلك يتضح الجواب على الكثير من الأسئلة والرسائل التي تطلب منّا التدخّل في بعض الأحيان لنقد بعض الظواهر الاجتماعيّة السلبيّة والنهي عنها، فلا بدّ في المرتبة الأُولى أن نعرف حكم هذه الظاهرة الاجتماعيّة من حيث إنّها تدخل في باب الحرمة، أو الكراهة، أو في باب الإباحة، لكي نعرف بأنّ هذه الظاهرة يجب أن يُنتهي عنها أو لانن.

الشرط الثاني: احتمال ائتمار المأمور بالمعروف وانتهاء المنهي عن المنكر، بأن يحصل الاحتمال للآمر بالمعروف بأن ما يأمر به سيمتثل من قبل المأمور التارك لذلك المعروف، وهكذا في ما يخصّ الناهي عن المنكر، فلا بدّ من أن يحصل له هذا الاحتمال بأنّ نهيه سيؤثّر على مَن يقدم على ارتكاب المنكر. وأمّا لو حصل العلم

⁽١) انظر: الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين: ج١، ص١٥٥ ـ ٣٥٢. و: السيستاني، عليّ، منهاج الصالحين: ج١، ص٤١٦ ـ ٤١٧.

عند مَن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بأنَّ مخاطبه لا يمتثل لذلك، فحينئذٍ يسقط عنه هذا التكليف".

الشرط الثالث: أن يكون الإنسان التارك للواجب مصرّاً وعازماً على هذا الترك، أو فعل المنكر، أمّا إذا احتُمل توبته، أو ليس هناك إصرار وعزم منه على ترك الواجب، فحينئذ يسقط وجوب الأمر بالمعروف وهكذا النهى عن المنكر (").

الشرط الرابع: الأمن من الضرر: يشترط الفقهاء شرطاً مهماً في مجال الأمر بالمعروف بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو عدم وصول الضرر لمن يتصدّى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سواء كان هذا الضرر متعلّقاً بالجانب المالي، أو الجسدي، أو النفسي. نعم، لا بدّ من وصوله إلى حدّ يُعتدّ به عند العرف والعقلاء، فإذا وصل إلى المراحل العالية فحينيّد لا شكّ ولا ريب في سقوطه.

لكن إذا كان ما يُأمَر به أو ما يُنهى عنه من الأهمّيّة بمكان في نظر الشريعة المقدّسة، بحيث يهون عنده لحوق الضرر، كما لو كانت ظاهرة المنكر قد تفشّت في المجتمع، بحيث أخذت تهدد الكيان الإسلامي، فحينئذٍ حتى لو كان هناك ضرر على النفس أو المال فيجب الإتيان بهذا الواجب الديني ".

⁽١) انظر: المصدرين السابقين.

⁽٢) انظر: المصدرين السابقين.

⁽٣) قال السيّد السيستاني(دام ظلّه) في منهاج الصالحين: «يُشترط في وجوب الأمر بالمعروف الواجب، والنهي عن المنكر أُمور:

الأوّل: معرفة المعروف والمنكر ولو إجمالاً، فلا يجبان على الجاهل بالمعروف والمنكر، ولكن قد يجب التعلّم مقدّمةً للأمر بالأوّل والنهي عن الثاني.

الثاني: احتمال ائتمار المأمور بالمعروف بالأمر، وانتهاء المنهي عن المنكر بالنهي، فإذا لم يحتمل ذلك، وعلم أنّ الشخص الفاعل لا يُبالي بالأمر أو النهي، ولا يكترث بهما، لا يجب عليه شيء على المشهور، ولكن لا يُترك الاحتياط بإظهار الكراهة فعلاً أو قولاً ولو مع عدم احتمال الارتداع به.

وسوف نستعرض ما تبقى من هذا البحث في الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى، نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لامتثال أوامره والتحلّي بالفضائل، والتخلّي عن الرذائل، وأن يجعلنا من العاملين بالمعروف والآمرين به، والمنتهين عن المنكر والناهين عنه. والحمد لله ربّ العالمين.

الثالث: أن يكون الفاعل مصرّاً على ترك المعروف وارتكاب المنكر، فإذا كانت أمارة على ارتداع العاصي عن عصيانه لم يجب شيء، بل لا يبعد عدم الوجوب بمجرّد احتمال ذلك، فمَن ترك واجباً أو فعل حراماً واحتُمل كونه منصرفاً عنه أو نادماً عليه لم يجب شيء. هذا واعتبار الإصرار لعلّه المشهور بين الفقهاء، ولكن الظاهر كفاية إحراز عزمه على ترك المعروف وفعل المنكر حدوثاً أو بقاءً، بحيث يكون توجيه الأمر أو النهي الشخصي إليه في محلّه عند العقلاء ولو لم يكن متلبّساً بالمعصية، فضلاً عن توقّف الوجوب على الإصرار.

الرابع: أن يكون المعروف والمنكر منجّزاً في حقّ الفاعل، فإن كان معذوراً في فعله المنكر، أو تركه المعروف؛ لاعتقاد أنّ ما فعله مباح وليس بحرام، أو أنّ ما تركه ليس بواجب، وكان معذوراً في ذلك؛ للاشتباه في الموضوع، أو الحكم اجتهاداً، أو تقليداً، لم يجب شيء. وكذا إذا لم يكن معذوراً في فعله في بعض الموارد، كما إذا عجز عن الجمع بين امتثال تكليفين بسوء اختياره وصرف قدرته في امتثال الأهمّ منهما، فإنّه لا يكون معذوراً في ترك المهمّ وإن كانت وظيفته عقلاً الإتيان بالأهمّ انتخاباً لأخفّ القبيحين بل والمحرّمين. هذا ولو كان المنكر مما لا يرضى الشارع بوجوده مطلقاً كالإفساد في الأرض وقتل النفس المحترمة ونحو ذلك، فلا بدّ من الردع عنه ولو لم يكن المباشر مكلّفاً، فضلاً عمّا إذا كان جاهلاً بالموضوع أو بالحكم.

الخامس: ألّا يلزم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضرر على الآمر في نفسه أو عرضه أو ماله المعتدّ به، وكذا لا يلزم منه وقوعه في حرج لا يتحمّله، فإذا لزم الضرر أو الحرج لم يجب عليه ذلك إلّا إذا أحرز كونه بمثابة من الأهميّة عند الشارع المقدّس يهون دونه تحمّل الضرر أو الحرج. والظاهر أنّه لا فرق في ما ذُكر بين العلم بلزوم الضرر أو الظنّ به أو الاحتمال المعتدّ به عند العقلاء الموجب لصدق الخوف. وإذا كان في الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر خوف الإضرار ببعض المسلمين في نفسه أو عرضه أو ماله المعتدّ به، فالظاهر سقوط وجوبها. نعم، إذا كان المعروف والمنكر من الأمور المهمّة شرعاً فلا بدّ من الموازنة بين الجانبين بلحاظ قوّة الاحتمال وأهميّة المحتمل، فربّم لا يُحكم بسقوط الوجوب وربّم يُحكم به». السيستاني، المصدر السابق.



الخطبة التاسعة والأربعون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر القسم الثاني

بتاریخ: ۳۰/ ۲/ ۲۰۰۶م

وفيها المحاور التالية:

◄ المحور الثالث: التدابير الوقائية والعلاجية للأمر بالمعروف
 والنهي عن المنكر

اللهِ أُولاً: التدابير الوقائيّة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا التدابير العلاجية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

🔪 المحور الرابع: أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

🔪 المحور الخامس: خصائص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

مقدّمة الخطبة

بير لِللهِ الدِّمْ يَرَالِحَوِي فِي

والحمد لله جملةً لا تُحصى بعددٍ ولا بقوّةٍ ولا بحساب، وسبحان الله والله أكبر جملةً لا تُحصى بعددٍ ولا بقوّة ولا بحساب، والحمد لله عدد النجوم والمياه والأشجار والشَّعْر...والحمدُ لله عدد الحصى و النّوى و الترابِ و الجنّ والإنس... والحمد لله حمداً لا يكون بعده في علمه حمد... والحمد لله عدد هذا وأضعافه وأمثاله وذلك لله قليل... (۱). وصلّى الله على محمّد عدد هذا كلّه، وأستغفر الله الذي لا إله إلّا هو الحيّ القيّوم عدد هذا كلّه.

سبق أن تعرّضنا _ في الخطبة السابقة _ إلى فريضة عدّها الفقهاء من أعظم الفرائض الدينيّة، ألا وهي فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبينّا أنّ هذه الفريضة تشمل في سعتها جميع مناحي التشريع الإسلامي، ولا تقتصر على الواجبات والمحرّمات العباديّة، وإنّها تبتدئ من مسائل العقيدة والفكر، وتنتهي إلى الأمور التي تخصّ المجتمع. وبيّنًا شدّة اعتناء الآيات القرآنيّة وروايات المعصومين الله واهتهامها الكبير بهذا الواجب الإلهى المقدّس.

وقد عرضنا أهميّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وآثارهما، وشروطها، وسوف نكمل _ في هذه الخطبة _ الحديث في ثلاثة محاور أُخرى؛ هي: مراحل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأساليبها، وخصائص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر.

⁽١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٢، ص٣٤٣، من دعاء عظيم الشأن عن الصادق الله.

المحور الثالث: التدابير الوقائيّة والعلاجيّة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لا تختلف فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن الكثير من الفرائض والمفاهيم الأخلاقيّة، في كونها تتوفّر على مرحلة وقائيّة، ومرحلة علاجيّة، وسوف نُبيّن هاتين المرحلتين:

أوّلاً: التدابير الوقائيّة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

هنالك بعض الأمور يمكن أن تشكّل بُنى تحتية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا توفّرت في المجتمع ستُساعد المكلّفين على إقامة الفرائض، وتنمية أفراده التنمية الدينيّة الصحيحة، وذلك من خلال تفعيل كلّ ما من شأنه الحثّ على عمل المعروف والحيلولة دون بروز المنكر وانتشاره، من قبيل: تفعيل المشاريع التوعويّة المتمثّلة بإقامة الدورات الدينيّة والعلميّة والثقافيّة المؤثّرة، وتنشيط المحاضرات، وإعداد البرامج الإعلاميّة، وتأليف الكتب الهادفة والنافعة، ونشر المجلّات والصحف، واستثار كافّة الوسائل الإعلاميّة في سبيل نشر الثقافة الدينيّة والأخلاقيّة الصحيحة، التي من شأنها أن تُثبّت أسس العقيدة الحقّة والدفاع عنها، وتنشر الوعي الديني بين أفراد المجتمع، وتنشأ الأجيال على الالتزام بهذه حتى ينتشر الوعي الديني بين أفراد المجتمع، وتنشأ الأجيال على الالتزام بهذه الأسس والتعاليم والقيم الأخلاقيّة والحدود الشرعيّة.

وقد تتحقّق هذه المرحلة بنصب المجسّات المتفحّصة لبؤر المنكر؛ ليتمّ القضاء على كلّ نشاطٍ علمي أو عملي يمكن أن تخرج منه براعم الانحراف والرذيلة، وقتله في مهده، وبذلك تُنجز المرحلة الوقائيّة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كي لا نتجسّم عناءه قبل أن يستفحل وينتشر بين الناس مخلّفاً الضحايا، ومكلّفاً المصلحين جهوداً وأوقاتاً.

فإذا فعلنا هذه المرحلة عند ذلك نكون قد أوجدنا مجتمعاً آمراً بالمعروف، حريصاً على الالتزام بالحدود الشرعيّة، والقيم الأخلاقيّة، ومحافظاً على العقائد

الحقّة ومدافعاً عنها بثبات. وبذلك نكون قد قمنا بتحطيم كلّ البنى التحتيّة لمشاريع المنكر، وببناء الجدران السميكة التي تحصّن جميع طبقات المجتمع، وتمنعه عن كلّ ما يمتّ للمنكر بصلة، سواء في الجانب الفكري، أم الجانب العملي.

ثانياً: التدابير العلاجيّة للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

هناك جملة من الإجراءات التي ينبغي التدرّج في اتّخاذها في سبيل الأمر بالمعروف بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد بحثها الفقهاء تحت عنوان مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسنتطرق لها من خلال النقاط التالية:

١. الإنكار القلبي

وتتحقّق هذه المرحلة بإظهار الانزعاج القلبي من قِبل الناهي عن المنكر والآمر بالمعروف، بحيث يستشعر تارك الفرائض القائم على المنكرات والرذائل تلك الكراهيّة من قِبل المؤمنين، فإذا وصل هذا الاستشعار إلى هدفه ومبتغاه، بحيث قد امتنع المنهي عن ممارسة الأعمال القبيحة، وتوجّه المأمور بالمعروف نحو أداء واجباته، عندها لم تعد هناك حاجة إلى الانتقال إلى المرحلتين الأُخريين، وهما: مرحلة اللسان، ومرحلة اليد. وقد ورد ما يؤكّد هذا المعنى من الأحاديث والمواقف الشيء الكثير عن النبيّ وأهل بيته الله ومن جملتها:

١ عن أبي عبد الله على ، قال: «قال أمير المؤمنين المثلية : أمرنا رسول الله عَلَيْقِيلَهُ أَن الله عَلَيْقِيلُهُ أَن الله على الل

٢ ـ وعن أمير المؤمنين ﴿ : «أدنى الإنكار أن يُلقى أهل المعاصي بوجوه مكفهرة » () .

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٥٥.

⁽٢) الطوسي، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام: ج٧، ص١٧٧.

٣ _ عن أبي عبد الله الله عن الله عن الله عن الله عن عن أبي عبد الله عن عن أبي عبد الله عن عن أبي عبد الله عن عبد الله عبد الله عن عبد الله عبد الل

٢. الإنكار القولي

إذا استمرّ العاصي على معصيته، ولم يرتدع من مرحلة الإنكار القلبي، عندئذٍ ننتقل إلى المرتبة الثانية، وهي الأمر والنهي باللسان والقول، أو ما يعبّر عنه بالنصيحة والموعظة الحسنة، ثم استعمال الشدّة في الكلام في ما لو لم تؤثّر الموعظة واللين.

وقد ورد عن الأئمة الله أنّهم في كثير من الأحيان يُهارسون هذا الأُسلوب في النهي عن المنكر مع أصحابهم أو مع المخالفين، فقد ورد عن الإمام الصادق الله في توجيه قيّم إلى أصحابه، مبيّناً هذه المرتبة، حيث يقول: «لو أنّكم إذا بلغكم عن الرجل شيءٌ تمشيّتم إليه، فقلتم: يا هذا، إمّا أن تعتزلنا وتجتنبنا، وإمّا أن تكفّ عن هذا، فإن فعل، وإلّا فاجتنبوه» (۱).

فقول الإمام ﷺ: «لو أتّكم بلغكم عن الرجل الشيء تمشّيتم إليه...» هو خطاب موجّه إلينا أيضاً؛ بمعنى إذا بلغنا عن شخص شيءٌ من أفعال المنكر نكرهه، فنقول له: أمامك أحد الخيارين: إمّا أن تكفّ عن فعل هذا المنكر أو ترك الواجب، وإمّا أن تعت لنا و تجتننا.

وبمعنى آخر: إنّه يُقاطَع، وهذه المقاطعة تارةً تكون مقاطعةً اقتصاديّةً، وأُخرى مقاطعةً اجتهاعيّةً، والمقاطعة الثانية تؤثّر في الكثير من الناس؛ لأنّ الإنسان يبحث عن قيمة اجتهاعيّة بين المجتمع حتى يستطيع الاستمرار في حياته.

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٥، ص٠٦.

⁽٢) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٦، ص١٤٦.

لقد تركت هذه المقاطعة الاجتماعيّة أثراً كبيراً في نفوس المتخلّفين عن النبي عَيَالِيُّهُ، حيث أشعرتهم بمخالفتهم وعظيم معصيتهم عندما تخلّوا عن الرسول عَيَالِيُّهُ في غزوة تبوك.

٣- الإنكار باليد واستعمال القوّة

هذه المرتبة الثالثة من الإنكار، وهي إنّما تكون عند عدم ارتداع العاصي والمخالف باستعمال المرتبة الأُولى والثانية، فيُصار إلى مواجهة فاعل المنكر بإجراءات عمليّة رادعة، كالحبس والضرب والتعزير.

⁽۱) ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَاثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِفُواْ حَتَى إِذَا ضَاقَتَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَجُبَتُ وَضَاقَتَ عَلَيْهِمْ الشَّهُمْ وَطَنُّواْ أَن لا مَلْجَا مِن اللّهِ إِلاّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيتُوبُواْ إِنَّ اللّهَ هُو ٱللّوَابُ اللهُ هُو ٱللّوَابُ اللهُ هُو ٱللّوَابُ اللهُ هُو ٱللّوَابُ اللهُ هُو اللّهِ الله الله الله الله الله الله الله عن نفاق، لكن عن توان، ثم ندموا، فلمّا ورد النبيّ عَلَيْ جاؤوا اعتذروا، فلم يكلّمهم النبيّ عَلَيْهُ، وتقدّم إلى المسلمين بألّا يكلّمهم أحد منهم، فهجرهم الناس حتى الصبيان وأهاليهم، وجاءت نساؤهم إلى رسول الله على تعتزلهم، فقال على الله ولكن لا يقربونكن. فضاقت عليهم المدينة، فخرجوا إلى رؤوس الجبال، فكان أهاليهم يجيئون لهم بالطعام، ويتركونه لهم، ولا يكلّمونهم. فقال بعضهم لبعض؛ قد هجرنا الناس، ولا يكلّمنا أحد، فهلّا نتهاجر نحن أيضاً، فتفرّقوا ولم يجتمع منهم اثنان، وثبتوا على ذلك نيفاً وأربعين يوماً حدى الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن: ج٥، ص٣١٦.

تنبيه

يستشكل بعض الفقهاء في جواز اللجوء إلى هذه المرتبة بدون إذن الإمام الله أو نائبه (۱)، لذا ينبغي الاحتياط في الرجوع إليها قَبل تحصيل إذن الإمام الله أو الفقيه الجامع للشرائط (۱).

المحور الرابع: أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

لكي نحصل على فائدة ناجعة تُوصل مسيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(١) انظر: السيستاني، عليّ، منهاج الصالحين: ج١، ص١٤.

(٢) قال السيّد السيستاني(دام ظلّه) في بيان هذه المراتب الثلاث: «للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب:

الأُولى: أن يأتي بعمل يظهر به انزجاره القلبي وكراهته للمنكر أو ترك المعروف، كإظهار الانزعاج من الفاعل، أو الإعراض والصدّعنه، أو ترك الكلام معه، أو نحو ذلك من فعل أو ترك يدلّ على كراهة ما وقع منه.

الثانية: الأمر والنهي باللسان والقول، بأن يعظ الفاعل وينصحه، ويذكر له ما أعد الله سبحانه للعاصين من العقاب الأليم والعذاب في الجحيم، أو يذكر له ما أعده الله تعالى للمطيعين من الثواب الجسيم والفوز في جنّات النعيم، ومنه التغليظ في الكلام والوعيد على المخالفة وعدم الإقلاع عن المعصية بها لا يكون كذباً.

الثالثة: إعمال القدرة في المنع عن ارتكاب المعصية بفرك الأُذن أو الضرب أو الحبس ونحو ذلك. وفي جواز هذه المرتبة من غير إذن الإمام الله أو نائبه إشكال.

ولكل واحدة من هذه المراتب مراتب أخف وأشد، والمشهور الترتب بين هذه المراتب، فإن كان إظهار الإنكار القلبي كافياً في الزجر اقتُصر عليه، وإلّا أنكر باللسان، فإن لم يكفِ ذلك أنكره بيده. ولكن الظاهر أن القسمين الأوّلين في مرتبة واحدة، فيختار الآمر أو الناهي ما يحتمل التأثير منها، وقد يلزمه الجمع بينها. وأمّا القسم الثالث فهو مترتب على عدم تأثير الأوّلين، والأحوط بل الأقوى في الأقسام الثلاثة الترتيب بين مراتبها، فلا يُنتقل إلى الأشد إلّا إذا لم يكفِ الأخفّ إيذاءً أو هتكاً، وربّم يكون بعض ما تتحقّق به المرتبة الثانية أخف من بعض ما تتحقّق به المرتبة الأوّلى، بل ربّم يتمكّن البصير الفطن أن يردع العاصي عن معصيته به لا يوجب إيذاءه أو هتكة، فيتعيّن ذلك». السيستاني، على، منهاج الصالحين: ج١، ص١٤٥ ع ١٩٠٤.

إلى مبتغاها، لا بدّ أن ننتهج بعض الأساليب لضهان تأثير كلامنا وتوصياتنا التي نوجّهها للآخرين، ومن هذه الأساليب:

١. أُسلوب الخطاب

الإحاطة بأسلوب الخطاب وما يتطلّبه من أدب وفن وحُسن اختيار للكلمات والمضامين من الأُمور المهمّة جدّاً في الكلام؛ لأنّ ذلك يجعل الخطاب أكثر تأثيراً في نفوس المتلقين والسامعين، ولو تأمّلنا في سيرة الأنبياء والأوصياء والصالحين، لوجدنا هذه القضية ماثلةً في مواجهاتهم لأُمهم ومجتمعاتهم، وهو ما عكسه لنا القرآن الكريم، والسيرة المنقولة عن النبيّ وأهل بيته الله فتارةً نشاهد أنّ الأُسلوب القصصي هو الفاعل، وأُخرى ضرب الأمثال، وثالثة أُسلوب الترغيب والترهيب، ورابعة غير ذلك من الأساليب، وعلى الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون ذوّاقاً في اختيار الطريقة الخطابيّة الأنسب والأكثر تأثيراً لإيصال رسالته.

٢ ـ أُسلوب الحوار

من الأساليب التي تترك أثراً في النفوس، هو أُسلوب الحوار الذي كرّره القرآن الكريم بشكل ملفت للنظر، حيث نقل لنا نهاذج متعدّدةً من الحوار، فتارةً الحوار بين الباري تعالى وبين الشيطان الرجيم، وأُخرى بين الطواغيت والأنبياء، وثالثة بين الأُمم والمصلحين، بل نقل لنا الحوار بين أهل الجنّة وأهل النار أيضاً، وكلّ ذلك يرجع لأهميّة هذا الأُسلوب في النفوس، وما يخلّفه فيها من أثر. ومن هنا ينبغي لنا ونحن نسير في طريق تطبيق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - أن نركّز على هذا الأُسلوب ونجعله أساساً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لنقتطف الثهار المرجوّة من ذلك.

٣. أُسلوب الاقتداء

هناك أُسلوب آخر من أساليب تطبيق فريضة الأمر بالعروف والنهي عن المنكر،

يمكن لنا أن نسميه بالأُسلوب الصامت، وذلك بأن يكون الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ممتثلاً لأوامر الله تعالى، مبتعداً عن نواهيه، مرتدياً لباس المعروف، خالعاً رداء المنكر، متحليّاً بالفضيلة، مبتعداً عن الرذيلة (()، فحينئذ تأخذ فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طريقها إلى النفوس، ولذلك أكّد العلماء والفقهاء على هذا الأُسلوب، وخاصّة بالنسبة لطلّاب العلوم الدينيّة.

المحور الخامس: خصائص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر

لا يختلف اثنان في أنَّ تطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تُعدُّ من

(۱) ورد التأكيد في القرآن الكريم وروايات المعصومين الله على ضرورة امتثال الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لما يأمر به، وانتهائه عمّا ينهى عنه، قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ النَّاسَ مُ أَنشُكُمْ وَأَنتُمُ نَتْلُونَ ٱلْكِئَبُ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ ﴾. البقرة: آية ٤٤.

وروى البرقي في (المحاسن) بسنده عن الإمام الباقر الله أنّه قال: «إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ وَصَفُوا الْعَدْلَ ثُمَّ خَالَفُوهُ، وَهُو قَوْلُ الله عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسُ بَحَسْرَقَ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي مَضُوا الْعَدْلَ ثُمَّ خَالَفُوهُ، وَهُو قَوْلُ الله عَزَّ وَ جَلَّ: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسُ بَحَسْرِ الله اللهِ فِي قَوْلِ فِي جَنْكِ الله اللهِ فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَ: ﴿ فَكُبُولُونِهِمُ اللهِ عَمْ وَالْفَاوُنَ ﴾ [الشعراء: آية ٩٤]، قَالَ اللهِ: «مَنْ وَصَفَ عَدْلًا، ثُمَّ خَالَفَهُ إِلَى غَيْرِهِ». البرقي، أحمد بن محمد، المحاسن: ج١، ص١٢٠٠.

وقال الشاعر:

يَا أَيُّهَا الرَّجُالُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ تَصِفُ الدَّواءَ لِذِي السَّقَامِ وَ ذِي الضِّنى وَ أَرَاكَ تَلْقَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَ ذِي الضِّنى وَ أَرَاكَ تَلْقَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَ ذِي الضِّنى فَ أَرَاكَ تَلْقَاءَ عُلِوَ السَّقَامِ وَ فَيُ السَّفَ فَا فَهُ اللَّهَاءَ عَنْ غَيِّها فَاللَّهُ اللَّهَاءَ عَنْ غَيِّها فَهُ اللَّهُ اللَّهَاءَ وَلَى وَ تَمَا تَقُولُ وَ تَهُ تَدِي لَا تَفُولُ وَ تَهُ تَدِي

المارودي، على بن محمّد، أدب الدنيا والدين: ص٣١.

أَلَا لِنَفْسِ كَ كَ انَ ذَا التَّعْلِ يمُ كَ يُمَا يَصِحَ بِ هِ وَ أَنْ تَ سَقِيمٌ وَصْفاً وَ أَنْ تَ مِنَ الرَّشَادِ عَدِيمٌ فَ إِنِ انْتَهَ تَ عَنْ هُ فَأَنْ تَ حَكِيمٌ بِ الْقَوْلِ مِنْ كَ وَ يَنْفَ عُ التَّعْلِ يمُ عَ الرَّعَلَيْ كَ إِذَا فَعَلْ تَ عَظِ يم الفرائض الشاقة؛ لأنّها تتعلّق بتغيير وإصلاح مَن اعتاد منهجاً معيّناً، وسلوكاً خاصّاً، وقد تفاعلت تلك الأُمور مع أحاسيسه ومشاعره، فتغييرها إلى الجهة المخالفة بحاجة إلى مواصفات خاصّة يتحلّى بها مَن كان آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر؛ ليكون مؤهّلاً لخوض غهار هذه المسؤوليّة، وسنتعرّض لذلك من خلال ما يلي:

١. الإخلاص لله تعالى

إنّ الإخلاص لله تعالى يُعدّ من الأساسيّات التي تبتني عليها شخصيّة المؤمن مها كان عمله، ولكنّه يتأكّد في تطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّها عمليّة ترتبط بتغيير اتّجاهات ومسارات بعض الناس الذين ربّها مارسوا فعل الرذائل وتركوا الواجبات مدّةً طويلةً من الزمن، ممّا يجعل منها واجباً معقداً يحتاج إلى مزيدٍ من الإخلاص؛ وذلك لأنّ قلوب البشر بين يدي الله تعالى، فمَن كانت انطلاقته إلهيّةً خالصةً لله سيُسدد الله خطواته، ويأخذ بيده إلى برّ الأمان.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن أبناء المجتمع بشكل عام _ سواء كانوا من الملتزمين بأحكام الشريعة الغرّاء، أم من غير الملتزمين _ يكنّون في قلوبهم الاحترام والتقدير للإنسان المخلص، لذلك تكون نظريّاته وآراؤه مقبولةً قبولاً واسعاً في حال أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

ومن هنا تتبيّن أهمّيّة صفة الإخلاص لمَن أخذ على عاتقه تطبيق الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٢- العلم والمعرفة

قد يتصوّر البعض أنّ المراد من التأكيد على صفة العلم والمعرفة، هو الاطّلاع الإجمالي أو التفصيلي على ما يخصّ العقائد الإسلاميّة والأحكام الفقهيّة؛ من أجل أن يتمكّن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من دعوة المجتمع إلى هذه المفردات

فحسب، كلّا، بل المراد _ إضافةً إلى ما ذكرنا _ أن يكون الآمر أو الناهي مطّلعاً على أحوال المجتمع، وعلى الخصائص النفسيّة للفرد الذي يُريد أمره بالمعروف أو نهيه عن المنكر، وإلّا ستكون النتائج عكسيّةً.

وهذا المعنى تؤكّده بعض الأحاديث الواردة عن النبيّ عَيَّالِيُ اللهِ عمل على غير علم كان ما يُفسد أكثر ممّا يُصلح»(١).

إذاً كي نستطيع أن نؤدي هذا الواجب العظيم - الذي ينعكس سعادةً علينا في الحياة الدنيا، ونعيها دائهاً وفوزاً في الجنان في الآخرة - لا بدّ أن يتوفّر عندنا العلم بعقائد الإسلام أوّلاً، والعلم بأحكام الإسلام ثانياً، والعلم بأحوال المجتمع والاطلاع على الخصائص النفسيّة والاجتهاعيّة لأفراده ثالثاً؛ كي يؤخذ بأيديهم إلى جادّة الصواب.

٣- القدوة

إنّ الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من أجل أن يتمكّن من النفوذ إلى قلوب الآخرين، عليه أن يكون هو بنفسه مجسّداً لتك المفاهيم التي يدعو لها؛ لأنّ الناس لا تتأثّر عادةً بمَن خالف فعلُهُ قولَه، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله: ﴿كُبُرُ مَقْتًا عِندَاللّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَقْمَلُونَ ﴾ (").

⁽١) البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج١، ص١٩٨، باب المعرفة، ح٢٣.

⁽٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٩٧، ص٨٧.

⁽٣) الصف: آية ٣.

وورد عن النبي عَيْمَ الله الخير ويأمرهم الا تكونن ممن يهدي الناس إلى الخير ويأمرهم بالخير، وهو غافلٌ عنه "''.

وورد عن الإمام أمير المؤمنين ﴿ أَنَّه قال: «ائتمروا بالمعروف وأمروا به، وتناهوا عن المنكر وانهوا عنه »(٢).

من هنا يتبيّن أنّ المبادرة لترك المنكر قَبل توجيه النهي إلى مَن يهارسه، وإقامة الواجب قَبل أمر تاركه، لهما الأثر الكبير في استجابة الآخرين وتطبيقهم لما يُراد منهم.

٤ الشجاعة

هنالك حقيقة يجب أن تكون حاضرةً في أذهان المتصدّيين لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهي أنّ هذا العمل الإصلاحي الذي تفرضه الشريعة الإسلاميّة، ربّها يجعل الإنسان في بعض الأحيان يصطدم بأعداء الإسلام وبمخطّطاتهم ومكائدهم، وربّها يواجه أصحاب التيّارات الفكريّة المنحرفة، وأصحاب المصالح الدنيويّة، وأصحاب السلوك الشاذّ، وهؤلاء لا يسكتون على من يرونه من دعاة الإصلاح، وإنّها يحاربونه و يعرقلون حركته، ومن هنا تأتي صفة الشجاعة ليكون لها القول الفصل، ولتأخذ بأيدي المشاريع الإصلاحيّة إلى نهاية المطاف، وقد أثبتت التجارب الاجتهاعيّة الدور الكبير الذي تفعله صفة الشجاعة في عمليّة التغيير؛ لأنّ الناس تتأثّر _ بل تتغنّى _ بالشخصيّات التي تتّصف بالشجاعة، وخاصّة أولئك الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم.

⁽١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٧٤، ص١٠٩.

⁽٢) الآمدي، عبد الواحد، غرر الحكم ودرر الكلم: ص٥٦٠.

٥.الإيثار

عادةً ما ينشد أفراد المجتمع لمَن اتّخذ الإيثار جلباباً له، وهذا التفاعل النفسي والروحي يمكن أن يُستثمر لصالح تطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنّ النفوس والأجواء قد خضعت لمَن يمتلك تلك الخصلة الحميدة، ومن هنا جاء في الحديث الوارد عن أمير المؤمنين الله عنه المؤمنين الله المؤمنين الله عنه أمير المؤمنين الله عنه المؤمنين الله عنه المؤمنين الله عنه أمير المؤمنين الله عنه المؤمنين الله عنه أمير المؤمنين الله عنه أمير المؤمنين الله عنه المؤمنين الله عنه أمير المؤمنين الله عنه أمير المؤمنين الله عنه أمير المؤمنين الله عنه المؤمنين الله عنه المؤمنين الله عنه المؤمنين الله عنه المؤمنين المؤمنين

فإذا تهيئات المشاعر الإيجابية، واشرأبت الأعناق لسماع وقبول ما يُلقى لها، فها على أهل الإيثار إلّا إصدار أوامرهم ونواهيهم إلى مكامن الرذائل والواجبات المعطلة؛ لينعم المجتمع بحالة إيهانية يُكتسب بها الجنان والبعد من النيران.

٦- الزهد

لا شكّ أنّ استحكام الطمع في قلوب الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر سيخلق بينهم وبين مَن يرومون هدايته سدوداً من الصعب اختراقها، وعلى العكس من ذلك؛ فإنّ الزهد في حطام هذه الدنيا يُساعد على غرس الثقة في قلوب الناس وجعلها مبسوطةً لهم؛ لأنّهم يعلمون بأنّ الزاهد لا يبتغي من حطام هذه الدنيا جاهاً ولا مالاً، وإنّها مبتغاه الأساس مما يأمر به أو ينهى عنه رضا خالقه ومعبوده. ومن هنا يتضح جليّاً ما لصفة الزهد من أثر كبير على إنجاح عمليّة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ونشرها في صفوف الناس وربوع المجتمعات.

٧ المدارة

يُواجه الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أصنافاً مختلفةً ومتفاوتةً من الأفكار والشخصيّات، فهنالك الشخصيّة الانفعاليّة، وهنالك الشخصيّة المصلحيّة، وهنالك الشخصيّة الانطوائيّة، فلكي يكون مسعاه مثمراً لا بدّ أن يأخذ بنظر الاعتبار المدارة؛

⁽١) المصدر السابق.

لأنّ العمل الإصلاحي من دون صفة المدارة ربّما يُعطي نتاجاً عكسيّاً.

وقد أكّد النبيّ عَيَيْ والأئمّة الأطهار الله على هذا المفهوم بمواقف وأحاديث عديدة، منها ما ورد عن النبيّ عَيْقَ أَمرني ربّي بمداراة الناس كها أمرني بأداء الفرائض» (۱). فجعل عَيْقَ أُخرى، ممّا الفرائض بأجمعها في كفّة، ومداراة الناس في كفّة أُخرى، ممّا يكشف عن أهميّة هذا المفهوم.

كما وروي عن أمير المؤمنين الله قال: «رأس الحكمة مداراة الناس» "، فالإمام الله عن هذا الدور الإيجابي المهم الذي يكمن في المدارة، بحيث يصل إلى مرتبة تكون هي رأس الحكمة.

وإذا ما أردنا أن نأخذ مثالاً عمليّاً للمداراة في عمليّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من سيرة النبيّ الأكرميّيَ الأكرميّيَ أن أخذ موقفه مي الله مع حاطب بن أبي بلتعة؛ حيث ينقل المؤرّخون وأرباب السير أنّ النبيّ عَيَالُهُ حين أراد أن يسير لفتح مكّة، قام أحد المسلمين وهو حاطب بن أبي بلتعة بنقل أخبار هذه المسيرة إلى قريش، وقد عرف النبيّ عَيَالُهُ مذا الأمر.

ونلاحظ في التعامل مع هذه القضية موقفين:

الأوّل: موقف أحد الصحابة، وهو عمر بن الخطّاب، حيث قال للنبي عَيْنِ الله دعني أضرب عنقه، فإنّ الرجل قد نافق. فكان يُريد أن يوجد بذلك مبرّراً لضرب عنق الرجل؛ باعتبار أنّ النفاق الذي في قلبه هو الذي دعاه أن يفعل هذا الأمر.

الثاني: ما جسّدته السماء بحكمتها ودقّتها المتناهية؛ حيث دعاه النبيّ عَلَيْ وقال له: يا حاطب، ما حملك على هذا؟ فقال: يا رسول الله، أما والله إنّي لمؤمن بالله

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١١٧.

⁽٢) الليثي الواسطي، عليّ بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ: ص٢٦٤.

ورسوله، ما غيرت ولا بدّلت، ولكنّي كنت اِمرءاً ليس لي في القوم من أهل وعشيرة، وكان لي بين أظهرهم ولدٌ وأهلٌ، فصانعتهم عليهم. فتركه النبيّ عَلَيْلُهُ بعد أن وبّخه ولامه على هذا الفعل الشنيع، ولم يستجب عَلَيْلُهُ لقول عمر بن الخطّاب(۱).

وهنا تبرز رأفة النبي النبي ومداراته في مراعاته للوضع النفسي الذي كان يعيشه هذا الرجل، مع خطورة ما قام به، وخيانته للمسلمين.

وفي نهاية هذا الخطبة أودّ أن أختم الحديث برواية عن النبيّ الأكرم عَلَيْكُ يُبّين فيها

⁽١) أورد الشيخ المفيد في الإرشاد: أنّ النبيّ عَيَّا الله لله عَلَيْهُ لَمَّا أراد فتح مكّة، سأل الله _ جلّ اسمه _ أن يعمى أخباره على قريش ليدخلها بغتةً، وكان عَلَيْ قد بني الأمر في مسره إليها على الاستسرار بذلك، فكتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكّة يخبرهم بعزيمة رسول الله على فتحها، وأعطى الكتاب امرأةً سوداء، وجعل لها جعلاً على أن توصله إلى قوم سمّاهم لها من أهل مكّة، وأمرها أن تأخذ على غير الطريق. فأخبر الوحي النبيِّ عَلَيْ بذلك، فاستدعى أمير المؤمنين اليُّه ، فتبعها ومعه الزبير بن العوَّام، حتى أدركا المرأة... فأخذ أمير المؤمنين اليُّلا الكتاب وصار به إلى رسول الله عَنْ الله على الله عَنْ الله عَل ثم صعد رسول الله عَلَيْكُ المندر وأخذ الكتاب بيده، وقال: أيَّها الناس، إنَّى كنت سألت الله عزّ وجلّ أن يخفي أخبارنا عن قريش، وإنّ رجلاً منكم كتب إلى أهل مكّة يخبرهم بخبرنا، فليقم صاحب الكتاب، وإلّا فضحه الوحي، فلم يقم أحد، فأعاد رسول الله عليه مقالته ثانيةً، وقال: ليقم صاحب الكتاب وإلّا فضحه الوحي. فقام حاطب بن أبي بلتعة وهو يرعد كالسعفة في يوم الريح العاصف، فقال: يا رسول الله، أنا صاحب الكتاب، وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي، ولا شكاً بعد يقيني. فقال له النبيَّ عَيْنَ : فإ الذي حملك على أن كتبت هذا الكتاب؟ فقال: يا رسول الله، إنَّ لي أهلاً بمكَّة، وليس لي بها عشيرة، فأشفقت أن تكون الدائرة لهم علينا، فيكون كتابي هذا كفًّا لهم عن أهلي، وبدًّا لي عندهم، ولم أفعل ذلك لشكٌّ في الدين. فقال عمر بن الخطَّاب: يا رسول الله، مرنى بقتله؛ فإنّه قد نافق. فقال النبيَّ عَيَّا الله عن أهل بدر، ولعلّ الله تعالى اطّلع عليهم فغفر لهم. أخرجوه من المسجد. قال: فجعل الناس يدفعون في ظهره حتى أخرجوه، وهو يلتفت إلى النبي عَنِينًا ليرقَ عليه، فأمر النبي عَنَيْنُ بردّه، وقال له: قد عفوت عنك وعن جرمك، فاستغفر ربُّك ولا تعد لمثل ما جنيت. انظر: المفيد، محمَّد بن محمَّد، الإرشاد: ج١، ص٥٥ [بتصر ف]. وانظر أيضاً: الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الطبري: ج٢، ص٣٢٨.

الشدائد الكثيرة التي تواجه الإنسان المؤمن الداعي إلى الله تعالى، والتي لا بدّ أن يتحمّلها حتى يصل إلى الهدف، يقول النبيّ الله المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان يضلّه، ونفس تنازعه»(۱).

وهنيئاً لمِن يصبر وتكون ردّة فعله هي كظم الغيظ والحلم، و مواصلة الطريق والصبر والتحمّل في مواجهة مَن يقف حائلاً أمام دعوة الإصلاح والتغيير. والحمد لله ربّ العالمين.

⁽١) الفيض الكاشاني، محمّد، المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء: ج٥، ص١١٥.



مقدّمة الخطبة

بير لِللَّهِ الدَّمْ يَرَالُكَ حِيدَ فِي

الحُمْدُ لله الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مُحَاسِنَ الْخَلْقِ، وأَجْرَى عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وجَعَلَ لَنَا الْخَمْدُ لله الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مُحَاسِنَ الْخَلْقِ، وأَجْرَى عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وصَائِرَةٌ إلى طَاعَتِنَا الْفَضِيلَةَ بِالْمُلَكَةِ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَكُلُّ خَلِيقَتِه مُنْقَادَةٌ لَنَا بِقُدْرَتِه، وصَائِرَةٌ إلى طَاعَتِنَا بِعِزَّتِه.

ُ والْحَمْدُ لله الَّذِي أَغْلَقَ عَنَّا بَابَ الْحَاجَةِ إِلَّا إِلَيْه، فَكَيْفَ نُطِيقُ حَمْدَه أَمْ مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَه! لَا، مَتَى ؟

والْحَمْدُ لله الَّذِي رَكَّبَ فِينَا آلَاتِ الْبَسْطِ، وجَعَلَ لَنَا أَدَوَاتِ الْقَبْضِ، ومَتَّعَنَا بِأَرْوَاحِ الْحَيَاةِ، وأَثْبَتَ فِينَا جَوَارِحَ الأَعْمَالِ، وغَذَّانَا بِطَيِّبَاتِ الرِّرْقِ، وأَغْنَانَا بِفَضْلِه، وأَقْنَانَا بِمَنِّه، ثُمَّ أَمَرَنَا لِيَخْتَبِرَ طَاعَتَنَا، ونَهَانَا لِيَبْتِلِيَ شُكْرَنَا، فَخَالَفْنَا عَنْ طَرِيقِ أَمْرِه، ورَكِبْنَا مُتُونَ زَجْرِه، فَلَمْ يَبْتَدِرْنَا بِعُقُوبَتِه، ولَمْ يُعَاجِلْنَا بِنِقْمَتِه، بَلْ تَأَنَّانَا بِرَحْمَتِه تَكَرُّماً، وانْتَظَرَ مُرَاجَعَتَنَا بِرَأْفَتِه حِلْمًا.

والْحُمْدُ لله الَّذِي مَنَّ عَلَيْنَا بِمحمَّد نَبِيِّه يَّيَالِلهُ دُونَ الأُمم المَّاضِيَةِ والْقُرُونِ السَّالِفَةِ، بِقُدْرَتِه الَّتِي لَا تَعْجِزُ عَنْ شَيْءٍ وإِنْ عَظُمَ، ولَا يَفُوتُهَا شَيْءٌ وإِنْ لَطُفَ''.

المقدّمة

قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۞ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَقَ ٱللَّهَ يِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴾ ".

⁽١) الصحفة السجّاديّة: ص٣٠.

⁽٢) الشعراء: آية ٨٧ ـ ٨٩.

تؤكّد هذه الآيات _ من سورة الشعراء _ على حقائق في غاية الأهمّية، وهي ضرورة تحصيل القلب السليم، وسوف يكون محور حديثنا في هذه الخطبة والخطبة التي تليها حول بيان حقيقة القلب السليم وخصائصه في الآيات والروايات وكيفيّة تحصيله، وجملة من الأُمور المتعلّقة بذلك، وكذا عن بعض الأمراض الأخلاقيّة الخطيرة التي تُصيب القلب، مع الإشارة إلى طرق علاجها والوقاية منها(۱).

أهمّيّة القلب ودوره في الطاعة والمعصية

بيّنت الآيات القرآنيّة المتقدّمة أنّ عمل الخير والصلاح الذي يعود بالنفع على الفرد والمجتمع في الحياة الدنيا، لا يصدر إلّا من قلب سليم، والقلب السليم هو القلب السالم من الفساد والمعاصي كما سيأتي بيانه، وإنّما خُصّ القلب بالسلامة؛ لأنّه إذا سلم القلب سلمتْ سائر الجوارح من الفساد؛ لأنّ الفساد بالجارحة لا يكون إلّا عن قصد بالقلب الفاسد، وعليه فالفئة الناجية يوم القيامة هم أصحاب القلوب السليمة.

القلب هو المحرّك للجوارح نحو فعل الخير والعمل الصالح الذي يُنجي صاحبه وينفعه في الآخرة، كما أنّ القلب يمكن أن يكون دافعاً ومحرّكاً للإنسان نحو فعل الشرّ والانحراف. روي عن رسول الله عَيْلِينُ: «ألا وإنّ في الجَسَدِ مُضْغَةً، إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، ألا وهِيَ القَلبُ»(").

⁽۱) تحدّث سياحة الشيخ (دامت بركاته) في هذه الخطبة والخطبة التي تلتها بتاريخ: ٢٨/٧/٢٨ عن القلب وأمراضه، وقد قمنا بدمج مواضيع هاتين الخطبتين في عنوان واحد، متكوّن من قسمين، يبحث القسم الأوّل منه في هذه الخطبة والثاني في الخطبة اللاحقة، لذا فقد توجد في هذه الخطبة بعض المضامين التي تطرّق لها الشيخ في الخطبة اللاحقة، كها قد يوجد في الخطبة اللاحقة بعض ما ذكره الشيخ في هذه الخطبة، بحسب ما تمليه طبيعة الخطب وظروفها، لكن اقتضت الضرورة عند التدوين - تقديمها أو تأخيرها رعايةً للتسلسل المنطقي والفنّي بين المواضيع.

⁽٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٥٨، ص٢٣.

ومن هذا الحديث يتضح أنّ القلب هو منبع المشيئات الباعثة على الأفعال الصادرة عن سائر الأعضاء، وهو الآمر والناهي.

ويقابل القلب السليم - كما هو واضح - القلب المريض أو السقيم، وقد ذكرت الآيات القرآنيّة هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّهُ مَرَضًا ... ﴾ (()، ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللللّهُ

ومن هنا نلاحظ أنّ الآيات المباركة تريد أن تُبيّن أنّ المنطلق الأساسي، ونقطة البداية، الذي يمكّن الإنسان من الوصول إلى الكمال هو العمل الصالح، وهو نابع من داخل الإنسان، فمتى ما سلم القلب من مذامّ الصفات والعقائد الفاسدة، تمكّن الإنسان من القيام بالأفعال الصالحة، وأمّا لو كانت القلوب تعاني من المرض، فسوف يتعذّر صدور الأعمال الصالحة عنها.

إذاً على الإنسان المؤمن أن يبدأ بقلبه أوّلاً، فهو مصدر الصلاح والفساد، وعليه النظر في أعهاق نفسه حتى يستطيع أن يرى ما ينطوي عليه من صفات، وهل هو غارق في مذام الصفات القلبية ورذائلها، أم لا؟ فإن كان طاهراً، أي: لم يلحظ فيه الصفات الذميمة، فعليه أن يحمد الله على هذه النعمة، ويطلب من الله أن يزيده طهارةً وقرباً منه. وأمّا إذا وجد الإنسان في قلبه بعض الرذائل والصفات الذميمة،

⁽١) البقرة: آية ١٠.

⁽٢) البقرة: آية ٨٨.

⁽٣) محمّد: آية ٢٤.

فعليه أن يُسارع إلى علاج القلب وتطهيره من خلال الأساليب والطرق التي ذكرتها الآيات المباركة والأحاديث الشريفة وبيّنها علماء الأخلاق.

إصابة القلب بالأمراض وضرورة علاجه

عادةً ما يُبتلى الجسم بالمرض، ويسعى الإنسان لعلاجه، فهو لا يدّخر وسعاً في بذل الكثير من أمواله، وطاقاته، وجهوده في سبيل وقاية البدن من الأمراض، فيسعى للعلاج بمراجعة الطبيب أو البحث عن الدواء المفيد والنافع، لكنّه قد يغفل عن تحصين القلب من الأمراض، مع أنّه أهمّ من تحصين البدن؛ فإنّ الوصول إلى سلامة القلب والنفس أهمّ من الوصول إلى سلامة البدن؛ لأنّ أمراض القلب والنفس أكثر خطراً على حياة الإنسان نفسه، وأكثر دماراً في حياة الفرد والمجتمع.

ربيّا يتحمّل الإنسان الكثير من الآلام، ويقوم بإجراء العمليّات الجراحيّة أو غيرها من وسائل العلاج في سبيل تخليص البدن من المرض، لكنّه في الوقت نفسه عليه أيضاً أن يتحمّل الكثير من آلام النفس في سبيل الوصول إلى سلامة القلب من الأمراض التي تُصيبه، فقد ورد في الرواية عن الإمام الصادق عن آبائه إلى من «قال رسول الله يَكِينُ لَمُن يُعْتَمي مِنَ الطعامِ مَخافَةَ الداء، كَيْفَ لا يَحْتَمي من الذنوب مَخافَةَ النار؟!» (١٠٠).

حقيقة القلب السليم في القرآن والروايات

القلب السليم هو الذى خلصتْ عبوديّته لله تعالى، وخلص عمله لله، فإن أحبَّ أحبَّ أحبّ في الله، وإن أبغض في الله، وإن أعطى لله، فهو القلب الذي لا يوجد فيه شيء سوى الله، وهو القلب الخالي من حبّ الدنيا؛ لأنَّ حبّ الدنيا هو مصدر الخطايا.

⁽١) المجلسي، بحار الأنوار: ج٧٠، ص٤٧، ح٣٤.

أمّا القلوب الممتلئة بالأحقاد التي ترتكب كلّ خُلق ذميم، وكلّ جرم عظيم، فهي القلوب المريضة، والتي لا تشملها النجاة قطعاً. وهذا ما أشار إليه الإمام زين العابدين في في دعاء اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان قال: «أَسْأَلُكَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ بِجَاهِ محمّد وَآلِ محمّد، أَنْ تُصَلِّي عَلَى محمّد وَآلِ محمّد، وَأَنْ تُجِيرَنِي مِنَ النَّارِ فِي يَوْم الدِّينِ يَوْمَ يُحُشَرُ الظَّالُونَ يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى الله بِقَلْبِ سَلِيم، اللَّهُمَّ سَلِّم قَلْبِي مِنَ البَّغي والحُسَدِ وَالْجَبْرِ وَالْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ وَالنَّفَاقِ وَسُوءِ اللَّهُمَّ سَلِّم قَلْبِي مِنَ البَّغي والحُسَدِ وَالْجَبْرِ وَالْعُجْبِ وَالرِّيَاءِ وَالنَّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَق»(۱).

والأهمّيّة القلب السليم فقد ورد ذكره في القُرآن الكريم، وفي الروايات الشريفة.

القلب السليم في القرآن الكريم

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ وَلَا تُخْزِفِ يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۞ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۞ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴾ ```.

قال الراغب الأصفهاني في بيان معنى السليم في الآية: السلم والسلامة: التعرّي من الآفات الظاهرة والباطنة (٣).

لقد اعتبر القرآن الكريم أنّ القلب السليم هو رأس مال نجاة الإنسان يوم القيامة، وقد جاء في (تفسير الميزان): إنّ مدار السعادة يومئذ على سلامة القلب، سواء كان صاحبه ذا مال وبنين في الدنيا أو لم يكن ".

⁽١) الصحيفة السجّاديّة: ص٧٥٥.

⁽٢) الشعراء: آية ٨٧ _ ٨٩.

⁽٣) قال الراغب الأصفهاني: «سلم: السلم والسلامة: التعرّي من الآفات الظاهرة والباطنة، قال: (بقلب سليم) أي: مُتعرِّ من الدِّغل، فهذا في الباطن، وقال تعالى: ﴿مُسَلَّمَةُ لَا شِيَةَ فِيهَا ﴾، فهذا في الظاهر». الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، المفردات في غريب القرآن: ص٢٣٩.

⁽٤) الطباطبائي، محمّد حسين، تفسير الميزان: ج١٥، ص ٢٨٩.

نعم، هناك الكثير من الآيات القرآنيّة تعرّضت إلى بيان أنّ الإيهان والعمل الصالح هما اللذان يُنجيان الإنسان يوم القيامة (۱۰)، إلّا أنّه لا تعارض بين مفاد الآيات؛ لأنّ أفعال الإنسان وأقواله وما يصدر عنه إنّها هو انعكاس لصفات القلب، فمتى ما كان القلب سليهاً من الآفات، كانت طبيعة عمل الإنسان متصفة بالصلاح والسمو والخير، ومتى ما كان قلب الإنسان مريضاً بالآفات والذنوب كانت طبيعة عمل الإنسان متّصفة بالشرّ والفساد وعدم الصلاح.

القلب السليم في الروايات

بيّنت بعض الروايات حقيقة القلب السليم، فقد روي عن الإمام الصادق الله في ردّه على مَن سأله عن معنى القلب السليم: «السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه» (أ). أي: لا يوجد في القلب إلّا الله تعالى، فلا توكّل ولا أمل ولا رجاء إلّا بالله تعالى، فإذا امتلأ قلب الإنسان بهذه المعاني؛ حينها يمكن القول: إنّه قلب سليم، كما بيّنته الرواية.

وبتعبير آخر: إنّ القلب الذي لا يشتمل في مشاعره ومواقفه إلّا على الأفكار السليمة، والعقائد الحقّة، ولا يتوجّه ولا يتوكّل إلّا على الله تعالى، ولا يثق إلّا به، ولا يلجأ إلّا إليه، يكون قلباً سليهاً. لذا يصف الإمام الصادق الله في حديث آخر

⁽١) كقوله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ اللَّ إِنَّ ٱلْإِنسَانَ لَغِي خُسْرٍ اللَّهِ اللَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴾. العصر: آية ١-٣.

⁽٢) عن سفيان بن عُيينة، قال: سألته عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ إِلّا مَنْ أَتَى الله عِلْمِ سَلِيمِ ﴾؟ قال: «وكلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط، «السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه». قال: «وكلّ قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط، وإنّما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة». الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١، ص٠٦٠، باب وجوب الإخلاص في العبادة والنية، ح١٢٧/ ٥.

صاحبَ القلب السَليم بأنّه الذي سَلِم من حبّ الدُنيا، ولا ينظر إلى أحدٍ سوى الله عزّ وجلّ.

فقال الله فِي تفسير قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا مَنْ أَنَى ٱللَّهَ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴾ قَالَ: «هُوَ الْقَلْبُ الَّذِي سَلِمَ مِنْ حَبِّ الدُّنْيَا»(١).

ويُفهم من هذه الرواية أنّ حبّ الدنيا إذا دخل قلب الإنسان فإنّه يؤثّر بشكل ملحوظ على سلامة ذلك القلب، والشاهد على ذلك ما ورد في ما يرويه هشام بن سالم، عن الإمام الصادق الله قال: «رأس كلّ خطيئة حبّ الدنيا» ('').

فحبّ الدنيا وحبّ الله لا يجتمعان في القلب، والطريق إلى القلب السليم هو الذي يبدأ من ترك حبّ الدنيا، فقد ورد عن أمير المؤمنين الله مَن سكن قلبه حبّ الدنيا؟!»(").

وورد في حديث عن النبي عَلَيْهُ: «حبّ الدنيا وحبّ الله لا يجتمعان في قلب أبداً» (فلا وروي عن نبيّ الله عيسى الله أنّه قال: «لا يستقيم حبّ الدنيا والآخرة في قلب مؤمن، كما لا يستقيم الماء والنار في إناء واحد» (ف).

فإن خلا قلبُ الإنسان من حبّ الله، حلّ حبّ الدنيا مكانه، وهو داء عضال، يُنذر بعاقبةٍ سيّئة؛ فإنّ البخل، والحرص، والحسد، والكِبْر، وترك الزكاة لغرض جمع المال، وترك الصلاة لحبّ الراحة... وأمثال ذلك ما هي إلّا أمراض تطيح

⁽۱) النوري، الحسين بن محمّد تقي، مستدرك الوسائل: ج۱۲، ص٤٠ م-١٣٤٦ / ١٥.

⁽٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣١٥.

⁽٣) النوري، الحسين بن محمّد تقي، مستدرك الوسائل: ج١٢، ص٤١، باب تحريم حبّ الدنيا المحرمة، ح٣٤ / ١٣٤.

⁽٤) المالكي، ورام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر: ص٣١٣.

⁽٥) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج١٤، ص٣٢٧.

بصفاء القلب وطهارته. ومن هنا تكمن الخطورة في علاقة الإنسان بالله تعالى؛ فإنّ مؤدّى ذلك الحبّ الدنيوي هو الانصراف عن الحقّ، والابتعاد عن طريق الهداية.

تنويه: بيان المراد من حبّ الدنيا

قد يظنّ البعض أنّ الدين يدعو إلى الانصراف عن الدنيا، مع أنّ طبيعة الإنسان تقتضي منه أن يستفيد من الأُمور الدنيويّة ليصل إلى مقاصده التي لا تصحّ إلّا بها، وقد تكون المقاصد الأُخرويّة لا تتحقّق إلّا بالأُمور الدنيويّة، فهل يُفهم من الروايات الذامّة لحبّ الدنيا ترك الدنيا بشكل مطلق وعدم الاشتغال بالأُمور الدنيويّة؟

في مقام الإجابة على هذا التساؤل نقول: من الواضح للمتمعّن في النصوص الشريفة أنّ المقصود من حبّ الدنيا المذموم، والذي ينبغي أن يطهّر الإنسان قلبه منه، هو أن تكون الدنيا هي الغاية، فيُؤثِرُها على حبّ الله تعالى، أي: عندما يكون المال والأولاد _ وغير ذلك من حطام الدنيا _ الغاية التي يتحرّك الإنسان باتجاهها، غافلاً عن أنّ هذه الأمور خُلقت لتكون وسيلةً لتقرّبه إلى الله تعالى، فهي جسر يعبر به الإنسان إلى مبتغاه الحقيقي، وهو الوصول إلى الله تعالى والتقرّب منه.

⁽١) التوبة: آية ٢٤.

يُفهم من هذه الآية المباركة أنّ مَن آثر الحقّ على مصلحته الخاصّة فهو مؤمن، ومن آثر مصلحته على الحقّ فليس من المؤمنين، بل تجعله الآية في عداد الفاسقين. وهذا هو مفترق الطريق بين المؤمن وغير المؤمن. وما جاء في الآية من ذكر الأرحام والأموال والمساكن، إنّها ذكر على سبيل المثال لمن قدّم منفعته على الحقّ.

وعلى هذا يكون حبّ الدنيا ميزاناً توزن فيه حقيقة القلوب ومدى صفائها، وقد روي عن أبي عبد الله على قوله: «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة» أي: هي الباعث للإنسان على أن يهجر الله وتغيب عنه قيم السهاء؛ لأنّ الإنسان إذا ركن إلى الدنيا فستقوده إلى الخطيئة والمعصية، فلا بدّ من أن نعمل على تصفية نفوسنا من خلال إجراء خطوات عمليّة سلوكيّة نقوم بها كي تطهر قلوبنا من مذامّ الصفات، ونصل إلى حقيقة حبّ الله، لكى ننجو يوم القيامة ونصل إلى تلك الحياة الكاملة.

المراد بعدم الانتفاع بالمال والبنين في الآخرة

لا يخفى ما للمال والبنين من أثر بالغ الأهميّة في الحياة الدنيا؛ فهما وسيلتان للراحة والدعة، وركنان أساسيّان في بلوغ الإنسان إلى مقاصده وغاياته وتحقيق أهدافه في الحياة، بل هما من ملذّات الدنيا التي منحها الله للإنسان، وقد عبّر عنهما القرآن بأنّهما زينة الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْمَحَيْوَ الدُّنيا ﴾ (أل فهما من حلالهما وسيلتان أساسيّتان في غاية الأهميّة في الحياة الدنيا، حيث يمكن للإنسان من خلالهما أن يصل إلى مقاصده وأغراضه، وبهما ينشد السعادة و العزّة والمنعة والنصرة وقوّة الشوكة في الحياة الدنيا، وهذا أمر في غاية الوضوح، ومع ذلك فقد ذكرت الآية:

⁽١) الصدوق، محمّد بن على، الخصال: ص٢٥.

⁽٢) الكهف: آية ٢.٤.

﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلِا بَنُونَ ﴾ بأنِّها لن يكون لهما نفع في الحياة الآخرة، فها هو المراد من ذلك؟

يظهر من الآية الشريفة أنّ المال والبنين لا نفع لهما يوم القيامة، أي: لا يقي المرء من عذاب الله ما عنده من مال وإن كثر، ولو افتدى بملء الأرض ذهباً. ولا نفع للبنين ولو افتدى بأبنائه وبمَن في الأرض جميعاً؛ حيث لا ينفع يومئذ إلّا الإيهان بالله، والإخلاص له، ولهذا قال: ﴿ إِلَّا مَنْ أَتَى الله بِقَلْبِ سَلِيمِ ﴾؛ أي: سالم من كل المساوئ والعيوب، ومن الأمراض والشبهات، كالشرك، والشكّ، والنفاق، والغيبة، والحسد، والنميمة، والإصرار على البِدع والضلالات، ومن أمراض الشهوات مثل حبّ الدنيا وغرورها.

والسبب في عدم الانتفاع بالمال والأولاد يوم القيامة هو أنّ رابطة الإنسان وعلاقته بالمال والبنين علاقة اعتباريّة وهميّة، تنقطع _ هذه العلاقة الاعتباريّة ومحرّد مفارقته للحياة، فيخرج المال عن ملكه منتقلاً إلى الورثة، وكذا تنقطع علاقته بأولاده، فلا تبقى له عليهم ولاية بعد إن كان هو الولي الشرعي، وكذا تنفصل زوجته عنه ولا تبقى على ذمّته، ويحقّ لها الزواج بغيره، وغير ذلك من الحقوق التي تُنتزع من الإنسان ما أن يموت ويُفارق الحياة.

ومن هنا يتضح أنَّ المال والبنين لا يؤثّران أثراً في يوم القيامة، ذلك اليوم الذي تنكشف فيه الحقائق، وتقطع الأسباب، فلا ينفع فيه مالٌ بهاليّته، ولا بنون ببنوّتهم وقرابتهم، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدُ جِئَّتُمُونَا فُرَدَىٰ كُمَا خَلَقْنَكُمُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكّتُم مَّا خَوَّلُنكُمُ وَرَاءً ظُهُورِكُمُ ﴾ (١).

(١)الأنعام: آية ٩٤.

وبعبارة أُخرى: نفهم ممّا تقدّم أنّ الأُمور الاعتباريّة ليست لها حقائق ثابتة يمكن بها مرافقة الإنسان إلى عالم الآخرة، وما في هذه الدنيا إنّا هو ملك للدنيا، لا يحمل الإنسان منه شيئاً، فظرف الإفادة من المال والبنين بوصفها مالاً وبنيناً، ووجودهما المادّي النافع للإنسان لا يتجاوز الحياة الدنيا()، وما يحمله الإنسان معه إلى الآخرة للاقاة الله تعالى به إنّا هو (القلب)، فعليه أن يحرص عليه ليكون قلباً سلياً؛ يُنجيّه من خزى الآخرة وعقابها.

وممّا تقدّم يتضح أنّ البرّ ووجوه الخير إنّما تنبع من ملكة قلبيّة، وهي الاعتقاد بالله تعالى واليوم الآخر، وأنّ هناك حساباً وثواباً يترتّب على ذلك، فلا يمكن للإنسان أن ينطلق بدون هذه الملكة، وبدون هذه العقائد الراسخة في قلبه ووجدانه، والتي بها يوظّف ماله وبنيه في سبيل الله تعالى؛ لأجل الحصول على الأهداف السامية في الآخرة.

وبعبارة أُخرى: نفي نفعهما في معنى الإخبار عن بطلان الاجتماع المدني بها يعمل فيه من الأسباب الوضعيّة الاعتباريّة، كما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿مَا لَكُورُ لَا نَنَاصَرُونَ ﴿ كَا لَهُمُ ٱلْمُومَ مُسَتَسْلِمُونَ ﴾، [الصافات: آية ٢٥ - ٢٦]. الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج ٢٥ م، ص ٢٨٨.

كيف يكون المال والبنون من وسائل النجاة في الآخرة؟

اتضح ممّا سبق أنّه حينها يتمحور المال والبنون حول طاعة الله تعالى، فهها بذلك لا يدخلان في عدم النفع، بل هما وسيلتان من الوسائل التي توصل إلى التحلّي بالقلب السليم، وهي المنفعة الحقيقيّة والغاية التي ما بعدها غاية. ويتحوّلان بذلك وضافة إلى كونهما زينة للحياة الدنيا _ إلى وسيلة ناجحة للفوز بالآخرة والحصول على السعادة الدائمة، فلو كان مال الإنسان وكسبه طيّباً حلالاً ومن الطرق التي شرّعها الله تعالى، وهي الحلال المباح الذي أذِنَ الشارع في فعله، وأنفقه الإنسان في وجوه البرّ، ومواساة الإخوان، والإنفاق بالمعروف، فهذا الإنفاق يكسب القلب صفاءً وإخلاصاً، ويكون سبباً في قبول الأعمال، وإجابة الدعوات، فقد ورد عن الفضل بن أبي قرّة، قال: دخلنا على أبي عبد الله في وهو يعمل في حائط له، فقلنا: جعلنا الله فداك، دعنا نعمل لك أو تعمله الغلمان. قال: «لا، دعوني فإنّي أشتهي أن يراني الله عزّ وجلّ أعمل بيدي، وأطلب الحلال في أذى نفسي» (''.

نعم، إذا وضُع هذا المال في غير موضعه وسُخّر في الحرام، فإنّه بذلك يخرج عن الحيثيّة الأُولى، وهي طاعة الله تعالى، والوصول إلى الأهداف الإنسانيّة؛ لذا فإنّ الآية القرآنيّة تُريد أن تُبيّن أنّ الوسائل الحقيقيّة للفوز والسعادة في الحياة الدنيا والآخرة هي: ﴿ إِلّا مَنْ أَتَى اللّهَ مِسَلِيمٍ ﴾.

وكذلك الحال في الأبناء، حيث بإمكان الإنسان أن يحوّل ما وهبه الله تعالى من الذريّة إلى تجارة مربحة مع الله تعالى، وذلك لو عمل على تربيتهم على الإيهان والعمل الصالح، ومهّد لأن يبني من خلال ذلك جيلاً صالحاً طيباً محبّاً للخير

⁽١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٧، ص٠٤.

ونافعاً لأُمّته ومجتمعه، فهو يحولهم بذلك إلى رصيد وافر يدرّ عليه الأجر والثواب، ويمنحه الدرجات الرفيعة عند الله تبارك وتعالى (').

كيفيّة تحصيل القلب السليم

لقد بيّنت الروايات أنّ الوصول إلى مرحلة القلب السليم تحتاج إلى رياضات خاصّة، تُلزم النفس بالطاعة، وتروّضها على العبادة الخالصة لوجه الله تعالى، ومن خلال هذه المتابعة والمجاهدة يتمكّن الإنسان من الوصول إلى مرتبة سلامة القلب وإن كانت هذه المجاهدة صعبةً وشاقّةً، ولكنّه يتيسّر بالتوكّل على الله، وأداء ما افترضه وترك ما نهى عنه بنيّة خالصة، فاذا رأى الله تعالى منه ذلك، وكانت نيّته صادقةً في السير نحو رضاه، فسوف يمدّه بالعون والتوفيق للقرب منه تعالى، وتحصيل القلب السليم.

إذاً الخطوة الأُولى يجب أن تكون صادقة، فإذا كانت كذلك جاء الخطاب الإلهي: ﴿ مَن جَاءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمَثَالِهَا . . ﴾، وقد روي أنّ الله تعالى قال في حديث قدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي: فَلْيَظُنّ بِي مَا شَاءَ، وَأَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا ذَكَرَنِي، فَمَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ

⁽١) ورد العديد من الروايات في بيان فضل الذّريّة الصالحة، وانتفاع الأبوين بهما بعد المات، منها: عن النبيّ ﷺ: «إِنَّ الْوَلَدَ الصَّالِحَ رَيْحَانَةٌ مِنْ رَيَاحِينِ الجُنَّةِ».

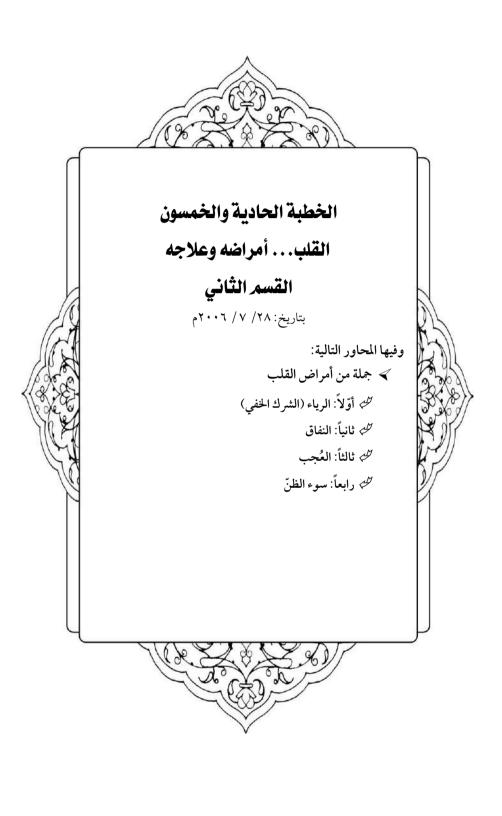
وعن الإمام الصادق أيضاً قال: «قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: مَرَّ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللهِ بِقَبْرِ يُعَذَّبُ صَاحِبُهُ، ثُمَّ مَرَّ بِهِ مِنْ قَابِلِ فَإِذَا هُو لَا يُعَذَّبُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ مَرَرْتُ مِهَذَا الْقَبْرِ عامٌ أُوّلَ فَكَانَ يُعَذَّبُ، وَمَرَرْتُ مِهَذَا الْقَبْرِ عامٌ أُوّلَ فَكَانَ يُعَذَّبُ، فَقَالَ: يَا رَبِّ مَرَرْتُ مِهَذَا الْقَبْرِ عامٌ أُوّلَ فَكَانَ يُعَذَّبُ، فَقَالَ عَمْرُوتُ مِهِ العامِّ فَإِذَا هُو لَيْسَ يُعَذَّبُ، فَأَوْحَى الله إلَيْهِ: إِنَّهُ أَدْرَكَ لَهُ وَلَدٌ صَالِحٌ فَأَصْلَحَ طَرِيقاً، وَآوَى يَتِيها ، فَلِهَذَا غَفَرْتُ لَهُ بِهَا فَعَلَ ابْنُهُ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله عَيَّالُهُ: مِيرَاثُ الله عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ عَبْدِهِ وَآوَى يَتِيها ، فَلِهَذَا غَفَرْتُ لَهُ بِهَا فَعَلَ ابْنُهُ. ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله عَيَّالًا الله عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ عَبْدِهِ الله آيَةَ زَكَرِيًا: ﴿فَهَبُ لِي مِن لَدُنكَ وَلِيَا ۞ يَرْثِنَى اللهُ عَرْقُ مِنْ بَعْدِهِ. أَمَّ قَالَ اللهِ آيَةَ زَكَرِيًا: ﴿فَهَبُ لِي مِن لَدُنكَ وَلِيَا ۞ يَرْثِنَى وَلِيَا ۞ وَمِي يَتِيها وَلَكُ عَلَى اللهُ اللهُ آيَةَ زَكَرِيًا: ﴿فَهَبُ لِي مِن لَدُنكَ وَلِيَا ۞ يَرْثِنِ وَلَدُ يَعْبُدُهُ مِنْ بَعْدِهِ . ثُمَّ قَالَ رَضِينًا ﴾ [مريم: آية ٥- ٢]». الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٣ ـ ٤.

ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإْ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإْ خَيْرٍ مِنْهُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْراً تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَمَنْ أَتَانِي مَشْياً أَتَيْتُهُ هَرْ وَلَقًه"'\.

نسأل الله أن يُصلح أعمالنا، ويطيّب أنفسنا، ويُطهّر قلوبنا من الذنوب والمعاصي والآثام.

والحمد لله ربّ العالمين.

⁽۱) النوري، حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل: ج٥، ص٢٩٨. والبروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج١٥، ص٣٦٨.



مقدمة الخطبة

بيْد لِللَّهِ الدَّمْ يَرَالَحَدِ مِنْ

الحمد لله على ما عرقنا من نفسه، وألهمنا من شكره، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيّته، ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيده، وجنّبنا من الإلحاد والشكّ في أمره. حمداً نُعمّر به في مَن حمده من خلقه، ونسبق به مَن سبق إلى رضاه وعفوه. حمداً يُضيء لنا به ظلمات البرزخ، ويسهّل علينا به سبيل المبعث، ويشرّف به منازلنا عند مواقف الأشهاد "، يوم ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتُ ﴾ "، ﴿وَهُمُ لَا يُظُمُونَ ﴾ "، ﴿يَوْمَ لَا يُعْنِى مَوَّلَى عَن مَوَّلَى شَيْعًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾ ". حمداً يرتفع منا إلى أعلى عليّين في ﴿كِنَبٌ مَ أَوُمٌ ﴿ لَا يَشْهَدُهُ ٱلمُقَرَّونَ ﴾ ". حمداً تقرّ به عيوننا إذا برقت أطلى عليين في ﴿كِنَبٌ مَ أَوُمٌ ﴿ لَا يَسْهَدُهُ ٱلمُقَرَّونَ ﴾ ". حمداً تقرّ به عيوننا إذا برقت الأبصار، وتبيّض به وجوهنا إذا اسودّت الأبشار ". حمداً نُعتق به من أليم نار الله إلى كريم جوار الله ".

اللهم صلِّ على سيّدنا ونبيّنا أبي القاسم محمّد وآل بيته الطيّبين الطاهرين.

⁽١) المراد بهم مَن يقف يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والأنبياء والمؤمنين. المدني، على خان، رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين اليّلا: ج١، ص٠٤٣.

⁽٢) غافر: آية١٧.

⁽٣) الجاثية: آية ٢٢.

⁽٤) الدخان: آية ٤١.

⁽٥) المطفّفين: آية ٢٠ ـ ٢١.

⁽٦) الأبشار: ظاهر الجلد. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج٤، ص٠٦.

⁽٧) الصحيفة السجّاديّة: ص٣٠.

أُوصيكم إخواني وأخواتي في الإيهان والولاء لآل بيت الرسول عَلَيْهُ، بتقوى الله تعالى واجتناب معاصيه، وتطهير قلوبكم ممّا يُدنّسها من مذامّ الصفات، ودنس الخطايا، والتزوّد لـ: ﴿ وَمُ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿ إِلَّا مَنْ أَنَى اللَّهَ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴾ (١٠).

تعرّضنا في الخطبة السابقة إلى بيان أهميّة القلب، وحقيقة القلب السليم وخصائصه، وسوف نعرض في هذه الخطبة بعض الأمراض الأخلاقيّة الخطيرة التي تُصاب بها القلوب، وضرورة علاجها والوقاية منها.

جملة من أمراض القلب

يذكر علماء الأخلاق الكثير من مذام الصفات القلبية، التي ينبغي للمؤمن أن يُطهّر نفسه وقلبه منها، حتى يصل إلى مقام القلب السليم. والأمراض الأخلاقية التي يمكن أن يُصاب بها القلب كثيرة ومتعدّدة، ومن خطورتها أنّ بعضها يكون خافياً على الإنسان، فلا يلتفت إليه؛ لأنّ آثاره لا تظهر سريعاً وبوضوح، كما أنّ علاجها ليس أمراً سهلاً، فلا بدّ من بذل الجهد في التعرّف إلى تلك الأمراض وآثارها، والعمل الجادّ على معالجتها.

وسوف نذكر في المقام أربعةً من هذه الأمراض:

أوّلاً: الرياء (الشرك الخفي)

وهو من الأمراض الخطيرة التي يبتلي بها الإنسان، ولعلّه يمكن أن يكون كلّ واحد منّا مبتلياً بهذا المرض دون أن يشعر؛ حيث يدبّ في نفسه وفعله العبادي دون أن يشعر به، وهذا ما يؤدّي إلى إحباط جميع أعماله العباديّة وخسارته للثواب العظيم، بل يؤدّي - في بعض الأحيان - إلى استحقاق العبد للعقوبة الإلهيّة. ولشدّة

⁽١) الشعراء: آية ٨٨ ـ ٨٩.

خطورة هذا المرض القلبي، فقد عُبِّر عنه في لسان الروايات بالشرك الأصغر أو الشرك الخفي، فقد روي عن النبي عَلَيْكُم الشرك الخفي، فقد روي عن النبي عَلَيْكُم الشرك الأصغر». قيل: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء»(١).

وذكرت بعض الروايات أنّ هذا النوع من الشرك هو أخفى من دبيب النمل، كما عن النبيّ عَيْنِ الله الشرك في أُمّتي أخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمّاء في الليلة الظلماء»(٢).

وورد عن الإمام الصادق: «كلّ رياء شرك، إنّه مَن عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومَن عمل لله كان ثوابه على الله»(٣٠).

عندما يعبّر النبي عَلَيْ بأنّ ثواب الإنسان يكون على الناس، فذلك يعني إفلاس المرائي من الثواب على أعماله؛ فإنّ الإنسان لا يملك لنفسه جزاءً وثواباً على نفس أعماله، فكيف يملك شيئاً من الثواب والعطاء والجزاء لغيره من الناس؟!

وجاء في بعض الروايات: إنّ الملك الذي يصعد بأعمال الإنسان يكون فَرِحاً ومبتهجاً بتلك الأعمال، لكنّه يُفاجأُ بأنّ الله تعالى يقول له: إنّ عمل العبد الذي ابتهجت به في سجّين "، لماذا؟ لأنّ قصد العبد من عمله لم يكن خالصاً لله تعالى. فقد ورد عن رسول الله عَيْن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به...فإذا صعد بحسناته يقول الله عزّ وجلّ: اجعلوها في سجِّين؛ إنّه ليس إيّاي أراد بها" ".

⁽١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٦٩، ص٢٦٦، ح١.

⁽٢) المازندراني، محمّد صالح، شرح أُصول الكافي: ج ٨، ص ٤٩. وورد عن الإمام الحسن العسكري الله : «الشرك في الناس أخفى من دبيب النمل على المسح الأسود في الليلة المظلمة». المجلسي، بحارالأنوار: ج ٦٩، ص ٢٩٨، ح ٣١.

⁽٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٢٩٣، باب الرياء، ح٣.

⁽٤) سجّين: واد في جهنّم. ابن منظور، محمّد بن مكرم، لسان العرب: ج١٣، ص٢٠٣.

⁽٥) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٥٩٦، ح٧.

إذ لم يكن مقصود الإنسان القلبي خالصاً لوجه الله تعالى ونيل رضاه سبحانه وتعالى، وإنَّما أراد من أداء تلك الأعمال الصالحة الرياء ومدح الناس وثناءهم عليه.

والسؤال الذي يطرح نفسه: لماذا تتحدّث الروايات عن الشرك وكونه آفةً يمكن أن يتعرّض لها المؤمنون مع كونهم موحّدين ومؤمنين؟

والجواب: المقصود من الشرك الذي يبتلي به المؤمنون هنا ليس هو الشرك القائم على إنكار وحدانية الله تعالى، والذي هو من صفات المشركين وعبدة الأوثان، المعبّر عنه (بالشرك الجليّ)، الذي حذّر منه تعالى في قوله: ﴿ إِنَّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشَرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا مُؤَن ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشَرِكُ بِاللّهِ فَقَدِ اَفْتَرَى إِثَمّا عَظِيمًا ﴾ (()، وإنّا المقصود أنّ هناك شركاً خفياً يغفل عنه الإنسان ولا يتوجّه إليه إلّا بعد التأمّل في نفسه. وهذا النوع من الشرك يُعدّ خطراً على قلب المؤمن؛ وذلك لأنّه يتسرّب إلى القلوب من حيث لا يُشعَر به، فيدبّ فيها كدبيب النمل، وقلّ مَن ينجو منه؛ لخفاء طرقه، كما عبر عنه النبيّ الأكرم عَيَا الله المعترة الصبّاء في الليلة النبيّ الأكرم عَيَا الله المناه على النملة السوداء على الصخرة الصبّاء في الليلة الظلماء» (").

نعم، يقوم الإنسان بتقديم أعماله العباديّة، معتقداً أنّما كاملة وخالصة لوجه الله تعالى، ولكنّه بعد التأمّل في ذلك في قرارة نفسه، يتّضح أنّه قدّم العمل وأتى به قاصداً به غير وجه الله تعالى؛ كأنّه يكون قد ترك الدنيا لكنّ ذلك لغرض الدنيا، أو يكون قد زهد فيها لطلب الجاه والمقام، أو يكون قد جاء بالعبادات لكنّ عبادته لم تكن خالصةً لله تعالى.

لأجل ذلك وُصف هذا النوع من الشرك بأنّه عبادة الشيطان في إغوائه، وعبادة

⁽١) النساء: آية ٨٤.

⁽٢) المازندراني، محمّد صالح، شرح أصول الكافي: ج٨، ص٤٩.

إنّ الآية المباركة _ كما تقدّم _ قد بيّنت أنّ الذين تكون أعمالهم قد تخلّلها الشرك الخفي، يشكّلون النسبة الأكثر من المؤمنين، وبيان ذلك في غاية الوضوح، فلو تأمّلنا في أنفسنا عندما نتعرّض إلى مصيبة أو شدّة _ مثلاً فإنّنا نتوجّه إلى الأسباب الماديّة طلباً للنجاة من هذه المصيبة، ونغفل عن ذكر الله تعالى، وهذا شكل من أشكال الشرك الخفي، ويمكن ملاحظته بأدني تأمّل (').

⁽١) يس: آية ٦٠.

⁽٢) الفرقان: آية٤٣.

⁽٣) يوسف: آية ١٠٦.

⁽٤) لا يُفهم من ذلك عدم جواز التوسّل بالأسباب الطبيعيّة والمادّيّة، وأنّه يكون مطلقاً من الشرك الخفي، فمن الواضح أنّ الله تعالى أبى إلّا أن يربط الأسباب بمسبّباتها، والنتائج بمقدّماتها، وجعل الأسباب محلّ حكمته في الأمور الدينيّة والتكوينيّة، حتى نعيم الآخرة أو جحيمها هو نتيجة أعمال الإنسان في الدنيا، هذا مع العلم بأنّ سلسلة الأسباب وإن علت تنتهي إليه تعالى، فهو مسبّب الأسباب، وإنكار الأسباب هو جحود لضروريّات العقل والفطرة السليمة، فقد جعل الله تعالى مصالح العباد، والأوامر والنواهي وكلّ شيء خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة؛ مرتبطاً بالأسباب قائماً بها، بل العبد نفسه سبب لما يصدر عنه، وقد ورد في القرآن الكثير من الآيات الشاهدة على هذا المعنى، كما في قوله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ مَنَ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾

وإذا ما أردنا أن نُجمل القول في بيان الرياء، فهو أن يقصد المكلّف غير الله تعالى في العمل العبادي وأعمال البرّ والخير التي في العمل العبادي وأعمال البرّ والخير التي يقوم بها وجاهةً ومقاماً ومنزلةً في قلوب الناس، وأحياناً قد يطلب الإنسان بإظهار هذه الأعمال وإبرازها تحصيل منصب أو مال أو شهرة، فيكون بذلك قد مارس أحد أنواع الشرك الخفي.

من نماذج الرياء

نذكر في المقام شاهدين من نهاذج المرائين وعملهم؛ لكي يتّضح المراد من الرياء وخطورته وصعوبة الشعور به وإدراكه، وللوقوف على بعض الدروس والعِبر فيهها:

 \Rightarrow

[الجاثية: آية ١٥]. وقوله تعالى أيضاً: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتُ مِنْ خَيْرِ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتُ مِن فَيْرَ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتُ مِن فَوَرَ لَوَ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ وَ أَمَدُا بَعِيدًا ... ﴾ [آل عمران: آية ٣٠]. ولكن القلب متى ما تعلق وتوجّه إلى هذه الأسباب، وجعلها هي المؤثّرة في الكون، وغفل عن قدرة الله تعالى والتوكّل عليه في الوصول إلى الهدف والنتيجة؛ يكون حينئذ قد دخل في الشرك الخفي، فلذا ينبغي التوجّه إلى هذا المعنى، ومراقبة النفس، بأن تجعل تعلّقها بالله تعالى وحده، وأن نوطن أنفسنا بأن كلّ هذه الأسباب أمرها بيد الله تعالى، فإذا وصلنا إلى هذه المرتبة، نكون من المؤمنين الذين طهرت قلوبهم من دنس الشرك، وصفت نفوسهم بنفحة القرب الإلهي. منه (دامت بركاته).

(١) قال الشيخ مرتضى الأنصاري مَنْ الله «الرياء هو العمل المقصود به الخلق دون الخالق». الأنصاري، مرتضى، كتاب الطهارة: ج٢، ص٠٠١.

وقال العلّامة الفيض الكاشاني: «اعلم أنّ الرّياء مشتقّ من الرؤية، والسُمعة مشتقّة من السياع، وإنّها الرّياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير، إلّا أنّ الجاه والمنزلة تُطلب في القلب بأعمال سوى العبادات، وتُطلب بالعبادات، واسم الرّياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلب بالعبادات وإظهارها، فحدّ الرّياء هو: إرادة المنزلة بطاعة الله تعالى، فالمرائي هو العابد، و المراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم، والمراءى به هي الخصال التي قَصَدَ المرائي إظهارها، والرّياء هو قصده إظهار ذلك». الفيض الكاشاني، محمّد بن مرتضى، المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء: ج٦، ص١٤٨٠.

النموذج الأوّل: الرياء في العبادات

ذُكر أنّ أحد العبّاد كان يحرص دائماً على حضور صلاة الجماعة في الصفّ الأوّل؛ وذلك رغبةً وطلباً للثواب؛ إذ إنّ صلاة الجماعة فيها الكثير من الثواب، والأجر الجزيل في الآخرة، ولها أيضاً الكثير من الآثار الدنيويّة. كما أنّ الوقوف في الصفّ الأول خاصّة له ثواب أعظم (). لذا كان هذا العابد حريصاً ومواظباً على الحضور في الصفّ الأوّل في صلاة الجماعة لمدّة ثلاثين سنةً، فكان يأتي مبكّراً إلى محلّ إقامة صلاة الجماعة، وذات يوم عرض له عارض منعه من الحضور مبكّراً إلى الصلاة، وعندما وصل وجد شخصاً من المصلين قد جلس في مكانه في الصفّ الأوّل، فأدّى الصلاة في الصفوف الخلفيّة، وحينها فرغ المصلّون من الصلاة شاهدوه يصلي في تلك الصفوف، فانتابه الخجل والحياء منهم، وتأمّ لذلك. وعندها قد اكتشف أنّ تلك الصفوف، فانتابه الخجل والحياء منهم، وتأمّ لذلك. وعندها قد اكتشف أنّ هدفه الباطني ومقصده القلبي من حرصه على اللحوق بالصفّ الأوّل لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى، وإنّما كان يشوبه شيء من الرياء، وطلب المنزلة، والمقام في قلوب الناس، وعندها قرّر أن يقضى جميع ما مضى من صلاته طيلة ثلاثين سنةً.

ونستفيد من هذه القصّة نكتتين:

النكتة الأُولى: إنّ هذا العابد حينها انتابه شعور الخجل والحياء من رؤية المصلّين له وهو يصلّي في الصفوف الخلفيّة، اكتشف أنّ مقصده القلبي وهدفه الباطني لمدّة ثلاثين سنةً من الحرص على الصلاة في الصفّ الأوّل هو أن يقول الناس عنه بأنّه

⁽١) روي عن النبي على أنّه قال: «...ركعة يُصلّيها المؤمن مع الإمام خير من مائة ألف دينار يتصدّق بها على المساكين، وسجدة يسجدها المؤمن مع الإمام في جماعة خير من مائة عتق رقبة». الشهيد الثاني، روض الجنان في شرح إرشاد الأِذهان (ط الحديثة): ج٢، ص٩٦٤ ـ ٩٦٥.

وروي عن الإمام الكاظم اليَّلِا أَنَّه قال: «إِنَّ الصَّلَاةَ فِي الصَّفِّ الأوَّل كَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ». الصدوق، محمّد بن علي، من لا يحضره الفقيه: ج١، ص٣٨٥، ح١١٤٠.

متعبّد، وصاحب دين، وهو من الحريصين على الثواب. والذي كشف عن قصده ونيّته هو حياؤه وخجله من رؤية الناس له وهو يصلّي في الصفوف المتأخّرة، وهذا ما يؤكّد أنّ قصد المرائى من العمل احترام الناس له وليس وجه الله تعالى.

النكتة الثانية: إنّ هذه المقاصد القلبيّة، قد تخفى على الكثيرين، فربّما الكثير من الناس يحرص على أداء بعض الأعمال العباديّة ومستحبّاتها، والقيام ببعض أعمال الخير والبرّ والإحسان، ولكنّ مقصوده القلبي الذي خفي عليه، هو أن يعظمه الناس ويجري على ألسنتهم ثناؤه وشكره وتقديره وتعظيمه، ويشعر بالألم إذا لم يُمدح على تلك الأعمال التي قام بها، لكنّه غافل عن هذه المقاصد القلبيّة الخفيّة.

وما عرض لهذا العابد ربّها يعرض لنا نحن، فنكتشف بعد سنين أنّ عملنا العبادي لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى، بل لطلب المقام والمنزلة ومدح الآخرين لنا، وهذا النوع من العمل يكون النظر فيه إلى النفس بالدرجة الأساسيّة، وهو لا ينحصر في الإتيان بالأفعال ـ كالرغبة في الصلاة في الصفّ الأوّل ـ بل يمكن أن يكون في الترك أيضاً، كمن يعيش الزهد ليقال عنه: فلان زاهد. أو يصليّ في الصفّ الأخير ليقال عنه: فلان متواضع. فيتحقّق الرياء والشرك الخفي، سواء كانت الصلاة في أوّل الصفّ أو آخره إن كان القصد منها أن يُمدح ويُثنى عليه بين الناس.

فهذا هو الشرك الخفي الذي يبتغي به الإنسان غير وجه الله تعالى، ويكون سبباً في إحباط عمله، فلا يُؤجر عليه. عن أبي جعفر الله ، قال: «لو أنّ عبداً عمل عملاً يطلب به وجه الله والدار الآخرة، وأدخل فيه رضا أحد من الناس كان مشركاً» (١٠).

⁽١) البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج١، ص١٢٢.

النموذج الثاني: الرياء في أعمال الخير

المثال الآخر على تلوّث القلب بمرض الرياء هو قيام الشخص بأعمال الخير؛ من بناء المساجد والحسينيّات والمستشفيات، وغيرها من المشاريع الخيريّة والثقافيّة والاجتماعيّة؛ طلباً للجاه والشهرة بين الناس.

ينقل بعض علماء الأخلاق أنّ البهلول رأى يوماً رجلاً يبني مسجداً، فبادر البهلول وكتب على باب المسجد: (مسجد بهلول)، فلما رآه صاحب المسجد قال له: لماذا فعلت هذا؟ قال البهلول: إن كنتَ بنيتَ المسجد لله فلا يفرق حينئذٍ أن يكون المسجد باسمك أو باسم آخر. فقال صاحب المسجد: لقد جهدتُ حتى بنيتُ هذا المسجد وأخيراً يكون باسم غيري! ثم ذهب فمحا اسم بهلول وكتب اسمه. فقال البهلول: هذا يدلّ على أنّك لم تبن المسجد لله (۱).

إنّ الكثيرين من الناس حينها يبني مثل هذه المشاريع ويطلب كتابة اسمه، فتارةً يكون مقصوده هو وجه الله تعالى، وأُخرى يكون له مقصود آخر، فلا بدّ أن يبحث في أعهاق قلبه عن حقيقة قصده، ولذا فطلب بهلول من ذلك الرجل اختبارٌ حقيقي لصدق نيّته، وهو أنّه إذا كان المقصود هو الله تعالى، فهو يعلم بك وبعملك، ولا يضرّه تبدّل الأسهاء. لكنّ الباني قال: أنا بنيته. فأجابه: فلهاذا تقول: بيت الله؟! قلّ: هو بيتي! لكن اعلم إنّك قد أردت بذلك غير وجه الله، وقد أحبطت بذلك عملك. لذا فإنّنا إذا ما راجعنا أنفسنا، وتوغّلنا في أعهاقها وفي حقيقة دوافع قلوبنا، فسوف نجد أنّ الكثير من أعهالنا لا يُراد بها وجه الله تعالى، فنشاهد بعض الناس يقومون بالخير والإحسان للآخرين، ولكن بعد مدّة من الزمن، ونتيجة لعدم الثناء عليه أو مدحه من قبل مَن أحسن إليه، أو لصدور موقف سلبي تجاهه، نرى أنّ

⁽١) المظاهري، حسين، الفضائل والرذائل: ص٠٤٠.

صاحب الخير والإحسان يمنّ على المحسَن له بفعل الخير، ويذكّره بها عمله له من مواقف وأعمال صالحة، حتى يؤذيه بكلهات جارحة، وهذا يكشف عن أنّ الهدف القلبي والمقصود الباطني من أعمال الخير والإحسان التي قدّمها ليست لله تعالى.

فينبغي أن نكون على درجة عالية من الوعي والحذر ومراقبة النفس بشكل دائم ومتواصل، وأن نلتفت إلى أنّ المقصود القلبي، والهدف النفسي لأيّ عمل عبادي، أو اجتهاعي نقوم به يجب أن يكون هو رضا الله تعالى، فلا بدّ أن نفحص عن سلامة قلوبنا من هذا الشرك الخفي.

تنويه: ضرورة الالتفات إلى النيّة في العمل السياسي

أود هنا أن أُوكد على مسألة مهمة يتعرّض لها الأشخاص المنتمون إلى الأحزاب الدينيّة، أو التيارات السياسيّة الدينيّة، فإنّ البعض يعمل في الحزب الإسلامي لا لأجل الهدف الديني، وإنّا هدفه هو مساندة وتأييد الحزب الذي ينتمي إليه، فتكون المصالح الحزبيّة الضيّقة هي المحرّك نحو العمل، وهنا يتحقّق الشرك في العمل؛ لأنّ غياب الإخلاص يجعل العمل لغير وجه الله تعالى.

ولذا على المنتمين لتلك الأحزاب والتيارات أن يكون الهدف من عملهم، وما يقومون به من واجبات ومسؤوليّات، هو مصلحة بلدهم وإخوانهم المؤمنين؛ فإذا كان العمل كذلك فهو الإخلاص الحقيقي، أمّا توظيف الطاقات والإمكانيّات الماليّة والبشريّة لصالح جهة أو حزب أو تيّار وإن كان دينيّاً؛ فهو يُخرج العمل عن عنوان الإخلاص الذي أراده الله تعالى، وجعله شرطاً في قبول الأعمال، قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمُرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ((). وهذا يُعدّ من الأمراض الخطيرة التي

⁽١) البينة: آية٥.

تُصيب قلوب البعض، وبذلك لن يكونوا من أصحاب القلوب السليمة، والتي تأتي يوم القيامة فرحةً ومسرورةً قد نالت رضا الله تعالى وكرامته.

ثانياً: النفاق

النفاق هو أن يُظهر الإنسان شيئاً ويُبطن شيئاً آخر (۱)، وسمّي نفاقاً؛ لأنّ المنافق يُخفى حقيقته، وقد اشتقّ من النفق في الأرض (۱).

وتُعتبر هذه الحالة من الأمراض الاجتهاعيّة الفتّاكة، والتي تكشف عن عدم سلامة القلب، ولعلّ البعض ينزّه نفسه من هذا المرض؛ لأنّ القرآن قد ذكر هذا المرض وخصّ به طبقات معيّنة، وهم مَن يُظهرون الإيهان ويُبطنون الكفر، فيتوهّم أنّ النفاق مختصّ بهذا النوع من النفاق، وهو النفاق العَقَدي. إلّا أنّ هذا النوع من النفاق هو المصداق الأبرز.

وهناك نوع آخر من النفاق يُمكن أن يجتمع مع سلامة العقيدة، وهو ما يُعبّر عنه بالنفاق العملي، بأن يرتكب الإنسان أعمالاً تتناقض مع ما يعتقد به، أو يقوم بإظهار علامات الصلاح والتقوى بها يتنافى مع باطنه وسريرته، أو أن يُظهر في سلوكه وتعامله مع الناس خلاف ما يضمره في قلبه؛ بأن يتعامل مع الناس بوجهين، فيُظهر

⁽۱) ورد في تعريف النفاق: «هو مخالفة السرّ والعلن، سواء كان في الإيهان، أو في الطاعات، أو في المعاشرات مع الناس، وسواء قصد به طلب الجاه والمال أم لا. وعلى هذا فهو أعمّ من الرياء مطلقاً...». النراقى، مهدي، جامع السعادات: ج٢، ص٣١٨.

⁽٢) «النفق: سَربٌ في الأرض له نحَلص إلى مكان. والنافقاء: موضع يُرققه اليربوع من حجره... ومنه اشتقاق النفاق؛ لأنّ صاحبه يكتم خلاف ما يُظهر، فكأنّ الإيهان يخرج منه، أو يخرج هو من الإيهان في خفاء». المصطفوي، حسن، التحقيق في كلهات القرآن الكريم: ج١٢، ص ٢٢٨_ ٢٢٩.

لهم من الحبّ والمودّة، بخلاف ما يضمر لهم من البغض والكراهيّة، فإنّ كلّ ذلك يدخل في عنوان النفاق".

وعليه فالنفاق له مراتب كثيرة، بدءاً بمَن ذكرهم القرآن، وهو النفاق العَقَدي، وانتهاءً بالمراتب الدانية من النفاق العملي والسلوكي، وبذلك يصحّ أن يُطلق على من اتصف ببعض المراتب منه بأنّه منافق؛ لأنّه يُبطن شيئاً ويُظهر شيئاً آخر، فمَن حدّث وكذب فإنّ فيه صفةً من صفات المنافقين، ومَن وعد وأخلف كذلك يُعدّ منافقاً، كما ورد في الكثير من الأخبار، فعن عبد الله بن مسعود، عن النبيّ مَن يَاللهُ، قال: «أربع مَن كنّ فيه فهو منافق، وإن كانت فيه واحدة منهنّ كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: مَن إذا حدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»(").

وممّا يؤسف له انتشار بعض صفات المنافقين في مجتمعاتنا؛ إذ إنّ بعض الناس يتعامل مع الآخرين بوجهين، يُظهر لبعض إخوانه الحبّ والاحترام، وما أن يغيب عنه حتى يأخذ في ذمّه والطعن فيه، وقد ورد النهي الشديد عن هذه الخصلة الذميمة، وذلك كما في حديث الإمام الباقر الله قال: «بئس العبدُ عبداً هُمَزَةً لُزَةً، يُقبل بوجه ويُدبر بآخر» ".

فهذه صفة من صفات النفاق، وهي ذات آثار سيئة، وقد بيّنت الأخبار شناعة

⁽۱) قال العلّامة الفيض الكاشاني: «النفاق هو مخالفة الظاهر للباطن بالقول أو الفعل، وكلّ مَن طلب المنزلة في قلوب الناس، فيضطرّ إلى النفاق معهم، وإلى التظاهر بخصال حميدة هو خالً عنها، وذلك هو عين النفاق». الفيض الكاشاني، محمّد بن مرتضى، المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء: ج٦، ص١٢٩.

⁽٢) الصدوق، محمّد بن على، الخصال: ص٤٥٢.

⁽٣) الصدوق، محمّد بن على، ثواب الأعمال: ص٢٩٦.

هذا الفعل، ومدى ابتعاده عن الإيهان، فهو كاشف أيضاً عن مرض قلبي، ويجب على الإنسان أن يُبادر إلى علاجه، ويعاهد الله تعالى ألّا يعود إلى هذه الصفة السيئة أبداً.

إذاً علينا أن نراقب أنفسنا بدقة، وليس من الصحيح الاطمئنان بنوايانا؛ إذ قد تكون مكامن للشيطان والأهواء دون أن نشعر بها، قال تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَمَا أَبُرَئُ نَفْسِى ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةُ اللَّهِ النَّقَ وَإِلَّا مَا رَحِمَ رَقِّ ۚ إِنَّ رَقِّ عَفُورٌ رَحِمٌ ﴾ (١٠)؛ إذ قد نكون مصابين بمرتبة من مراتب النفاق وإن كانت دانيةً.

ثالثاً: العُجب

المرض الثالث الذي يتلوّث به القلب، ويكون من المهلكات العظيمة، ومن أرذل الملكات الذميمة، هو العُجب (٢)، وهو أن يعجب الإنسان بأعاله التي يقوم هما ويعظمها ويستكثرها ويبتهج بها، سواء أكانت أعمالاً عباديّة أم غيرها، ويرى نفسه خالياً من التقصير والنقص، وأنّ ما قام به إنّما هو بفضل قدراته وذكائه، ولا يرى أنّ مرجع ذلك إلى الله تعالى وفضله ومنّه وجوده. وإذا ما أصيب الإنسان بذلك فإنّه حينئذٍ يرى لنفسه قَدَراً ومنزلةً ومرتبةً أعظم ممّا يستحقّها. وهذه الحالة القلبيّة إذا حصلت عند الإنسان فهو لا يرى عيوبه وتقصيره، بل يرى نفسه دائماً في مرتبة أعلى مرتبة أعلى مم يستحقّها.

⁽١) يوسف: آية٥٣.

⁽٢) ورد في تعريف العُجُب: «حقيقة العُجب بالأعمال استعظام العمل الصالح واستكثاره والابتهاج له والإدلال به، وأن يرى نفسه خارجاً عن حدّ التقصير، وأمّا السرور به مع التواضع لله تعالى، والشكر له على التوفيق لذلك، وطلب الاستزادة منه، فهو حسن ممدوح». المدني، على خان، رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين الملين على شرح صحيفة سيّد الساجدين الملين على شرح صحيفة سيّد الساجدين الملين الله على التوفيق شرح صحيفة سيّد الساجدين الملين الملاء على التوفيق شرح صحيفة سيّد الساجدين الملين الملاء على التوفيق شرح صحيفة سيّد الساجدين الملية الملية

يُعدّ العُجب من أعظم المهلكات، ومن أشدّ الحُجب بين القلب والربّ تبارك وتعالى، ولذلك فإنَّ المُعجَب بنفسه مبغوض عند الله، ومسلوب التوفيق؛ لحسبان نفسه غنيًّا عن أنعام الله وأفضاله. وقد ورد في ذلك الكثير من الأحاديث والشواهد، منها: ما يُروى أنّه كان من شريعة عيسى أن يَسيح () في البلاد، فصادف أن خرج في بعض سيْحه ومعه رجل من أصحابه، وكان كثير الملازمة لعيسي الله، فلم انتهى عيسى الله إلى البحر قال: (بسم الله)، وقد خرجت هذه الكلمة من قلبه بيقين صادق وتوكّل راسخ، فمشى على الماء. وحينها شاهده صاحبه أنّه قد مشى على الماء بهذه الكلمة، قال هو أيضاً: (بسم الله)، فمشى على الماء حتى لحق بعيسي الله ، وفي هذه اللحظة استعظم هذه المرتبة التي هو عليها من الإيمان، ودخل في قلبه العُجب، فقال في نفسه: هذا عيسى روح الله ونبيّه يمشى على الماء، وأنا أمشى على الماء مثله، فما فضلُّهُ عليَّ؟ إذ قد رفع مقامه ومنزلته إلى مرتبة أعظم وأعلى منه، وهي مرتبة عيسي الله ، مع أنَّ هذه المرتبة من الإيمان كان قد وصل إليها بيقينه الراسخ وتوكُّله الصادق على الله، لكنَّه عندما استعظمها جاءه الجواب سريعاً. تقول الرواية: فغطس في الماء، فجاءه النبيّ عيسى اليَّلا وأخرجه من الماء، فقال له: ما قلتَ؟ فأجابه: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء، وأنا أمشي على الماء، فدخلني من ذلك عُجب (٢).

⁽۱) السِيح (بالكسر): الذهاب في الأرض للعبادة. الفيروز آبادي، القاموس المحيط: ج١، ص٢٣٠.

⁽٢) عن داود الرقي، قال: سمعت أبا عبد الله الله يقول «... إنّ عيسى بن مريم كان من شرايعه السيح في البلاد، فخرج في بعض سيْحه ومعه رجل من أصحابه قصير، وكان كثير اللزوم لعيسى الله فلم انتهى عيسى إلى البحر، قال: بسم الله، بصحّة يقين منه، فمشى على ظهر الماء، فقال الرجل القصير حين نظر إلى عيسى الله جازه: بسم الله، بصحّة يقين منه، فمشى على الماء، ولحق بعيسى الله فدخله العُجب بنفسه، فقال: هذا عيسى روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء، فما فضله علي ؟! قال: فرمس في الماء، فاستغاث بعيسى، فتناوله من الماء، فأخرجه، ثم

وهنا يجب أن نُشير إلى مسألة مهمّة، وهي أنّ الإنسان قد يدخل في نفسه سرورٌ وابتهاج بالطاعة والعمل الصالح الذي يقوم به، وهذا لا بأس به، ولكن عليه أن يعتقد أنّ هذه المرتبة من الطاعة والعبادة إنّا بلغها بفضل الله تعالى وكرمه وجوده، وأن يرى نفسه مع ذلك مقصّراً أمام الله تعالى، ويخاف أن يُسلَب هذه المرتبة وهذه المشاعر، فلا يكون معجباً بنفسه ().

العُجب في العبادة

لكل فضيلة آفة تفسدها، والعبادة فضيلة، بل هي أمّ الفضائل، ولكنّ آفتها العُجب، ولذلك يطلب الإمام زين العابدين الله من الله أن يقيه العُجب قائلاً: «وعبدني لك، ولا تُفسد عبادق بالعُجُب»(").

قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء، فدخلني من ذلك عُجب. فقال له عيسى: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه، فمقتك الله على ما قلت، فتُبْ إلى الله عزّ وجلّ مما قلت. قال: فتاب الرجل، وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله فيها، فاتقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضاً». الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، صح٠٦.

⁽۱) قال السيّد علي خان المدني: «لا ريب أنّ مَن عمل أعمالاً صالحةً من صيام الأيّام وقيام الليالي وأمثال ذلك يحصل لنفسه ابتهاج، فإن كان من حيث كونها عطيّةً من الله ونعمةً منه تعالى عليه، وكان مع ذلك خائفاً من نقصها مشفقاً من زوالها طالباً من الله الازدياد منها، لم يكن ذلك الابتهاج عُجُباً. وإن كان من حيث كونها صفةً قائمةً به ومضافةً إليه، فاستعظمها وركن إليها ورأى نفسه خارجاً عن حدّ التقصير بها، وصار كأنّه يمنّ على الله سبحانه بسببها، فذلك هو العُجُب المُهلك، وهو من أعظم الذنوب، حتّى روي عن النبيّ الله قال: لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر من ذلك: العُجب». وعن أمير المؤمنين اللهِ: «سيّنة تسوؤك خيرٌ من حسنة تعجبك». المدني، علي خان، رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين اللهِ: ج٢، ص٧٧٣.

⁽٢) الصحيفة السجّاديّة: ص١١٠، دعاؤه في مكارم الأخلاق ومرضيّ الأفعال.

وفي رواية عن النبيّ الأكرم الله عن وجلّ لداود: يا داود، بشّر المذنبين، وأنذر الصديقين؟»؛ أي: إنّ المفتضى الأمر هو إنذار المذنبين؛ لمعاصيهم، وبشارة الصديقين؛ لمرتبتهم العالية من الإيهان، لا العكس! «قال: يا داود، بشّر المذنبين أنّي أقبل التوبة، وأعفو عن الذنب»؛ أي: بشّرهم بعفوي وصفحي عن ذنوبهم ومعاصيهم؛ فإنّ رحمتي واسعة، إذ المذنب بعد ارتكابه الذنب قد يشعر بالخوف والوجل من الله تعالى أن يعاقبه على ذنوبه ومعاصيه، ويشعر بالندم، فيعزم على ترك المعصية، فحينئذٍ يكون هذا الخوف من الله والعزم على التوبة هو السبب في أن تكون له البشارة.

«وأنذر الصديقين ألّا يعجبوا بأعماهم؛ فإنّه ليس عبد أنصبه للحساب إلّا وهلك» (أن فإذا أوقفهم الله للحساب فلا يتّكلوا على أعماهم مهما بلغت؛ لأنّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وقضوا أعمارهم في عبادة الله لكانوا مقصّرين، ولكن ليتغوا رحمة الله تعالى وفضله، وليعلموا أنّ رحمة الله هي التي تُدركهم وتُدخلهم في رضوانه.

يُفهم من ذلك أنّ الإنسان له أكثر من حالة يمرّ بها، فربّما يمرّ في حالة الوقوع في المعصية بعد التوجّه إلى الله تعالى وحضوره في ساحته، كما لو أدّى الإنسان العبادة والعمل الصالح ثم انتابه الشعور بالعُجب، فلا بدّ أن يكون حذراً ويقظاً؛ لأنّه قد

يقع في العُجب، الأمر الذي يؤدّي به إلى نسيان ذنوبه، واستكثاره ما يأتي به من الطاعات، فيبطل بذلك عبادته. وربّم يكون مرتكب المعاصي ملتفتاً إلى معصيته، فيرجع إلى ساحة ربّه، ويطلب منه العفو والمسامحة، فيفوز برضوانه.

رابعاً: سوء الظنّ

المرض الرابع من الأمراض القلبيّة التي كثيراً ما يغفل عنها الإنسان، هو سوء الظنّ، وهي خصلة من أشنع الرذائل الأخلاقيّة التي تؤدّي إلى الفِرقة بين المؤمنين، بل بين الأُسر والعوائل، وتمزّق المجاميع البشريّة والإنسانيّة، وتبعث إلى محو الثقة بين الناس، وقد اهتمّ الإسلام بهذه المسألة اهتماماً بالغاً؛ فنهى بشدّة عن سوء الظنّ، ومنع الأسباب التي تُورث ذلك لدى الناس. وعلى العكس من ذلك؛ فإنّه مدح وأيّد حُسن الظنّ الذي يُفضى إلى زيادة المحبّة والثقة بالطرف الآخر.

ويكون سوء الظّن على نحوين:

الأوّل: سوء الظنّ بالله تعالى

قد يسيئ الإنسان الظنّ بالله تعالى، كما لو مرّت به محنة أو بلاء أو مشكلة في الحياة، فإنّه عندها يفقد الثقة باستجابة الدعاء، فيكون قد أساء الظنّ بالله، وسوء الظنّ بالله تعالى يُؤدّي إلى اهتزاز ركائز الإيهان وأركان التوحيد في قلب المؤمن، فقد روي عن النبيّ داودي أنّه قال: «يا رَبِّ، ما آمَنَ بِكَ مَنْ عَرَفَكَ فَلَم يُحسِنِ الظّنَّ بكَ» (۱).

الثاني: سوء الظنّ بالمؤمنين

وسوء الظنّ هذا هو المنتشر كثيراً في أوساطنا الاجتهاعيّة، حتى يكاد أنْ يُذهِب بالعلاقات الاجتهاعيّة بين الناس، ويُقطّع أواصر المَحبّة، ويُفشي السّوء والبغضاء

⁽١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٧٧، ص٣٨٩، ح٥٦.

بينهم، ولقد حثّ الله عزّ وجلّ على اجتناب سوء الظنّ بالآخرين، فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا اللَّهِ عَلَى اجْتَنَابُ سوء الظنّ بالآخرين، فقال: ﴿يَتَأَيُّهَا اللَّهِ عَامَنُوا الْجَنِّبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنْ الظَّنِّ إِنْهُ ۗ ﴿ ``.

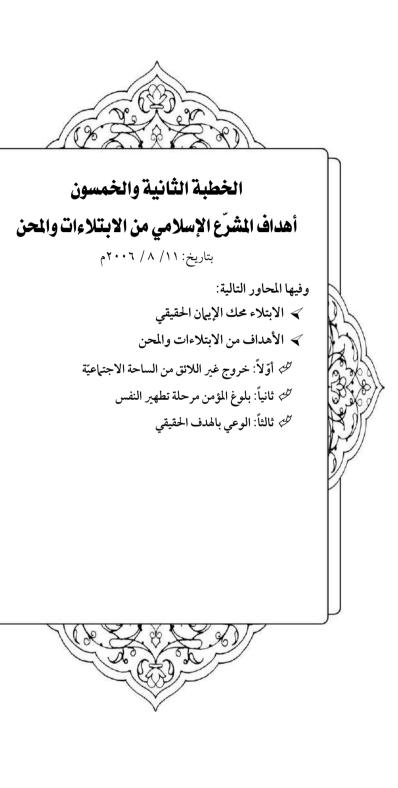
وروي أنّ رسول الله على الله على الله على الكعبة، فقال: «مرحباً بالبيت، ما أعظمك وأعظم حرمتك على الله؟! والله للمؤمن أعظم حرمة منك؛ لأنّ الله حرّم منك واحدةً، ومن المؤمن ثلاثةً: ماله، ودمه، وأن يُظنّ به ظنّ السوء»(").

إذاً من الواجب التركيز على هذا الأمر، فكثيراً من الأحيان يصدر فعل أو سلوك أو قول من إنسان، ويحتمل له وجهان: وجه من الصحة والخير، ووجه من الفساد والشرّ. لكنّ الطرف المقابل يُبادر إلى سوء الظنّ به، فيعتقد في قلبه سوء نيّة هذا الإنسان، وهي التي دفعته إلى هذا القول أو الفعل، ويرتّب على ذلك آثاراً في قلبه من الكراهيّة والبغض، بل قد يُبادر إلى اتّخاذ بعض المواقف بناءً على ظنّه هذا، ثم يتبيّن بعد فترة أنّ ما بناه في قلبه وما صدر عنه من ردود الأفعال كلّها كانت أوهاما باطلة، لذا على الإنسان أن يتريّث ولا يتسرّع في إصدار الحكم وترتيب الأثر، بل يصبر حتى يتأكّد، فإن كان الأمر يتطلّب البحث فليبحث من دون أن يُوقع نفسه في التجسّس على أحوال أخيه المؤمن، فإن وصل بعد التريّث والبحث إلى الحقيقة، وتبيّن أنّ نيّة الإنسان لم تكن صالحةً؛ فعليه في بعض الأحيان أن يرتّب الآثار المناسبة؛ إذا كانت تُساعد في تنبيه الطرف الآخر وردعه عن خطئه. وإن تبيّن بعد التريّث والبحث أنّ نيّة ذلك الإنسان في كلامه أو فعله كانت صالحةً، فقد سلم من الوقوع في سوء الظنّ بأخيه المؤمن.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

⁽١) الحجرات: آية ١٢.

⁽٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٦٤، ص٧١، -٣٩.



مقدمة الخطبة

بير لِللهِ الدِّمْ يَرَالَحَدِ مِنْ الْمُعَالِلَهِ الدِّمْ يَرَالَحَدِ مِنْ الْمُعَالِدُ الْمُعِلَّذِ الْمُعَالِدُ الْمُعَالِدُ الْمُعِلَّذِ الْمُعَالِدُ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلِي الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلْمِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلْمِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّذِ الْمُعِلِي الْمُعِلَّذِ الْمُعِلَّ الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلِي الْمُعِلْمِ ا

الحمد لله القائم الدائم، الحليم الكريم، الأوّل الآخر، الظاهر الباطن، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

الحمد لله الهادي العدل الحقّ المبين، ذي الفضل الكريم العظيم، المنعِم المكرِم، القابض الباسط، المانع الفاتح، المعطي المبتلي، المحيي المميت، ذي الجلال والإكرام، أهل التقوى وأهل المغفرة، ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه (').

اللهم صل على البشير النذير، السراج المنير، الطهر الطاهر، والعلم الزاهر، المنصور المؤيد، أبي القاسم محمد. وعلى آله مصابيح الهدى، وأنوار الدجى، ينابيع الحكمة، وحجج الله في الأرضين، بأفضل صلواتك.

أُوصيكم إخوتي وأخواتي ونفسي _ المحمّلة بالذنوب والخطايا _ بالتزوّد بزاد التقوى ليوم يقول الإنسان فيه: ﴿ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تُرَبّا ﴾ ((). وأن تُطهّروا قلوبكم من دنس الآثام والخطايا، وذلك بالصمود والثبات والصبر على ما تتعرّضون له من محن وابتلاءات؛ فإنّ الظفر والعزّة والنصر بانتظاركم، وفوق ذلك تنالون رضا الله تعالى ونعيمه الدائم في جنان الخلد.

قال الله تعالى في محكم كتابه وفصل خطابه وواضح بيانه: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ

⁽١) ابن طاووس، عليّ بن موسى، الدروع الواقية: ص١٧٧.

⁽٢) النأ: آية ٤٠.

ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثُلُ ٱلَّذِينَ خَلَوًا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتُهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ ٱلْجَنَّةَ وَلَاَيْرِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُ, مَتَى نَصْرُٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَٱللَّهِ قَرِبِّ ﴾ (١).

الابتلاء محكّ الإيمان الحقيقي

يمر الشعبان العراقي واللبناني في هذه الأيّام بابتلاءات ومحن ومآسٍ ومصائب كثيرة (١٠)، نسأل الله تعالى أن يفرّج عنهما، لذا طرحنا هذه الآية المباركة لما تحمله من المعاني والمفاهيم التي تُشير لذلك.

هناك فهم خاطئ لدى جماعة من المسلمين، وهو اعتقادهم بأنّ إظهار الإيهان لله تعالى وحده كافٍ بالفوز بالجنّة أو الحياة الحقيقيّة الأُخرويّة الدائمة، التي هي الكهال الذي لا نقص فيه، الخالية من المنعّصات والابتلاءات. لكنّ الآية الشريفة ـ المذكورة أعلاه ـ تدحض هذا التصوّر والفهم الخاطئ، مشيرةً إلى أنّ إظهار الإيهان وحده غير كافٍ بالفوز بذلك ما لم يمرّ الإنسان بمراحل امتحانيّة ـ من محن ومصاعب ومشاقٌ ـ تُحصّ ذلك الإيهان الحقيقي في العبد.

إنّ الإيهان الحقيقي هو الاستعداد والثبات والتحمّل والاستقامة لمواجهة تلك الابتلاءات بالصمود أمامها، ثم الانتصار عليها؛ فإنّ القانون الإلهي والسنن الإلهية ثابتة لا يمكن أن تتغيّر، لذا نرى جميع الأُمم السالفة قد مرّت بأنواع المحن والمآسي، وأصابتهم الفتن المتنوعة من قِبل أعداء الله وأعداء الديانات السهاويّة، لكنّهم وطّنوا أنفسهم على تحمّل تلك المصاعب وقابلوها بالتضحيات والصمود، حتى

⁽١) البقرة: آية ٢١٤.

⁽٢) يتحدّث سهاحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي عن أنواع الابتلاءات التي يمرّ بها المجتمع المسلم؛ وذلك لحاجة الظرف الذي صدرت فيه هذه الخطبة لمثل هذه الإرشادات، لذلك خصّ بالكلام الشعبين العراقي واللبناني؛ لتشابه ظرفيهها ومحنهها.

كان النصر حليفهم، وأصبحوا أهلاً لأن يتحمّلوا رسالة الساء، وقيادة الأُمّة، الذين يبلّغون تلك الرسالة الساويّة إلى الأُمم والشعوب.

من هنا تَعبُر بنا الآية الكريمة جسر هذا التصوّر الخاطئ والفهم غير الصحيح عن الإيهان إلى ما هو أعمق وأدق ممّا عرفه أو فهمه بعض المسلمين عنه، لذا فإنّ السنّة الإلهيّة والقانون الربّاني قاضيان بأن يمرّ المؤمن الحقيقي بابتلاءات لا بدّ له من تجاوزها والانتصار عليها، لكي ينعم بالحياة الحقيقيّة الأُخرويّة الكاملة، وهي دار النعيم، فلن يدخل الجنّة ـ تلك الحياة الحقيقيّة ـ من ظنّ أنّ الإيهان وحده، وبدون التضحية والصبر على تحمّل المسؤوليّات والمشاق، كافٍ في الوصول إليها والتنعّم فيها.

نعم، على الرغم من أنّ الخطاب في الآية الكريمة كان موجّها إلى الأُمّة الإسلاميّة في زمن النبيّ عَيِّالله ، لكنّه كما يجري على أفراد ذلك الزمان الذين آمنوا بالرسالة السهاويّة، كذلك هو جارٍ على أفراد هذا الزمان، وكما مرّ المسلمون سابقاً بالمحن والابتلاءات المتتابعة، كذلك يمرّ المسلمون في هذا الزمن بابتلاءات ومصاعب ومحن، فإن واجهناها بالصبر والثبات كان النصر حليفنا، وتحققت من خلاله الرفعة والعزّة والكرامة في الحياة الدنيا، والرضا من الله تعالى في الحياة الآخرة.

فالآية المباركة تصحّح هذا الفهم الخاطئ، وتضيف على ذلك بأنّ السنّة الإلهيّة الثابتة لا بدّ أن تجري في جميع الأزمان، لذا على الشعبين العراقي واللبناني التحمّل والصبر والتضحية والثبات على الدين والمعتقد والهوية حتى يتحقّق لهما النصر على أعدائهما.

الأهداف من الابتلاءات والمحن

بعد أن أشارت الآية الكريمة _ موضوع البحث _ إلى أنّ الابتلاءات سنة إلهيّة جارية على المؤمنين في كلّ عصر وزمان، نستعرض في المقام الأهداف والأغراض المنشودة للمشرّع الحكيم من وراء هذه المحن؛ إذ ليس من الحكمة الإلهيّة أن يبتلي الله المؤمنين بالصِعاب والمشاقّ دون فائدة تصبّ في مصلحتهم، ولا سيّما أنّ المجتمعات الإسلاميّة في كلّ عصر وزمان بحاجة إلى أناس قدوة باستطاعتهم قيادة تلك المجتمعات والسير جم إلى ساحات الخير والاستقرار والعيش الرغيد.

وفي هذا الصدد نذكر شيئاً من الأهداف التي ينشدها المشرّع الحكيم لتحقيق العدالة الاجتماعيّة وتوفير الوسائل الحياتيّة لأفراد المجتمع، ومن تلك الأهداف:

أوّلاً: خروج غير اللائق من الساحة الاجتماعيّة

يعتاج الكيان المجتمعي في كلّ وقت إلى أشخاص مؤمنين تتوفّر فيهم اللايقة الكافية لقيادة الأُمّة وإدارة أعالها بكافّة مستوياتها، إذ قد مرّت المرحلة الراهنة بخليط من الناس يحوي اللائق وغيره، ولا نستطيع فرز الشخص المناسب عن غيره إلّا باختباره وامتحانه، وهذا ما يقرّره معنى الآية القرآنيّة الكريمة: ﴿ مَا كَانَ اللّهُ لِينَدُرُ اللّهُ وَلِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَى يَمِيزُ الْخَبِيثَ مِنَ الطّيّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيكُرُ اللّه يَعْرَبُ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَى يَمِيزُ الْخَبِيثَ مِنَ الطّيّبِ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَلِكِنَّ اللّه يَجْتِي مِن رُسُلِهِ عَن مَن يَشَالُهُ فَعَامِنُوا إِللّهِ وَرُسُلِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَنَّقُوا فَلَكُمْ آخَرُ عَظِيمٌ ﴾ "ا.

فالآية تفترض أنّ تلك الابتلاءات هي عبارة عن غربال من خلاله يُميّز اللائق الذي هو المؤمن الحقيقي عن غيره، كحال موادّ البناء التي تخضع أحياناً للغربلة بغربال ثقوبه صغيرة، وآخر ثقوبه أكبر حجهاً من الأوّل، وذلك لتصفية تلك الموادّ

⁽١) آل عمران: آية ١٧٩.

وتنقيتها؛ ليُستخدم الصالح منها في محلّه، ويُبعد غير الصالح، فإنّ هذه الحال نفسها تطبّق على أفراد البشر، فيُغربلون كي تظهر صفاتهم؛ ليُوضع كلّ شخص في مكانه اللائق به.

صفات المؤمن الحقيقي

ليس كلّ إنسان يدّعي الإيهان يستطيع أن يصمد أمام الابتلاءات طوال فترات متتالية وسنين متعاقبة، وإنّها تظهر صفة الإيهان الحقيقيّة عند الإنسان من خلال تضحيته وصموده أمام تلك الابتلاءات مرّةً وثانيةً وثالثةً و... حتى يتمحّص وينال مرتبة الإيهان الحقيقي التي لا تتحقّق إلّا بعد المرور بمراحل من المحن والفتن.

لذا يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَنَبَلُونَكُمْ حَتَى نَعْلَمُ الْمُجَهِدِينَ مِنكُو وَالصَّبِدِينَ وَنَبَلُوا الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَلَنَبَلُوا الْخَبَارَكُو ﴾ (() كاشفا عن الصفات الحقيقيّة للمؤمن من الجهاد والصبر والنجاح في الامتحانات المتعاقبة، فإذا ما اجتاز البلوى تلو الأُخرى وتكرّرت نجاحاته استحقّ المرتبة العالية، وبها يدخل الجنّة.

فأحد أهداف المشرع الإسلامي وغاياته وأغراضه من هذه المحن هو تمحيص الفرد للكشف عن امتلاكه صفة الإيهان الحقيقيّة؛ كي يكون على استعداد لتقديم التضحيات من أجل نيل شرف حمل الرسالة وتبليغها إلى الآخرين، وهو معنى الفوز برضا الله تعالى.

ثانياً: بلوغ المؤمن مرحلة تطهير النفس

تطهير النفس من الشوائب والقلب من الأدران مرحلة أُخرى من مراحل

(١) محمّد: آية ٣١.

الكهال؛ فإنّ في الإنسان الكثير من الاستعدادات والقابليّات يتمكّن من خلالها أن يتحلّى بالقوّة والصلابة والتحمّل، وإذا ما تحلّى بها يخرج من معدن أدنى ليدخل معدناً آخر أعلى مرتبةً من الأوّل، يتخلّص به من بعض الشوائب التي تُخالط الإيهان، فإنّ هناك عناصر كثيرةً للشوائب تشوب إيهان الإنسان، كضعف اليقين بالله تعالى، وعدم التوكّل عليه، وانعدام الصبر، والتكبّر، وغيرها.

فواحدة من ثمرات الابتلاء والحكمة منه هي طرد الشوائب المضعِفة للإيان، وتطهير النفس منها، وبذلك تصفو النفس لتسمو بالإنسان إلى الكمال.

أمّا كيفيّة تحقّق هذه الثمرة في الإنسان فذلك يكمن في مراجعة الإنسان نفسه في كلّ شيء يفعله، أو خَطْب يلمّ به، أو سجيّة أخلاقيّة، أو تفكير، أو وسوسة تُضعِف إيهانه أو تُفقده طاقة التحمّل والصبر، وبالتالي لا ينجح في الوصول إلى الكهال أو المرحلة المرجوّة منه. فعند مراجعة الإنسان نفسه يستطيع الخروج من الشوائب التي ربّا تُخالطه وهو غير ملتفت إليها في بداية الأمر.

ضرورة التدبّر في تاريخ الماضين وابتلاءاتهم

تذكر الآية الشريفة مجموعة مقوّمات يمكن من خلالها وصول الإنسان إلى الثمرة المرتجاة من الابتلاء وبلوغ الهدف المنشود لها، ومن تلك المقوّمات: التدبّر والتفكّر في أحوال الأُمم السابقة؛ فإنّ مثل هذه الأُمور تُعدّ من مقوّمات الإنسان التي تنقله من مرحلته الراهنة _التي ربّم يتزعزع فيها _إلى مرحلة أكثر في الكمال؛ إذ لا شكّ بأنّ التمعّن والتدبّر بالابتلاءات والمحن التي لاقتها الأُمم السالفة تُعطي دافعاً قويّاً للإنسان تجعله أكثر صموداً وصبراً في مواجهة ما يُحيط به، أو ما يُلاحقه من مصاعب ومتاعب، والقرآن الكريم يتعرض في كثير من آياته إلى قصص الأُمم الماضية على الرغم من أنّه ليس كتاباً قصصيّاً أو تاريخيّاً، وإنّا غايته سرد تاريخ الأُمم أو الأشخاص؛ لما في ذلك من العبر للناس؛ لأنّها مملوءة بالحِكم، وليست

مخترعةً ولا مفتراةً، وتكشف عن نصائح الأنبياء أو مواعظهم الخاصّة بكلّ قوم بحسب حالهم، كقوم نوح في غوايتهم، وقوم فرعون وملئه في جبروتهم وعتوّهم، وقوم لوط في فحشهم، و... هكذا.

ومن بعدَ كلّ هذه الابتلاءات والصبر عليها وعلى فرعون وجبروته وطغيانه توج الله تلك المرحلة من الصمود بالنصر والعزّة والسؤدد بمجيء نبيّ الله موسى الله نقمنوا به ونصروه، فبعد أن عانى بنو إسرائيل الكثير من الآلام والمحن أبرأ الله تعالى جراحهم بالفوز بالحياة الحقيقيّة بعد معاناة طالت سنوات ليست قليلة، فنصرهم على عدّوهم في الدنيا، وبدأت حياتهم الحقيقيّة في الآخرة التي لا نهاية لها؛ إذ صبروا وتحمّلوا الشدائد وامتحنوا في الفتن والمحن في فترة قصيرة عند الله، فعوضهم بسعادة وراحة وهناء لا نهاية لها.

⁽١) القصص: آية ٤.

ومثال آخر سرده القرآن الكريم في قصّة أصحاب الكهف، فلقد ضرب أصحاب الكهف أروع الأمثلة في التضحية بالجاه والمناصب الدنيويّة العالية، إذ كان بعضهم يتمتّع بحياة دنيويّة جميلة؛ لما كان يحتلّه من منصب، ويشغل من وظيفة مرموقة، إلّا أنّهم حين ابتلوا كان أمامهم طريقان لا بدّ من انعطافهم في واحد منها، إمّا أن يبتغوا هذه الحياة الدنيا التي كانوا ينعمون فيها بعظيم الجاه والمنصب، مع فقْد الدين وخسران العقيدة والآخرة. وإمّا أن يضّحوا بكلّ ذلك من أجل السعادة الأُخرويّة الحقيقيّة، فاختاروا الطريق الثاني، وقضوا تحت سطوة الحاكم الظالم معذّبين مشردين يعانون الألم، لكنّ كلّ هذه المعاناة كانت لفترة قصيرة خسروا بها مناصبهم الدنيويّة ونالوا بدلها حياةً أبديّة منعمّةً، فيها الكهال الذي لا نهاية له.

ويستمرّ قانون هذه السنن الإلهيّة بامتحاناته وابتلاءاته للأُمم السالفة جيلاً بعد جيل، وأُمّة بعد أُمّة، حتى يأتي دور الخاتم محمّد عَلَيْكُ الذي واجه أنواعاً من الأذى في سبيل إعلاء كلمة الحقّ تعالى ونشر الرسالة الساويّة الخاتمة.

فلقد جاهد على تلك الحال لسنين طويلة، يعاني هو ومَن آمن برسالته _ آنذاك _ الاضطهاد والتنكيل والتعذيب الجسدي والنفسي والاجتماعي والاقتصادي، فكانت جراحته عميقة، لكنّه تحمّلها رغم ما بها من قساوة وضراوة، حتى حقّق الله تعلى له نصره المؤزّر والظفر العظيم.

⁽١) التحريم: آية ١١.

فالتدبّر في تاريخ وأحوال الأُمم الغابرة والسالفة من المقوّمات المطلوبة؛ إذ يمنح الإنسان الصلابة والشدّة في مواجهة الصِعاب وتطبيب الجراح والصبر عليها، لذا لم يترك القرآن الكريم سرد أحوال الأُمم السالفة، عارضاً بذلك الظلم والطغيان من جانب، والصبر والثبات والصمود من جانب آخر، حتى نيل العزّة والكرامة.

ولو تأمّلنا في الفترة التي تلت زمن الرسول عَيْنَ للله لوجدناها أيضاً مليئة بالأحداث التي تمثّل جانبين متناقضين، أحدهما جانب قوى الشرّ والظلم الذي مثّله أصحاب الجمل وصفّين والنهروان، وثانيها جانب الخير والتضحية والفداء الذي مثّله الإمام أمر المؤمنين علىّ بن أبي طالب الله وأصحابه الذين جاهدوا معه.

ومن بعدهم جيش عمر بن سعد ويزيد بن معاوية، الذي مارس أبشع أنواع الظلم من القتل والسلب والنهب والمهانة بحق أُناس هم أطهر أهل الأرض وأشرفهم، آل الرسول عَيَالَيُهُ والنخبة من الناس الذين نصروا ريحانته في كربلاء، حتى كلّل الله صبرهم وإخلاصهم في سبيله وتضحياتهم في إعلاء كلمته بالنصر العظيم، الذي خلّد ذكرهم في الدنيا، وقلّدهم وسام الشهادة والعزّة، وأورثهم الجنّة في الآخرة.

من هذا المنطلق نرى أنّ هناك فريقين، فريق شقّ رحلةً من الصبر على المشاقّ والمصاعب والجهاد من أجل حفظ المبادئ ونيل الكرامة حتى أسعدهم الله بالنصر والطفر والعزّة والكرامة والحياة المنعّمة المرفّهة جزاءً لهم، وفريق خذل الحقّ ومال إلى الظلم والباطل، فخسر حياته الحقيقيّة مع الحياة الدنيويّة التي ربّها أشعرته بأنّه منعّم فيها، لكنّه في الحقيقة يغوى ويضلّ من حيث لا يشعر.

ثم إذا ما طبقنا ما عرضناه من ابتلاءات الأُمم السالفة على واقعنا المعاصر وحاضرنا الذي نعيشه اليوم، لخرجنا بنتيجة مهمّة يمكن من خلالها قراءة مستقبلنا

وما سوف تؤول إليه أُمورنا، فبعد التدبّر والتفكّر في ابتلاءات مَن سلف وصبره على ذلك، جدير بنا نحن اليوم أن نُهيّأ أنفسنا لجميع أنواع البلاء، ونواجهها بالصبر والثبات والصمود من أجل نيل المراد وإن انتهينا من محنة وفتنة ودخلنا في غيرها أشدّ منها؛ فإنّ الحياة مليئة بمثل هذه الصِعاب، وما علينا إلّا أن نصمد ونحافظ على هويتنا الدينيّة والمذهبيّة والثقافيّة، وسوف يكون النصر حليفنا وإن صبرنا لعشرات السنين.

والأهم من كل هذا معرفة الإنسان حقيقة الدنيا وأنّها لا قيمة لها تجعل الإنسان يركن إليها، ويذلّل نفسه من أجلها، فليس فيها ما يوجب الصراع لأجله، فإنّها حياة فانية لا لذّة فيها، لذا نرى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب على كثيراً ما يصف حال الدنيا في خطبه، والتي منها على سبيل المثال لا الحصر: «وأُحذّركم الدّنيا؛ فإنّها منزل قُلعة، وليست بدار نجعة. قد تزيّنت بغرورها، وغرّت بزينتها. دار هانت على ربّها، فخلط حلالها بحرامها، وخيرها بشرّها، وحياتها بموتها، وحلوها بمرّها. لم يصفها الله تعالى لأوليائه، ولم يضنّ بها على أعدائه. خيرها زهيد، وشرّها عتيد. وجمعها ينفد، وملكها يُسلب، وعامرها يخرب»(١).

ثالثاً: الوعي بالهدف الحقيقي

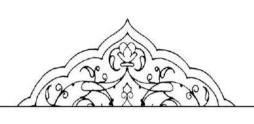
إنّ من الحقوق المشروعة لكلّ شعب أو لكلّ فرد من أفراد المجتمع أن يعيش حياةً كريمةً، تحفظ له نفسه وعرضه وماله، وأنّ من الواجب على حكومته التي تدير معاشه أن توفّر له ذلك. لكن في الوقت نفسه يجب على الإنسان المؤمن أن يكون لديه الوعي التامّ بالهدف الحقيقي المنشود الذي يعمل من أجله جاهداً نفسه نهاراً وساهراً ليلاً.

⁽١) مغنية، محمّد جواد، في ظلال نهج البلاغة: ج٢، ص١٧٧.

إنّ توفير خدمات الراحة والعيش الرغيد بكلّ جوانبها حقّ أساسي من حقوق المواطنين، لكن إذا ما وصل الإنسان إلى مفترق طريقين لا بدّ له من الالتفات إليه، وهذا المفترق هو إمّا الحياة التي ينقصها الخدمات والمستلزمات المعيشيّة الكريمة مع الاحتفاظ بالهوية ونيل العزّة والكرامة والحرّيّة، وإمّا عيش الحياة في ظلّ حاكم ظالم مستبدّ، يفرض الذلّ والهوان على رعيّته، ويفقدهم الرفعة والكرامة.

فإذا وصل الأمر بالمجتمع إلى هذين الطريقين توجّب عليه اختيار أحدهما، وهنا يتدخّل عامل الوعي الحقيقي لدى الإنسان ليفرض هيمنته من أجل اختيار الطريق الأصوب، وذلك باستعراض ما مرّ به في حلقة التدبّر في قصص الأُمم الماضية وأحوال أصحاب الرسول عَيَّا والأئمة الله فها هم أصحاب الإمام الحسين قد وعوا الهدف الحقيقي فاختاروا طريق العزّة والكرامة، رافضين الذلّ والهوان، متحمّلين المعاناة والتنكيل والاضطهاد والقتل من أجل الحرّيّة، وهذا ما يتوصّل به الإنسان إلى سلامة دينه ومعتقده، وهو أسمى أهداف الحياة الدنيا.

نسأل الله تعالى أن يجعل لكم النصر والظفر على الأعداء دائهًا، إنَّه سميع مجيب. والحمد لله رتّ العالمين



الخطبة الثالثة والخمسون

إضاءات أخلاقية من سيرة الإمام الكاظم السياد

بتاریخ: ۱۸/ ۸/ ۲۰۰۶م

وفيها المحاور التالية:

🗸 ذكرى شهادة الإمام الكاظم الله

﴿ أَشْهِرِ أَلْقَابِهِ عِلَيْكِ

💯 كاظم الغيظ والعافي عن الناس

لا العبد الصالح

لا باب الحوائج

اضاءات أخلاقية من سيرة الإمام الجلا

🗠 الإضاءة الأُولى: عبادة الإمام اليَّلِ

الإضاءة الثانية: الصبر والصمود

الإضاءة الثالث: الدعوة إلى الله تعالى بغير اللسان

الإضاءة الرابعة: قضاء حوائج المؤمنين الإضاءة الرابعة:

مقدّمة الخطبة

بِسُــُ إِلَّهُ الْزَّمْرُ الْرَحِيدِ فِي

اللهم لك الحمد في كلّ ما قضيت، ولا ملجاً منك إلّا إليك، يـا واسـع الـنعماء، يـا كريم الآلاء، يا جزيل العطاء، يا قاضي القضاء، يا باسط الخيرات، يا كاشف الكُربات، يا مجيب الدعوات، يا وليّ الحسنات، يا رافع الدرجات، يا منزل البركات والآيات (٠٠٠).

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدى، والصلاة والسلام على مَن اختاره هدى لعباده، ولا سيّما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء، أبي القاسم المصطفى محمّد عَمَّد الله الميامين النجباء.

أُوصيكم إخواني وأخواتي ونفسي المليئة بالذنوب والآثام بتقوى الله تعالى واجتناب معاصيه، والاستعانة بالصبر والصلاة لمواجهة المحن والابتلاءات والمصاعب في هذه الحياة الدنيا، ولكم في إمامكم كاظم الغيظ والعافي عن الناس المثل الأعلى في مواجهة هذه التحديات.

ذكرى شهادة الإمام الكاظم الطيلات

عاش الإمام موسى الكاظمالي ـ الذي تمرّ ذكرى استشهاده بعد يومين ـ طوال

⁽١) الكفعمي، الشيخ إبراهيم، البلد الأمين والدرع الحصين: ص٥٠٠.

⁽٢) بمناسبة شهادة الإمام موسى بن جعفر الكاظم الله التي قاربت ذكراها تاريخ صدور هذه الخطبة المباركة، افتتح سهاحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي هذه الخطبة - بعد البسملة والصلاة على النبيّ المصطفى محمّد عَيِّم الله والكرام الطاهرين - بالسلام على الإمام موسى بن جعفر الكاظم المهدوم، السلام على الإمام المغلوم المحزون، السلام على الإمام المغيّب في قعر السجون، السلام عليك يا مولاي يا موسى بن جعفر ورحمة الله وبركاته).

وقد أوقع هذه الخطبة بذكر إضاءات من سيرة هذا الإمام العظيم الأخلاقيّة، بعد أن تعرّض لذكر أهم الألقاب التي اشتهر بها الليها .

أيّام إمامته ظروفاً قاسيةً ومحناً صعبةً، لكنه الله تكن من تجاوزها والتغلّب عليها، وهو يُمارس مهامّه في هذه الأُمّة بنجاح كبير، كلّ ذلك نتيجة تحمّله وصبره الجميل، وزهده في هذه الدنيا، وتوكّله على الله تعالى، والاستعانة به لمواجهة ألم تلك السنين العصيبة. ولقد كان المصداق الأوضح للآية القرآنيّة: ﴿وَٱسْتَعِينُوا بِالصّبْرِ وَالصّبَلُوةِ ﴾ (١٠).

وحريٌّ بنا أن نستلهم من سيرة إمامنا الكاظم الله العطرة ما نستنير به في طريقنا الصعب في الحياة الدنيا من أجل مواصلة مسيرة الحياة بنجاح، والفوز في الدارين الدنيا والآخرة، وذلك من خلال استعراض بعض الإضاءات من مسيرته الله المعطاءة، نتحدّث عنها بعد الإشارة السريعة إلى أهم ألقاب الإمام الله التي اشتهر بها، والتي تكشف عن عمق ارتباطه واتصاله بالله تعالى، والتي تبيّن في الوقت نفسه حقيقة شخصيّته الإيهانيّة وتكاملها، والتي جعلت منه قائداً للأُمّة الإسلاميّة.

أشهر ألقابه للطلإ

أوّلاً: كاظم الغيظ والعافي عن الناس

وهو أشهر ألقابه الله وبه عُرف؛ فإنه الله قد اشتهر بهذا اللقب؛ لكثرة عفوه وصفحه عن أعدائه تارةً، وعن محبّيه وشيعته أُخرى، وهو خُلق رفيع، وأسمى حالات الآداب والأخلاق الإسلاميّة.

إنّ سمة كظم الغيظ والعفو عن الناس التي يحملها هذا اللقب، لهي سمة كريمة وصفة أخلاقيّة عظيمة، يجب أن نترجمها إلى واقع حيّ مُعاش في حياتنا اليوميّة، وخاصّة في تعاملنا مع إخواننا في الخلق من المؤمنين وغيرهم؛ اقتداءً بالإمام كاظم

⁽١) البقرة: آية ٥٤.

الغيظ الخيط الخيط عن الطرف عن إساءاتهم، ونصفح عن ظلمهم، ونعفوا عنهم؛ لكي نعيش تلك الحالة السامية من الخُلق. وإذا ما طبّقنا صفة كظم الغيظ والعفو عن الناس، استطعنا أن نكون من الناس - بجميع طبقاتهم - مجتمعاً متوازناً تسوده المحبّة.

هذا الخُلق من مكارم الأخلاق التي دعا إليها النبيّ الأعظم عَلَيْ الله بل ومن أعلاها مقاماً وسموّاً؛ فإنّ الأخلاق لها مراتب في العلو والسموّ، وهذه الصفة من الخُلق من جملة تلك الأخلاق ذات المراتب العالية الموصلة بالإنسان إلى مقام القرب من الله تعالى.

نعم، كان الإمام موسى الله المصداق البارز للقب كاظم الغيظ والعافي عن الناس، وقد اشتهر بذلك؛ لكثرة عفوه وحلمه عن إساءات الآخرين، وكظم غيظه عنهم.

ثانياً: العبد الصالح

اشتهر الإمام الكاظم الله بلقب العبد الصالح؛ وذلك لقوة ارتباطه واتصاله بالله تعالى؛ لأنّه الله تعالى بامتثاله تكاليفه، مؤدّياً العبادات من الصلاة والصوم وغيرهما، ضارباً بذلك أروع الأمثلة، وكان كثير الدعاء والتهجّد لله، فله عني بالعبد الصالح لإخلاصه وتفانيه في إداء العبادات من الواجبات والمستحبّات.

ثالثاً: باب الحوائج

لا شكّ أنّ الأئمّة على جميعاً هم أبواب لرحمة الله تعالى لعباده؛ لكنّ الإمام موسى بن جعفر الكاظم الله اشتهر من بينهم الله بهذا اللقب، فهو باب لقضاء الحوائج إذا

ما جعله الإنسان واسطة بينه وبين الله تعالى، حتى أنّ الكثير من مخالفيه وممّن لا يعتقدون بإمامته كانوا إذا ألمّت بهم ملمّة، أو أحزنهم أمر، أو أصابهم همّ من هموم الدنيا، طلبوا باب الإمام موسى بن جعفر، فقد نُقل عن أحد أئمّة المذهب الحنبلي وهو أبو عليّ الخلال قوله: «ما أهمّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به إلّا سهّل الله تعالى لى ما أحبّ»(۱).

نعم، هذه كرامة من الله تعالى حبابها إمامنا الكاظم الله ، وفي هذه الصدد هناك شواهد كثيرة وقصص مشهورة معروفة في قضاء الحوائج، وأنّه ما من مكروب أو مهموم أو محزون طرق باب الإمام الله وتوسّل به إلى الله تعالى إلّا وفرّج الله كربته، وأزال عنه همّه وحزنه ببركة الإمام الكاظم الله الذي عُرف بأنّه باب الحوائج.

إضاءات أخلاقية من سيرة الإمام الطيا

إنّ سيرة الإمام موسى الكاظم الله سيرة حافلة بالدروس الأخلاقية العملية، ويمكن في المقام اقتباس شيء من هذه الدروس، نستعرضها على شكل إضاءات نتّخذ منها مناراً في حياتنا الدنيا، نستعين بها ونسير على هداها من أجل أن نشق طريق هذه الحياة المليء بالمحن والابتلاءات والمصاعب والمعوقات؛ لكي نرسي بسفينتنا إلى برّ النجاة، والفوز الذي ننشده في دار الحياة الدنيا والدار الآخرة.

الإضاءة الأولى: عبادة الإمام الله

عُرف عن الإمام الكاظم اليلا كثرة عبادته من الصلاة والصيام والدعاء والتهجّد

⁽۱) ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن عليّ، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم: ج٩، ص٨٩، رقم ٩٩٧. فقد ورد فيه: «أخبرنا القزّاز، قال: أخبرنا أبو بكر بن ثابت الخطيب، قال: أخبرنا القاضي أبو محمّد الحسن بن الحسين الأسترآبادي، قال: أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي، قال: سمعت الحسن بن إبراهيم الخلال يقول: ما أهمّني أمر...».

لله تعالى، وهي ظاهرة عظيمة اتسم بها الإمام إلى وينبغي أن نأخذ درساً من هذه الظاهرة الحيوية في حياة الإمام إلى نزرع في أنفسنا وأرواحنا وقلوبنا وعقولنا وأجسادنا القوة الإلهية التي نستطيع من خلالها أن نواصل رحلة الحياة والتغلب على المصاعب والمحن والابتلاءات، وهذا لا يتحصّل لنا في حياتنا إلا بعد أن نقوي الارتباط والاتصال بالله تعالى، إذ بذلك نحصّ ن أنفسنا ضدّ أيّ ابتلاء أو محنة، ونستطيع شقّ طريق الحياة.

وكلّ ذلك نستلهمه من سيرة الإمام وطريقة عبادته، وكيفيّة أدائه التكاليف الإلهيّة من الصلاة والصوم والدعاء والتهجّد لله تعالى.

قد يقول البعض: نحن لا نستطيع الوصول إلى ما كان عليه الإمام الله من المقامات العبادية والروحية العالية. وهذا القول صحيح، لكن الأئمّة الله يُبيّنون للناس بأنّ الإنسان يمتلك استعدادات وقابليّات محدودة يمكن أن تصل بهم إلى مقامات معيّنة ومراتب محدودة هي أدون من مراتب الأئمّة الله فيه من القابليّة الوصول إلى شيء من تلك المقامات بمقدار ما أودع الله فيه من القابليّة والاستعداد، وهذا ما يُشير إليه الإمام أمير المؤمنين الله عندما يقول: إنّكم لا تستطيعون الوصول إلى درجة عبادتنا، ولكن أعينونا بورع واجتهاد، وعفّة وسداد".

⁽۱) يُشير سماحة الشيخ الكربلائي إلى مضمون كتاب الإمام علي الله على الله عنهان بن حنيف الأنصاري، وهو عامله على البصرة، وقد بلغه أنّه دُعي إلى وليمة قوم من أهلها فمضى إليها، فخاطبه قائلاً: «أمّا بعد يابن حنيف، فقد بلغني أنّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها تُستطاب لك الألوان، وتُنقل إليك الجفان، وما ظننت أنّك تُجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفو، وغنيّهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فها اشتبه عليك علمه فالفظه،

نعم، غير المعصوم لا يستطيع الوصول إلى مرتبة المعصوم؛ لضعف قابليّته وقلّة استعداده، لكن بإمكانه الوصول إلى مرتبة محدودة أو معيّنة من خلال مقدار وحجم الاستعدادات التي يمتلكها، وهذا يتأتّى من خلال النيّة وتقويّة الهمّة والعزم، يقول الصادق الله : «ما ضعف بدن عمّا قويت عليه النيّة» (۱).

نعم، هناك الكثير من القابليّات والاستعدادات في البشر، لكنّها تحتاج في حركتها إلى الهمّة والعزيمة والنيّة الصادقة، فبالإمكان الوصول إلى المراتب العالية التي تتناسب مع ذلك الاستعداد وتلك القابليّة، والله تعالى لا يُحاسب بشراً إلّا على مقدار ما حمّله من طاقات.

هذا ما نستلهمه من سيرة الإمام الكاظم الله في العبادة التي هي قدوة لنا نصل من خلالها إلى مرتبة من المقام المعنوي عند الله تعالى.

الإضاءة الثانية: الصبر والصمود

سمة أخلاقية عظيمة تترجمها سيرة الإمام الله ، وهي مقاومته وصموده وصبره و فإنه الله قد عانى الكثير من الظلم والتعسف والجور والاضطهاد من حكّام بني العبّاس، وخاصّة في العقد الأخير من حياته، فقد كثرت فيه استدعاءات الظالم للإمام الله إلى مقرّ الحكومة، محاولاً إذلاله وتعريضه إلى الهوان من خلال ما يلصقون به من الاتّهامات الباطلة والمزيفة الكثيرة، وخاصّة الاتّهامات السياسيّة

وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه. ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به، ويستضئ بنور علمه، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك، ولكنّ أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادّخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً». نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ المليّ : ج٣، ص٧٠. (١) الشيخ الصدوق، محمّد بن عليّ، الأمالي: ص٨٠٤، ح٢٦٥.

التي كانت تمس موقع الحاكم الظالم، فعمد الحاكم الظالم آنذاك إلى استدعاء الإمام الكاظم الله إلى بغداد _ مقرّ الحكومة _ وذلك لتحقيق أهدافه وغاياته، والتي منها أن يجعل الإمام الله يعيش في أجواء الغربة، فإنّ الإنسان حينها يبتعد عن مسقط رأسه وأهله يشعر بالوحدة والغربة، ولاسيّما أنّ أنس الإمام الله وراحته أن يعيش حياته في كنف جدّه إلى في مدينة جدّه المصطفى المناه الله عنه الله على مدينة جدّه المصطفى المناه الله عنه الله على الله

ومن غايات إشخاصه الله إلى بغداد أيضاً أن يكون قريباً من الحاكم الظالم وتحت مراقبته، وكذلك يُبعده عن أتباعه وشيعته، وعن أبناء الأُمّة الإسلاميّة.

لذا سُجن الإمام عدّة مرّات، وقد قضى في تلك السجون المظلمة أكثر من عشر سنوات، وكان الظالم المتجبّر خلالها يطمح إلى تحطيم روحيّة الإمام الله ظنّاً منه أنّ ذلك سوف يُثنيه عن مواصلة تحمّل الرسالة وإصلاح المجتمع، وهذا ما يبتغيه الظالمون والمتجبّرون والطغاة من وراء تعريض المؤمنين وقادة الإصلاح إلى الحياة الرذيلة بسجنهم أو تغريبهم.

لقد واجه الإمام الله خطط الظالمين والطغاة؛ لما يتمتّع به من كثرة الصبر والاتّصال القوي بالله تعالى، فجعل الإمام الله من صبره وصموده وثباته سلاحاً غائباً عن عيون الظالمين، وواجهم به وهو داخل معاقل ظلمهم وسجونهم.

ربّم يستطيع الإنسان الصبر لأجل أن يقوى على مواصلة المسيرة فيحقّ ق بذلك غايته المنشودة، لكنّ الإمام على قد حوّل هذا الصمود والصبر إلى سلاح ضدّ الظالمين والمتكبّرين، فنراه على يوجّه خطاباً إلى هارون الرشيد من داخل سجنه، يقول له: واعلم يا هارون، إنّه لم ينطو عني يوم من البلاء إلّا انقضى عنك يوم من الرخاء، حتى نقضى جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، يخسر فيه المبطلون (۱۰).

⁽١) جاء في كتاب (تهذيب الكمال) للمزي: ج٢٩، ص٢٩: (... أخبرنا الجوهري، قال: حدّثنا محمّد

إنّ شدّة ارتباط الإمام الله واتّصاله بالله تعالى وثقته به، جعلته يحوّل هذا الصمود والصبر والثبات إلى سلاح يقاوم به الظالمين وهو في سجونهم، فيصدر البيانات والخطابات التي تُبيّن للظالمين عاقبتهم، فهو الله يوجّه خطابه لهارون الرشيد قائلاً: أنّ أيّها الحاكم الظالم المتجبّر، إنّا تبتغي زرع الهزيمة داخل نفسي، وتحطّم معنويّتي لكيلا استطيع مواصلة مسيري وإنجاز هدفي، ولكن أنا سأزرع الهزيمة في داخلك من خلال هذا الخطاب؛ لأنّ هذه المحنة وهذا الابتلاء الذي أجبرتني عليه لا تدوم مدّته، فهو سينقضي، ولكنّك في ظلّ هذه الحياة المادّيّة المرفّهة وهذا الرخاء والنعيم، لم تجعل في حساباتك أنّ ذلك سينتهي أيضاً، وسنصل معاً إلى يوم سُتحاكم فيه أمام الله تعالى، وحينئذ ستكون أنت من الخاسرين، وأنا من الفائزين.

إنّ للمحن والابتلاءات أشكالاً متنوّعةً، فقد يُمتحن الإنسان بأمر الظالم بوضعه في غياهب السجون، وقد يُمتحن بضغوطات أُخرى غرضها خلق الإحباط النفسي والمعنوي والجسدي والعقلي عند الإنسان كي يركن إلى خطّ الانحراف الذي يُريده الظالمون.

إذاً ملخّص هذه الإضاءة هو رضا الإنسان وقبوله بالابتلاء، والصبر عليه من خلال توطين النفس على تحمّل ذلك، والصمود أمامه ومقاومته، وبالتالي أداء مهامّ الرسالة وبلوغ الهدف، وهذا ما كان يجسّده الإمام الكاظم الله في الفترات الطويلة التي قضاها في سجون الظالمين.

⁻

بن عمران المرزباني، قال: حدّثنا عبد الواحد بن محمّد الحصيني، قال: حدّثني أحمد بن إسماعيل، قال: بعث موسى بن جعفر إلى الرشيد من الحبس برسالة كانت: إنّه لن ينقضي عنّي يوم من البلاء إلّا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضي جميعاً إلى يوم ليس له انقضاء، يخسر فيه المبطلون».

الإضاءة الثالثة: الدعوة إلى الله تعالى بغير اللسان

الإضاءة الأُخرى التي نستمدّها من سيرة الإمام الكاظم الله هي أن نكون دعاةً إلى الله تعالى وإلى مذهب أهل البيت الله بغير ألستنا، وهذا إنّها يتحقّق من خلال السيرة الحسنة، ومن خلال الطاعة لله تعالى، وكثرة العبادة، والتحلّي بالخُلق الرفيع.

واحدة من محاولات الظالم الفاشلة مع الإمام الكاظم الله أن بعث له داخل السجن جارية، لكن سرعان ما تحوّل حالها من حال الضلال والانحراف إلى حال العبادة لله، بحيث صارت هذه الجارية لا تُرى إلّا عابدةً وساجدةً لله تعالى.

إنّ الموقف الذي جعل حال الجارية يتحوّل من الضلال إلى الهداية ليس هو الدعوة اللسانية؛ فإنّ الإمام الله لم يهدِها بلسانه، وإنّما دعاها إلى الهداية بحاله، للم أت منه من إخلاص لله تعالى منقطع النظير، ولما وجدت فيه من معاني الهداية التي منها اليقين والتوكّل على الله والثقة المطلقة به تعالى. هذه المعاني كانت قد جسّدها الإمام الله في حاله وفعله، الأمر الذي دعاها لترك خطّ الانحراف والتوجّه إلى خطّ الهداية والعبادة.

زاد المؤمن عبادة الله تعالى

يعتقد الإنسان المؤمن بالله تعالى بأنّ هناك طريقاً طويلاً وشاقاً ينتظره، وبأنّ هناك سفراً بعيداً يحتاج معه إلى الزاد والراحلة، وليس من زاد يستطيع الإنسان حمله معه في هذا السفر الطويل إلّا عبادة الله تعالى وقوّة الاتّصال به. وهكذا كان حال الإمام الله ، فقد أطاع الله وعبده وتوكّل عليه، وبلغ من التقوى والورع عن محارمه تعالى درجةً عاليةً.

الإضاءة الرابعة: قضاء حوائج المؤمنين

من جملة الأُمور التي نقتبسها من سيرة الإمام الله ونستضيء بها، تأسيس خُلق اجتهاعي رفيع، وهو قضاء حوائج المؤمنين، وقد أكّد أهل بيت العصمة الله في

أحاديثهم وسيرتهم عليه كثيراً، وكان الإمام الكاظم الله مصداقاً واقعيّاً عمليّاً لتجسيد هذا الخُلق الاجتماعي المهمّ؛ لأنّه يبني مجتمعاً متعاضداً متكاتفاً متحابّاً، تقوى فيه الأواصر، وتسمو فيه الأخلاق.

فقد ورد عن الإمام الصادق الله مجموعة نصوص تحفز على هذا الخُلق الاجتماعي، فهو في نصّ منها يرفع من مرتبة ثواب قضاء حاجة المؤمن إلى مرتبة ثواب عشر حجج، مع أنّ الحاجّ يُعاني كثيراً من المشاقّ حتى يستطيع إكمال مناسك حجّة واحدة.

روي عن الإمام الصادق الله أنّه قال: «... لقضاء حاجة امرئ مؤمن أفضل من حجّة وحجّة وحجّة، حتى عدّ عشر حجج» (١٠).

ويقول الله في حديث آخر: «مَن أغاث أخاه المؤمن اللهفان الله ثنان عند جهده، فنفس كربته وأعانه على نجاح حاجته، كتب الله عزّ وجلّ له بذلك ثنتين وسبعين رحمةً من الله، يُعجّل له منها واحدة يصلح بها أمر معيشته، ويدّخر له إحدى وسبعين رحمةً لأفزاع يوم القيامة وأهواله»(").

⁽۱) «... عن المشمعل الأسدي، قال: خرجت ذات سنة حاجّاً، فانصر فت إلى أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمّد الله فقال: من أين بك يا مشمعل؟. فقلت: جُعلت فداك، كنت حاجّاً. فقال أو تدري ما للحاج من الثواب؟. فقلت: ما أدري حتى تُعلّمني. فقال: إنّ العبد إذا طاف بهذا البيت أسبوعاً، وصلّى ركعتيه، وسعى بين الصفا والمروة، كتب الله له سنّة آلاف حسنة، وحطّ عنه سنّة آلاف سيئة، ورفع له سنّة آلاف درجة، وقضى له سنّة آلاف حاجة للدنيا كذا، وادّخر له للآخرة كذا. فقلت له: جُعلت فداك، إنّ هذا لكثير! قال: أفلا أُخبرك بها هو أكثر من ذلك؟. قال: قلت: بلى. فقال الله الفضاء حاجة امرئ مؤمن أفضل من حجّة وحجّة وحجّة، حتّى علّم عشر حجج». الشيخ الصدوق، محمّد بن علي بن الحسين بن بابويه، الأمالي: ص٥٨٠ ـ ٥٨١.

⁽٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٩٩، باب تفريج كرب المؤمن، ح١.

إنّ هذه الرحمة المعجّلة الواحدة قد تكون توسعةً في المعيشة بزيادة الرزق، وقد تكون تنفيس كُربة أو همّ، وقد تكون غير ذلك؛ فإنّ حوائج الدنيا كثيرة، والله سبحانه وتعالى يُعجّل رحمته للعبد إذا ما سعى في قضاء حاجة أخيه المؤمن، من أجل إصلاح معيشته في الدنيا، أمّا ما يدّخره له في الآخرة فهو شيء يفوق ذلك بكثير.

وهناك حديث آخر أكثر من الحديثين المتقدّمين بياناً في مرتبة وفضل قضاء حوائج المؤمنين، يقول أحد أصحاب الإمام الصادق(): سألت أبا عبد الله الله عن حقّ المؤمن على المؤمن؟

قد يتصوّر البعض أنّ حقوق المؤمن على أخيه المؤمن من الأُمور السهلة، أو هي من البساطة بمكان بحيث لا يلتفت إليها المؤمن أو يتفطّن لها، لذا قبل أن يُبيّن الإمام الله تفصيلاً ما هو حجم تلك الحقوق يُلفت انتباه السائل فيقول له: «حقّ المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك، لو حدّثتكم لكفرتم!»، والمقصود بالكفر هنا ليس

⁽۱) ذكر سهاحة الشيخ الكربلائي هذا الحديث شارحاً لفقراته من أجل بيان معناه، وترسيخ الموعظة. ونورد في المقام نصّ الحديث من بعض المصادر الحديثية، فقد روى الكليني في (الكافي) بسنده، عن أبان بن تغلب، قال: (سألت أبا عبد الله الله عن حقّ المؤمن على المؤمن؟ قال: فقال: «حقّ المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك، لو حدّ ثتكم لكفرتم! إنّ المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره، يقول له: أبشر بالكرامة من الله والسرور. فيقول له: بشّرك الله بخير. قال: ثم يمضي معه يبشّره بمثل ما قال، وإذا مرّ بهول قال: ليس هذا لك. وإذا مرّ بخير قال: هذا لك. فلا يزال معه يؤمنه مما يخاف ويبشّره بها يحبّ حتى يقف معه بين يدي الله عزّ وجلّ ، فإذا أُمر به الله الجنة قال له المثال: أبشر، فإنّ الله عزّ وجلّ قد أمر بك إلى الجنة. قال: فيقول: مَن أنت رحمك الله، تُبشّرني من حين خرجت من قبري، وآنستني في طريقي، وخبّرتني عن ربّي؟ قال: فيقول: أنا السرور الذي كنت تدخله على إخوانك في الدنيا، خُلقت منه لأُبشّرك وأُونس وحشتك». الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٩١، باب إدخال السرور على المؤمنين، ح١٠.

الكفر الاعتقادي، وإنّم بمعنى التكذيب، أي لو حدّثتكم بعظم هذه الحقوق لكذبتم ما من شدّة عظمها.

«إنّ المؤمن إذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره»، يُشير هذا المقطع من الحديث الشريف إلى أنّ المؤمن إذا خرج من القبر للحساب، فإنّه سوف يلاقي أهوالاً عظيمةً وشاقة تستمرّ معه طويلاً، فهي لا تنقضي في يوم أو في شهر أو في سنة، لذا يخرج معه مثال يتجسّد بهيئة شيء، يُسايره ويهوّن عليه تلك الأهوال.

«فيقول له أبشر بالكرامة من الله والسرور، فيقول له: بشرك الله بخير، ثم يمضي معه يبشّره بمثل ذلك، إذا مرّ بهول قال: ليس هذا لك. وإذا مرّ بخير قال: هذا لك»، يُطَمئِن هذا المثالُ العبد المؤمن حين يراه وقد اشتد به الخوف والهلع ممّا يُفاجئه من الأهوال والشدائد، فيُبشّره بالكرامة من الله والسرور. ثم يمضي معه يبشّره كلّما رأى العبد ما يُخيفه من هول يُصيبه منه الفزع والخوف من أن يضرّه الهول، فيقول له المثال: هذا ليس لك. عندئذٍ يفرح المؤمن ويستبشر بذلك، حتى إذا مرّ بخير يقول المثال له: هذا لك. فيدخل في قلبه السرور، وهذه بشرى يفرح لها المؤمن؛ لأنّه سوف يواجه خراً.

«فلا يزال معه يؤمّنه ممّا يخاف، ويُبشّره بها يحبّ». أي يرافق المثالُ العبدَ المؤمنَ في هذه الرحلة الطويلة الممتدّة سنين كثيرة، والتي يتعجّب بها يواجهه فيها من أشياء مخيفة، وأُخرى مفرحة، تكون الأُولى بعيدةً عنه ببركة هذا المثال الذي معه، والثانية قريبةً منه. وحينئذ يتساءل العبد المؤمن عن هذا المثال الذي يرافقه، قائلاً له:

«... مَن أنت رحمك الله، تُبشّرني من حين خرجت من قبري، وآنستني في طريقي، وخبّرتني عن ربّي؟ فيقول: أنا السرور الذي كنت تُدخله على إخوانك في الدنيا، خُلقت منه؛ لأبشّر ك وأُونس وحدتك».

إنّ قضاء حاجة المؤمن ليس من الضروري أن تكون ماديّةً، فربّها تكون حاجته معنويّةً، كأن يكون مهموماً أو مكروباً أو محزوناً، والمؤمن يُساهم في إزالة هذا الهمّ، ودفع ذلك الحزن، ورفع ذاك الكرب، فإنّه في هذه الحالة يصدق عليه أنّه قضى حاجة أخيه المؤمن، وبذلك يكون قد أدخل السرور على قلب أخيه المؤمن الآخر.

ربّم هناك إنسان يمتلك جاهاً دون امتلاكه المال، فهو يستطيع من خلال وجاهته ومنزلته أن يفرّج كربة غيره ويُزيل همّه، وهو نوع من قضاء الحاجة أيضاً. وهناك مَن يمتلك التأثير على الآخرين بكلامه وفعله، فباستطاعته علاج مشكلةٍ ما وحلّها، كأن يُصلح بين ذات البين، أو بين متخاصمين؛ بسبب ما وهبه الله تعالى له من القدرة على ذلك، فهذا أيضاً يُعدّ من قضاء الحاجة وإدخال السرور على قلوب المؤمنين.

وإدخال السرور هذا هـو المثال الـذي يرافق المؤمن في الآخرة، ويُبعـد عنه الأهوال ويُبشّره بالفرح.

لأجل هذا المقام الرفيع، وتجسيداً لهذا الخُلق الاجتماعي المهم، كان الأئمّ قلي الله على الله على الله المراد المؤمنين، والحثّ على ذلك.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للاقتداء بسيرة الإمام الكاظم اللهِ، وأن نستضيء بهذه الأنوار الإلهيّة التي جسّدها بقوله وفعله، إنّه سميع مجيب.

والحمد لله ربّ العالمين.



الخطبة الرابعة والخمسون التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت التَّكِيُّ الأخلاقيّة

بتاریخ: ۲۰۰۹ ۸/ ۲۰۰۶م

وفيها المحاور التالية:

الأُسس الإسلاميّة لمبدأ التكافل الاجتماعي

🗸 عاقبة التهاون في قضاء الحاجة

الأساس الثاني: الشعور بالرحمة

💯 الأساس الثالث: تعاون المجتمع

الأساس الرابع: الشعور بالمسؤوليّة العامّة

لله الأساس الخامس: الإيثار الإيثار

الأساس السادس: البرّ والإنفاق

مقدّمة الخطبة

بير لِللهِ الرَّمْ يَالَحِيبُ

الحمد لله الأوّل بلا أوّل كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين، ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واخترعهم على مشيّته اختراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبّته، لا يملكون تأخيراً عيّا قدّمهم إليه، ولا يستطيعون تقدّماً إلى ما أخرهم عنه. وجعل لكلّ روح منهم قوتاً معلوماً مقسوماً من رزقه، لا ينقص مَن زاده ناقص، ولا يزيد مَن نقص منهم زائد. ثمّ ضرب له في الحياة أجلاً موقوتاً، ونصب له أمداً محدوداً، يتخطّى إليه بأيّام عمره، ويرهقه بأعوام دهره، حتى إذا بلغ أقصى أثره، واستوعب حساب عمره، قبضه إلى ما ندبه إليه من موفور ثوابه، أو محذور عقابه ﴿لِيَجْزِى ٱلّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحَدُور عقابه ﴿لِيَجْزِى ٱلذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحَدُور عقابه ﴿لِيَجْزِى ٱلنّذِينَ أَحْسَدُور عقابه ﴿لِيَجْزِى ٱلنّذِينَ أَحْسَدُور عَقَابِه ﴿لَا لَهُ لَالَّهُ لَا لَهُ لَهُ لَكُولُ وَعَرَاهُ وَلَعْهِ لَا لَهُ عَلَى اللّذِينَ أَحْسَدُوا لِعَلَمُ اللّذِينَ اللّذِينَ اللّذِينَ أَحْسَدُور عقابه ﴿لَكُونُ وَلَهُ اللّذِينَ اللّذِينَ اللّذِينَ اللّذِينَ أَدْرَاهُ اللّذِينَ الللّذِينَ اللّذِينَ اللّذِينَ الللّذِينَ اللّذِينَ اللّذِينَ اللّذِينَ اللّذِينَ الللّذِين

ورد عن باقر علوم الأوّلين والآخرين الإمام محمّد الباقر الله قوله: «...ولأن أعول أهل بيتٍ من المسلمين: أسدّ جوعتهم، وأكسو عورتهم، وأكفّ وجوههم عن النّاس، أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّةً وحجّةً، ومثلها ومثلها ومثلها» حتّى بلغ عشراً «ومثلها ومثلها» حتّى بلغ السّبعين ".

⁽١) النجم: آية٣١.

⁽٢) الصحيفة السجّاديّة: ص٢٨.

⁽٣) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص١٩٥، باب قضاء حاجة المؤمن، ح١١.

يتعرّض سمّاحة الشيخ الكربلائي في هذه الخطبة لموضوع اجتماعي حيوي بالغ الأهميّة، استلهمه من حديث الإمام محمّد بن عليّ الباقر الله الذي افتتح به هذه الخطبة بعد البسملة وحمد الله تعالى.

أُوصيكم إخواني وأخواتي بتقوى الله تعالى، ورصّ صفوفكم، وتعاضد بعضكم مع بعض، وبالتكافل والتعاطف، حتى نخرج من المحن والمصاعب التي نمرّ بها ونحن على قوّتنا ووحدتنا، وننال رضا الله تعالى والظفر في الدارين.

جعلنا موضوع هذه الخطبة شرح فقرات الحديث الشريف الذي افتتحنا به الخطبة، الوارد عن الإمام الباقريائي، والذي يُشير إلى موضوع التكافل الاجتماعي. وقبل الخوض في هذا الحديث أُمهّد له بمقدّمة.

مقدمة البحث

يمرّ الكثير من أفراد مجتمعنا بامتحانات صعبة، من العوز والفقر والحاجة، وعدم رفع مثل هذه الأُمور التي تُرهق الإنسان في حياته يُعرّض المجتمع الإسلامي إلى الكثير من الخطر، الأمر الذي يؤدّي إلى إضعاف المجتمع بحيث لا يقوى على أداء مهامّ الرسالة التي كُلّف بها.

وهو واحد من أحاديث كثيرة واردة عن أهل العصمة والطهارة تُرشد إلى موضوع التكافل الاجتهاعي، الذي هو جزء من عقيدة المسلم والتزامه الديني، وهو نظام أخلاقي يقوم على الحبّ والإيثار ويقظة الضمير ومراقبة الله عزّ وجلّ، ولا يقتصر على حفظ حقوق الإنسان المادّية فقط، بل يشمل المعنويّة أيضاً، وغايته التوفيق بين مصلحة المجتمع ومصلحة الفرد. ولقد عُني القرآن الكريم وأهل البيت الله التكافل ليكون نظاماً لتربية روح الفرد، وضميره، وشخصيّته، وسلوكه الاجتهاعي، وليكون نظاماً لتكوين الأُسرة وتنظيمها وتكافلها، ونظاماً للعلاقات الاجتهاعية.

هذا بالإضافة إلى تعرّض المجتمع في الوقت نفسه إلى الكثير من المحن والابتلاءات والكوارث، والتي تشكّل خطراً على وحدة صفوفه وتُسهم في إضعاف قوّته، فلا يستطيع تحمّل أعباء المسؤوليّات.

ولأجل تلافي خطر هذين الأمرين وضع الإسلام في تشريعاته الحكيمة مبدأً يتكفّل بحلّ الأزمات التي تُصيب المجتمعات، وهو يبتني بالدرجة الأساس على تقديم العون والمساعدة للجميع، يُسمّى بمبدأ (التكافل الاجتماعي).

لقد جعل الإسلام هذا المبدأ في الكثير من التشريعات والسنن العمليّة، والتي يُراد منها الحفاظ على وحدة هذا المجتمع ورصّ صفوفه وتآلفه، وتبادل المحبّة بين أفراده؛ حتى يستطيع أن يؤدّي المسؤوليّات المناطة به. لذا يتطلّب تحقيق هذا المبدأ وقفة من أبناء المجتمع المؤمن بخطّ أهل البيت الملاحث حتى يستطيع أفراده وأسره الخروج من هذه المحن والابتلاءات، وهذا إنّها يمكن تحقيقه من خلال الوحدة والتكاتف والتعاون؛ لكي نستطيع مواصلة مسيرة الخطّ المحمّدي الأصيل الذي انتهجه النبيّ وسائر الأئمّة الأطهار الله من بعده، وبذلك ننال رضا الله تعالى من خلال زرعنا وترسيخنا مبدأ (التكافل الاجتماعي) الذي أكّد عليه الإسلام الحنف.

الأُسس الإسلاميّة لمبدأ التكافل الاجتماعي

لقد وضع الإسلام لهذا المبدأ المهم أُسساً نستطيع من خلالها إحياءه وترسيخه في النفوس، وهذا ما تؤكّده فقرات حديث الإمام الباقرين؛ فإنّه يوضّح الدور الاجتهاعي المناط بكلّ فرد من أفراد المجتمع، فإنّ هناك أدواراً اجتهاعيّة فرضها المشرّع الإسلامي على الفرد تارةً، وعلى الأُمّة المؤمنة أُخرى، وفي الوقت نفسه جعل لكلّ عمل ميزاناً يُقيّمه؛ لأجل اكتشاف الأفضل من الأعمال وأكثرها فائدةً وخدمةً للدين والإنسان.

يقول الإمام الله: «... لأن أعول أهل بيت من المسلمين» ما هو نوع هذه الإعالة؟ وهنا يسترسل الإمام الباقر الله في ذكر أنواع هذه الإعالة من خلال تفعيل مبدأ التكافل الاجتهاعي، وذلك برفع الحاجة والفاقة عن شريحة المجتمع المسحوقة والوقوف معها في محنتها، فقال: «أسدّ جوعتهم، وأكسوا عورتهم».

ثم ينتقل الإمام الله إلى ما هو أعمق من ذلك، وهو حفظ الكرامة وصون النفس من المهانة والذلّة، قائلاً: «وأكفّ وجوههم عن الناس».

يرجّح الإمام الباقر إلى قيمة هذا العمل الاجتهاعي على قيمة العمل العبادي، بمقارنته بعمل عبادي عظيم، وهو أداء الحجّ؛ فإنّه عمل متقدّم في العبادات، وله قيمته عند المشرّع الإسلامي، لكن ّكفّة أداء هذا الدور أو العمل الاجتهاعي راجحة في ميزان ومعيار المشرّع الإسلامي على كفّة العمل العبادي المهم عنده، لذا قال الإمام الله «أحبّ إلى مِن أن أحجّ حجّة وحجّة وحجّة، ومثلها ومثلها، حتى بلغ عشراً». ثم يزيد الإمام من رفع قيمة أداء هذا العمل الاجتهاعي قائلاً: «ومثلها ومثلها حتى بلغ عشراً». ثم يزيد الإمام من رفع قيمة أداء هذا الدور من العمل أفضل مِن سبعين حجّة.

هذا الميزان يكشف بأنّ أداء هذا الدور الاجتهاعي أعظم من أداء ذلك الدور العبادي، وأنّ نتائجه في إصلاح المجتمع أكثر من النتائج الحاصلة من أداء العبادة؛ لأنّها تخصّ الفرد نفسه، بينها الأوّل عامّ ينتفع به جميع أبناء المجتمع. أمّا التقاعس عن أداء هذا الدور وعدم وعيه وتفعيله، فهو أكثر خطورةً على صفوف المجتمع الإسلامي من ترك العبادات على الرغم من كونها معاً على درجة من الأهمّيّة في نظر الإسلام.

فكيف نتمكّن من أداء هذه الوظيفة الاجتهاعيّة المهمّة والخطيرة في نظر المشرّع الإسلامي؟ لا بدّ في مقام العمل أن ننظر إلى الأُسس التي اعتمدها المشرّع الإسلامي في تفعيل وترسيخ هذا المبدأ. ونذكر هنا بعض هذه الأُسس:

الأساس الأوّل: تفعيل دور الأُخوّة الإيمانيّة

إنّ واحدةً من المسائل المرتبطة بالأُخوّة النسبيّة هي مشاركة الأخ أخاه الذي ولده أبوه أو أُمّه في رفع معاناته، واستشعار ألمه ومحنته، وعلى الرغم من كون الرابطة والعلاقة بين الإخوان هنا هي رابطة الدم والنسب، إلّا أنّ هناك أُخوّة الرابطة والعلاقة بين الإخوان هنا هي رابطة الدم والنسب، وهي الأُخوّة الإيهانيّة، أُخرى هي أرفع مستوىً عند الله تعالى من أُخوّة النسب، وهي الأُخوة الإيهانيّة، وهذه الثانية لها لوازمها أيضاً، وأوّل تلك اللوازم هو استشعار قلب المؤمن معاناة الآخرين من أبناء مجتمعه في ما يمرّون به من محن وابتلاءات، ثم بعد ذلك يُسترجم هذا الشعور في داخل قلب المؤمن إلى فعل تقتضيه هذه الأُخوّة الإيهانيّة ويتناسب ومستواها ومقامها، وهو مدّ العون والمساعدة إلى الآخرين بقضاء حوائجهم الماديّة وكذلك المعنويّة.

ثُخاطب الآية الشريفة المسلمين آنذاك قائلة لهم: لقد كنتم متفرّقين قَبل التزامكم مبدأً الأُخوّة الإيهانيّة، ليس في قلوبكم هذا الشعور كي يُترجم إلى الخارج، وإنّها كان مجتمعكم متفرّقاً ومتشتّتاً يسوده القتال، وعندما جاء مبدأ الأُخوّة الإيهانيّة وتُرجمت هذه الأُخوّة إلى مشاعر حقيقيّة في القلوب، وفعل خارجي يكشف عنها، أصبحتم مجتمعاً متراصّاً ومتكاتفاً وقويّاً، استطعتم من خلال ذلك أن تنشروا رسالة الإسلام، ليس في الجزيرة العربية فقط، وإنّها في العالم كلّه.

⁽١) آل عمران: آية ١٠٣.

إِنَّ آثار عدم تفعيل هذه الأُخوّة الإيهانيَّة تُبيِّنها الآية القرآنيَّة: ﴿... وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ (١) كنتم على مقربة من الهلاك في الدنيا والآخرة، وهو أثر خطير جدّاً، لكن من خلال تفعيلكم شعور هذه الأُخوّة الإيهانيّة أصبحتم قوّة متهاسكة ومجتمعاً متراصًا استطعتم من خلاله القيام بالدور اللائق بكم.

لقد اعتمد الإسلام من أجل تفعيل هذا الشعور سياسة الترغيب والترهيب من خلال بيانه الآثار الأُخرويّة لمثل هذه الأعمال الاجتماعيّة بالإشارة إليها بالآيات القرآنيّة والأحاديث الشريفة، التي أوضحت _ بالجملة _ بأنّ هناك مرتبةً مهمّةً هي أرفع من العمل العبادي، وهي أداء هذا الدور الاجتماعي، فعن رسول الشيّي أنها همن سعى في حاجة أخيه المؤمن، فكأنّما عَبَدَ الله عزّ وجلّ تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره قائماً ليله» ("). يرفع النبيّ مستوى الفضل والثواب في الآخرة لهذا العمل الاجتماعي _ قضاء حاجة الأخ المؤمن _ يُريد بذلك أن يحت الإنسان المؤمن ويشجّعه على أداء هذا الدور.

وكما يسعى الإنسان في قضاء حاجة أخيه، فإنّ الله تعالى يسعى بقضاء حاجته في الآخرة، وهي _ بطبيعة الحال _ مهمّة يحتاج الإنسان إلى مَن يُساعده في قضائها الذاك، ففي حديث عن الإمام الصادق الله «مَن قضى لأخيه المؤمن حاجةً، قضى الله عزّ وجلّ له يوم القيامة مئة ألف حاجة من ذلك، أوّ لها الجنّة» (").

⁽١) آل عمران: آية ١٠٣.

⁽٢) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١٠، ص٥٥، ح١٤٠٩٢/٤.

⁽٣) البروجردي، السيّد حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج١٦، ص١١٢، باب ما ورد في قضاء حاجة المؤمن، ح١. ونصّ الحديث: (عن المفضل، عن أبي عبد الله اليّلا ، قال لي: يا مفضّل، اسمع ما أقول لك، واعلم أنّه الحقّ، وافعله وأخبر به عِلَية إخوانك. قلت: جُعلت فداك، وما عِلَيةُ إخواني؟ قال: الراغبون في قضاء حوائج إخوانهم. قال: ثم قال: ومَن قضى لأخيه المؤمن حاجةً قضى الله عزّ وجلّ له يوم القيامة مائة ألف حاجة من ذلك أوّلها الجنّة، ومن ذلك أن يدخل قرابته ومعارفه وإخوانه الجنّة بعد ألّا يكونوا نُصّاباً».

وهذان الحديثان يُبيّنان الآثار الأُخرويّة لهذا العمل، وأمّا الآثار الدنيويّة فمنها ما يُبيّنه الحديث الوارد عن الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب الله : «مواساة الأخ في الله عزّ وجلّ تزيد في الرزق»(۱).

وهناك العشرات من الأحاديث والنصوص الشريفة الواردة عن أهل البيت الله في بيان فضل أداء هذا الدور الاجتماعي في الدنيا والآخرة.

عاقبة التهاون في قضاء الحاجة

يحذّر المشرّع الإسلامي الإنسانَ من التهاون في أداء هذا الدور الاجتهاعي في عدم قضاء حاجته يوم القيامة، فقد ورد هذا المعنى عن الإمام الصادق إلى في حديث على قضائها حديث أي جاء فيه: «أيّم رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة، وهو يقدر على قضائها فمنعه إيّاها...» أي: إنّ الله تعالى قد أعطى هذا الإنسان القدرة والاستعداد والإمكانيّة في قضاء حاجة أخيه المؤمن، فهو بذلك قادر على قضائها، لكنّه تهاون في ذلك إمّا لأنّ الدنيا قد شغلته، وإمّا لأنّه تهاون في منزلة هذا العمل عند الله تعالى. ونتيجة هذا التهاون أن: «عيّره الله يوم القيامة تعييراً شديداً»؛ لأنّه خذل أخاه المؤمن في قضاء حاجته في الدنيا وهو قادر على ذلك، «وقال له: أتاك أخوك في حاجة قد جعلت قضاءها في يدك، فمنعته إيّاها، زهداً منك في ثوابها..»، فإنّه إذا لم يتمكّن من قضائها فلا شيء عليه، أمّا إذا كان الله تعالى قد وهبه الإمكانيّة التي تجعل منه

⁽١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٧١، ص٩٩٥، ح٢٢.

يستطيع قضاء حاجة أخيه المسلم، لكنة تهاون ولم يفعل ذلك؛ زهداً منه في ثوابها؛ ظناً منه أنّه ثواب بسيط، أو لأنّه قد انشغل في أمر آخر فلم يسع في قضاء تلك الحاجة، أو لأيّ سبب آخر، فيقول الله تعالى له: «وعزّي، لا أنظر إليك اليوم في حاجة مُعذّباً كنت أو مغفوراً لك». هذه النظرة من الله تعالى ليست كالنظر عندنا، وإنّا هي نظرة الرحمة، وبنو البشر بها فيهم الأنبياء والصالحون _ كلّهم يحتاجون إلى رحمة الله تعالى، حتى لو غُفرت ذنوبهم.

الأساس الثاني: الشعور بالرحمة

إنّ من جملة الأُسس المهمّة التي يعتمدها المشرّع الإسلامي في إحياء مبدأ التكافل، هو الشعور بالرحمة التي هي من الصفات الإلهيّة؛ فإنّ الله رحيم، فينبغي أن يكون قلب الإنسان المؤمن مستشعراً الرحمة تجاه إخوانه المؤمنين، مظهراً وعاكساً ذلك من خلال مدّ يد العون والمساعدة لهم.

وهنا لا بدّ أن نقف وقفةً مع الذين يُتجارون بأحوال الناس من المهاجرين الذين تركوا أرضهم وديارهم وأهليهم، هاربين بدينهم، فنذكرهم بأنّ هؤلاء المهاجرين بأمسّ الحاجة للرحمة بتقديم المساعدة لهم، وسدّ حاجاتهم وعوزهم. فليتأمل مَن يممّه أمرهم في عاقبة مَن يُقصّر في قضاء حوائجهم، وليستشعروا الرحمة لهم في قلوبهم، يقول الإمام الصادق اللهذي: «إنّي لأرحم ثلاثة وحقّ لهم أن يُرحموا: عزيز أصابته مذلّة، وغنى أصابته حاجة بعد الغنى، وعالم يستخفّ به أهله والجهلة»(۱).

الأساس الثالث: تعاون المجتمع

الدنيا هي أشبه شيء بدو لاب الهواء أو عجلة الهواء، فتارة يرى الإنسان نفسه فيها أنّه في مرتبة عالية، وأُخرى يرى نفسه أنّه في مرتبة سافلة، فهذا هو حال الدنيا،

⁽١) الشيخ الصدوق، محمّد بن عليّ، الخصال: ص٨٧، ح١٨.

لذا المجتمع بحاجة إلى التعاون بين أفراده لكي يرفع صاحبُ المرتبة العالية منهم صاحبَ المرتبة السافلة، وذلك بمدّ يد العون والمساعدة إلى الضعفاء من الناس بسدّ حاجاتهم، وهذا هو التعاون الذي يجب أن يستشعره أبناء المجتمع، إذ قد يكون الإنسان في وقت ما مستغنياً عن الآخرين، فعليه أن يستشعر روح التعاون مع المحتاجين؛ لأنّه ربّما يكون في أوقات أُخرى بحاجة إلى مَن يمدّ له يد العون والمساعدة من قِبل الآخرين.

إنّ هذا الموقف الإيماني الذي يقفه المؤمن حينها يكون الآخرون محتاجين إلى مساعدته، يُكافئه الله تعالى عليه، ويجزيه في يوم عوزه وحاجته، فيجعل له ثواب المجاهدين في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله من أهمّ الأعمال التي يُثيب الله تعالى بها عباده؛ لأنّه يُبقي للإسلام عزّته وكرامته ومنعته، ويجعله سدّاً منيعاً أمام الأعداء، لذا فإنّ الحفاظ على هذا الأساس التعاون وأداء الدور الاجتماعي لأجل تفعيل مبدأ التكافل الاجتماعي، يُعدّ كالجهاد في سبيل الله. ففي الحديث الوارد عن النبيّ عَيَالًي نراه يرفع هذا الدور الاجتماعي المهمّ في آثاره ونتائجه إلى مصاف الجهاد في سبيل الله تعالى، يقول عَيَالًي : «مَن مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله» "".

هذه الأفعال الاجتماعيّة الحسنة لها دور فاعل كالجهاد في سبيل الله؛ لأنّها تحفظ أُسر المجتمع وتمنعهم وتسدّ حاجاتهم، وبذلك يكون المجتمع متراصًا متوحّداً يستطيع الصمود في مواجهة التحدّيات والمصاعب والمحن والابتلاءات.

وأمَّا إذا كان على العكس من ذلك، وترك بعضهم التعاون والاهتهام بالبعض

⁽١) الشيخ الصدوق، محمّد بن عليّ، ثواب الأعمال: ص٢٨٨.

الآخر، فإنّ المجتمع سوف يتشتّ ويتفرّق ويُصبح مجتمعاً ضعيفاً لا يستطيع أن يصمد في مواجهة الأعداء، وسينعكس هذا الفشل على جميع أبناء المجتمع في المستقبل سواء الذي كان محتاجاً منهم، أم الذي لم يكن محتاجاً.

الأساس الرابع: الشعور بالمسؤوليّة العامّة

إنّ من الأسس التي ينبغي اعتهادها من أجل إحياء مبدأ التكافل الاجتهاعي في النفوس والمجتمع استشعار المسؤوليّة العامّة، فكها أنّ قادة المجتمع من الأنبياء والمصلحين تحمّلوا المسؤوليّة ومارسوا دور المربّي والمعلّم حتى توغلوا في صفوف وأبناء المجتمع من أجل تعليمهم وتربيتهم، كذلك على كلّ واحد منّا تحمُّل تلك المسؤوليّة العامّة بالإضافة إلى تحمّله المسؤوليّة الخاصّة، وهي المسؤوليّة عن النفس والعائلة والأرحام، فكما يكون الإنسان مسؤولاً عن هذه الأُمور الخاصّة، كذلك يكون مسؤولاً عن أفراد المجتمع.

وقد سعى النبيّ عَيَّا والأئمة الله في تربية أفراد المجتمع المؤمن على هذا الشعور وترسيخه في نفوسهم، فكان النبيّ عَيَّا في يكرر على مسامع أصحابه مسؤوليّته عنهم، وفي الوقت نفسه يحثّهم على تحمّل المسؤوليّة، فكان يقول: إنّ الله تعالى حمّلني هذه المسؤوليّة والأمانة، وهي تعليمكم وإنقاذكم من الجهل وتربيتكم، فكما أنا مسؤول عن ذلك، كذلك أنتم مسؤولون ". كلّ ذلك التكرار والتأكيد منه عَيَّا من أجل أن نستشعر هذه المسؤوليّة العامّة الملقاة على عاتقنا.

⁽۱) عن جابر، عن أبي جعفر اللهِ عَلَى الله عَلَيْهِ اللهِ عَلَى اللهُ عَلَيْهِ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى وجلّ في ما حَمَّلكم من كتابه، فإنّى مسؤول وإنّكم مسؤولون؛ إنّى مسؤول عن تبليغ الرسالة، وأمّا أنتم فتُسألون عمّا حُمَّلتم من كتاب الله وسنتّى». الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص ٢٠٦، باب مَن يتعلّم القرآن بمشقّة، ح٩.

الأساس الخامس: الإيثار

تربية النفس على الاتصاف بالإيثار هي الأنحرى من الأسس المهمّة في إحياء مبدأ التكافل الاجتهاعي، فإنّ الإنسان يحبّ نفسه؛ لوجود حالة الأنانيّة التي ربّها لا يستطيع الخروج منها، فنراه يسعى لتحقيق مصالح نفسه فقط. لكنّ الإسلام أراد أن يخرج الفرد من هذه الدائرة الضيقة _ الشعور بالأنا والسعي لصالح نفسه _ إلى حالة الشعور بحبّ الآخرين، وترجمة هذا الحبّ على أرض الواقع بالسعي لقضاء حوائجهم فيؤثرهم على نفسه.

يقول الإمام الصادق إلى في بيان صفات أخيار الناس وصفات شرارهم، والتي من الأُولى الإنفاق والبرّ بالإخوان، وهي صفات من لوازم الإيهان الخالص بالله تعالى، يقول إلى: «خياركم سمحاؤكم، وشراركم بخلاؤكم، ومن خالص الإيهان البرّ بالإخوان أبارّ بالإخوان ليحبّه الرحمن، وفي ذلك مرغمة للشيطان، وتزحزح عن النيران»(۱)، فإنّ السمِح هو الإنسان الذي يُنفق، والإيثار إنّها يتحقق من كثرة الإنفاق والسخاء.

الأساس السادس: البرّ والإنفاق

تعويد النفس على البرّ والإنفاق من جملة الأُسس المهمّة في تفعيل هذا المبدأ في المجتمع، وأنّ كثيراً من الآيات القرآنيّة ومئات الأحاديث الشريفة جاءت من أجل تربية النفس على ذلك، وقد قنّن المشرّع الإسلامي هذا المبدأ الاجتماعي ونظّمه لكي يحقّق آثاره من خلال ما يلى:

أوّلاً: توجيه الإنفاق بوضعه في موارده؛ فإنّ الكثير من الأحكام الفقهيّة الواردة

⁽١) الشيخ الصدوق، محمّد بن عليّ، مَن لا يحضره الفقيه: ج٢، ص٦١، ح١٧٠٧.

في الرسائل العمليّة توضّح مصرَف هذا الإنفاق الصحيح، ومَن هو الذي يجب أن يُصرف له هذا الإنفاق، وأنّه لو وضع في مورده الصحيح تحقّقت تلك الآثار.

هذا بالإضافة إلى توجيه طريقة الإنفاق الأخلاقيّة بأن يخلو من المنّ والأذى، وهذا ما تُشير له الآية القرآنيّة التي هي كالدليل على التوجيه الأخلاقي والتربوي في طريقة الإنفاق والبذل: ﴿ اللَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمُولَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنَا وَلاَ أَذُى لَهُمْ أَخِرُنُونَ ﴾ (١).

يشوب عطاءنا أحياناً المنّ على الآخرين، وبالتالي تُهدر كرامة الإنسان المؤمن، ويتحقّق له الأذى بسبب هذا المنّ؛ إذ قد حرص الإسلام على أن تُسدّ حاجة الإنسان المؤمن المادّيّة وحاجته النفسيّة والروحيّة مع الحفاظ على كرامته.

ثانياً: إنّ من جملة ما اعتُمد في هذا الأساس هو بيان مضمون السخاء والبذل الحقيقي، وهو كونه خالصاً لوجه الله تعالى، وهذا ما نرى تطبيقه عند أهل البيت الله على فإنهم قد أنفقوا أرغفة قليلةً من الخبز تصدّق بها على وفاطمة المناقلية (")،

⁽١) البقرة: آية٢٦٢.

⁽٢) جاء في تفسير (مجمع البيان) للطبرسي، عند تفسير الآية: ﴿ وَيُطِعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِهِ مِسْكِينَا وَيَشِمًا وَمَا بعدها من سورة الدهر: ((النزول: قد روى الخاصّ والعامّ أنّ الآيات من هذه السورة، وهي قوله: ﴿ وَاَلَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَكَانَ سَعْيُكُمُ مَشْكُولًا ﴾، نزلت في عليّ وفاطمة والحسن والحسين الله وجارية لهم تسمّى فضّة، وهو المروي عن ابن عبّاس، ومجاهد، وأبي صالح. والقصّة طويلة، جملتها أنّهم قالوا: مرض الحسن والحسين الله فعادهما جدّهما الله على العرب، وقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على ولديك نذراً. فنذر صوم ثلاثة أيّام إن شفاهما الله سبحانه، ونذرت فاطمة الله على كذلك، وكذلك فضّة، فبرءا وليس عندهم شيء، فاستقرض علي الله ثلاثة أصوع من شعير من يهودي... وجيء به إلى على المخون صاعاً منها أخبزته، وصلى على المغرب، وقدّمته إليهم، فأتاهم مسكين يدعوهم، وسألهم فأعطوه، ولم يذوقوا إلّا الماء، فلمّا كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته، وقدّمته إلى علي المن على المغرب، فأعطوه ولم يذوقوا إلّا الماء، فلمّا كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته، وقدّمته إلى علي المن على المناء، فلمّا كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته، وقدّمته إلى علي النه على المناء، فلم الله على المناء، فلمّا كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته، وقدّمته إلى على الناء، فلمّا كان اليوم الثاني أخذت صاعاً فطحنته وخبزته، وقدّمته إلى على الناء، فلمّا كان اليوم ولم يذوقوا إلّا الماء، فلمّا كان

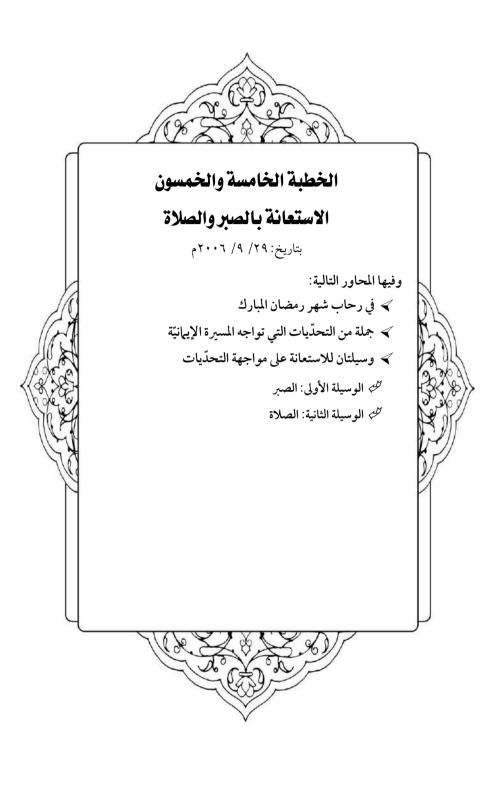
فرفع الله مقامهما على الرغم من قلّة العطاء، لكنّه يرتكز على الإخلاص لله تعالى، فالسخاء والبذل والإنفاق الحقيقي يجب أن يكون خالصاً لوجه الله تعالى، خالياً من شوائب الدنيا وحبّ المنزلة والتعظيم واكتساب الجاه، يقول النبي عَيَالِيلُهُ مبيّناً ذلك: «لا يُسمّى سخيّاً إلّا الباذل في طاعة الله ولوجهه، ولو كان برغيف، أو شربة من ماء»(۱).

ربّما يبني الإنسان جامعاً كبيراً أو حسينيّةً كبيرةً، أو مدرسةً دينيّةً كبيرةً، ولكن يشوب نيّته في ذلك شيء من شوائب الدنيا، فيكون عمله هذا لا قيمة له أمام أن يبذل شربة ماء خالصةً لوجه الله تعالى، أو رغيف خبز لوجهه تعالى. فإنّ هذا التوجيه للإنفاق والبذل إذا حُدّد بهذا الإطار يحقق الغرض الذي شُرّع من أجله هذا المدأ.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا في أداء ما علينا من هذه الحقوق، وأن يكتبها خالصة لوجهه الكريم، من أجل أن نخرج من هذه المحن والابتلاءات والظروف القاسية والحرجة التي نمر بها، وقد نلنا رضا الله تعالى، وأن يُعيننا على أعدائنا، إنّه سميع مجيب.

والحمد لله ربّ العالمين.

⁻



مقدّمة الخطبة

الحمد لله الذي هدانا لحمده، وجعلنا من أهله لنكون لإحسانه من الشاكرين، وليجزينا على ذلك جزاء المحسنين. والحمد لله الذي حبانا لدينه، واختصّنا بملّته، وسبّلنا في سُبل إحسانه لنسلكها بمنّه إلى رضوانه، هما يتقبّله منّا ويرضى به عنّا. والحمد لله الذي جعل من تلك السُبل شهره شهر رمضان، شهر الصيّام وشهر الإسلام، وشهر الطهور وشهر التمحيص، وشهر القيام ﴿الّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرّةَانُ هُدَى لِلنّكاسِ وَبَيّنت مِنَ اللهُ دَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ "، فأبان فضيلته على سائر الشهور والأيّام بها جعل له من الحرمات الموفورة، والفضائل المشهورة، فحرّم فيه ما أحلّ في غيره إعظاماً، وحجر فيه المطاعم والمشارب إكراماً، وجعل له وقتاً بيّناً لا يُجيز أن يُقدّم قَبله، ولا يقبل أن يُؤخّر عنه ".

أيّها الإخوة الراكعون السائحون الساجدون في شهر الله الأكبر، أيّتها الأخوات السائحات الراكعات الساجدات في شهر الصيام " والقيام والتمحيص، سلام من الله عليكم بها صابرتم وجاهدتم، ورحمة منه وبركات.

(١) البقرة: آية١٨٥.

⁽٢) الصحيفة السجّاديّة: ص١٨٦.

⁽٣) صادف إلقاء هذه الخطبة في أوائل شهر رمضان المبارك لعام ١٤٢٧ من الهجرة.

في رحاب شهر رمضان المبارك

أُوصيكم إخواني وأخواتي ونفسي الغارقة بالذنوب والمعاصي بتقوى الله تعالى، وتهذيب أنفسكم وتطهيرها من دنس الذنوب والمعاصي في هذا الشهر الذي فتح الله فيه أبواب رحمته لعباده التائبين، شهر الصيام المبارك.

جملة من التحدّيات التي تواجه المسيرة الإيمانيّة

هناك مجموعة مضامين تربويّة تعرّضت لها الآيات المتقدّمة، وقبل الخوض في الحديث فيها نقدّم مقدّمةً في أُمور تعترض الإنسان المؤمن في مسيرته.

الأمر الأوّل: لا شكّ أنّ الإنسان المؤمن يتعرّض في حياته إلى الكثير من المحن والمشاكل والصعوبات والمعوّقات التي ينتج عنها الكثير من الهموم والغموم، وربّما لا يقوى الإنسان على مواجهتها؛ وذلك لضعفه، فينهار وينهزم أمامها، وبالتالي لا يستطيع أن يواصل مسيرته في الحياة الدنيا من أجل الوصول إلى الهدف الذي ينشده، سواء كان ذلك الهدف هدفاً دنيويّاً أم أُخرويّاً.

الأمر الثاني: ربّم تعترض الإنسان شهوة محرّمة، أو يُغريه مال حرام، أو غير ذلك

⁽١) البقرة: آية١٥٣.

⁽٢) البقرة: آية ٥٥ ـ ٤٦.

من مغريات الدنيا وشهواتها، وقد تستمر معه هذه الإغراءات لسنين من حياته، حتى يضعف في وقت ما أمام ذلك، حين تنازعه نفسه وترغبه شهوته للوقوع في الحرام أو ارتكاب المعصية، فيحتاج حينئذٍ إلى وسيلة حقيقية تُعينه على مواجهة هذه الإغراءات والشهوات والمعاصي، والابتعاد عنها من أجل الوصول إلى الهدف الذي ينشده، وهو رضا الله تعالى.

الأمر الثالث: هناك صراع دائم لا ينتهي ما دامت الدنيا باقية، وهو الصراع الدائر بين الحق والباطل، بين قوى الإيهان وقوى الكفر، بل قد تواجه الأُمّة المؤمنة أحياناً صراعات داخليّة من انحرافات وضلال تؤدي إلى صعوبات وتحدّيات، وهذا ما حصل مع أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب الله والأئمّة المعصومين المعده، فقد انحرف عنهم الكثير ممّن يُعدّون من أصحابهم من أفراد هذه الأُمّة.

فهذه معركة قاسيّة تحمل من المعاناة ما يمكن أن يضعف وينهار أمامها الفرد المؤمن، بل الأُمّة المؤمنة، فلا يكون لها موقف يُساند الحقّ ويقف بوجه الباطل، وإذا ما حصل ذلك _ لا سمح الله _ يعلو الباطل ويتحكّم في مقدّرات الأُمّة ويضعف الحقّ حتى يعجز عن المواجهة.

وسيلتان للاستعانة على مواجهة التحديات

بعد التعرّف إلى التحدّيات التي تعترض مسيرة الإنسان المؤمن يُطرح السؤال التالي: ما هي الوسائل التي تُعيننا في هذه الحالة لكي يستطيع كلّ واحد منّا أن يواجه هذه التحدّيات، ويخوض المعركة حتى يُكتب له النصر والنجاح والإطاحة بالأعداء؟

وبتعبير آخر: يحتاج الفرد المؤمن والأُمّة المؤمنة إلى الاستعانة ببعض الوسائل من أجل مواصلة مسيرتها القرآنيّة، وتحقيق هدفها وغايتها المنشودة، التي هي رضا الله تعالى والوصول إلى الكهال والسعادة في الدارين الدنيا والآخرة، ولا سيّها أنّ هذه المسيرة شاقّة يحتمل أن يُهزم فيها الإنسان إذا لم يوطّن نفسه على الصمود والمقاومة والثبات أمام تلك التحدّيات، أمّا ما هي هذ الوسائل التي يحتاجها الفرد والأُمّة، وهل هي الإمكانيّات الماديّة؟ أو هل هي الكفاءة العلميّة والإداريّة؟ أو هي الذكاء والطاقات العقليّة فقط؟ أو هي جميع هذه العوامل وغيرها؟

إنّ الجواب عن هذه التساؤلات يمكن الحصول عليه من خلال التعرّف إلى وسيلتين تطرحها الآيات السابقة، وبعد الإحاطة بهذه المفردات يمكن الحصول على الإجابة التي من خلالها نستطيع تشخيص الوسائل الحقيقيّة التي تُعين الفرد والأُمّة على مواجهة التحدّيات.

الوسيلة الأولى: الصبر

تُشير الآيتان الكريمتان المتقدّمتان: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلُوةِ ﴾، إلى عامل مهم في الحياة، وهو إنّ الله مَع الصّبر؛ فإنّ الوارد في الآيتين ﴿ ٱسْتَعِينُواْ ﴾، ومعنى ذلك اطلبوا العون من خلال الصبر؛ فإنّ الوارد في الآيتين ﴿ آسْتَعِينُواْ ﴾ ، ومعنى ذلك اطلبوا العون من خلال الصبر، فإذا ما توفّر هذا المقوّم - الصبر - سيكون النصر والدعم الإلهييّن مع الأُمّة حتى يستطيع أبناؤها التغلّب على هذه التحدّيات والوصول إلى الهدف الذي ينشده كلّ واحد منهم.

إضافة إلى ذلك فإنّ الآيات القرآنيّة التي تعرّضت لـذكر الفضائل والمقوّمات

التي يصل من خلالها الإنسان إلى كماله وسعادته لم تركّز على شيء من الفضائل كتركيزها على فضيلة الصبر.

يذكر السيّد السبزواري إلى في تفسيره (مواهب الرحمن) بأنّ القرآن الكريم تعرّض لذكر مادّة الصبر في مائة موضع، ويقول كذلك: «إنّ الصبر أُمّ الفضائل، وأصل مكارم الأخلاق»(۱).

الفضائل المترتبة على الصبر

هناك الكثير من صفات مكارم الأخلاق لا تُنال إلّا بالصبر، فعلى سبيل المثال لا الحص :

١- التقوى، بفعل الطاعات واجتناب المعاصي؛ فإنّ هذه ملكة لا يمكن تحقيقها ولا التحلّي بها لو لا الصبر؛ إذ كيف يستطيع الإنسان أن يصمد أمام الشهوات والمعاملات المحرّمة لو لا صبره على الامتناع عنها وعدم مزاولتها.

٢- العفّة، وهذه هي الأُخرى ملكة وفضيلة لا يستطيع الإنسان أن يتحلّى بها لو لا الصر.

⁽۱) يقول السيّد السبزواري الله : ((الصبر هو أُمّ الفضائل، وأصل مكارم الأخلاق، ومنه تتفرّع كلّ موهبة ومكرمة، فكما أنّ الحيّ القيوم أُمّ الأسهاء الحسني، ومنهما تتفرّع سائرها، كذلك يكون الصبر، فهو حقيقة المقاومة مع المكاره والشهوات والمشتهيات والاستقامة مع ما يرتضيه العقل والشرع من محاسن الأخلاق، والوصول إلى المعارف والكمالات، والمواظبة على الواجبات وترك المحرّمات. وقد اعتنى الله تعالى به اعتناءً بليغاً، فقد وردت مادّة (ص ب ر) في القرآن الكريم في ما يقرب من مائة موضع، ولم يرد فضيلة أكثر ذكراً منه فيه، وقد تكرّر الأمر به). السبزواري، عبد الأعلى، مواهب الرحمن: ج ١، ص ٢٩٧.

" الشجاعة في قول الحقّ ودفع الباطل والوقوف في وجهه كلّ ذلك يحتاج أن يتحلّى الإنسان بالصمود والصبر، فإنّه لولاه لا يمكنه امتلاك الشجاعة.

٥- الحلم وكظم الغيظ والعفو كلّها يحقّقها الصبر؛ لأنّ الإنسان المؤمن معرّض في حياته إلى يُكذّب ويُطعن فيه ويُفترى عليه ويُساء له، لكنّه يقابل ذلك بالحلم وكظم الغيظ والعفو والصفح، ولولا الصبر والتحمّل ما كان بإمكانه أن يتحلّى بهذه الملكات.

القناعة: هي الأُخرى ملكة لا تدوم ولا تستمر إلّا أن يتحلّى الإنسان بالصبر.

تأكيد الإمام الصادق الطلاعلى الصبر

أوضحت الأحاديث الشريفة الواردة عن الأئمّة المعصومين الكثير من الفضائل الأخلاقيّة، وفي المقام نقتبس شيئاً يسيراً من كلام الإمام الصادق في بيان أنّ الوسيلة الحقيقيّة للتغلّب على التحدّيات الدنيويّة هي مفهوم الصبر، حيث يُشير الإمام الله إلى الوسيلة التي تدفع أيّة مشكلة تعرض على الإنسان، أو بلاء يُصيب الإنسان بسببه الهم والغمّ، فهو الله يعرض في الحديث الشريف الوسيلة التي تعين الإنسان المؤمن على الخروج من همّه وغمّه، بعد تجاوزه هذه الصعوبات.

يُشير الإمام الله قانون إلهي؛ لأنّ الله تعالى هو مسبّب الأسباب، وبيده تسهيل الأُمور، وهي لا تتسهّل إلّا بالاستعانة بالصلاة والصبر، فيحدّث الإمام الله قائلاً: «ما يمنع أحدكم إذا دخل عليه غمّ من غموم الدنيا، أن يتوضّأ ثم يدخل المسجد، فيركع ركعتين يدعو الله فيها، أما سمعت الله يقول: ﴿وَالسّتَعِينُواْ بِالصّبْرِ وَالصّلَوْةِ ﴾»(١).

⁽۱) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج ٨، ص ١٣٩، باب استحباب الصلاة عند خوف المكروه، ح ١ ٢٥٠ / ٣. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج ٨٨، ص ٣٤، باب صلاة الحاجة ودفع العلل والأمراض.

هذا الحديث الشريف يُرشد إلى أنّ وسيلة الصبر هي من الله سبحانه وتعالى، الذي هو مسبّب الأسباب، وبيده أُمور الحياة، وإنّ الإمام الله يُريد أن ينبّه على ذلك.

الصبرسر نجاح الأنبياء والأولياء

إنّ الأنبياء والأولياء أكثر بني البشر نجاحاً في تحقيق الأهداف والمقاصد؛ لأنّ الأنبياء الله هم الذين استطاعوا أن يحملوا رسالات السهاء إلى الناس، وقد نجحوا في ذلك. فها هو المقوّم أو الوسيلة التي من خلالها استطاعوا أن يحقّقوا هذا النجاح الكبير على مستوى تحمّل المسؤوليّة وتحقيق الهدف؟

لقد واجه الأنبياء على مرّ التاريخ حروباً متنوّعةً من قبل أُمهم ومَن أُرسلوا اللهم، أشدّها وأوقعها على قلوبهم هي الحرب النفسيّة، تقول الآية الكريمة: ﴿ وَلَقَدَكُذِ بَتَ رُسُلُ مِن قَبَلِكَ ﴾ (()، إذ اتّهموا بالكذب، وافتري عليهم، لكنّهم صبروا وتحمّلوا ولم تُهدّ قواهم أو تضعف عزيمتهم، وإنّا واصلوا مسيرة الحياة وتبليغ الرسالة بصبرهم. وكان أكثر الأنبياء والرسل تعرّضاً لمثل هذه الحرب النفسيّة والمعنويّة من قِبَل الناس هو رسول الله محمّد عليه الله عمّد عني يقول عليه مثل ما أُذيت » (()).

وتُبيّن الآية الكريمة _ بعد مقطعها الأوّل الذي ذكرناه _ سرّ النجاح والوصول إلى الهدف، وهو الصبر، تقول الآية: ﴿وَأُوذُواْ حَقَّ أَنَكُمْ مَ نَصْرُنَا ﴾ "، وذلك بصبرهم وتحمّلهم.

⁽١) الأنعام: آية ٣٤.

⁽٢) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٣٩، ص٥٦.

⁽٣) الأنعام: آية ٣٤.

ثمّ لو استعرضنا وحلّنا مسيرة الأُمم المؤمنة في حياتها لفهمنا كيف أنّها استطاعت أن تنهض بأعباء استطاعت أن تنهض بأعباء المسؤوليّة في إيصال هذه الرسالة وتبليغها وحملها.

فبنو إسرائيل - مثلاً - كيف استطاعوا أن ينتصروا على القوّة الطاغوتيّة المتمثّلة بفرعون وجيوشه، وقد أذاقهم سوء العذاب، فها هي الوسيلة التي استخدمها بنو إسرائيل في الحرب مع فرعون ومواجهتهم له آنذاك؟ تقول الآية الكريمة: ﴿وَتَمَّتُ كُلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسِنَى عَلَى بَنِيٓ إِسْرَءِيلَ ﴾ (()، فبأيّ شيء تحقّق النصر الإلهي للمؤمنين على أعدائهم من الطواغيت وأعوانهم؟ هل بالقوّة العسكريّة وحدها؟ أو بالإمكانيّات المادّيّة وحدها؟ أو بتميّز القادة وذكائهم في القيادة؟ كلا، وإنّها بها صبروا.

إذاً من خلال استعراض سيرة الأنبياء والأولياء والأُمم المؤمنة نستطيع القول بأنّ العامل الأساسي في انتصار الأُمّة المؤمنة وتحقيق الأهداف والنجاح هو الصبر.

تفسير الصبر بالصوم

يذكر بعض المفسّرين أنّ معنى الصبر في الآيتين الكريمتين اللتين ذكرناهما في بداية الحديث: ﴿ يَتَأَيُّهَا اللَّذِينَ ءَامَنُوا السّتَعِينُوا بِالصّبرِ وَالصّلَوةِ ﴾ ﴿ وَالسّتَعِينُوا بِالصّبرِ وَالصّلَوةِ وَالسّلَوةِ وَالسّتَعِينُوا بِالصّبرِ وَالصّلَوةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةً إِلّا عَلَى الخَشِعِينَ ﴾ ﴿ واللّه المواد من هذه الروايات هو حصر مفهوم الصبر روايات ﴿ وايات ﴿ وايات الله واينات هو حصر مفهوم الصبر

⁽١) الأعراف: آية١٣٧.

⁽٢) البقرة: آية ١٥٣.

⁽٣) البقرة: آية ٥٤.

⁽٤) ورد في (تفسير العياشي): «عن أبي عبد الله [في قوله تعالى]: ﴿أَسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوْةِ ﴾، قال: «الصبر هو الصوم». وعن أبي الحسن في قول الله: ﴿آسَتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوْةِ ﴾؟ قال: «الصبر الصوم إذا نزلت بالرجل الشدّة أو النازلة فليصم. قال: الله يقول: ﴿آسَتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوْةِ ﴾ الصبر: الصوم». العياشي، محمّد بن مسعود، تفسير العياشي: ج١، ص٤٤.

بالصوم، وإنّما بيان أوضح المصاديق وأبرزها لمفهوم الصبر، ولا شكّ أنّ الصوم من أجلى مصاديق الصبر؛ حيث يقتضي الصبر عن الطعام والشراب وسائر المفطّرات التي يحتاج الاجتناب عنها إلى العزيمة والتحمّل والصبر، وبذلك يكون الصوم من الوسائل التي يُمكننا توظيفها للحصول على ملكة الصبر وترسيخها في نفوسنا.

وكأنّ الآيتين لا تتعرّضان إلى صوم شهر رمضان فقط، وإنّما هناك إشارة إلى أنّ الإنسان في جميع الأيّام والشهور، وليس في شهر رمضان فقط، إذا واجهته مشكلة، أو صعوبة، أو محنة، أو بلاء، وتولّد عنده _ نتيجة ذلك _ الهمّ والغمّ، فليستعن بالصوم؛ وذلك لأنّه وسيلة تُنمّي الإرادة وترّسخها وتقوّيها؛ إذ يمتنع الصائم بإرادته واختياره عن المطعم والمشرب والغريزة الجنسيّة وغيرها، الأمر الذي يحفّز إرادته ويقوّيها، ويجعلها تتحكّم بالشهوات والرغبات.

وهذه خطوة كبيرة من خطوات النجاح في الحياة، وهي أن يكون عند الإنسان إرادة قويّة وحازمة يستطيع من خلالها أن يرفض الظلم بقوله: كلا للظلم، ويرفض الاستكبار وكلّ القوى التي تقف في قِبال المؤمنين.

وهنا يكمن سرّ النجاح، ونستطيع القول بأنّ النجاح قد ابتدأ، وذلك حينها تكون هناك إرادة وعزيمة في مواجهة التحدّيات والصعوبات في مسيرة الحياة.

والشيء المهمّ الذي يجب لفت النظر إليه هو أنّ الجميع في معرض البلاء؛ وذلك لأنّ طمس الحقّ والوقوف قباله لا يكون متوجّها إلى الأُمّة من خارجها، أي من قوى الاستكبار والشرك فقط، وإنّما تواجه الأُمّة بلاءً وتهديداً وخطورةً من داخل الأُمّة نفسها، فتكون المعركة داخليّةً مع قوى النفاق والقوى المنحرفة، التي تُريد للباطل أن يعلو فوق الحقّ، كما هي الحال مع الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب الذي واجه خلال فترة خلافته تحدّياً كبيراً وانحرافاً شديداً من داخل

الأُمّة الإسلاميّة نفسها، لكنّه وقف بصبره وشجاعته تلك الوقفة التي حفظ بها الحقّ ودفع الباطل. وكذلك سائر الأئمّة الله من بعده، حيث واجهوا الكثير من الانحرافات من داخل الأُمّة، ومن قِبَل بعض من أصحابهم، لكنّهم الله وقفوا في وجه ذلك، وحفظوا الحقّ ونصروه.

فقد يواجه الإنسان المؤمن في حياته مثل هذا الابتلاء، لذا لا بدّ أن يكون له موقف في مساندة الحقّ ودفع الباطل، وهو لا يتحقق إلّا بالصمود والثبات والمقاومة والتحدّي وتحمّل الأذي المعنوي والجسدي في سبيل ذلك.

الوسيلة الثانية: الصلاة

الصلاة هي الوسيلة الثانية التي تعرّضت لها الآيتان الكريمتان، والتي من خلالها يستطيع الإنسان المؤمن أن يصمد ويثبت أمام التحدّيات حتى ينال المرتبة العالية عند الله تعالى؛ فإنّ للمؤمنين والمؤمنات مراتب متفاوتةً في الفضل والميزة والثواب عند الله تعالى، وكذا هي الجنّة عنده سبحانه وتعالى. فبلوغ المراتب العالية والتي منها مراتب الأولياء يكون من خلال الاستعانة بهاتين الوسيلتين الصبر والصلاة.

إنّ الكثير من الناس يقف بين يدي الله سبحانه وتعالى لأداء فروض الصلاة، ويتوجّه له تعالى بالدعاء أو قراءة القران، لكنّه لا يستطيع أن يوظّف كلّ هذه العبارات لتحقيق مقاصده وأهدافه الدنيويّة، وسبب ذلك هو عدم فهم هذه العبادة على حقيقتها، لذا لا يجعلها وسيلةً للنجاح كها أراد له الله تعالى.

وفي المقام لا بأس أن نوضّح كيف تكون الصلاة وسيلةً للإعانة على مواجهة التحديّات في هذه الحياة، إذ من طبيعة بني البشر أنّهم لا يستطيعون الصمود فترةً طويلةً أمام التحديّات الدنيويّة، لذا يجب أن يكون للإنسان إحساس وشعور

عميقان وقوّة داخليّة يستطيع من خلالها تذليل الصعاب وتوفير أسباب النجاح. ويدرك الكثير من الناس الحاجة إلى امتلاك هذه القوّة الداخليّة، لكنّهم يجهلون كيفيّة تحصّلها، وهنا يعبّر القرآن الكريم: ﴿وَاسْتَعِينُوا إِالْصَبْرِ وَالْصَلَوْقِ ﴾، فهو يوجّه العباد إلى هذه الوسيلة التي إذا ما وظفت بالطريقة الصحيحة التي يُريدها الله تعالى، واستُحضرت معانيها، وأقبل بها الإنسان على الله بهذه الطريقة، استشعر داخل نفسه أنّ هناك قوّةً غيبيّةً مستمدّةً من القوّة المطلقة الإلهيّة، التي لا يُعجزها شيءٌ مها عظم".

فالصلاة هي الوسيلة التي تُعين الإنسان على مواجهة التحديّات؛ لأنّ فيها قوّة غيبيّة تقف مع الإنسان و تنصره على الدنيا وما فيها، وتجعل منه إنساناً قادراً على فعل ما يشاء إذا خشع لله أثناء الصلاة واستحضر مفاهيمها في داخل نفسه، فهو بذلك يستشعر هذه المعيّة كما في الآية الثانية ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱسْتَعِينُوا بِالصّبَرِ بَدلك يستشعر هذه المعيّة كما في كون الله تعالى مع الصابرين.

إنّ هذه المعيّة ليست معيّة الإحاطة والقيمومة والمراقبة كما في بعض الآيات القرآنيّة، وإنّما هي معيّة النصرة والعون، فإنّ الآية تقول: إنّ الله سيقف معك أيّها الصابر المصلي، وهذا معناه أنّ هذه القوّة اللامتناهية، والقدرة الإلهيّة تُذلّل للعبد كلّ الصعاب، وتُسهّل له كلّ الأُمور، فهي معه في الابتلاء والمحنة والمشكلة التي يمر بها. فإذا وقف الإنسان بين يدي الله يجب أن يرافقه شعور في داخل نفسه بأنّ يمر بها. وهو الذي ينصره ويوصله إلى تحقيق الهدف.

حينها يقف العبد بين يدي الله تعالى يستحضر العظمة الإلهيّة، ويتذكّر الآخرة، يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُونَ أَنَهُم مُلْقُواْ رَبِّهِم ﴾، وليس المراد اللقاء الحسّي، وإنّم الخاشعون لله يحصل لهم يقين بأنّهم سيلاقون العظمة الإلهيّة والقدرة الإلهيّة، وأنّم سيرجعون إلى الله تعالى، وأنّه تعالى معهم يُذلّل كلّ شيء أمامهم.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للعمل بها شرّعه في كتابه الكريم، وأن ننتهج نهج قادتنا أنبيائنا وأئمّتنا في وأن يوفقنا بأن نوظف عبادة الصوم كي تكون وسيلةً لنا لتقوية أرادتنا والانتصار على أعدائنا، سواء أكانوا أعداءً من الداخل كأهواء النفس والشهوات والميول الشيطانية، أم أعداء الخارج، إنّه سميع مجيب.



مقدّمة الخطبة ''

بير إِللَّهِ ٱلدِّمْ يَرَالُكُمْ يَرَالُكُمْ يَسَالُكُمْ مِنْ الدَّحْدِ فَيْ

⁽٢) غافر: آية١٧.

⁽٣) البقرة: آية ٢٨١.

⁽٤) الدخان: آية ٤١.

⁽٥) المطففين: آية ٢٠.

⁽٦) الصحيفة السجّاديّة: ص٣٠.

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أبي القاسم محمّد وآل بيته الطيّبين الطاهرين.

أيّها الإخوة السائحون الصابرون الصائمون الذاكرون لله تعالى، أيّتها الأخوات السائحات الصائمات الـذاكرات، سلام عليكم من ربّ شهر الرحمة والمغفرة والبركة ورحمة منه وبركات.

وصية أمير المؤمنين إلى ولده الإمام الحسن السي

أُوصيكم إخواني وأخواتي وأُذكّركم، وأُوصي - قَبل ذلك - نفسي الأمّارة بالسوء وأُذكّرها بها أوصى به سيّد الموحّدين وإمام المتّقين أمير المؤمنين في ولدَه السبط الأوّل وابنه الأكبر، الإمام الحسن المجتبى في قائلاً له: «فإني أُوصيك بتقوى الله - أي بُني - ولزوم أمره، وعهارة قلبك بذكره، والاعتصام بحبله، وأيّ سبب أوثق من سبب بينك وبين الله إن أنت أخذت به؟ أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة، وقوّه باليقين، ونوّره بالحكمة، وذلّله بذكر الموت، وقرّره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا، وحذّره صولة الدهر، وفحش تقلّب الليالي والأيّام، وأعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره بها أصاب مَن كان قبلك من الأوّلين، وسِر في ديارهم وآثارهم، فانظر في ما فعلوا، وعمّ انتقلوا، وأين حلّوا ونزلوا، فإنّك تجدهم قد انتقلوا عن الأحبّة، وحلّوا ديار الغربة، وكأنّك عن قليل قد صرت كأحدهم. فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك. ودع القول في ما لا تعرف، والخطاب في ما لا تكلّف. وأمسك عن طريق إذا خفت ضلالته؛ فإنّ الكفّ عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال» (().

تضمّنت هذه الوصيّة المباركة مجموعةً من المضامين التربويّة والأخلاقيّة، وعلى رأسها الوصيّة بتقوى الله تعالى؛ فكلّ وصايا الأنبياء والأئمّة على تبتدأ بالوصيّة

⁽١) المجلسي، محمّد تقي، روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ج١٣، ص٨١.

بالتقوى عادةً؛ لما لها من الآثار الكبيرة في الدنيا والآخرة، ومن أهمّها اكتساب الكهال والسعادة في الدارين الدنيا والآخرة و غفران الذنوب، وإصلاح العمل وقبوله، والنجاة من النار، والخلود في الجنّة، والتأييد والنصرة من الله تعالى، والحفظ والتحصين من الأعداء، إضافةً إلى الكرامة والمحبّة من الله تعالى. ثم بدأ الإمام الله بذكر بعض الوصايا الأخلاقيّة والتربويّة، وسنحاول الوقوف عندها احمالاً:

المضمون الأوّل: عمارة القلب بذكر الله

من جملة ما أوصى الإمام الله ولدة الإمام الحسن المجتبى الله هو أن يعمّر قلبه بذكر الله تعالى، فقال: (وعهارة قلبك بذكره)، ومعلوم أنّ ذكر الله تعالى يكون تارة باللسان، وأُخرى بالجوارح، وثالثة بالقلب، فها المراد من عهارة القلب بذكر الله تعالى هنا؟

المراد من ذلك هو استشعار المؤمن وجود الله وعظمته وكبريائه وجلالته، وما يتصف به من قوّة مطلقة، وكونه المؤثّر المستقلّ والقادر الذي بيده كلّ الأسباب، فمعنى عهارة القلب هو أن يعيش قلب المؤمن هذا الوجود بكلّ معانيه، ولا سيّها حين نزول البلاء، أو التعرّض إلى الضيق أو الفقر أو الشدّة من ظالم وغيره، فإنّ تذكّر هذا الوجود الإلهي هو عهارة القلب بهذا الذكر، ولا شكّ أنّ ذلك يمكّن المؤمن من اجتياز المشاكل والمعوّقات والمحن والابتلاءات، وكلّ ما يقف حائلاً دون الوصول إلى الهدف والمقصد. نعم، هكذا يكون المؤمن مُحيّياً قلبه بذكر الله تعالى.

المضمون الثاني: الاعتصام بحبل الله

ثم يقول الإمام على: «والاعتصام بحبله»، أي التمسّك بحبل الله تعالى المتين، وبعروته الوثقى، وبشريعته وأحكامه؛ فإنّ التمسّك بهذا الحبل يوصل ـ بلا شكّ ـ

إلى النجاة. فهناك روايات كثيرة تُبيّن أنّ المراد من قوله تعالى: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا ﴾ (() _ وكذلك المراد من الاعتصام بحبله هنا _ هـ و التمسّك بولاية أمير المؤمنين إلى والأئمّة المعصومين إلى ومعنى التمسّك بولايتهم الأخذ بمنهجهم العقائدي والفقهي والتربوي والسياسي والثقافي والاجتهاعي وغير ذلك، واتخاذهم مرجعاً في كلّ ما يواجهنا من مشاكل وتحديات سواء كانت فكريّة أم سلوكيّة أم ثقافيّة أم اجتهاعية أم غيرها، وبالدرجة الأساس مودّتهم ومحبّتهم وولاؤهم، والتبرّي من أعدائهم، فإنّ كلّ هذه المفردات تدخل في باب الاعتصام بحبل الله تعالى.

فقالوا: يا رسول الله، بين لنا ما هذا الحبل؟

فقال عَيْنِينُ : هو قول الله: ﴿ إِلَّا بِحَبَّلِ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبَّلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿) ، فالحبل من الله كتابه،

⁽١) آل عمران: آية١٠٣.

⁽٢) ورد في البحار: «يبشّون بشيشا»، من البشاشة: وهي طلاقة الوجه. المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٣٦، ص١١٢.

⁽٣) آل عمران: آية١٠٣.

⁽٤) آل عمران: آية١١٢.

والحبل من الناس وصييّ. [وكأنّ النبيّ عَيَّالَ يُريد أن يُبيّن مصاديق هذه المفردات الكثيرة الورود في آيات القرآن الكريم، ثم بعد ذلك يتوصّل من خلال بيان صفاتها وانطباقها على شخص معيّن إلى بيان هويّة شخصيّة وصيّ رسول الله عَيَّالَ إلى أيان هويّة شخصيّة وصيّ رسول الله عَيَّالُ].

فقالوا: يا رسول، ومَن وصيّك؟ فقال: هو الذي أنزل الله فيه: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسُ بَحَسُرَنَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ ٱللهِ ﴾ (الله على الله على الله على الله على الله على الله على الله على معنى آخر للوصى، فهو بالإضافة إلى كونه حبلاً من الناس فهو أيضاً جنب الله].

فقالوا: يا رسول الله، وما جنب الله هذا؟ [وهنا يُبيّن رسول الله عَيَالَةُ انطباق صفة ثانية من آية أُخرى على الوصي]. فقال عَيْلَةُ: هو الذي يقول الله فيه: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْدِي عَقُولُ يَدَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ `` هو وصييّ، والسبيل إليّ من بعدي.

(١) الزمر: آية٥٦.

⁽٢) الفرقان: آبة ٢٧.

⁽٣) إبراهيم: آية٣٧.

ثم قال [جابر]: فقام أبو عامر الأشعري في الأشعريين، وأبو غرّة الحولاني في الخولانيين، وظبيان، وعثمان بن قيس في بني قيس، وعرنة الدوسي في الدوسيين، ولاحق بن علاقة، فتخلّلوا الصفوف، وتصفّحوا الوجوه، وأخذوا بيد الأنزع الأصلع البطين، وقالوا: إلى هذا أهوت أفئدتنا يا رسول الله. فقال النبي عَلَيْ : أنتم نخبة الله حين عرفتم وصيّ رسول الله قبل أن تعرفوه، فبمَ عرفتم أنّه هو؟.

ونحن من خلال هذه الرواية نطلب الجنّة؛ وذلك باعتصامنا بحبل الله المتين، وتمسّكنا بولاية أمير المؤمنين اليّه والأئمّة الأطهار من بعده أجمعين.

المضمون الثالث: التفاعل مع الموعظة

يقول الله: «أحي قلبك بالموعظة، وأمته بالزهادة»، وهذه المفردات من الوصية المباركة تحمل معنى مهم جدًا، له تأثيره الخاص على سلوك الإنسان، وهو تفاعل

⁽١) آل عمران: آية٧.

⁽٢) النعماني، عبد الله، الغيبة: ص٤٨، باب٢، في ذكر حبل الله الذي أُمرنا بالاعتصام به.

قلب الإنسان مع الموعظة والنصيحة وتأثّره بها وترتيب الأثر عليها، فتنعكس إيجابياً على عمله ونشاطه وحركته، بخلاف ما لو تلقّى الإنسان الموعظة دون تفاعل قلبي معها؛ فإنّها والحال هذه لا يحيى بها القلب. وفي قِبال إحياء القلب بالموعظة، يُعبّر الإمام اليّلا عن ضرورة إماتة القلب، من خلال إماتة حبّ الدنيا والتعلّق بها، ويكون ذلك بالزهد بالدنيا وملذّاتها، فيدبّ النشاط والحياة والذكر في قلب المؤمن، وتموت فيه اللذائذ والشهوات وكلّ أنواع التعلّق بالدنيا.

المضمون الرابع: الاتّعاظ بالماضي والاعتبار به

"وقوّهِ باليقين، ونوّره بالحكمة، وذلله بذكر الموت، وقرّره بالفناء، وبصّره فجائع الدنيا، وحدّره صولة الدهر، وفحش تقلّب الليالي والأيّام، وأعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره بها أصاب مَن كان قبلك من الأوّلين، وسِر في ديارهم وآثارهم». يقدم الإمام الله مفهوماً جديداً للسفر والسياحة، فهما ليسا للترفيه عن النفس فحسب، بل يجب أن يصاحبهما التأمّل بمصير الماضين، والتأمّل في آثارهم، والاتّعاظ بها آل إليه أمرهم من الموت والفناء، فلا شكّ أنّ المسافر يمرّ على آثار الماضين من الناس، من تلك الآثار مواضع للعبرة والاتّعاظ، وأن يوظّف أسفاره في هذا السبيل، حيث من تلك الآثار مواضع للعبرة والاتّعاظ، وأن يوظّف أسفاره في هذا السبيل، حيث يتذكّر السائح ذلك الإنسان المتكبّر المتجبّر المتغطرس الذي كان يمتلك كلّ أسباب القوّة والتمتّع بالدنيا، وممارسة الظلم والفساد فيها، فإلى أين آلَ حاله؟ وإنّ من تلك الأمم الماضية الصالح والمؤمن، ومنهم مَن كان مُعرضاً عن الله تعالى والآخرة، فانياً أيّامه في حطام الدنيا ومتعتها وشهواتها، ولكن في النهاية _ مهما طالت أعارهم ونالوا نصيبهم من الدنيا ومتعتها _ فقد أصبح مصيرهم القبر، لا يملكون فيه شيئاً ونالوا نصيبهم من الدنيا ومتعتها _ فقد أصبح مصيرهم القبر، لا يملكون فيه شيئاً سوى عملهم.

فكأنّ الإمام الله يقول: أيّها الناس، تذكّروا الموت، واعتبروا بحال تلك الشعوب والأُمم الماضية؛ فإنّ السنين تمضي، وحركة الزمن لا تتوقّف، ولا يبقى شيء للإنسان يأخذه معه إلّا العمل الصالح.

ويجب أن يعرف الإنسان أنه مهم تعرّض إلى المشاكل والمحن والابتلاءات فإنها ستنتهي في يوم ما، وأنّ كلّ إنسان مهم تغطرس وتجبّر وتكبّر وظلم وتمتّع بالدنيا فإنّ أيّامه ستنتهى، ويبقى معه شيء واحد دائم، وهو عمله.

ثم يذكّرنا الإمام الله بأنّ كلّ مَن يُحيطنا من الأحباب والأهل والأصدقاء، وكلّ ما نتعلّق به في هذه الحياة، سنتركه ونغادر عنه إلى دار الغربة؛ فإنّ الحياة الأُخرى هي دار الوحشة ودار الغربة، وسوف يكون الإنسان فيها وحيداً ليس معه أحدٌ ممن كان يأنس بهم في الدنيا، ولا يرافقه شيء إلّا العمل الصالح الذي يؤنس وحشته في قبره، أمّا هذه الحياة فهي زائلة فانية، لا يدوم فيها شيء من نعيمها وملذّاتها، ولا من محنها وابتلاءاتها.

وفي هذا الصدد يوجد معنى لطيف جدّاً يذكره أمير المؤمنين في تأويل السجدتين في الصلاة، وهو أنّه حينها يسجد المصلي السجدة الأُولى ويضع جبهته فيها على التراب، فإنّ في ذلك دلالةً على أنّه خُلق من هذا التراب، وعندما يرفع رأسه من هذه السجدة يتذكّر أنّه قد خرج من التراب، ثم يفصل السجدة الثانية عن الأُولى بفاصل زماني قصير، وأنّ الإنسان في هذه الأثناء وعند شعوره بأنّه قد خرج من التراب يعود يهوي إلى الأرض مرّة أُخرى للسجدة الثانية، فيتذكّر أنّه سوف يعود إلى التراب مرّة أُخرى بعد موته، وبعد أن يرفع رأسه من التراب عند إكهاله السجدة الثانية يتذكّر أنّه سوف يُبعث من التراب يوم القيامة (۱).

⁽١) روى الشيخ الصدوق ﴿ بسنده: «قال رجل لأمير المؤمنين اللهِ ؛ يابن عمّ خير خلق الله، ما

وهذا معنى عظيم يصوّره الإمام إلى في تأويل السجدتين، وأنّ الفاصل الزماني القصير جدّاً الذي يفصل بين السجدتين هو وقت بقائه في هذه الدنيا؛ فإنّ استحضار هذا المعنى عند الإنسان و لاسيّا عند الصلاة عيهون عليه الدنيا ومصاعبها ومشاكلها، فهي ليست إلّا وقت قصير ثم ينتقل منها الإنسان ويرحل، وبرحيله تنتهي جميع همومه ومشاكله، وملذّاته وكلّ الفرص المتاحة له.

إنّ مضامين الكثير من الآيات القرآنيّة المباركة، وأحاديث المعصومين الله تؤكّد وتركّز على أن يبقى هذا المعنى حيّاً في نفس المؤمن والمؤمنة؛ حتى يستطيع كلّ واحد منّا أن يتحمّل هموم الدنيا، ويخرج من هذه الدار وقد نجح في الامتحان الإلهي.

المضمون الخامس: التوقُّف عند الشبهة

قال عند حيرة الضلال خير من ركوب الأهوال».

يتعرّض الإمام على في هذا المقطع من الوصية إلى أمر بالغ الأهميّة، يُشير من خلاله إلى مفردة التدبّر أو التأمّل وإعمال الحيطة تجاه ما يعرض للإنسان من شبهات وفتن، ولا سيّما ما يُطرح في زماننا من شبهات عقديّة؛ فإنّ المسائل العقديّة هي الأخطر من غيرها في انحراف المؤمن عن جادّة الصواب والخطّ المستقيم، فلا بدّ للمؤمن من وقفة تأنّ وتفكّر عند تعرّضه إلى مسألة أو شبهة عقديّة قبل الخوض

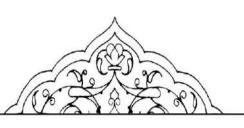
 \Rightarrow

معنى السجدة الأوّلى؟ فقال الله تأويله: اللهمّ إنّك منها خلفتني _ يعني من الأرض _ ورفع رأسك: ومنها أخرجتنا. والسجدة الثانية: وإليها تُعيدنا، ورفع رأسك من الثانية: ومنها تُخرجنا تارةً أُخرى. قال الرجل: ما معنى رفع رجلك اليمنى وطرحك اليسرى في التشهّد؟ قال: تأويله: اللهمّ أمت الباطل وأقم الحقّ». الصدوق، محمّد بن علي، علل الشرائع: ج٢، ص٣٣٦، باب٣٢، العلّة التي من أجلها صارت الصلاة ركعتين وأربع سجدات، ح٤.

فيها، وعليه أن يسأل أهل العلم وذوي الاختصاص حتى يحصل عنده اليقين فيمكنه عندها أن يسير في هذا الطريق أو يرشد غيره إلى المسير، أمّا بدون ذلك فإنّ الاقتحام في الشبهات يؤدّي إلى الهلاك، وطالما هناك فرصة للتراجع عن السير في الطريق المشبوه، فيجب التأنّي والرجوع حتى يستنير الدرب، فإذا واصل الإنسان طريقه نحو الضلالة وانتهى إلى موضع لا يمكنه منه العودة، سوف يكون مصيره والحال هذه والهلاك.

وهنا يبرز دور التأني والتدبّر واستجلاء الحقيقة والسؤال عنها من أهل العلم الحقيقين، الذين هم مصادر المعرفة الذين يُلجأ إليهم عند الشبهات؛ إذ بالرجوع إليهم يضمن الإنسان لنفسه السلامة من الوقوع في المهالك. وعلى الإنسان أن يقف عند حيرة الضلالة، ويكفّ عن الفعل الذي يجهل مصيره دون تدبّر أو تأمّل أو سؤال، وذلك خوفاً من الوقوع في الهلكة؛ إذ اقتحام الضلالة يؤدّي إلى ركوب الأهوال، وهي نتيجة لا تُحمد عقباها، ولا يمكن التراجع عنها إذا فات الأوان.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للتمسّك بهذه الوصايا الجليلة، وأن نطبّق مضامينها ومحتواها، وأن يحشرنا الله مع أمير المؤمنين الله وآله الأطهار المهله إلى الله مع أمير المؤمنين الله وآله الأطهار الهله إلى الله مع أمير المؤمنين الله والحمد لله ربّ العالمين.



الخطبة السابعة والخمسون في رحاب خطبة أمير المؤمنين المالية في وصف المتقين القسم الأوّل

بتاریخ: ۲۷/ ۲۰/ ۲۰۰۲م

وفيها المحاور التالية:

طلب همّام من أمير المؤمنين المؤلف بيان صفات المتقين وتثاقله المؤلف عن ذلك

🗸 بيان صفات المتقين

🗠 أوّلاً: الصواب في المنطق

اللبس ثانياً: الاعتدال في الملبس

لله ثالثاً: التواضع في المشي

💯 رابعاً: غضّ البصر عن الحرام

النافع خامساً: قَصْر السمع على العلم النافع

سادساً: التسليم لله في الشدة والرخاء

ك ثامناً: تعظيم الخالق

مقدّمة الخطبة

بير إلله الدِّمْ يَرَالَكُم يَرَالَكُم يَسِيرُ

الْحُمْدُ لله الأُوَّلِ بِلَا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَه، والآخِرِ بِلَا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَه، الَّذِي قَصُرَتُ عَنْ رُوْيَتِه أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ، وعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِه أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ، ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِه الْخُلْقَ ابْتِدَاعاً، واخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِه اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِمِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِه، وبَعَثَهُمْ الْخُلْقَ ابْتِدَاعاً، واخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِه اخْتِرَاعاً، ثُمَّ سَلَكَ بِمِمْ طَرِيقَ إِرَادَتِه، وبَعَثَهُمْ فِي سَبِيلِ مَحَبَّتِه، لَا يَمْلِكُونَ تَأْخِيراً عَمَّا قَدَّمَهُمْ إِلَيْه، ولَا يَسْتَطِيعُونَ تَقَدُّماً إِلَى مَا أَخْرَهُمْ عَنْه، وجَعَلَ لِكُلِّ رُوحٍ مِنْهُمْ قُوتاً مَعْلُوماً مَقْشُوماً مِنْ رِزْقِه، لَا يَنْقُصُ مَنْ زَائِدٌ".

أيّها الإخوة المؤمنون، أيّتها الأخوات المؤمنات، سلام من الله عليكم بها فرتم في صوم شهر رمضان ورحمة منه وبركات. أُوصيكم إخواني وأخواتي بتقوى الله تعالى، والإحسان في أعمالكم، فإنّ الله تعالى مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون.

تنويه

يكتب لنا بعض الإخوة المؤمنين، ويتساءلون عن السبب في تطويل خطبة الجمعة، ويقولون: لماذا لا تقتصرون على خطبة قصيرة وصغيرة كما هو الحال في خطب أمير المؤمنين الله ؟ لذا أود قبل استعراض موضوع خطبة اليوم أن أُبيّن السبب في ذلك:

إنَّ الغرض من هذه الخطب هو بيان الموعظة والإرشاد، وتقريب الإنسان المؤمن

(١) الصحيفة السجّاديّة: ص٢٨.

أكثر نحو طاعة الله سبحانه وتعالى، وهذا لا يحصل إلّا من خلال التأثّر بالموعظة التي تحملها الخطبة في صلاة الجمعة، بحيث تتأثّر القلوب والنفوس بمضامينها؛ حتى يندفع الإنسان نحو تطبيق هذه المضامين والإتيان بها في الخارج بعد أن تنعكس على سلوكه.

وهذا التأثّر القلبي يتوقّف على أمرين:

الأمر الأوّل: فهم معاني المفردات والمضامين التي ترد في الخطبة، ولا شكّ في أنّ هناك اختلافاً في مستوى الفهم عند الناس في عصرنا الحاضر، ومستوى الفهم عند المعاصرين للنبيّ عَيَّا والأئمة المي المعاصرين للنبيّ عَيَّا والأئمة المي الذكانت معاني المفردات آنذاك واضحة ومفهومة لمم، ولا يحتاج الرسول عَيْن أو الإمام الله إلى التفصيل في بيان معاني المفردات والمضامين التي ترد في كلامها وخُطبها.

الأمر الثاني: الاستعداد النفسي والقابليّة للتأثير والتأثّر بالموعظة، بحيث يهضمها القلب وتنعكس على الأفعال والسلوك، ويكون لها مردود إيجابي في حياة المجتمع، وهذا يتوقّف على شخصيّة المتحدّث أوّلاً، وعلى المستوى العامّ للإيهان الذي يعيشه المجتمع ثانياً. ومن الواضح أنّه عندما يكون المتحدّث والواعظ هو النبيّ الأكرميّي أو أمير المؤمنين الله أو أحد الأئمّة المعصومين العامّ للحالة الإيهانيّة للقلب سريعاً ودون استئذان. وكذلك إذا نظرنا الى المستوى العامّ للحالة الإيهانيّة في وقتنا الحاضر نجد أنّها تختلف عن مستوى الإيهان الذي كان سائداً عند المسلمين في صدر الإسلام الأوّل.

لذا نعتقد أنّه من أجل الوصول إلى المستوى المطلوب من تأثّر السامع بمضامين مثل هذه الخطب لا بدّ من تحقّق الفهم الصحيح للألفاظ الواردة في الخطب، والتأثّر القلبي لدى المستمع، وهذا ما يستدعي بطبيعة الحال إطالة الخطبة.

طلب هَمَّام من أمير المؤمنين اللهِ بيان صفات المتّقين وتثاقله اللهِ عن ذلك

روى الشيخ الكليني في كتابه (الكافي) (أن في باب بيان صفات المؤمن وعلاماته، وكذا جاء في الخطبة المئة والثالثة والتسعين من خطب أمير المؤمنين الله في (نهج البلاغة) (أن هناك صاحباً لأمير المؤمنين الله يُقال له هَمَّام، وكان رجلاً ناسكاً

(۱) أورد الشيخ الكليني كلام الإمام الله مع همّام بألفاظ مختلفة عمّا ورد في (نهج البلاغة)، فقد روى بسنده عن أبي عبد الله الله عقال: «قام رجل يقال له همّام ـ كان عباداً ناسكاً مجتهداً ـ إلى أمير المؤمنين الله وهمّام، المؤمن كأنّنا ننظر إليه. فقال: يا أمير المؤمنين، صف لنا صفة المؤمن كأنّنا ننظر إليه. فقال: يا همّام، المؤمن هو الكيّس الفطن، بشره في وجهه، وحزنه في قلبه، أوسع شيء صدراً وأذلّ شيء نفساً، زاجر عن كلّ فانٍ، حاضّ على كلّ حسن، لا حقود ولا حسود... والناس منه في راحة، أتعب نفسه لآخرته، فأراح الناس من نفسه، إن بُغي عليه صبر حتى يكون الله الذي ينتصر له، بعده ممّن تباعد منه بُغضٌ ونزاهةٌ، ودنوُّه ممّن دنا منه لين ورحمة، ليس تباعده تكبّراً ولا عظمةً، ولا دنوّه خديعةً ولا خلابةً، بل يقتدي بمن كان قبله من أهل الخير، فهو إمام لمن بعده من أهل البرّ. قال: فصاح همّام صيحةً، ثم وقع مغشيّاً عليه. فقال أمير المؤمنين اليهن أما والله، لقد كنتُ أخافها عليه. وقال: هكذا تصنع الموعظة البالغة بأهلها...». الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: أخافها عليه. وقال: هكذا تصنع الموعظة البالغة بأهلها...». الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي:

(٢) ورد في نهج البلاغة: «روي أنّ رجلاً صاحباً لأمير المؤمنين الله يقال له همّام كان رجلاً عابداً، فقال: يا أمير المؤمنين، صف لي المتقين حتى كأتي أنظر إليهم. فتناقل الله عن جوابه، ثم قال: يا همّام، اتّق الله وأحسن؛ فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، فلم يقنع همّام بهذا القول حتى عزم عليه، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ الله أنه معالى: أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق حين خلقهم غنيّاً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم؛ لأنّه لا تضرّه معصية من عصاه، ولا تنفعه طاعة مَن أطاعه. فقسّم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم فالمتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع. غضوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم. نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب. عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنّة كمَن قد رآها، فهم فيها منعمون، وهم والنار كمَن قد رآها، فهم فيها معذّبون ...قال: فصعق همّام صعقّة كانت نفسه فيها. فقال أمير المؤمنين المنية: أما والله، لقد معذّبون ...قال: فصعق همّام صعقة كانت نفسه فيها. فقال أمير المؤمنين المناه فيها والله، لقد معدّبون ...قال: فصعق همّام صعقة كانت نفسه فيها. فقال أمير المؤمنين المؤلفة على القله القلا الله القلا المها القله القلا المها القله القله القلا الله القله القله

عابداً طلب من الإمام على أن يصف له المتقين وكأنه ينظر إليهم، فقد أراد من الإمام على أن يُبيّن له صفات المتقين تفصيلاً وكأن هذه الصفات ماثلة أمامه، فقال: يا أمير المؤمنين، صف لي المتقين حتى كأني انظر إليهم. وورد في الرواية أنّ الإمام عن جوابه، وقد ذكر بعض شرّاح هذه الخطبة أنّ سبب تثاقل الإمام عن عرف مقدار الاستعداد النفسي والقابليّة الروحيّة لهذا الرجل، بحيث إنّه يتأثّر تأثّراً شديداً، ولربّها لا يتمالك نفسه، فيموت بسبب شدّة تأثّره، وهو ما حصل بالفعل بعد أن أكمل الإمام خطبته كها تنقل الرواية.

فقال الإمام عِنْ: «اتَّقِ الله وأحسن، ف ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَٱلَّذِينَ هُم تُعْسِنُونَ ﴾ (۱)».

يُشير الإمام إلى بقوله هذا لهمّام بأنّ الإنسان المؤمن يجب أن يكتفي بهذا البيان الإجمالي، وهذه المعرفة الإجماليّة في معنى التقوى التي قد وردت في الآيات القرآنيّة الكريمة والأحاديث الشريفة عن النبيّ عَيْنِين، والتي يعرفها أكثر الناس المؤمنين، ولا يكلّف المؤمن نفسه أكثر من هذه المعرفة التي عنده. لكنّ همّاماً لم يقتنع بهذا الجواب الإجمالي، وإنّما أراد بياناً أكثر تفصيلاً حتى أقسم على الإمام الله أن يُبيّن له بالتفصيل الواضح ما هي صفات الإنسان المؤمن المتقي، فبدأ الإمام الله ببيان مقدّمة لكلامه، ثم استعرض جملة من صفات المتقين، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبيّ عَيْنِين، ثم قال: «أمّا بعد، فإنّ الله سبحانه خلق الخلق حين خلقهم غنيّاً عن طاعتهم، آمناً من معصيتهم؛ لأنّه لا تضرّه معصية مَن عصاه، ولا تنفعه طاعة من أطاعه...».

كنت أخافها عليه. ثم قال التلافية: أهكذا تصنع المواعظ البالغة بأهلها...». نهج البلاغة، خطب الإمام على التلافية: ج٢، ص١٦٠. الخطبة ١٩٣.

⁽١) النحل: آية ١٢٨.

وقد يسأل سائل: ما هو الغرض من هذه المقدّمة التي بيّنها الإمام الله وهي اليست في بيان صفات المتّقين؟

الجواب: أراد الإمام الله أن يمهد بهذه المقدّمة لبيان الغرض من ذكر صفات المتقين، وهو أن يجعل في نفس المؤمن الرغبة والاتّصاف بهذه الصفات؛ لأنّه حينها يتّصف كلّ واحد من المؤمنين بهذه الصفات، فإنّ ثهارها ومنافعها تعود إلى المؤمنين أنفسهم لا إلى الله تعالى؛ فإنّ الله تعالى غنّي عن طاعة العباد، ولا تضرّه معصيتهم، فهو _ جلّ وعلا _ ليس بحاجة إلى هذه الصفات؛ لأنّه الكامل المطلق، والإنسان الناقص بحاجة إليها لكي تستكمل بها نفسه، وينال مرتبة الكهال والسعادة في الدارين الدنيا والآخرة.

ثم قال ﴿ ﴿ … فقسّم بينهم معيشتهم، ووضعهم من الدنيا مواضعهم … ». قسّم الله تعالى معايش العباد وما يحتاجون إليه في حياتهم من الرزق والسعة والرفاه والصحّة وغيرها بحسب حكمته، وما يتناسب مع مصلحة كلّ إنسان، لذا لا بدّ أن يعتقد الإنسان بأنّ الله قد قدّر رزقه في هذه الحياة الدنيا وفق مصلحة العبد والحكمة الإلهيّة، فلا يتضجّر الإنسان يوماً إذا ما شعر بالضيق وعدم السعة في الرزق، فإنّ الحكمة تقتضى ذلك.

بيان صفات المتّقين

أوّلاً: الصواب في المنطق

قال الله المتقون فيها هم أهل الفضائل، منطقهم الصواب...»، يجب أن نلتفت إلى أنّه يوجد فرق بين الصواب والصدق، فإنّ الصواب هو ضدّ الخطأ، فقد يكون المؤمن صادقاً في حديثه، ولكنّه ربّها لا يكون صائباً في منطقه.

ولتوضيح ذلك نقول: إنّ الإنسان المتّقي هو الذي لا يسكت حينها ينبغي لـ ه أن يتكلّم في موضوع أو مسألة ما، ويسكت حينها ينبغي لـ ه السكوت، وذلـ ك عنـ دما

لا يكون كلامه في موضعه. نعم، المتقي صادق في حديثه، لكن في بعض الموارد ليس من الصحيح شرعاً ولا عقلاً أن يتكلّم، وذلك عندما لا يكون صائباً في منطقه. أمّا إذا كان منطقه الصواب فليس من الصحيح حينئذ السكوت. فالصواب هنا أخصّ من الصدق، ومعنى ذلك أنّ المؤمن صادق لا يكذب، ولكن في بعض الأحيان لا يكون منطقه صائباً.

ثانياً: الاعتدال في الملبس

يقول الإمام: ﴿ وملبسهم الاقتصاد»، يجب أن يكون هناك اعتدال في الملبس، بحيث لا يلبس ما يُدخله في موضع الترف والإسراف المحرّم، وربّما يؤدّي به مثل هذا الملبس إلى التكبّر والعُجب والاستعلاء على الآخرين، وفي الوقت نفسه ألّا يكون مُفرطاً في ملبسه بحيث يُدخله هذا الملبس في موضع الذلّة والمهانة، وإنّا المؤمن هو المعتدل في هذا الجانب.

ثَالثاً: التواضع في المشي

ثم يقول: «ومشيتهم التواضع»، يُبيّن الإمام الله أنّ الإنسان المؤمن المتقي يعيش في قلبه ونفسه حالة التواضع والانكسار والتذلّل لله تعالى، وبالتالي ينعكس هذا السلوك على مشيته بين الناس، وهي مشية التواضع.

وفي مقابل ذلك أن يبتعد عن المشية التي فيها بطر أو خيلاء أو تكبّر على الناس، وهذا ما تُشير إليه الآية القرآنيّة في قوله تعالى: ﴿وَلَاتَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغُ لَلْجِكالُ طُولًا ﴾ (()، فالمتّقي الحقيقي هو مصداق لهذه الآية القرآنيّة الكريمة، وكذلك هو مصداق لآية قرآنيّة أُخرى هي: ﴿ وَاَقْصِدْ فِ مَشْيِكَ ﴾ (().

⁽١) الإسراء: آية٣٧.

⁽٢) لقمان: آية ٩٠.

رابعاً: غضّ البصر عن الحرام

قال النقي والمؤمن الحقيقي على على عرم الله عليهم»، الإنسان المتقي والمؤمن الحقيقي يغضّ بصره عمّا حرّم الله تعالى عليه، فيكون بذلك مصداقاً للآية القرآنيّة الكريمة: وقُل لِلمُؤْمِنِينَ يَغُفُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَعَفَظُوا فَرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزَكَى لَمُمْ فَنَا. فالمؤمن الحقيقي هو من يغضّ بصره عن الحرام في كلّ أحواله، وهذا ما يلزم أن نضعه نصب أعيننا، فالطالب في الجامعة، والموظّف في مؤسّسات الدولة، والكاسب الذي يرتاد السوق، وغيرهم... يكونون معرّضين للوقوع في شباك الشيطان الذي يترصّد لمم ويتربّص بهم؛ فقد تكون النظرة المحرّمة الواحدة سبباً لاستدراج الإنسان للوقوع في محرّمات أعظم وأخطر. فغضّ البصر وحفظه وعدم النظر إلى ما حرّم الله تعالى علامة المؤمنين الحقيقيّين المتقين، وبغضّ البصر ينال المؤمن السعادة بإبعاد نفسه عن كثير من المحرّمات.

خامساً: قصر السمع على العلم النافع

يقول النظري (الفكري)، والبعد العملي (السلوكي). وهو يحتاج إلى استكالها، وذلك النظري (الفكري)، والبعد العملي (السلوكي). وهو يحتاج إلى استكالها، وذلك إنّا يتمّ من خلال قصر السمع على العلم النافع، محاولاً سماع ما يُفيده من العلوم في الدنيا. فالمؤمن الحقيقي هو مَن نزّه سمعه عن غير العلوم، وبهذا يكون مصداق الآية القرآنيّة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّهُ وَمُعْرِضُونَ ﴾ ". فينزّه سمعه عن الغيبة، والكذب، والبهتان، والطعن في الآخرين، وغير ذلك من مذامّ الكلام التي تصدر من الآخرين، ويقصر سمعه على ما يكون نافعاً له في أُمور الدين والدنيا، حتى من الآخرين، ويقصر سمعه على ما يكون نافعاً له في أُمور الدين والدنيا، حتى

⁽١) النور: آية ٣٠.

⁽٢) المؤمنون: آية ٣.

يُغذّي البعد النظري له بالعلم النافع، ليدفعه إلى تحسين سلوكه، وتطبيق التعاليم الأخلاقيّة في حياته العمليّة.

سادساً: التسليم لله في الشدّة والرخاء

قال الله «نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء».

إنّ الدنيا متقلّبة الأحوال، فتارةً يعيش الإنسان فيها المحنة، وأُخرى النعمة، وربّم يمرّ الإنسان فيها بظرف الشدّة والضيق في حالٍ ما، لكنّه في حال أُخرى يعيش اليُسر والرفاه، فهي في تحوّل وتبدّل مستمرّين؛ إذ تتنقّل بالإنسان من حالٍ إلى أخرى، لذا لا يؤدّي ذلك بالإنسان إلى السخط حال البلاء والمحنة، والرضا والسرور حال النعمة؛ فهذا خلاف الإيهان الحقيقي والتقوى، والمؤمن الحقيقي هو الذي يكون في كلّ أوقاته مسلّماً أمره لله تعالى، راضياً بقضائه وقدره تعالى مهما كان.

وهذا ما يؤكّده الحديث الوارد عن الإمام الصادق الله في بيان علامة المؤمن؛ إذ يُسأل الله بي شيء يُعلَم المؤمن بأنّه مؤمن؟ فيقول الله : «بالتسليم لله، والرضا في ما ورد عليه من سرور أو سخط» (() فالمؤمن الحقيقي هو مَن يُسلّم أمره لله تعالى، ويرضى بقضائه تعالى في حال سروره وحزنه، والسرّ في ذلك هو اعتقاده بأنّ كلّ بلاء أو شدّة أو محنة هي خير له على كلّ حال؛ وذلك لأنّه يفسّر ما أصابه من ذلك بأنّه كفارة لذنوبه وسيئاته، أو رفعة لمنزلته عند الله تعالى، وكلا هذين الأمرين فيها خير للإنسان المثقل بالذنوب والسيئات الكثيرة، فإصابته بالبلاء هي تخفيف من الله تعالى لذنوبه، وتكفير لسيئاته، أو يكون سبباً لرفعة منزلته عند الله تعالى وعندما يكون الإنسان على يقينٍ من ذلك فحينئذٍ يكون راضياً بقضاء الله تعالى سواء كان على قيمة أو نعمة .

وممّا يؤكّد هذا المعنى أيضاً ما ورد عن أبي جعفر الباقر الله قال: «بينا رسول

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٦٢ _ ٦٣، باب الرضا بالقضاء، ح١٢.

وفي المقام يجب التنبّه إلى شيء مهم جدّاً، وهو أنّ أداء الصلاة والصيام وغيرهما من العبادات الأُخرى وحدها لا تكفي في أن يكون الإنسان مؤمناً حقيقةً إذا لم يكن مسلّماً أمره إلى الله تعالى، راضياً بقضائه وقدر مهما تمرّ به من محنة وشدّة وبلاء، وإلّا تكون دعواه للإيمان دعوى كاذبةً.

لذا بين رسول الله على منزلة هؤلاء عند الله تعالى، قائلاً: «علماء حكماء، كادوا أن يكونوا من الحكمة أنبياء»، بمعنى أنّ لديهم الاستعداد والقابليّة أن يتّصف الواحد منهم بهذه الصفات والمنزلة العظيمة، وهي منزلة الحكمة القريبة من منزلة النبوّة: «فإن كنتم صادقين فلا تبنوا ما لا تسكنون، ولا تجمعوا ما لا تأكلون، واتّقوا الله الذي إليه تُرجعون» (۱).

سابعاً: الاشتياق إلى الثواب والخوف من العقاب

ثم يذكر الإمام أمير المؤمنين الله صفة أُخرى من صفات المتقين: «.. ولولا الأجل الذي كتب الله لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين؛ شوقاً إلى الثواب، وخوفاً من العقاب».

إنّ هؤلاء المتّقين قد بلغوا مرتبةً من اليقين بالله تعالى وبوعده بثوابه كأنّهم ينظرون إلى ذلك وهو ماثل أمامهم، لذا فأرواحهم غير مستقرّة في أجسادهم،

⁽١) البرقي، أحمد بن محمّد، المحاسن: ج١، ص٢٢٦، باب حقيقة الحقّ.

ولولا الأجل المكتوب لهم لكانت أرواحهم قد خرجت من أجسادهم؛ لِمَا بلغوه من النفور من الدنيا والعزوف عنها، والشوق إلى الآخرة وثوابها ولقاء الله تعالى. إلّا أنّ الذي يُمسك تلك الأرواح و يجعلها مستقرّةً في الأجساد هو الأجل الذي كتبه الله تعالى لكلّ واحد منهم.

ثامناً: تعظيم الخالق

ثم يقول الإمام الله في بيان صفة أُخرى للمتّقين: «عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم».

إنّ هؤلاء المتقين قد بلغوا مرتبةً من الاعتقاد بعظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه وقوّته وقهره حدّاً من الاعتقاد القوي، بحيث أصبح واضحاً أمامهم أنّ كلّ شيء في الدنيا دون الله تعالى هو مقهور تحت إرادة الله تعالى مهم كان، فإنّ أقوى القوى في العالم هي صغيرة أمام الله وعظمته، ومقهورة تحت إرادته.

عندما بلغ المتقون تلك المرحلة العالية من اليقين أصبح كل شيء صغيراً في أعينهم، فالسلطان المتجبّر وما يمتلك من قوّة ماديّة يرونه مقهوراً تحت إرادة الله تعالى، ولا يستطيع فعل شيء تجاه أيّ إنسان إلّا بإذن الله تعالى. لذا ورد عن الإمام الصادق الله ما يُشير إلى هذا المعنى اللطيف في الموضوع، يقول: إنّ كلّ شيء من القوّة أو غيرها يُعتقد بأنّه يمكن أن يكون سبباً في إيذاء المؤمنين المتقين سيهون عليهم؛ لأنّه معتصمون بالله ومتوكّلون عليه، الأمر الذي يبعث في نفوسهم الاستمرار في إكمال هذه المسيرة الإيمانيّة، وبالنتيجة الظفر والفوز، حيث يقول الله في ما أوحى الله به إلى داود على نبيّنا وآله وعليه أفضل التحيّة والسلام: «ما اعتصم والأرض ومَن فيهنّ إلّا جعلت له المخرج من بينهنّ».

إنّ الله تعالى يُريد أن يُبين للإنسان بأنّ التوكّل عليه والاعتصام به يحصّن المؤمن ويحميه من كلّ ما يُحيط به من مخاوف، فلو اجتمعت عليه كلّ قوى الأرض فإنّها لا

تستطيع أن تفعل به شيئاً يضرّه؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: أنا سأجعل له المخرج، وأنزع الخوف من قلبه.

كذلك هي الأُمّة المؤمنة إذا ما اعتقدت بأنّ الله تعالى معها، وهو حاميها، فهو قادر على أن يفعل كلّ شيء لأجلها، ويقهر تحت إرادته مَن يقف بوجه هذه الأُمّة، وبذلك تستطيع أن تتحدّى وتنتصر على جميع قوى الشرّ والضلالة بهذا التوكّل على الله تعالى.

ثم يقول الإمام الصادق الله: «وما اعتصم عبدٌ من عبادي بأحد من خلقي، وعرفت ذلك من نيّته إلّا قطعت أسباب السموات من يديه، وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال في أيّ واد هلك»(١).

هناك الكثير من الأُمم تعتصم بأُمم أُخرى أو قوى أُخرى؛ ظنّا بأنّها هي التي تستطيع أن تحفظها وتمنع الأعداء عنها. وكذلك يعتقد الإنسان في حياته حينها يتعرّض إلى مواقف من الضعف والشدّة والابتلاء والمحنة بأنّ فلانا أو القوّة الفلانيّة هي التي تستطيع أن تقوّي وتحفظه وتحقّق له مراده. فإذا اعتقد العبد أو الأُمّة ذلك، فحينئذ يقطع الله تعالى الأسباب بينهم وبينه، وقطع أسباب السموات معناه حبس النصر ومنع التأييد الإلهي، وهو أمر خطيرٌ جدّاً، فإذا ما فقد الإنسان هذا المدد الإلهى فلا يستطيع أن يفعل شيئاً.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للاتصاف ببعض هذه الصفات، وأن نحمل بعض صفات المؤمن الحقيقي.

والحمد لله ربّ العالمين.

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، ج٢، ص٦٣، باب التفويض إلى الله والتوكّل عليه، ح١.



مقدّمة الخطبة

بير لِللَّهِ الدِّمْ يَرَالُحَدِ مِنْ الدِّمْ مِرَالُحَدِ مِنْ الدِّمْ مِرَالُحَدِ مِنْ الدِّمْ مِرَالُحَدِ مِنْ

الحمد لله الأوّل بلا أوّل كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعَجزتْ عن نعته أوهام الواصفين. ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واخترعهم على مشيّته اختراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبّته، لا يملكون تأخيراً عمّا قدّمهم إليه، ولا يستطيعون تقدّماً إلى ما أخّرهم عنه".

والصلاة والسلام على خير المرسلين أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

نتوقّف في هذه الخطبة عند بعض المضامين السامية التي وردت في خطبة أمير المؤمنين في في وصف المتقين أن نجعل المضامين التي تحتوي عليها تلك الأوصاف ميزاناً ومعياراً نعرض عليها أنفسنا؛ لكي نعرف مرتبتنا بالنسبة إلى هذه الأوصاف، نعرف صدق إيهاننا ودعوانا بكوننا من شيعة أمير المؤمنين الله في المؤمنين المؤمنين الله في المؤمنين المؤمنين الله في المؤمنين الله في المؤمنين الله في المؤمنين الله في المؤمنين المؤمنين المؤمنين الله في المؤمنين المؤمنين

⁽١) الصحيفة السجّاديّة: ص١٧.

⁽٢) تعرّض سماحة الشيخ عبد المهدي الكربلائي _ حفظه الله _ في خطبة سابقة بتاريخ (٢) تعرّض سماحة الشيخ عبد المؤمنين الله في وصف المتقين وذكر صفاتهم. وفي هذه الخطبة يُكمل سماحته كلامه في بيان بعض صفاتهم وحالاتهم، شارحاً مقطعاً من كلام أمير المؤمنين الله في وصفهم.

حال المتّقين في الليل

يصف أمير المؤمنين على حال هؤلاء المتقين في الليل وحالهم في النهار (''), قائلاً في ذلك: «أمّا الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلاً. يُحزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم. فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب أعينهم...».

الناس في الليل على أحوالٍ مختلفة، فبعضهم يقضي الليل شاغلاً نفسه والآخرين معه في حديث الفكاهة الذي لا ينفع ولا يضرّ، وبعضهم يسهر الليل جالساً أمام شاشات التلفاز ينظر ويستمع إلى البرامج المفيدة وغير المفيدة، وربّها يقضي الليل بالنظر إلى ما حرّم الله تعالى أو في لهو محرّم.

أمّا ليل المتّقين _ هؤلاء الصفوة من العباد _ فيقضونه وهم يتقلّبون فيه بين ركوع وسجود، وذكر لله تعالى، وتلاوة لآيات القرآن الكريم، «أمّا الليل فصافّون أقدامهم» للصلاة؛ لأنّهم حينها أدركوا عظيم الثواب وجزيل الأجر في الحياة الآخرة عمدوا

⁽۱) ورد في هذه الخطبة: «... أمّا الليل فصافّون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلاً، يجزنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّهم نصب أعينهم، وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أُصول آذانهم. فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجبابهم، وأكفّهم وركبهم وأطراف أقدامهم، يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم. وأمّا النهار فحلهاء علماء، أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم من مرض، ويقول قد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم. لا يرضون من أعالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متّهمون، ومن أعالهم مشفقون. إذا زُكّي أحدهم خاف ممّا يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بي من نفسي. اللهم لا تؤاخذني بها يقولون، واجعلني أفضل ممّا يظنّون، واغفر لي ما لا يعلمون. فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوّة في دين، وحزماً في لين، وإيهاناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً في غنىً، وخشوعاً في عبادة، وتجمّلاً في فاقة، وصبراً في شدّة، وطلباً في حلال...». نهج البلاغة (شرح محمّد عبده): ج٢، ص١٥٠هم، ١٦٣٠٢.

إلى التوجّه إلى الله تعالى في هدوء الليل عندما تنام العيون، فيصفّون أقدامهم للصلاة، ويَتلون القرآن بتلاوة يصفها أمير المؤمنين الله: «تالين لأجزاء القرآن يرتّلونه ترتيلاً»، أي: يقرؤونه بقراءة يظهر فيها النطق الصحيح للحروف، ويقرؤونه بتدبّر وتفكّر، ويعيشون _ أثناء القراءة _ معاني الآيات القرآنيّة ومضامينها بجوارحهم وأرواحهم وقلوبهم، فيستشعرون حال المؤمنين في الجنّة، ويعيشون حالة الخوف واليقين بالعذاب والحساب وكأنّ الناربين أيديهم.

«يُحزنون به أنفسهم، ويستثيرون دواء دائهم»؛ فهم يقرؤون القرآن بصوت حزين، يصحبه خشوع وحضور للمعاني والمضامين التي تحملها الآيات القرآنيّة، ويطلبون من خلال هذه القراءة دواءً لدائهم، فإنّ الداء هو الذنوب والآثام والمعاصي والرذائل التي يعيشها الإنسان، والمتقون يعرفون من خلال تلاوتهم آيات القرآن الكريم الدواء لهذا الداء.

«فإذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً، وتطلّعت نفوسهم إليها شوقاً، وظنّوا أنّها نصب أعينهم»، فهم يعيشون حالة الاشتياق إلى الجنّة؛ لأنّهم تيقّنوا من وجودها وما فيها من النعيم الدائم، والخلود والسعادة الأبديّة الدائمة. وليس هذا فحسب، بل إنّهم في هذه الحياة الدنيا يرون تلك الجنّة بكلّ تفاصيلها وما فيها وكأنّها نصب أعينهم وبين أيديهم.

يعيش المتقون نفس ذلك الشعور بالنسبة إلى النار، يقول الإمام الله «وإذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم، وظنّوا أنّ زفير جهنّم وشهيقها في أُصول آذانهم». إنّ تلاوة المتقين لآيات القرآن الكريم ليست مجرّد قراءة أو تلاوة عاديّة تتلفظها أفواههم، وتنطق بها ألسنتهم، وإنّها هي تلاوة خاشعة تتجاوز مسامعهم وتدخل قلوبهم وأرواحهم، بالتزامهم طاعات الله واجتنابهم معاصيه، وتحلية

نفوسهم بمكارم الأخلاق وتطهيرها من الرذائل. فهي تلاوة مؤثّرة في الروح والقلب، تنعكس آثارها على أخلاقهم وتصرّفاتهم الخارجيّة، فإذا مرّت بهم آياتٌ فيها ذكر النار فهم يشعرون بحرارة هذه النار، ويتصوّر الفرد منهم وكأنّه في داخلها، كما هي حال الإنسان عندما يمرّ بتنور مستعر فإنّه يشعر بحرارة ناره ويحسّ بها، فتنعكس هذه المعايشة القلبيّة والروحيّة على سلوك المتّقين وأخلاقهم، فهذه النار وإن كانت غائبةً عن أبصارهم لكنّهم يعيشون حقيقتها.

ثم يصف الإمام الله حالة الركوع والسجود التي هم عليها حينها تصطفّ أقدامهم للصلاة قائلاً: «فهم حانون على أوساطهم»، وهو كناية عن الركوع، «مفترشون لجبابهم، وأكفّهم وركبهم وأطراف أقدامهم»، كناية عن السجود، «يطلبون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم» مع أنّهم على هذه الحال من الطاعة والتقرّب والتهجد وتلاوة القرآن، لكنّهم يتضرّ عون إلى الله تعالى في فكاك رقابهم من النار.

وقد ورد في بعض الروايات ما معناه: أيّها المؤمنون، إذا كنتم تحبّون أن تكون مساكنكم مهبطاً للملائكة، فتهجرها الشياطين، وتشّع منها الأنوار إلى السهاء كها تشّع الكواكب والنجوم لأهل الأرض، فأحيوا مساكنكم ودوركم ومحالّكم بتلاوة القرآن؛ فإنّ البيت الذي يُتلى فيه القرآن يشّع لأهل السهاء كها تشّع الكواكب لأهل الأرض، وتكثر بركته، ويكون موضعاً للملائكة، وتهجره الشياطين ('').

⁽١) روي عن النبي عَلَيْهِ : «نوّروا بيوتكم بتلاوة القرآن، ولا تتّخذوها قبوراً كما فعلت اليهود والنصارى، صلُّوا في الكنائس والبيع وعطّلوا بيوتهم؛ فإنّ البيت إذا كثُر فيه تلاوة القرآن كثُر خيره، وأتسع أهله، وأضاء لأهل السماء كما تضيء نجوم السماء لأهل الدنيا».

وعن الإمام الصادق علي قال: «إنّ البيت إذا كان فيه المرء المسلم يتلو القرآن يتراءاه أهل السماء كما يتراءى أهل الدنيا الكواكب الدرّيَّ في السماء». وعنه الله أيضاً قال: قال أمير المؤمنين الله عزّ وجلّ فيه، تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره «البيت الذي يُقرأ فيه القرآن، ويُذكر الله عزّ وجلّ فيه، تكثر بركته، وتحضره الملائكة، وتهجره

حال المتّقين في النهار

وبعد أن تعرّض الإمام أمير المؤمنين الذكر صفات المتقين وحالهم في الليل، ينتقل إلى ذكر أوصافهم وحالهم في النهار، فيقول اللهذا: «وأمّا النهار فحلهاء علهاء، أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القِدِاح» (()، فيستعرض بعض الصفات التي يتصف بها المتقون في نهارهم، فالإنسان المتقي يحرص في نهاره على طلب العلم الذي ينفعه في الدنيا والآخرة، وبالإضافة إلى ذلك فهو يحرص كذلك على الاتّصاف بصفة الحلم؛ إذ لا نفع في العلم من دون حلم.

والحلم هنا هو المعاشرة الطيّبة الحسنة مع الناس، والعفو عن إساءتهم؛ لكي تكون معاشرتهم معاشرة إيهانيّة، فلا يكون المتّقي منهم جزوعاً، وإنّها يتّمتع بسعة الصدر ورحابته، بأن يصبر على ما يواجهه به الناس من تصرّفات سيئة، ولا تُرى منه الإساءة أو الأذى للآخرين، وإنّها يتعامل معهم بالإحسان في أفعاله وأقواله.

والصفة التي لا يعلو عليها شيء من صفاتهم هي الخوف من الله تعالى، الخوف الذي قد براهم بري القِدِاح، أي نَحتَهم كما تُنحت السِهام، فأصبح الفرد منهم كالسهم المنحوت نحيفاً دقيقاً، فوصلوا إلى مرتبة من الخوف الشديد من الله تعالى

⁻

الشياطين، ويُضيء لأهل السهاء كها تُضيء الكواكب لأهل الأرض. وإنّ البيت الذي لا يُقرأ فيه القرآن، ولا يُذكر الله عزّ وجلّ فيه، تقلّ بركته، وتهجره الملائكة، وتحضره الشياطين». الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص ٢٠، باب البيوت التي يُقرأن فيها القرآن، الأحاديث ١-٣. (١) القِيرِحُ بالكسر: السهم قبل أن يُراش ويُنصَلَ. الجمع قِدِاحٌ وأقدُحٌ وأقاديحٌ. الفيروزآبادي، محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط: ج١، ص ٢٤١. وفي حديث الزاهدين: «كأنّهم القدِاحُ قد براهم الخوف من العبادة»، ويريد جَمع قِدِح، أعني: السهم المنحوت. الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج٢، ص ٢٠٤.

وطاعته أنّهم عبدوا الله وتركوا ملذّات الدنيا، فأصبحوا خُمص البطون، مصفرّة ألوانهم خوفاً من الله تعالى.

كلام الإمام الباقر العلام في وصف الشيعة الحقيقيين

ممّا يؤكّد ما ذكره أمير المؤمنين في من أنّ المتّقين كالسهام المنحوتة دقيقي القوام من شدّة اتّصافهم بالخوف من الله تعالى، ما يُروى عن الإمام محمّد الباقر في في حديث يذكر فيه بعض أحوال شيعة عليّ بن أبي طالب في ('')، وهو يُعدّ من الشواهد على الصفات التي يذكرها الإمام أمير المؤمنين في وصفه حال المتّقين، ويُبيّن لنا ميزاناً ومعياراً للصفات التي يجب أن يكون عليها أتباع أهل البيت في وشيعتهم، حيث يقول الإمام الباقر في لأحد أصحابه، وهو أبو المقدام: «يا أبا المقدام، إنّما شيعة عليّ»؛ (إنّما) أداة للحصر، فهي تحصر شيعة عليّ في مَن توفّرت فيهم الصفات التي سوف يذكرها الإمام في بعدها. ومن خلال ذلك يمكن معرفة مَن هم الصادقون في دعواهم أنّهم من شيعة عليّ في ومواليه، ومَن هم الكاذبون في هذه الدعوى، فإنّ مَن تتطابق أفعالهم وسلوكهم وتصرّفاتهم مع تلك الأوصاف هم الشيعة الحقيقيّون الصادقون في ما ادّعوه من أنّهم شيعة عليّ في وأتباعه.

وأوّل تلك الأوصاف هي: «الشاحبون، الناحلون، الذابلون»؛ أي: بلغت بهم مرتبة الخوف من الله تعالى التي يعيشونها أنّهم شاحبون وناحلون وذابلون، وليس

⁽۱) روى الشيخ الصدوق في (الخصال) بسنده عن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، قال: قال لي أبو جعفر الثيلا: «يا أبا المقدام، إنّا شيعة عليّ الثيلا الشاحبون، الناحلون، الذابلون، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، متغيّرة ألوانهم، مصفّرة وجوههم. إذا جنّهم الليل اتّخذوا الأرض فراشاً، واستقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاؤهم. يفرح الناس وهم يجزنون». الصدوق، محمّد بن علي، الخصال: ص٤٤٤، ح٠٤.

ذلك بسبب مرض قد أصابهم، وإنّم من شدّة خوفهم من الله تعالى. وهذا أشار إليه أمير المؤمنين الله كما تقدّم.

ثم يسترسل الإمام الباقر الله بذكر الأوصاف: «ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم»، ليس ذبول الشفاه وخمص البطون ناتجاً من الجوع أو المرض، وإنّا هناك أمر آخر نفسي وقلبي وروحي يعيشه هؤلاء الشيعة الحقيقيّون، وهو الخوف والوجل من الله تعالى، ولشدّة معايشتهم لهذا الأمر انعكس على وجوههم وشفاههم وأجسادهم.

«متغيّرة ألوانهم، مصفّرة وجوههم»، هذا المعنى كان يترجمه عملياً الأئمّة الله تعالى. شيعتهم، فإنّهم الله عينما يُريدون إسباغ الوضوء تتغيّر ألوانهم خوفاً من الله تعالى. فقد ورد عن الإمام الحسن بن عليّ الله أنّه إذا أقبل على الوضوء تغيّر لونه وارتعدت مفاصله. فقيل له في ذلك، فقال: «حقّ لمن وقف بين يدي ذي العرش أن يصفر لونه، وترتعد مفاصله» (۱).

كما يُنقل عن الإمام السجّاد اللهِ «أنّه كان إذا توضّأ للصلاة يصفر لونه، فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول اللهِ : أتدرون بين يدي مَن أُريد أن أقوم؟»(").

يقول الإمام الباقر الله : «إذا جنهم الليل اتّخذوا الأرض فراشاً، واستقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاؤهم، يفرح الناس وهم يحزنون»، يُشير الله في هذا المقطع الرائع من كلامه إلى أنّ الشيعة الحقيقيّين أثناء الليل في عبادة، تراهم يتقلّبون من حالٍ إلى أُخرى، بين الركوع والسجود، والبكاء

⁽۱) البروجردي، السيّد حسين، جامع أحاديث الشيعة: ج٢، ص٢٧٣، ح٢٠٤٩، عن السيّد ابن طاووس في (فلاح السائل) نقلاً عن كتاب (اللؤلؤيّات).

⁽٢) الإربلي، على بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٢٨٦.

والدعاء، يجعلون الأرض فراشاً لهم يستقبلونها بجباهم ساجدين لله تعالى. وهم في حزنٍ دائم؛ لأنهم يشعرون بتقصير أمام الله تعالى، خائفون من حسابه وعقابه. أمّا غيرهم من الناس فيعيشون حالة الفرح؛ لأنهم غافلون عمّا سيكونون عليه.

ما يتراءى من صفات المتّقين للناظر

ثم يصف الإمام علي الي حال المتقين حينها ينظر إليهم الناظر، فيقول الي المتقين حينها ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى، ويقول: قد خولطوا أن ولقد خالطهم أمر عظيم»؛ ربّها يظنّ مَن ينظر إلى حال المتقين الذين أصبح الشخص منهم نحيف البدن، مصفّر الوجه، أنّ هناك مرضاً قد أصابهم، أو خالط عقولهم شيء ففسدت، وقد أدّى بهم إلى الوصول إلى هذه الحالة. لكنّ الإمام الي يقول في جواب ذلك: «وما بالقوم من مرض» لا في العقول ولا في الأجسام. نعم، لقد خالطهم أمر عظيم؛ لأنهم بلغوا مرتبةً عاليةً من اليقين بالاعتقاد بالجنة والنار والحساب والعقاب، الأمر الذي جعلهم يخافون الله تعالى، فصاروا على تلك الحال.

من علامات المتّقين

يقول الإمام على الله: «لا يرضون من أعمالهم القليل، ولا يستكثرون الكثير»، إنّ بعض صفات المتقين أنّهم حينها يعملون القليل من الطاعات والقربات لله تعالى لا يرضون بهذا القليل. وأمّا إذا اجتهدوا وجدّوا في طاعة الله والعبادة، والإحسان وفعل الخير، فإنّهم لا يستكثرون ذلك؛ إذ يخافون من هذا الاستكثار؛ لأنّه ربّها يؤدّى إلى حالة الرضا في النفس أو العُجب أو الرياء المبطل للأعمال.

والعبرة في هذه الكلمات أن ننظر إلى أنفسنا حين نكون على حالٍ من الجلَّد

⁽١) «خُولط في عقله: مازجه خلل فيه». نهج البلاغة، تحقيق: صبحي صالح: ص٦٥٦.

والاجتهاد في الطاعة والعبادة، والإحسان إلى الآخرين، إذ ربّم نستكثر عليهم هذا الإحسان، أو ربّم نستكثر على الله تعالى أنّنا قد اجتهدنا في طاعاته، في حين أنّ المتّقي مها جدّ واجتهد في طاعته وعبادته وقرباته إلى الله، وإحسانه إلى الناس، فإنّه لا يستكثر هذه الأفعال والعبادات مهمّا كانت كثيرةً، ومهما جدّ واجتهد فيها.

ولا بأس هنا بذكر رواية عن الإمام الباقر الله تتعلّق ببعض هذه المضامين والمخاطر التي يمكن أن يتعرّض لها الإنسان المؤمن حينها يستكثر في نفسه كثرة الطاعة والإحسان والخيرات، يقول الله : «ثلاث قاصهات الظهر: رجل استكثر عمله، ونسي ذنوبه، وأُعجب برأيه» (()، ربّها يوجد في العباد مَن لا يؤدّي إلّا ما كُلّف به من الواجبات، من قبيل الصلاة والصيام وغيرهما من أعهال وأفعال العبادات، ولكنّه يمتلك صفات التقوى في داخله، ولا يعلم بها إلّا الله تعالى، فهو لا يستكثر في نفسه ما يؤدّيه من طاعات وعبادات، مع أنّه قد طهّر قلبه من دنس الرذائل ومذامّ الأخلاق، فسوف يكون يوم القيامة وهو بهذه الحال - أرفع درجةً ومنزلة عند الله من غيره ميّن يعبد الله لكنّه يستكثر ذلك على الله وعباده.

وعن الإمام الباقر الله أيضاً: «لا يفتخر أحدكم بكثرة صلاته وصيامه وزكاته وعن الإمام الباقر الله عزّ وجلّ أعلم مَن اتقى منكم» ". فه ولله يُشير إلى أنّ الافتخار بكثرة الطاعات والعبادات وغيرها من المظاهر العباديّة، لا تعني شيئاً عند الله تعالى؛ لأنّه تعالى ينظر إلى أعهاق قلب الإنسان، ويعلم ما يدور فيه من نوايا وصفات، وهو وحده الذي يزكّى الأنفس ويعلم حقيقة القلوب.

⁽١) الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١، ص٩٧، أبواب مقدّمة العبادات، ب٢٢، ح٦.

⁽٢) الصدوق، محمّد بن علي، علل الشرائع: ج٢، ص٠٦١، باب نوادر العلل، ح٨١.

من هنا يقول الإمام علي اليلا في استعراضه لصفات المتقين: «وهم لأنفسهم متهمون»، هؤلاء المتقون يشعرون دائماً بالتقصير، ويتهمون أنفسهم بذلك، ولا يرضون عنها، وإنّا يشعرون بأنّهم مقصّرون في حقّ المولى جلّ وعلا، وفي حقّ عباده الذين جعل الله لهم حقّاً ونصيباً عندهم. وسبب خوفهم هو الخشية من انكشاف أعالهم يوم القيامة على خلاف ما كانوا يعتقدونه من كالها وتمامها، فلعلّها تكون ناقصة من جهة فقدانها لبعض شروط الصحة أو شروط الكهال، أو ربّها كان يشوبها الرياء أو العُجب، لذا يقول اليلا: «ومن أعماهم مشفقون» مع كثرتها وما تحمله من التضرّع والتهجّد.

«إذا زُكّي أحدهم خاف ممّا يُقال له، فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربّي أعلم بين من نفسي»، إنّ من طبيعة الإنسان أنّه يفرح إذا ما مُدح، لكنّ أمثال هؤلاء الناس المتّقين لا يفرحون إذا ما مُدحوا، وإنّما يقول أحدهم: أنا أعلم بنفسي وما في داخلي من غيري، فإنّ ما في نفسي من مذامّ الصفات ما لا يعلمها إلّا ربّ العالمين، فهو علّام الغيوب وما تحويه وتنطوي عليه القلوب، فيقول المتّقي: لا تزكّوا نفسي، فإنّي أعلم بتقصيرها ومعاصيها ومآثمها من غيري، وربّي أعلم بي من نفسي، لذا يقول أحدهم: «اللهم لا تأخذني بما يقولون، واجعلني أفضل ممّا يظنّون، واغفر لى ما لا يعلمون».

ثم يُبيّن الإمام الله علامات الإنسان المتقي فيقول: «فمن علامة أحدهم أنّك ترى له قوّةً في دين، وحزماً في لين»؛ أي: إنّ للمتقين مرتبةً من التديّن، وقوّةً في الإيان والدين، بحيث لا يتأثّر بالتشكيك أو التظليل أو الأفكار المنحرفة أو الضالة أو الشبهات التي تصدرها بعض الجهات لأجل تفكيك المجتمع.

هذا من جانب القوّة والصلابة في الدين، وأمّا من جانب الحزم، فتراه حازماً في أُموره مع لين في التعامل مع الآخرين؛ لأجل التمكّن من الوصول إلى الهدف الذي

يبغيه؛ لأنّ الحزم وحده والتشدّد فيه ربّما يؤدّي إلى الفشل في العمل وعدم تحقّق النتائج، فلا بدّ أن يصحب ذلك الحزم اللينُ، أو يمتزج به في إدارة الأعمال والمعاملة مع مَن يشتركون معه في العمل وتحمّل المسؤوليّة الدينيّة والاجتماعيّة؛ فإنّ اللازم أن تكون في تلك المعاملة _ بالإضافة إلى الحزم _ ملاحظة القابليّات والقدرات ومقدار التحمّل في التفاوض والتعامل لكي يتسنّى إنجاز المهمّة.

«وإيهاناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم»، يُشير الله في هذا المقطع إلى صفة مهمة جدّاً، وهي وصول الإيهان إلى درجة اليقين المستند إلى الدليل، وهي درجة عالية من الإيهان التي يطمئن معها الإنسان بأنّه مع الله تعالى، وأنّ ما يفعله من قربات وإحسان وخيرات كلّها في مرضاة الله جلّ وعلا.

أمّا الحرص في العلم، فهو الآخر من الصفات التي يقلّ الاتّصاف بها، فإنّ من الناس مَن يكون حريصاً على حطام الدنيا ومتاعها، لكنّ حرص المتّقين ينصبّ على طلب العلم وتحصيل المعارف الإلهيّة والمعرفة بأحكام الله.

«وقصداً في غنى»، إنّ الإنسان يطلب الكسب والثروة، لكنّه ربّا يتجاوز حدّ الاعتدال في ذلك، فيشغله عن الطاعة والعبادة للرازق تعالى، بينها المتّقي من الناس يكون مقتصداً في طلب ثروته معتدلاً في ذلك، دون أن تشغله تلك الثروة وطلبها عن عبادة ربّه وطاعته.

«وخشوعاً في عبادة»، أي: إنّ عبادة المتّقين عبادة خاشعة وبحضور قلبٍ وتوجّه تامّ لله تعالى.

«وتجمّلاً في فاقة»، أي: إذا كان الله تعالى قد أغناه من فضله، فهو مقتصد في الصرف، وإذا كان قد قدَّر الله تعالى له الفقر، فهو يُرى متعفّفاً عمّا في أيدي الناس، مظهراً الاكتفاء واليُسم، دون السؤال وإظهار البؤس.

«وصبراً في شدّة، وطلباً في حلال»، من صفات المتقّي الصبر على الشدائد والمصاعب والمكاره؛ لأنّه يعلم أنّ مدّة الجزع قليلة، وفي قِبال هذا الصبر في الشدّة هناك الأجر الجزيل.

وهذا ما ينبغي علينا تذكّره في هذه الظروف الصعبة والحرجة التي يمرّ بها البلد من الامتحانات والابتلاءات والشدائد، فعلى المؤمن المتقي أن يكون صبوراً على البلاء، وأن يتجنّب الجزع والانهيار، وألّا ييأس من رحمة الله تعالى، وانتهاء مرحلة البلاء والشدّة، فإنّ الجزع وعدم الصبر يحول دون حصوله على الكثير من الثواب والأجر.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للتحلّي ببعض هذه الصفات، وأن تكون هذه المضامين مناراً لنا نستطيع من خلالها أن نتّصف بصفات شيعة عليّ الله وأهل البيت الله والحمد لله ربّ العالمين.



مقدمة الخطبة

بير إلله الرَّمْ يَرَالُكُم يَسِيرُ

الحمد لله على ما عرقنا من نفسه، وألهمنا من شُكره، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيّته، ودلّنا عليه من الإخلاص له في توحيده، وجنّبنا من الإلحاد والشكّ في أمره. حمداً نعمّر به في مَن حمده من خلقه، ونسبق به مَن سبق إلى رضاه وعفوه. حمداً يُضيء لنا به ظلمات البرزخ، ويُسهّل علينا به سبيل المبعث، ويُشرّف به منازلنا عند مواقف الأشهاد، يوم ﴿ بُحُن كُنُ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتُ ﴾ (()، ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (()، ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (()، حمداً يرتفع منا إلى أعلى عليّين في ﴿ كِننَبُ مُرَوهُمُ لَا يُشْهَدُهُ أَلْفَرُونَ ﴾ (() أَنْ فَرَقُ اللهُ مُنْ يَصَرُونَ ﴾ . حمداً يرتفع منا إلى أعلى عليّين في ﴿ كِننَبُ مَهُونُ اللهُ مُنْ يَصَرُونَ ﴾ . حمداً يرتفع منا إلى أعلى عليّين في ﴿ كِننَبُ مَهُونُ اللهُ مُنْ يَشَهُدُهُ أَلْفُونَ اللهُ اللهُ

أُوصيكم إخواني وأخواتي ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تعالى، والاجتهاد لطاعته، والورع عن محارمه، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وأن نكون دعاة للإمام جعفر الصادق اللهِ في غير ألسنتنا، وأن نكون لأئمّتنا اللهِ في غير ألسنتنا، وأن نكون لأئمّتنا اللهِ في غير ألسنتنا، وأن نكون المعنا.

ذكرى استشهاد الإمام الصادق الطلاف

تمرّ علينا في مثل هذا اليوم ذكري استشهاد مَن نتشرّف بالانتهاء والانتساب إلى

⁽١) سورة غافر: آية١٧.

⁽٢) سورة الجاثية: آية ٢٢.

⁽٣) سورة المطففين: آية ٢٠ ـ ٢١.

⁽٤) الصحيفة السجّاديّة: ص١٨.

⁽٥) صادف إلقاء هذه الخطبة في يوم ٢٥/ شوال/١٤٢٧هـ، وهو يوم شهادة الإمام جعفر بن محمّد الصادق الملحلية .

مذهبه؛ ذكرى استشهاد الإمام جعفر بن محمّد الصادق الله وبهذه المناسبة الأليمة نرفع آيات العزاء إلى نبيّنا الأكرم أبي القاسم محمّد الله وأهل بيته الطيبيّن الطاهرين، ولا سيّما إمام العصر والزمان عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه، ومراجعنا العظام والأُمّة الإسلاميّة جمعاء.

وبهذه المناسبة أود أن أتعرّض إلى بعض الوصايا والتوجيهات التي توجّه بها الإمام الصادق الله إلى شيعته ومواليه، لحاجتنا إلى تطبيقها والالتزام بها؛ كي ينطبق علينا حقّاً هذا الانتساب والولاء له الله .

إنّ أهم أهداف حركة آل البيت الأطهار إلى هو اصطلاح الفرد والمجتمع، وتراث الأئمة غني بالوصايا والتوجيهات التي تصبّ في إصلاح سلوك الفرد وتزكية نفسه وتهذيبها من مذام الصفات، والتحلّي بمكارم الأخلاق. كما أنّ الكثير من الآيات القرآنيّة تتعرّض إلى تلك المضامين التربويّة، وتقدّمها أحياناً على مسألة العلم، كما في قوله تعالى: ﴿ هُوَ الّذِي بَعَثَ فِي ٱلْأُمِيّانَ رَسُولًا مِنْهُمُ يَتُ لُواْ عَلَيْهِمْ ءَاينِهِ وَرُرُكِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِئنَبُ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ (()، فقد قدّمت تزكية النفس وتربيتها على تعليم الآيات والحكمة.

ومن هنا ينطلق الإمام الصادق الله في الكثير من توجيهاته ووصاياه وكلماته القصار إلى شيعته ومواليه مركزاً على هذا الجانب، كاشفاً من خلال هذه التوصيات والإرشادات عن أنّ إصلاح النفس لا يقتصر على طريق العلم فقط، بل لا بدّ أن يُصاحب العلمَ الورعُ والتقوى وحُسنُ الأخلاق وصدقُ الحديث وأداءُ الأمانة.

من وصايا الإمام الصادق العللة بمكارم الأخلاق

أوصى الإمام الصادق الله أحد أصحابه قائلاً: «عليكم بتقوى الله، والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحُسن الخُلق، وحسن الجوار، وكونوا دعاةً إلى

⁽١) سورة الجمعة: آية ٢.

أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً ""، حيث يركّز الإمام على ضرورة أن يكون شيعته دعاةً لمذهب أهل البيت على وفكرهم وأخلاقهم من خلال عملهم وأخلاقهم وحُسن سيرتهم؛ فإنّ هذه الأعمال والأفعال، وهذا السلوك والخُلق الرفيع هو الذي يكون دعوةً إلى مذهب الإمام الصادق الله وهي دعوة بالعمل وليست بالقول. وقد خصّ بالذكر بعض الصفات الأخلاقية، وهي:

١. التقوي

يبدأ الأئمّة الله غالباً توصياتهم بتقوى الله تعالى؛ لأنّها أساس كلّ فضيلة، والركيزة الأساسيّة للإيهان، ومن دون تقوى لا يمكن أن يصل الإنسان إلى المرتبة العالية من الالتزام بخطّ ومنهج الإمام الصادق الله.

ويُبيّن الإمام على في كلمة أُخرى له آثار التقوى في الحياة الدنيا والآخرة، ومنها ما إذا وقع الإنسان في مأزقٍ أو شدّة أو محنة وأراد التخلّص من هذا المأزق، أو دفع تلك الشدّة، أو الخلاص من المحنة، فإنّ الوسيلة لذلك هي التقوى، فمعها يكتب الله للإنسان الرزق من حيث لا يشعر، يقول الصادق الله في ذلك إلى رجل من أصحابه: «أمّا بعد، فإنّي أُوصيك بتقوى الله عزّ وجلّ؛ فإنّ الله قد ضمن لمن اتقاه أن يحوّله عمّا يكره إلى ما يُحبّ، ويرزقه من حيث لا يحتسب...»(").

⁽۱) روى الشيخ الكليني بسنده عن أبي أُسامة، قال: سمعت أبا عبد الله الله يقول: «عليك بتقوى الله، والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحُسن الحُلق، وحسن الجوار. وكونوا دعاةً إلى أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً. وعليكم بطول الركوع والسجود؛ فإن أحدكم إذا طال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه وقال: ويله أطاع وعصيت، وسجد وأبيت». الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢، ص٧٧، باب الورع، ح٩.

⁽٢) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص٤٩.

ثم ينبّه الإمام إلى في هذا الحديث إلى خطورة أن يعيش الإنسان الازدواجيّة في سلوكه، فيخاف على الآخرين من ارتكابهم المعاصي والذنوب والخروج عن طاعة الله تعالى والوقوع في غضبه وعقابه ونقمته، ويأمن على نفسه من ذلك؛ فإنّ الكثير منّا ينظرون إلى عيوب الآخرين وزلّاتهم وإساءاتهم وذنوبهم، ولكن لا ينظرون إلى كثرة معاصيهم وإساءاتهم. يقول إلى العباد من كثرة معاصيهم وإساءاتهم. يقول إلى الله عزّ وجلّ لا يُخدع عن جنّته، ولا يُنال ما عنده ذنوبهم، ويأمن العقوبة من ذنبه؛ فإنّ الله عزّ وجلّ لا يُخدع عن جنّته، ولا يُنال ما عنده إلّا بطاعته إن شاء الله "".

فيجب على الإنسان أن يبدأ بنفسه أوّلاً، بأن ينظر إلى معاصيه وذنوبه وخروجه عن طاعة الله تعالى، والإساءات والمظالم التي تصدر عنه، قبل أن ينظر إلى الآخرين وأعالهم، وعليه أن يخاف على نفسه من عذاب الله تعالى ونقمته. نعم، لا بأس أن يقوم العبد _ بعد أن يحصّن نفسه من المعاصي _ بالنصيحة والموعظة لإخوانه الآخرين ويعرّفهم خطورة ارتكابهم الذنوب والمعاصى.

٢. استشعار المسؤوليّة الاجتماعيّة

تحمل الوصايا الصادرة عن الإمام الله المضمون الأخلاقي التربوي الذي يجب أن نتحلّى به إذا ما أردنا أن نكون صادقين في دعوانا بأنّنا من شيعة أهل البيت الله وذلك المضمون هو استشعار المسؤوليّة الملقاة على عواتقنا اتّجاه ديننا ومذهبنا، فلا بدّ أن نستشعر هموم ومعاناة كلّ الذين يشاركوننا هذا الولاء والإيهان، وما يمرّون به من ظروف قاسية وصعبة، ثم نحوّل هذا الشعور القلبي الإيهاني الولائي إلى حركة وعمل وسلوك وموقف حازم يقف مع الجميع في سبيل إزالة كلّ الهموم والمعاناة، مبتعدين عن الأنانيّة وحبّ الذات والدنيا.

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٨، ص ٤٩.

ولأجل تحقيق ذلك لا بدّ من التواصل والتراحم والتكاتف والتعاطف؛ فإنّ ضريبة دخول دائرة ولاء الإمام الصادق الله تُحتّم علينا ذلك، لذا يقول الإمام الله وصية له أُخرى لبعض مواليه وشيعته أيضاً، يؤكّد فيها هذا المعنى: «..ويحقّ على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعامل والتعاطف والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض، حتى تكونوا كها أمركم الله عزّ وجلّ رُحماء بينكم، متراحين، مغتمّين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول

نعم، إنّ هذا المضمون ـ الذي ذكره الحديث الشريف ـ ينطبق على الحالة والواقع الذي نعيشه؛ فإنّ الذي يحصل الآن للكثير من أتباع أهل البيت الله من حملات التهجير القسري شهو مصداق من مصاديق تلك الحالة التي عاشها المسلمون والمهاجرون والأنصار في بداية تأسيس الدولة الإسلاميّة في عهد النبيّ على ميث خرج المسلمون الأوائل مهاجرين بدينهم من مكّة المكّرمة إلى حيث وجدوا المأوى والنصرة لهم، والآن يفرّ أتباع أهل البيت في من بيوتهم وسكناهم وأراضيهم ومحل أرزاقهم، متمسّكين بمذهبهم وولائهم لأهل البيت في وليس لهم مَن ينصرهم أو يعاضدهم ويقف معهم، بل ربّم يتّخذ البعض هذه المعاناة مكسباً له، يُريد أن يربح يعاضدهم ويقف معهم، بل ربّم يتّخذ البعض هذه المعاناة مكسباً له، يُريد أن يربح

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ص٤٣ ـ ٤٤، باب حق المؤمن على أخيه، ح١٠١.

⁽٢) تعرّض شيعة أهل البيت اللهي في الأعوام التي تلت سقوط النظام البعثي في العراق عام (٣٠٠٣م) إلى حملات إبادة جماعية استهدفتهم في منازلهم وأسواقهم واجتهاعاتهم، إضافة إلى تهجير العوائل الشيعية من بعض المناطق إثر تأجيج الوضع الطائفي، وبلغت هذه الأحداث ذروتها في عام(٢٠٠٦)م، فقتل الكثير منهم وهجّروا من مدنهم وقراهم بلاذنب.

بها بأرباح الدنيا الفانية والزائلة، فعلينا أن نضع هذه الوصايا الصادقيّة نصب أعيننا في التعامل مع إخواننا في الإيهان والولاء، وأن نسعى لإزاحة الآلام عن قلوبهم الموجوعة بكلّ ما نستطيع.

٣. أداء حقوق المؤمنين

أبين الإمام الصادق إلى في حديث آخر يحمل الكثير من المضامين التربوية والحقوق الاجتماعية التي ينبغي أن نلتفت إليها، وفيه الشيء المهم الذي يجب على المؤمن الالتزام به تجاه أخيه المؤمن، حيث يسأل المعلى بن خنيس الإمام الصادق المؤمن على أخيه المؤمن؟ لكن الإمام الله يُجيبه بجواب إجمالي، قال: «قلت له: ما حق المسلم على المسلم؟ قال إلى: سبعة حقوق واجبات، ما فيها حق إلّا وهو واجب، إن خالفه خرج من ولاية الله وترك طاعته، ولم يكن لله عز وجل فيه نصيب»".

⁽۱) روى الشيخ الصدوق في (الخصال) تحت عنوان (للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق) بسنده عن المعلى بن خنيس، قال: «قلت لأبي عبد الله اللهائية: ما حقّ المؤمن على المؤمن؟ قال اللهائية: سبعة حقوق واجبات، ما فيها حقّ إلّا وهو واجب عليه، وإن خالفه خرج من ولاية الله وترك طاعته ولم يكن لله عزّ وجلّ فيه نصيب. قال: قلت: جُعلت فداك، حدّ ثني ما هي؟ قال: ويحك يا معلى، إنّي شفيق عليك، أخشى أن تُضيّع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل. قلت: لا قوّة إلّا بالله. قال اللهائية: أيسر منها أن تُحبّ له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك. والحقّ الثاني أن تمشي في حاجته وتبتغي رضاه ولا تخالف قوله. والحقّ الثالث أن تصله بنفسك ومالك ويدك ورجلك ولسانك. والحقّ الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته وقميصه. والحقّ الخامس ألّا تشبع ويجوع، ولا تلبس ويعرى، ولا تروي ويظمأ. والحقّ السادس أن يكون لك امرأة وخادم وليس لأخيك امرأة ولا ويعرى، ولا تروي ويظمأ. والحقّ السادس أن يكون لك امرأة وخادم وليس لأخيك امرأة ولا وتشخص بدنك في قضاء حاجته، ولا تحوجه إلى أن يسألك، ولكن تبادر إلى قضاء حوائجه، وتشخص بدنك في قضاء حاجته، ولا تحوجه إلى أن يسألك، ولكن تبادر إلى قضاء حوائجه، فإذا فعلت ذلك به وصلت ولايتك بولايته بولاية الله عزّ وجلّ». الصدوق، محمّد بن يعقوب، فإذا فعلت ذلك به وصلت ولايتك بولايته بولاية الله عزّ وجلّ». الصدوق، محمّد بن يعقوب، عليّ، الخصال: ص ٣٥٠ ـ ٢٥، ح٢٠. وانظر أيضاً: الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢صه ١٦، باب حق المؤمن على أخيه المؤمن، الحديث ٢.

إنّ ولاية الله تعالى هي ولاية آل البيت إلى ومشاركة الأُخوّة بين المؤمنين في هذه الولاية تعني الدخول معهم في دائرة الحقوق الواجبة. وقبل أن يُبيِّن الإمام الله هذه الحقوق على نحو التفصيل يوضّح للسائل بأنّ معرفة لهذه المضامين التربويّة والواجبات والحقوق التي تضمّنها الحديث الشريف يتوقّف على حصول أمرين نصل من خلالهم إلى الهدف الذي ننشده، وهما: تدبّر وحفظ هذه المضامين التربويّة أوّلاً، والعمل بها بعد العلم والفهم والتدبّر والحفظ ثانياً. لذلك قال له الإمام الله ويحك يا معلى، إنّي شفيق عليك، أخشى أن تُضيّع ولا تحفظ، وتعلم ولا تعمل» وذلك لأنّ الذي سوف أذكره لك هو كنز من كنوز المعارف تصل من خلاله إلى كالك وسعادتك، فلا بدّ من التدبّر والفهم والحفظ كي لا يضيع هذا الكنز، وهذا يكشف عن حرص الإمام إلى وشفقته وخوفه على أتباعه ومواليه من عدم العمل يكشف عن حرص الإمام إلى وشفقته وخوفه على أتباعه ومواليه من عدم العمل بعد العلم، فقال المعلى: (لا قوّة إلّا بالله).

ثم يبدأ الإمام الله بتفصيل هذه الحقوق، فقال: «أيسر منها أن تُحبّ له ما تُحبّ لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك»؛ أي: أن يجعل الإنسان المؤمن نفس أخيه المؤمن كنفسه في الميزان والمرتبة، إذ كما يُحبّ لنفسه الخير والرفاهيّة ويتمنّى ذلك، كذلك عليه أن يُحبّ مثل ذلك للمؤمن الآخر، ولا أقلّ من الشعور بذلك قلباً إن لم يكن منه بالحركة والعمل.

هذا من جانب ما يُحبّ الإنسان الحصول عليه وتحقيقه، وأمّا من جانب كراهيّة الأشياء وتمنيّ عدم تحقّقها أو الابتلاء بها، فكذلك عليه أن يكره لأخيه المؤمن ما يكرهه لنفسه.

ثم قال الله و الحقّ الثاني: أن تمشي في حاجته وتبتغي رضاه، ولا تخالف قوله. والحقّ الثالث: أن تصله بنفسك ومالك ويدك ورجلك ولسانك».

في هذا المقطع بالخصوص نوجه الخطاب لجميع المؤمنين من أتباع أهل البيت اللهي في هذه المعمورة، وليس في العراق فقط، إذ كلّ فرد من أتباع أهل البيت اللهي هو داخل في هذه المنظومة الولائية، وتشمله مضامين الحديث الشريف. فالكلّ مطالب بالسعي في قضاء الحقوق، ولاسيّا في هذا الظرف الراهن في العراق وغيره من بلدان المنطقة الإسلاميّة؛ فإنّ هناك الكثير من الواجبات الاجتهاعيّة تجاه إخواننا الذين يهاجرون الآن مجبرين، فهذا التهجير أقسى من التهجير الذي كان في عهد النظام البعثي البائد؛ إذ في ذلك الوقت كان الإنسان يُهجَّر ويفارق عرضه وماله لكنّها في أمان، أمّا الآن فليس الأمر كذلك، وإنّها عرضه وماله مهدّدان، لذا فهو يعيش مضطرب القلب يعاني التهجير والخوف على عرضه وماله.

من هنا علينا أن نسعى جميعاً لرفع هذه المعاناة عن إخواننا، ونوجه الخطاب إلى كافّة المسؤولين والإخوة المؤمنين جميعاً في العراق والدول المجاورة أن يقفوا مع هذا الشعب ليتجاوز مرحلة البلاء الذي يمرّ بها؛ فإنّ الظروف في الدول المجاورة جيّدة بحمد الله، وهم يمتلكون من الإمكانيّات ما يمكن بها مساعدة أبناء هذه الطائفة، ورفع المحن والابتلاءات عنها.

نعم، نوجّه خطابنا لهم انطلاقاً من هذا الحديث وما يحويه من المضامين الأخلاقية والاجتهاعيّة، لكي نقف معاً وقفة الإيهان مع هؤلاء المؤمنين الذين يمرّون بهذا الموقف الحرج، وأن نعمل كلّ ما بوسعنا ونبذل طاقاتنا وجهدنا وما نملك من جاه أو مالٍ أو إمكانيّاتٍ في سبيل رفع هذه المعاناة عن أتباع أهل البيت اللهي ولاسيّها على المستوى الاجتهاعي، ومستوى تقديم الخدمات لهذا الشعب من أجل حفظ النظام السياسي الحالي الذي دفع الشعب العراقي بإزائه الكثير من التضحيات والدماء، حتى نفوّت على أعداء هذا الشعب خاصّة والمسلمين عامّة فرصتهم في النيل من الإسلام وأهله، ولكي نكون صادقين بهذا الولاء.

يقول الله ومرآته...»؛ فإن من حق المؤمن على المؤمن الآخر أن يكون له عيناً ودليلاً مرشداً إلى الحق الصواب، ويكون مرآة على المؤمن الآخر أن يكون له عيناً ودليلاً مرشداً إلى الحق الصواب، ويكون مرآة يرى من خلالها عيوبه وأخطاءه وعثراته. والأمر المهم في المقام هو أن تكون هذه النصائح والإرشادات بلسان المشفق الذي يبحث عن الخير لأخيه المؤمن، لا أن ينال منه، أو يكون غرضه التعرض لذكر عيوبه وتسقيطه اجتهاعياً بطريقة تؤدي إلى الهتك والإيذاء.

"والحقّ الخامس: ألّا تشبع ويجوع، ولا تلبس ويعرى، ولا تروي ويظمأ»؛ فإنّ الحاجة الأساسيّة التي ترتكز عليها الحياة هي الحاجة إلى المأكل والمشرب والملبس والمسكن، فإذا وفّر الله تعالى على العبد هذه النعم، فعليه أن يُقدّم منها شيئاً لأخيه المؤمن. ونحن اليوم في حاجة إلى الالتزام بهذا المضمون الأخلاقي الاجتماعي الذي يُسهم في رفع المعاناة عن إخواننا المؤمنين.

«والحقّ السادس: أن يكون لك امرأة وخادم وليس لأخيك امرأة ولا خادم، أن تبعث خادمك فتغسل ثيابه، وتصنع طعامه، وتمهّد فراشه، فإنّ ذلك كلّه إنّها جُعل بينك وبينه...». هذه جزء من حاجة الإنسان المؤمن الاجتماعيّة، وينص الإمام الله على أنّ من الواجب على المؤمن أن يُشارك أخاه فيها.

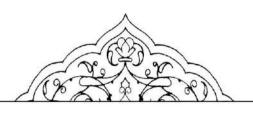
"والحقّ السابع: أن تبرّ قسمه، وتُجيب دعوته، وتشهد جنازته، وتعوده في مرضه، وتُشخص بدنك في قضاء حاجته، ولا تحوجه إلى أن يسألك، ولكن تُبادر إلى قضاء حوائجه». يُعطينا الإمام على في هذه الكلمات درساً عميقاً للإنسان في كيفية حفظ كرامة أخيه المؤمن وعزّته وماء وجهه، فإذا علم المؤمن بحاجة أخيه المؤمن الآخر وجب عليه المبادرة إلى قضائها حتى وإن بذل في ذلك جاهه أو ماله، دون أن يضطرّه إلى تكلّف السؤال منه، المشعر بنوع من فقدان الكرامة وذلّ السؤال.

«فإذا فعلت ذلك به وصلت ولايتك بولايته، وولايته بولاية الله عزّ وجلّ» (. إنّ ولاية الله عزّ وجلّ هي ولاية أهل البيت الله عزّ وجلّ هي ولاية أهل البيت الله وأمّا إذا التزمنا بهذه الحقوق السبعة دخلنا جميعاً في دائرة ولاية أهل البيت الله وأمّا إذا لم نلتزم بها فقد خرجنا من هذه الدائرة المباركة، ومن دون هذه الولاية لا نستحقّ شيئاً من الرحمة والكرامة والسعادة في الدار الآخرة.

نسأله تعالى أن يوفّقنا ويُعيننا ويسدّدنا بأن نكون حقّاً من أتباع الإمام الصادق الله وأن نتمسّك بحبل ولايته، ونلتزم بتطبيق إرشاداته وتعاليمه، إنّه سميع مجيب.

والحمد لله ربّ العالمين.

⁽١) الصدوق، محمّد بن عليّ، الخصال: ص٣٥٠ ـ ٣٥١، ح٢٦. وانظر أيضاً: الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٢ص٢١، باب حق المؤمن على أخيه المؤمن حديث ٢.



الخطبة الستّون

محطَّات من سيرة الإمام الرضايكِ ودوره الإصلاحي

بتاریخ: ۱/ ۱۲/ ۲۰۰۶م

وفيها المحاور التالية:

﴿ أدوار الأئمّة اللِّهِ فِي التبليغ الرسالي

الله المُتمَّة الله المُتمَّة الله في المجتمع المنحراف في المجتمع المناسبة المنتقبة المنتقبقب المنتقبة المنتقبة المنتقبة المنتقبة المنتقبة المنتقبة المنتقب

🔪 تحدّيات عصر الإمام الرضالكي ودوره في مواجهتها

الله عندي أوَّلاً: الانحراف الفكري والعقائدي

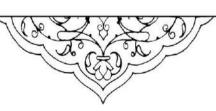
كليم دور الإمام الله في مواجهة الأحاديث المجعولة

اللهِ ثانياً: تقديم علماء السوء ووعّاظ السلاطين على السلاطين السلاط السلاط السلاط السلاط السلاطين السلاط السلاط السلاط السلاط ا

تلاعتهاد على القياس والاستحسان والحجج غير المعتبرة للعتبرة

لل رابعاً: الترف والفساد المالي لدى الطبقة الحاكمة

◄ نصيحةٌ وعِظَة



مقدّمة الخطبة

بير لَيْلُهُ الْأَمْرَالِكَ عِيدَ

الحمد لله بكلّ ما حمده به أدنى ملائكته إليه، وأكرم خليقته عليه، وأرضى حامديه لديه، حمداً يفضل سائر الحمد، كفضل ربّنا على جميع خلقه.

ثم له الحمد مكان كلّ نعمة له علينا وعلى جميع عباده الماضين والباقين، عدد ما أحاط به علمه من جميع الأشياء، ومكان كلّ واحدة منها عددها أضعافاً مضاعفة، أبداً سرمداً إلى يوم القيامة. حمداً لا منتهى لحدّه، ولا حساب لعدده، ولا مبلغ لغايته، ولا انقطاع لأمده (۱).

والصلاة والسلام على خير المرسلين أبي القاسم محمّد وآله الطيّبين الطاهرين. أُوصيكم إخواني وأخواتي ونفسي الأمّارة بالسوء بتقوى الله تعالى، والاهتداء بهدي وسيرة أهل البيت الله .

تمرّ علينا بعد يومين ذكرى ولادة الإمام عليّ بن موسى الرضاي "، ولا بأس في هذه المناسبة أن نسلط الضوء على سلوك الإمام في ومنهجه في مسيرته الربّانيّة لنستنير بنورها، وقبل الحديث في ذلك نذكر مقدّمة نوضّح فيها ـ بشكل موجز ـ دور الأئمّة في تبليغ الرسالة الربّانيّة، لنتعرّف على ما علينا من الواجبات، وما ينبغي أن نقوم به من أدوار رساليّة للحفاظ على جوهر الإسلام ونقاوته وأصالته؛ اقتداء بسيرة أهل البيت في وطريقة تعاملهم مع الظروف والأحداث المتغيّرة التي عاصر وها.

⁽١) الصحيفة السجّاديّة: ص٢٠.

⁽٢) ألقيت هذه الخطبة في يوم ٩ ذي القعدة من عام (١٤٢٧)هـ.

أدوار الأئمّة المِيلِمُ في التبليغ الرسالي

على الرغم من عدم تمكّن الأئمّة الله من ممارسة دورهم القيادي للأُمّة الإسلاميّة الذي رسمته السهاء لهم، إلّا أنّهم كانوا يتحمّلون باستمرار مسؤوليّتهم في الحفاظ على الرسالة وعلى التجربة الإسلاميّة وتحصينها، من أجل أن ينشروا قيم الإسلام الأصيلة في ربوع العالم ويحافظوا عليها.

وحين التأمّل والتدبّر في الأدوار التي قام بها الأئمّة الله نستطيع أن نلمح منها ما يلي:

الدور الأوّل: الحفاظ على المنهج والطريق الذي يُمثّل جوهر الإسلام وحقيقته، من خلال صيانته من التلاعب والتحريف، حيث كان حكّام الظلم والجور يسعَون إلى التلاعب بقيم الإسلام ومنهجه الأصيل، وحرفه عن مساره وفق ما تُمليه عليهم أهواؤهم وشهواتهم ورغباتهم؛ لغرض الإبقاء على سلطانهم وحكمهم الظالم الجائر، فكان للأئمّة على ذلك الدور الكبير في التصدّي لهذا المنهج المنحرف، فعملوا على نشر المفاهيم الإسلاميّة الأصيلة وتكريسها بين أتباعهم؛ لحفظ جوهر الإسلام وأصالته ونقاوته وحقيقته، وهو دور أساسي ومهمّ قام به الأثمّة على رغم الظروف الصعبة التي كانوا يمرّون بها، فقد كان يُضيّق عليهم في كلّ المجالات، ومع ذلك قاموا بهذا الدور بطرق مختلفة، منها: العمل على حفظ سلامة جزء كبير من الحديث النبويّ وتحصينه من التلاعب والتحريف، من خلال نشره بين المسلمين ليكون متواتراً ومشهوراً، مع إيجاد طرق سليمة لوصوله إلى الأجيال اللاحقة بها لا يمنع السلطات الجائرة من التلاعب به.

الدور الثاني: تبليغ الرسالة الإسلاميّة وإيصالها إلى جميع أفراد المجتمع، بها تشتمل عليه من معارف وعقائد وتشريعات وأنظمة؛ إذ كان الأئمّة على يمتلكون المؤهّلات الكاملة للقيام بهذا الدور المهمّ؛ لأنّهم يمثّلون الامتداد الحقيقي للنبيّ فقد كانت لديهم الإحاطة التامّة والفهم الدقيق والعميق المستوعب لجميع معارف الإسلام وعقائده وأحكامه.

وكان من جملة ما قاموا به في هذا المجال، هو تعليم هذه المعارف ونقلها إلى اتباعهم من فقهاء مدرسة أهل البيت في ومن ثم قيام هؤلاء الفقهاء بنشر هذه المعارف والأحكام بين شيعة الأئمة الله وأنصارهم، وهذا دورٌ كبير في تجذير الإسلام الحقيقي ونشره وتبليغه إلى جميع أفراد المجتمع.

الدور الثالث: السعي لبناء الجهاعة المؤمنة الصالحة، وتربيتها على الأخلاق والفضائل، وتنقيتها من الرذائل ومذام الصفات، لكي يرى المجتمع دائهاً أنّ هناك جماعة تتحرّك على الأرض حاملين الرسالة السهاوية على ضوء النهج المحمّدي الأصيل؛ لكي لا يدّعي البعض أنّ مفاهيم الإسلام هي مفاهيم غير قابلة للتطبيق في المجتمع، فكانت هذه الجهاعة هي ما يُجسّد هذه الحقيقة في الخارج، لذا كان الأئمة المجتمع، فتا المنابعة في هذا الأمر.

وهذا يحتّم على طلبة العلوم _ إضافة إلى تحصيل العلم _ السعي إلى تربية النفس على مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات، والالتزام بالشرع وتعاليمه؛ لبناء جماعة صالحة ومؤمنة وواعية، تتجسّد فيها أخلاق الإسلام وآدابه، وإبرازها في المجتمع.

سياسة الأئمّة الله في مواجهة الانحراف في المجتمع

إنّ الاقتداء بسيرة أهل البيت على المسار الصحيح في كيفيّة معالجة الانحرافات التي يتعرّض لها المجتمع، سواء كانت عقائديّةً أم اجتهاعيّةً أم فكريّةً أم غير ذلك، والتمكّن من أداء الدور المناسب في مواجهة تلك الانحرافات. لذا علينا أوّلاً قبل _ وضع الحلول _ دراسة ملامح ذلك الانحراف من جميع جوانبه، سواء كان انحرافاً دينيّاً، أم سياسيّاً، أم أخلاقيّاً، أم عقائديّاً، وكيف جعل _ ذلك الانحراف _ الأمّة تبتعد عن طريق الإسلام الحقيقي؟ ثمّ بعد ذلك نقوم برسم الحلول والأدوار المناسبة التي ينبغي القيام بها لأجل العلاج، وهذا ما كان أهل

البيت الله يقومون به حينها يُريدون الشروع في معالجة ما يتعرّض له المجتمع من فتن وانحرافات، كما هي الحال في اختيار الطبيب العلاج المناسب للدّاء بعد تشخيصه، ومن هنا نستعرض السياسات التي اتّبعها الأئمّة الله في مواجهة الانحرافات التي تعرّض لها المجتمع الإسلامي؛ وهي:

أَوِّلاً: المحاصرة الفكريّة وبيان ضلال هذه التيّارات وزيغها وانحرافها.

ثانياً: عزل أصحاب التيّارات الضالّة والمنحرفة اجتهاعيّاً واقتصاديّاً؛ وذلك للمحافظة على عوامّ الناس من الانحراف إن وصلت إليهم مثل هذه العقائد المنحرفة والضالّة؛ إذ عوامّ الناس لا يملكون القدرة على التمييز بين الحقّ والباطل؛ لذا يجب أن يكون هناك عزل اجتهاعي يعزل أصحاب تلك التيّارات؛ حتى لا يتمكّنوا من الوصول إلى عوامّ الناس وخدعهم وتضليلهم.

من هنا كان الأئمّة على يوجّهون شيعتهم بها يتضمّن هذا الأُسلوب، كها في الحديث الوارد عن الإمام الرضائي في مقاطعة الغلاة والمفوّضة، يقول في فيه «الغلاة كفّار، والمفوّضة مشركون، مَن جالسهم، أو خالطهم، أو آكلهم، أو شاربهم، أو واصلهم، أو زوّجهم، أو تزوّج منهم، أو أمنهم، أو ائتمنهم على أمانة، أو صدّق حديثهم، أو أعانهم بشطر كلمة، خرج من ولاية الله عزّ وجلّ وولاية رسول الله عن ولايتنا أهل البيت»(۱).

هذا الحديث يكشف عن مضمون عميق ودقيق جدّاً، وهو توجيه المسلمين إلى عزل ومقاطعة أصحاب هذه الأفكار والتيّارات المنحرفة اجتهاعيّاً؛ لكيلا يتسنّى لهم نشر أفكارهم الضالّة والمنحرفة؛ لذا اعتبر الإمام الله أنّ مجرّد مجالستهم أو مخالطتهم، أو الأكل والشرب معهم، أو مواصلتهم، أو ... غيرها من المسائل

⁽١) المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٥، ص٢٧٣، ح١٩.

الحياتيّة الاجتهاعيّة، خروج من ولاية الله عزّ وجلّ وولاية الرسول وأهل بيته عَلَيْهِ ، في كله الله إلى نفسه، فيُحرَم النصر والتسديد.

ثالثاً: حثّ الأُمّة على الرجوع إلى العلماء الحقيقيّين، وتحذيرهم ممّن يدّعون المقامات الروحيّة والدينيّة والعلميّة كذباً وزوراً وبهتاناً؛ لأنّهم يقودون المجتمع إلى الظلال والجهل، فكان الأئمّة على يوصون شيعتهم وأتباعهم ـ عند مواجهتهم شبهةً أو سؤالاً أو أيّ شيء مُستجدّ ـ بالرجوع إلى العلماء الحقيقيّين الذين يمثّلون الامتداد الحقيقي لفكر أهل البيت الله ؛ فإنّهم الوحيدون القادرون على قيادة الأُمّة إلى برّ الأمان، وإيصال المجتمع إلى الاستقرار.

تحدّيات عصر الإمام الرضاك ودوره في مواجهتها

ولا بأس هنا بذكر مجموعة من الملامح التي عاشها الإمام الرضائي والتحدّيات التي واجهها تحت وطأة حكم بني العبّاس.

أوّلاً: الانحراف الفكري والعقائدي

واجه الإمام الله الانحراف الذي كان سائداً في ذلك الوقت في مجال الفكر والعقيدة؛ فإنّ حكّام الدولة الجائرين والظالمين يتعمّدون فسح المجال أمام التيّارات الضالّة والمنحرفة لكي تنتشر في المجتمع؛ لأنّ ذلك يحقّ ق أهدافهم المهمّة، وهي تثبيت دعائم سلطانهم وملكهم، مستفيدين من انشغال المجتمع بالجدل والنقاش في هذه الأفكار؛ كي لا يتوجّهون إلى ما عليه أُولئك الحكّام من السياسة المنحرفة والضالّة، فيأمن الحكّام بذلك من اتّخاذ أبناء الأُمّة الموقف المناهض لتلك السلطة.

لقد كان ديدن أهل البيت المعصومين هو الوقوف في وجه هذه التيّارات الضالّة والمنحرفة، مبيّنين بطلانها وزيفها، ويسعون إلى عزلها الاجتماعي

والاقتصادي عن بقية أبناء المجتمع؛ كي لا يُفسح لها المجال للانتشار، فيتفاقم أمرها.

نعم، إن في كلّ مكان وزمان ينتشر فيه الفكر الإيهاني، توجد هناك انحرافات وضلالات تحاول أن تجرف بمعاولها كلّ ما تتمكّن من جرفه، بالتضليل وإشاعة الفكر المنحرف، وعليه لا بدّ أن نُبيّن وجه الانحراف والضلال والزيف فيها، ثم لا بدّ أن نتّخذ الموقف الاجتهاعي اتّجاه هذه التيارات الضالّة، كها فعل الإمام الرضائي في ذلك الوقت الذي انتشرت فيه الكثير من هذه التيارات، كالقول بالتشبيه، والجبر. فكان الإمام إلى يتّخذ الموقف الصارم اتّجاه هذه التيارات، فيُبيّن والتجسيم، والجبر. فكان الإمام الله عن بعض الأحيان كان يجري المناظرات بينه وبين بطلانها وزيفها وضلالتها أحياناً، وفي بعض الأحيان كان يجري المناظرات بينه وبين أرباب تلك الانحرافات، فيُبيّن الإمام الله أمام الملا بطلان ما جاؤوا به من ضلال وانحراف.

دور الإمام الطي في مواجهة الأحاديث المجعولة

إنّ الحاكم الظالم كان يتبنّى في كثير من الأحيان هذه الأفكار والآراء المنحرفة، ويشجّع عليها، بل يُغدق الأموال على أصحاب هذه التيّارات؛ ليحقّق أهدافه وأغراضه، لذا كان الوقوف بوجه هذه التيّارات المنحرفة يشكّل خطراً على الإمام الله وعلى حياته، ولكنّ الإمام الله مع ذلك كان يتصدّى لهذا الانحراف العقائدي والأخلاقي من أجل أن يُحافظ على جوهر الإسلام ولبّه وأصالته ونقاوته، فكان يقف لتلك الأفكار بالمرصاد، منتهجاً سياسةً حكيمةً في بيان بطلان هذه الأفكار أمام الجميع، موضّحاً زيفها وضلالتها وانحرافها عن الخطّ المستقيم.

ونذكر في المقام مثالاً في المجال العقائدي، وهو أنّ هناك حديثاً ينسبونه للنبيّ عَيَالِيُّ قد انتشر آنذاك، ولا يزال محفوظاً في الكثير من كتب القوم الحديثيّة مؤدّاه (التجسيم) (۱۰ إلّا أنّه بلا شكّ حديث مفتعل على لسان رسول الله عَيَالِيُّهُ، وهو: «إنّ الله ينزل كلّ ليلة جمعة إلى السهاء الدنيا...» (۱۰)

إضافة إلى هذا الحديث الموضوع والمفتعل يوجد كمّ هائل من الأحاديث المفتعلة على لسان رسول الله على الله ع

(۱) ابتلت بعض الطوائف بعقائد فاسدة ليست من الإسلام في شيء. ومن هذه العقائد عقيدة (التجسيم) التي تقوم على إثبات صفات جسمانيّة لله عزّ وجلّ، فقالوا: إنّ لله تبارك وتعالى يداً، وإصبعاً، وساقين، وقدمين، وعينين، ونفساً، ونواجذ، وأنّه في السماء فوق عرشه، وينزل إلى الأرض، وما إلى ذلك مما وردت به أحاديثهم. وقد أثبتوا هذه الصفات له بها لها من معان حقيقيّة، وأنكروا المجاز، وقالوا: إنّ المجاز طاغوت. وقد اعتقد بهذه العقائد طيفٌ واسعٌ من أهل السُنة، منهم ابن تيمية وأتباعه. وسبقهم إلى ذلك عدّة من السلف، فقد نقل ابن حزم عن مقاتل أنّه كان يقول: «إنّ الله جسمٌ ولحمٌ على صورة إنسان». انظر: الظاهري، ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل: ج٤، ص٢٠٥.

أمّا الشيعة الإماميّة قد تبرّأوا من عقيدة التجسيم، فنزّهوا الباري جلّ وعلا عن كلّ ما يحدّه ويصفه بصفات الأجسام وخصائصها، ومنها: الرؤية، حيث قالوا بامتناعها في الدنيا والآخرة. وقد انتهجوا بذلك نهج أئمّة أهل البيت الحيي وأحاديثهم الواضحة والصريحة، كها ورد عن الإمام علي بن أبي طالب الحيلاء حيث قال: «ومَن أشار إليه فقد حدّه، ومَن حدّه فقد عدّه، ومَن قال: فيم ومن فقد ضمّنه. ومَن قال: عَلام فقد أخلى منه. كائنٌ لا عن حدث، موجودٌ لا عن عدم، مع كلّ شيء لا بمقارنة، وغير كلّ شيء لا بمزايلة». نهج البلاغة (تحقيق صبحي الصالح): ص٠٤، الخطبة الأُولى. وانظر أيضاً: الحلي، الحسن بن المطهّر، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد: ص٢٩٦-٢٩٩.

(٢) المتّقي الهندي، علي بن عبد الملك، كنز العمال: ج١٤، ص١٧٨، ح٥٣٨٢٩.

والكتب التي تروّج لمثل هذه الأحاديث على الرغم من وضوح ضلالتها وبطلانها وزيفها، والواجب علينا هو عدم السماح لانتشار مثل هذه الانحرافات الفكريّة والعقائديّة أن تسرى في جسد أُمّتنا المسلمة.

ثانياً: تقديم علماء السوء ووعّاظ السلاطين

تعمّدت السلطة العبّاسيّة تكريم علماء السوء ووعّاظ السلاطين وتقديمهم على

غيرهم، وإقصاء أهل الورع والتقوى وإبعادهم وملاحقتهم ومطاردتهم. ويُستفاد ممّا تنقله كتب السِير أنّ فقهاء السلاطين كانوا يتلاعبون بالأحكام الشرعيّة، بل يجعلون الفتاوى الشرعيّة وفق هوى السلطان، وما تُمليه نفسه وشهواته ورغباته، وهم بذلك يبيعون دينهم بدنيا غيرهم.

من الشواهد على ذلك ما تنقله بعض كتب التاريخ أنّه عندما انتهت الخلافة إلى هارون العبّاسي، وقعت في نفسه جاريةٌ من جواري أبيه المهدي، فشُغف بها، وصار يبحث عن الطريق للوصول إليها، فراود هذه الجارية عن نفسها، فقالت: لا أصلح لك؛ إنّ أباك قد واقعني، فإنّي محرّمة عليك. فأرسل الخليفة إلى أبي يوسف قاضي القضاة في الدولة العبّاسيّة (أيسأله في ذلك بحثاً عن وجود المبرّر الفقهي من أجل رفع الحرمة، فقال له: أعندك في هذا شيء؟ أي: هل يوجد في جعبتك فتوى تحلّل لي هذه الجارية؟

فقال: يا أمير المؤمنين، أَو كلّم ادّعت أمّةُ شيئاً ينبغي أن تُصدَق في ما تدّعيه؟! لا تُصدقها؛ فإنّما ليست بمأمونة.

وواضح أنَّ هذا الكلام مخالف للحكم الفقهي؛ فإنَّ في مثل هذه الموارد التي

⁽۱) أبو يوسف القاضي (۱۱۳-۱۸۲هـ). يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي، أبو يوسف: صاحب أبي حنيفة، وتلميذه، وأوّل مَن نشر مذهبه... ولد بالكوفة، وتفقّه بالحديث والرواية، ثم لزم أبا حنيفة، فغلب عليه (الرأي)، وولي القضاء ببغداد أيّام المهدي والهادي والرشيد، ومات في خلافته ببغداد، وهو على القضاء. وهو أوّل من دُعي (قاضي القضاة)، ويقال له: قاضي قضاة الدنيا. انظر: الزركلي، يعقوب بن إبراهيم، الأعلام: ج٨، ص١٩٣٠.

لا طريق للعلم بها إلّا إخبار المرأة يجب أن تُصدّق في ما تُخبر به، ولا سيّما وأنّه لا يوجد ما يدعوها إلى الكذب، فتترتّب على هذه الدعوى الآثار الشرعيّة من الحرمة وغيرها، وقد أخبرت هذه الجارية بأنّ الأب قد واقعها، فتحرم على ولده.

إنّ حكم هذا القاضي يُعدّ من الاستخفاف والتلاعب بأحكام الدين وثوابته الأنّ الفقيه تارةً لا يجد الدليل الشرعي فيعمل بالاستحسان أو القياس أو غير ذلك، وأُخرى يقوم الدليل عنده على الحكم الشرعي بشكلٍ واضح، ولكنّه يتلاعب به لغرض دنيوي، ولأجل إشباع شهوات الخليفة أو الحاكم.

لذا يقول ابن المبارك معلّقاً على هذه الواقعة: «فلم أدرِ ممّن أعجب!»؛ فإنّه قد وقف حائراً مندهشاً متعجّباً من ثلاثة أُمور:

الأمر الأوّل: «من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرّج في حرمة أبيه؟!». فإنّه قد ارتكب الحرمات المغلّظة، إذ قد ولغ في دماء المسلمين ونهب أموالهم، مخالفاً في ذلك كلّ القيود الشرعيّة التي وضعها الإسلام إزاء ذلك، فإنّ هذا الحاكم الذي لا يُبالي بانتهاك أشدّ الحرمات، وما هو أعظم من هذا الأمر، يتوقّف عند هذه المسألة، ويسأل ذلك الفقيه عن مخرج له، حاله كحال أولئك الذين يقتلون وليّاً من أولياء الله تعالى، ثم يسألون عن نجاسة دم البعوضة.

الأمر الثاني: «أو من هذه الأمّة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين؟!»؛ وكأنّه يعجب من اتّهام أبي يوسف لها بالكذب، وأنّه اغير مأمونة، حيث لا يوجد ما يدعوها لذلك، فهي قد نالت إعجاب الخليفة ورغبته، وهو مكسّب عظيم لأمثالها، فكيف لها أن ترغب بنفسها عن الرجل، لولا المانع الذي ذكرَته؟!

الأمر الثالث: «أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها، قال: اهتك حرمة أبيك،

واقضِ شهوتك، وصيّره في رقبتي؟!»(۱) كلّ ذلك لأجل قضاء شهوة رجل، فإنّه يفتي بمثل هذه الفتوى، ويتلاعب بشرع الله لإشباع رغبة الحاكم.

إنّ مثل هذا الانحراف لهو انحراف خطير جدّاً؛ لأنّـ انحراف في قيادة الأُمّـة، ورأس الهرم في إدارة الدولة، وعليه إذا كانت القيادة هي منشأ الانحراف والمبادرة إليه، فها بالك بعامّة الناس والأتباع؟! فهذا الانحراف لا شكّ يشكّل خطراً شديداً على الأُمّة ومستقبل الإسلام.

تُعدّ هذه القصّة نموذجاً من نهاذج فقهاء السلطة، تُبيّن كيف كان الحكّام يشجّعون على الانحراف الفكري من خلال ممارساتهم وسلوكهم، خاصّةً إذا استجاب لهم أصحاب النفوس الضعيفة من العلهاء.

ثَالثاً: شيوع الاعتماد على القياس والاستحسان والحجج غير المعتبرة

شهد عصر الإمام الرضائي ظاهرة الإفتاء بالرأي من دون الرجوع إلى الأدلّـة الشرعيّة، والإكثار من الاستحسان والقياس وغيرهما من الأُمور التي لا يقوم

⁽۱) التذكرة الحمدونيّة: ج٩، ص١٨٨، رقم ٣٩١. وانظر: السيوطي، جلال بن عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء: ص٣١٦. ونصّ الخبر كالتالي: «أخرج السلفي في الطيوريّات، بسنده عن ابن المبارك، قال: لما أفضت الخلافة إلى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي، فراودها عن نفسها. فقالت: لا أصلح لك؛ إنّ أباك قد طاف بي، فشغف بها، فأرسل إلى أبي يوسف، فسأله: أعندك في هذا شيء؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أو كلّم ادّرِ ممن أمة شيئاً ينبغي أن تُصدّقها؛ لا تُصدقها؛ فإنّم اليست بمأمونة. قال ابن المبارك: فلم أدرِ ممن أعجب: من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرّج عن حرمة أبيه، أو من هذه الأَمّة التي رغبت بنفسها عن أمير المؤمنين، أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها، قال: اهتك حرمة أبيك واقضِ شهوتك وصيّره في رقبتي؟!».

عليها الدليل الشرعي، كما اتضح ذلك من القصة التي ذكرناها آنفاً، وقد كان روّاد هذه المذاهب يمثّلون تيّاراً كبيراً، ويحضون بدعم السلطة وتشجيعها، فكانوا يملكون السلطة والمال في مواجهة خصومهم. كما كانت الحكومات العبّاسيّة المتعاقبة تسعى إلى تضعيف مذهب أهل البيت الله وتهميش دور الأئمّة إلى في الأُمّة من خلال دعم تلك التيّارات والمذاهب، وتشجيع الفِرق التي انفصلت عن مذهب أهل البيت الله ، لذا كان الوقوف بوجه هذه التيّارات المنحرفة يُشكّل خطراً على عياة الإمام الله ، ولكن مع ذلك كان الإمام الرضائي يتصدّى لهذا النوع من الانحراف الفكري والأخلاقي، من أجل أن يُحافظ على جوهر الإسلام ولبّه وأصالته ونقاوته، منتهجاً سياسة حكيمة في بيان بطلان هذه الأفكار وتوضيح زيفها وضلالتها وانحرافها عن الخطّ المستقيم.

رابعاً: الترف والفساد المالي لدى الطبقة الحاكمة

اتسم عصر الإمام الرضائي بتفاقم ظاهرة الترف والبذخ والتبذير في الإنفاق من بيت المال بين الطبقات العليا في السلطة، فقد تصرّف هؤلاء بأموال الدولة الإسلامية وأبنائها تصرّفاً غير شرعي، حتى أسرفوا فيها وبذّروا وأُترفوا من خلالها، وأصبحت تلك الأموال تُغدق على الموالين لحكّام الدولة، وعلى الجواري، وعلى الشهوات والملذّات (۱).

⁽۱) يقول بعض المؤرّخين في هذا الصدد: «وأسرف ملوك العبّاسيّين إسرافاً هائلاً، وأنفقوا أموال المسلمين بغير تحرّج على ملاذّهم ورغباتهم الخاصّة... ومن ألوان البذخ والإسراف الهائل في أموال المسلمين هو ما أنفقه المأمون من الأموال الطائلة المذهلة في زواجه بالسيّدة بوران، فلم يقع نظير ما أنفق على ذلك الزواج منذ خلق الله الأرض. لقد أمهر المأمون زوجته (ألف ألف دينار)، مع العلم أنّ قيمة الدينار في ذلك العصر كانت تساوي جملاً... لقد بلغت نفقات المأمون وحده على هذا العرس (٣٨ مليون) درهم، من غير [ما] أعطاه لوالدها الحسن، فقد أعطاه

لقد كان دور الإمام إلى في هذه المرحلة الحرِجة ـ من انتشار الفساد المالي على يد بني العبّاس ـ هو التوجيه والإرشاد، مبيّناً أنّ هذه الأموال هي أموال عامّة المسلمين صارت وديعة بيد الحكّام والقادة والمسؤولين الإداريّين، لكنّهم لم يحفظوا تلك الوديعة، مؤكّداً على وجوب وضع هذه الأموال في مواضعها الصحيحة، وأن تُصرف في مصارفها ومواردها المقيّدة بالقيود الشرعيّة.

هذا بالإضافة إلى أنّه الله كان يوجّه الناس ويحثّهم على أن تكون طريقة كسبهم للأموال محلّلة، وأن وتُصرف في ما هو المقرّر لها.

نصيحة وعظة

نود التعرّض بشكلٍ مختصرٍ للظروف الاقتصادية التي يمرّ بها العراق في الوقت الحاضر؛ من انتشار الفساد المالي بشكلٍ كبيرٍ جدّاً، وخاصّة على مستوى القيادات والمسؤولين في الدولة؛ فإنّ بلدنا _ العراق _ يُعدّ في التصنيف العالمي للفساد الاقتصادي والمالي ضمن أوّل ثلاث دول في العالم، وهو من الأُمور التي يُؤسف لها. ونحن من هذا المنبر نوجّه كلمتنا إلى القيادات المسؤولة في هذه الدولة أن تُحافظ على الأموال العامّة، واستثمارها في مواردها الصحيحة، فإنّه واجبُ أساسيٌ عليهم الالتزام به، وهو لا يقلّ أهميّةً عن واجبهم في الحفاظ على أرواح الناس، وتوفير الأمن والاستقرار لهم، فالفساد المالي ينهش في جسد الدولة العراقيّة وقوت الشعب العراقي كما ينهش الإرهاب في جسد هذا البلد وأرواح أبنائه، ولا بدّ من اتّخاذ العراقي كما ينهش الإرهاب في جسد هذا البلد وأرواح أبنائه، ولا بدّ من اتّخاذ

⁽عشرة ملايين درهم) من خراج فارس...». القرشي، باقر شريف، حياة الإمام الرضاء الله على المرضاء الله على المراد ١٩٢٠، ص١٩٠١.

الإجراءات الصارمة للحفاظ على هذه الأموال من العبث، وإيصالها إلى مواردها ومصارفها ومواضعها الصحيحة، التي تنتفع بها الدولة والمواطنون.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا للاهتداء بهدي الإمام الرضاي وأهل البيت الله ، وأن نسير على سيرتهم، إنّه سميع مجيب.

والحمد لله ربّ العالمين.



الخطبة الحادية والستّون قبساتٌ من الحياة العلميّة والأخلاقيّة

للإمام الجواد السيالا

بتاریخ: ۲۲/ ۱۲/ ۲۰۰۶م

وفيها المحاور التالية:

ذكرى استشهاد الإمام الجواد الماليا

◄ المبحث الأوّل: الحياة العلميّة للإمام الجواد التلا

كلي الأمر الأوّل: مواجهة التشكيك **ك الأمر الثانى: الحكمة من الإمامة المبكّرة**

◄ المبحث الثاني: الحياة الأخلاقيّة للإمام الجواد السلام

لك الوصيّة الأُولى: التسلّح بالصبر

الله الوصيّة الثانية: الوثوق بالله تعالى والتوكّل عليه الله التوكّل عليه

كلي الوصيّة الثالثة: التقوى

الوصية الرابعة: ممارسة النشاط الاجتماعي

ك الوصيّة الخامس: عدم طلب الشكر على المعروف

الوصية السادسة: حُسن المعاشرة المعاشرة

مقدّمة الخطبة

ين إِللَّهُ الرَّمْ يَزَالُكَ عِلَى عَيْر

«الحُمْدُ لله بكلّ مَا حَمِدَه بِه أَدْنَى مَلَائِكَتِه إليه، وأَكْرَمُ خَلِيقَتِه عَلَيْه، وأَرْضَى حَامِدِيه لَدَيْه، حَمْداً يَفْضُلُ سَائِرَ الْحُمْدِ كَفَضْلِ رَبِّنَا عَلَى جَمِيعِ خَلْقِه، ثُمَّ لَه الْحُمْدُ مَكَانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَه عَلَيْنَا، وعَلَى جَمِيعِ عِبَادِه المَّاضِينَ والْبَاقِينَ، عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِه عِلْمُه مَكَانَ كُلِّ نِعْمَةٍ لَه عَلَيْنَا، وعَلَى جَمِيعِ عِبَادِه المَّاضِينَ والْبَاقِينَ، عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِه عِلْمُه مِنْ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، ومَكَانَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا عَدَدُهَا أَضْعَافاً مُضَاعَفةً أَبَداً سَرْ مَداً إلى يَوْم الْقِيَامَةِ» (۱).

والصلاة والسلام على سيّد خلقه وخير رسله أبي القاسم محمّد، وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين.

أيّها الإخوة المؤمنون، أيّتها الأخوات المؤمنات، سلامٌ عليكم جميعاً ورحمةٌ منه وبركات.

ذكرى استشهاد الإمام الجواد الله

تمرّ علينا في كلّ عام في آخر شهر ذي القعدة _ وهو يوم أمس _ ذكرى استشهاد العَلَم التاسع من أعلام الهداية الربّانيّة، ومن أوصياء الرسوليَّيُّ ، وهو الإمام أبو جعفر محمّد بن عليّ الجوادي ، لذا يجدر بنا لإحياء ذكرى هذه المناسبة ذِكْر بعض البحوث المتعلّقة بسيرة الإمام الجوادي العلميّة الثقافيّة والأخلاقيّة التربويّة، لذا نقسّم الكلام في المقام إلى بحثين رئيسيين:

⁽١) الصحيفة السجّاديّة: ص٣٢.

⁽٢) صادف تاريخ وقوع هذه الخطبة في الأوّل من شهر ذي الحجّة لعام (١٤٢٧هـ)، وهو اليوم الذي يعقب ذكرى استشهاد الإمام محمّد الجواد الله ؛ لذا خصّصها فضيلة الشيخ لذكر ما يتعلّق بالإمام الجواد الله من الجوانب العلميّة والعقائديّة والتربويّة والأخلاقيّة.

المبحث الأوّل: الحياة العلميّة للإمام الجوادك الله

ينقل المؤرّخون وأصحاب السِّير أنّ الإمام الجوادي تقلّد منصب الإمامة وهو في سنّ السابعة أو التاسعة من عمره الشريف على الاختلاف بين المصادر التاريخيّة في سنّ السابعة أو التاسعة من عمره الشريف، وزعامة إلهيّة في قيادة الأُمّة الإسلاميّة، في ذلك ((). والإمام في منصب ربّاني، وزعامة إلهيّة في قيادة الأُمّة الإسلاميّة والإمام في تقلّد هذه الزعامة وهو صغير السنّ، الأمر الذي أثار حول ظاهرة إمامته المبكّرة بعض علامات السؤال، لذا لا بدّ هنا من وقفة قصيرة نتحدّث فيها عن أمرين:

الأمر الأوّل: مواجهة التشكيك

كيف واجه الإمام الجواديك التشكيك في إمامته واستغراب بعض الناس _ ولاسيّا مَن كان يحتلّ منهم مركزاً علميّاً _ من هذه الإمامة المبكّرة؟

تنقل بعض كتب السيرة أنّ الإمام الله ينن في أقواله أنّ الإمامة المبكّرة ليست بدعةً في سُنّة الاستخلاف الإلهي؛ فإنّ الله تعالى أعطى منصب النبوّة لعيسى بن مريم على نبيّنا وآله وعليه أفضل التحيّة والسلام وهو في المهد، وآتى زكريا الله الحُكم وهو صبي، وكذلك أوحى تعالى لداود الله باستخلاف سليان وهو صغير، وكان يرعى الغنم".

وإلى ذلك تُشير الرواية الواردة عنه الله ، يقول الراوي: قلت له _ للإمام الجواد الله _ إنّه م يقولون في حداثة سنّك، أي إنّ الناس يشكّكون في إمامتك ؛ لأنّك صغير السنّ، فقال الله تعالى أوحى إلى داود أن يستخلف سليان وهو صبي يرعى الغنم، فأنكر ذلك عُبّاد بني إسرائيل وعلم إوهم »، بعد هذا الإنكار ومن أجل تثبيت خلافة سليان الله ، وإظهار ما يؤيّد أنّ هذا التعيين لسليان الله إنّما هو من الله

⁽١) أُنظر: الطبري، محمّد بن جرير بن رستم، دلائل الإمامة: ص٣٨٧ وما بعدها.

⁽٢) كما سيأتي في الرواية عن الإمام الجواد اليالا .

تعالى وليس من داود النبيّ، يقول الله : «فأوحى الله إلى داود الله أن خُذ عصا المتكلّمين وعصا سليمان، واجعلها في بيت واختم عليها بخواتيم القوم، فإذا كان مِنَ الغد فمَنْ كانت عصاه قد أورَقَت وأَثمَرَت فهو الخليفة، فأخبرهم داود الله ، فقالوا: قد رضينا وسلّمنا»(۱).

وهنا تظهر المعجزة الإلهيّة التي هي خلاف النواميس الطبيعيّة؛ وذلك من أجل بيان أنّ هذا الاستخلاف من الله تعالى؛ لأنّ الأمر المعجز _ وهو كون العصا تُورق وتُعطى الثمر _ لا يتمكّن من إيجاده البشر؛ لأنّه من القدرة الإلهيّة.

والخلاصة: إنّ استخلاف الأنبياء والأوصياء وهم صغار السنّ ليس ببدعة في سُنّة الاستخلاف الإلهي؛ إذ قد حصل كثيراً وتعرّضت جملة من الآيات القرآنيّة لذكر ذلك(٢).

الأمر الثاني: الحكمة من الإمامة المبكّرة

ما هي العبرة والحكمة من ظاهرة الإمامة المبكّرة؟ فلهاذا هذه الزعامة الربّانيّة، وهذا المنصب الإلهي الكبير يتقلّده الإمام وهو صغير السنّ؟

وفي المقام نتعرّض لذكر شيء يتعلّق بهذا البحث:

أوّلاً: تنبيه الناس إلى صحّة النظريّة القائلة بأنّ قيادة الأُمّة إنّها هي زعامة ربّانيّة، ومنصب إلهي لا يكون بالاختيار أو الترشيح من قِبل عامّة الناس، أو شورى أهل الحلّ والعقد، وإنّها هي تعيين إلهي فقط.

⁽١) الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج١، ص٣٨٣، باب حالات الأئمّة في السنّ، ح٣.

⁽٢) كما في سورة مريم (الآية ١٢) قوله تعالى: ﴿يَنَيْغِينَ خُذِ ٱلْكِتَبَ بِقُوَّةٍ وَءَانَيْنَهُ ٱلْخَكُمُ صَبِيَّا ﴾، وكذا الآيتان (٢٩) و (٣٠) من السورة نفسها، قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكُلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًا ﴿ثَا قَالَ إِنِي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَـنِيَ ٱلْكِنْبُ وَجَعَلِني بَنِيًا ﴾.

إنّ القيادة الحقّة، والمرجعيّة الفكريّة والروحيّة والسياسيّة والإداريّة والاقتصاديّة والاجتهاعيّة لعامّة الناس، إنّها هي لمن عيّنه الله تعالى لهذا المنصب، وإنّ الهداية الربّانيّة والاقتداء بالصراط المستقيم منوط باتّباع الناس لهذا القائد الذي عيّنه الله تعالى، وإنّ الضلالة تكون بالابتعاد عنه وعدم الرجوع إليه.

إنّ واحدةً من أهم النظريّات التي بيّنها النبيّ الأكرم محمّد عَلَيْ هي نظريّة قيادة الأُمّة، وإنّ هذه القيادة ليست متروكةً لاختيار الناس، وإنّا هي زعامة ربّانيّة ومنصب إلهي، وإنّ الله تعالى يصطفي من عباده مَن يمتلك المؤهّلات التي يستطيع بها أن يقود الأُمّة، فالإمامة الكبرى محصورة بالتعيين الإلهي، والنبيّ عَيَا الله والأئمّة النظريّة من خلال الأحداث الكثيرة التي ذكر فيها استخلاف عليّا والأئمّة السياسيّة من بعده، لكن حالت دون تطبيق هذه النظريّة الربّانيّة المصالح والأهواء السياسيّة والتعصّب القبلي.

وبعد رحيل النبيّ على أنّ النظريّة الصحيحة في الإمامة هي النظريّة التي بيّنها من خلال تنبيه الأُمّة على أنّ النظريّة الصحيحة في الإمامة هي النظريّة التي بيّنها الرسول على أنّ القيادة إنّا هي نظريّة تعيين من قبل الله سبحانه وتعالى، لا نظريّة اختيار من قبل الناس أنفسهم. وهذا التنبيه كان بطريقة أنّ الإمام المعصوم الحالي ينصّ على الإمام الذي بعده، ويؤكّد للناس بأنّ هذا النصّ والتعيين ليس من قبله هو، وإنّا هو بوصيّة من رسول الله على أنّ الأمّة معيّنون من قبل الله تعالى لا من الرسول على أنّ الأمّة معيّنون من قبل الله تعالى لا من الرسول على أنّ الأمّة معيّنون من قبل الله تعالى لا من الرسول على أنّ الأمّة معيّنون من قبل الله تعالى لا من الرسول على الله فسه.

وممّا يؤكّد هذا الشيء هو تعيين الإمام الجوادي فذا المنصب القيادي وتولّيه إمامة الأُمّة وزعامتها وهو في عمر السبع سنين، حيث يدخل ديوان المناظرات الذي يغصّ بأكابر علماء ذلك العصر على اختلاف صنوفهم وعلومهم، فيستطيع من خلال ما أجراه الله تعالى على لسانه من الحكمة والمعارف والعلوم المختلفة في الفقه والتفسير والحديث وغير ذلك من أبواب العلم وفنون المعرفة أن يتغلّب على

الفقهاء والمفسّرين والمحدّثين وغيرهم من العلماء على الرغم ممّا يمتلكون من العلوم، فيُجيب عن جميع الأسئلة التي يطرحونها عليه، بل الأعجب من هذا أنّه الله يدخل في تفريعات وتشقيقات لا علم لهؤلاء العلماء والفقهاء بها(۱). وهذا إنّما يدلّ

(١) إشارةٌ إلى ما ورد من مناظرات للإمام الجوادلا اللهِ تجلَّى فيها علمه الزاخر على صغر سنَّه، كما في مناظرة يحيى بن أكثم له، فقد روى الشيخ المفيد بسنده عن الريّان بن شبيب أنّه عندما أراد المأمون تزويج ابنته أمّ الفضل من الإمام أبي جعفر الجواد الما العبّاسيّون معارضةً شديدةً، فكان من جملة ما أجابهم به المأمون أن قال: «أمّا أبو جعفر محمّد بن على قد اخترته لتبريزه على كافَّة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنَّه، والأعجوبة فيه بذلك، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه، فيعلموا أنّ الرأى ما رأيتُ فيه. فقالوا: إنّ هذا الصبيّ وإن راقك منه هَديُّه، فإنّه صبيّ لا معرفة له ولا فقه، فأمهله ليتأدّب، ويتفقّه في الدين، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك. فقال لهم: ويحكم؛ إنّني أعرَف بهذا الفتي منكم، وإنّ هذا من أهل بيت علمُهم من الله وموادّه وإلهامه، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال، فإن شئتم فامتحنوا أبا جعفر بها يتبيّن لكم به ما وصفتُ من حاله». فرضوا بذلك، وأجمع رأيهم على اختيار يحيى بن أكثم ـ وكان قاضي القضاة ـ على أن يسأل الإمام اليلا مسألةً لا يعرف الجواب فيها، ووعدوه بأموال نفيسة على ذلك، وعيّن لهم المأمون يوماً للاجتهاع. قال الشيخ المفيد: «واجتمعوا في اليوم الذي اتّفقوا عليه، وحضر معهم يحيى بن أكثم، وأمر المأمون أن يُفرش لأبي جعفر الله دَسْتُ [أي: جانب من البيت، وهي فارسيّة معرّبة].وتُجعل له فيه مِسْوَرَتان [متكأ من أدم]، ففُعل ذلك، وخرج أبو جعفر اليُّلا ، وهو يومئذٍ ابن تسع سنين وأشهر، فجلس بين المِسْوَرتين، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه، وقام الناس في مراتبهم، والمأمون جالسٌّ في دَسْت متّصل بدَسْت أبي جعفر الله ، فقال يحيى بن أكثم للمأمون: يأذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر؟ فقال له المأمون: استأذنه في ذلك، فأقبل عليه يحيى بن أكثم، فقال: أتأذن لي _ جُعلت فداك _ في مسألة؟ فقال له أبو جعفر الله : سَلْ إن شئت. قال يحيى: ما تقولُ _ جُعلت فداك _ في مُحرم قتل صيداً؟ فقال له أبو جعفر على الله على علماً كان المُحرم أم جاهلاً، قتله عمداً أو خطأً، حرّاً كان المُحرم أم عبداً، صغيراً كان أم كبيراً، مُبتدئاً بالقتل أم مُعيداً، من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها، من صغار الصيد كان أم كبارها، مُصرّاً على ما فعل أو نادماً، في الليل كان قتلُه للصيد أم نهاراً، مُحرماً كان بالعمرة إذ قتلَه أو بالحج كان مُحرماً؟

على أنّ هذا العلم هو من الله تعالى، إذ كيف يستطيع هذا الصبي الصغير السنّ أن يُظهر جميع هذه العلوم؟!

يتبيّن من خلال هذا العلم الغزير، وامتلاك الإمام الله المعارف الواسعة التي لا علم لجميع علماء ذلك العصر بها، صحّة النظريّة القائلة بأنّ الإمام وقائد الأُمّة لا بدّ أن يكون معيّناً من قِبل الله تعالى.

إنّ ما عاشته الأُمّة الإسلاميّة وما نعيشه اليوم من التفرّق والتشتّت وسيلان الدماء إنّا هو بسبب إعراض الأُمّة عن تلك النظريّة وعدم عملهم بها، فكان لا بـد من تنبيههم على أنّ القائد والمرجع الحقيقي والإمام الربّاني هو هذا الإمام المعصوم، ومن خلال حداثة سنّه وما يمتلكه من العلوم والمعارف الغزيرة يتبيّن للأُمّة أنّ النظريّة الصحيحة هي نظريّة التعيين، وليست نظريّة الانتخاب أو مَن يختاره أهل الشورى.

ثانياً: إن تفوق الإمام الله العلمي على علماء عصره وهو بهذه السن المبكّرة عندما ينتشر في الآفاق، ويطلع الناس على وقائع تلك المناظرات سوف يُظهر زيغ مَن يدّعي الأعلميّة والمرجعيّة الفكريّة للأُمّة في ذلك العصر، ويُسلّط الأضواء على مكانة أهل البيت الله وأعلميّة والروحيّة للأُمّة.

ثالثاً: إنّ هذه الظاهرة تُعطي الزخم الروحي والمعنوي لأتباع أهل البيت الله الذين تعرّضوا إلى نكسات نفسيّة كثيرة؛ بسبب الاغتيالات المستمرّة لهم ولقادتهم، إذ عملت الدولة العبّاسيّة ـ منذ بدء تأسيسها ـ على اغتيال أئمّة الشيعة، بدءاً بالإمام

فتحيّر يحيى بن أكثم، وبان في وجهه العجز والانقطاع، ولجُلَج حتى عرف جماعة أهل المجلس أمره. فقال المأمون: الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي في الرأي، ثم نظر إلى أهل بيته، وقال لهم: أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه...». المفيد، محمّد بن محمّد، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج٢، ص: ٢٨٢_٢٨٢.

الصادق، ومن بعده الإمام الكاظم، ثم الإمام الرضاية ، فظه ور القائد الصغير الذي أبهر العقول والعيون بمعارفه وعلومه يُعطي زخماً معنويّاً كبيراً لشيعة أهل البيت الله للتمسّك بولائهم وقادتهم.

رابعاً: إنّ هذه الظاهرة هي درس تربويّ اجتماعيّ مهم لجميع أبناء الأُمّة، الغرض منه بيان أنّ المعيار والميزان لاختيار القائد ليس هو التقدّم في السنّ، وإنّا هو الكفاءة.

ثمّة مشكلة كبيرة واجهها الأنبياء والمصلحون مع أُمهم بسبب هذا الاختيار الربّاني لبعض الناس للقيادة؛ إذ الله تعالى أعرف بعباده، ولقد اختار منهم مَن هو صغير السنّ؛ لأنّه يعلم بأنّه هو المؤهَل، وهو الذي لديه الكفاءة والخبرة والاستعداد لقيادة الأُمّة، لكنّ الأُمّة كانت تنكر على الأنبياء استخلافهم لأُولئك الأشخاص، كما حصل مع استخلاف داود الله لسليمان الله وهو صبيّ يرعى الغنم، فانكر عليه ذلك عُبّاد بني إسرائيل وعلماؤهم كما تقدّم.

وكذلك ما حصل في زمن النبي على عينها جعل إمرة جيش المسلمين الذي تجهز لغزو الروم تحت لواء أُسامة بن زيد وكان صغير السنّ، فأنكر عليه الكثير من كبار المسلمين ذلك الوقت جعله قائداً شابّاً صغيراً في السابعة عشرة من عمره (١٠).

نعم، إنّه درس تربوي عميق يُعلّم أبناء الأُمّة كيفيّة الانقياد إلى مَن يحمل الكفاءة والمؤهّلات للقيادة أو إدارة أُمور الدولة والمجتمع وإن كان صغير السنّ. أمّا إذا جعل الإنسانُ المعيارَ في ذلك هو كبر السنّ أو اتّباع الشخصيّة المعروفة وإن كانت لا تمتلك تلك المؤهّلات أو الخبرات القياديّة، فهذا ممّا يُوقع المجتمع في مشاكل حياتيّة كثيرة.

المبحث الثاني: الحياة الأخلاقيّة للإمام الجواد الله

في كلّ ذكرى تمرّ علينا من الولادات الميمونة للمعصومين أو أيّام استشهادهم نأخذ عبرة ودروساً من هذه الذكرى نستضيء بها، مستمدّين ذلك من أنوارهم الحيّ إذ هم أعلام الهداية. وفي المقام نتطرق للنهج التربويّ والأخلاقيّ في سيرة الإمام الجواد الله فإنّ له الكثير من التوجيهات والوصايا التي أصدرها لشيعته وعامّة الناس. وهنا نستعرض شيئاً من تلك الوصايا التربويّة:

الوصيّة الأُولى: التسلّح بالصبر

من جملة ما أوصى به الإمام الله المؤمنين هو التسلّح بسلاح الصبر والصلابة والمقاومة حينها يكونون تحت مطرقة الظالم والطاغوت، فعليهم الصمود أمام تلك الظروف الحرجة، فكان الله بهذا النهج يُبعد الأُمّة وأبناءها عن الخمول واليأس، ويبعث فيهم روح الصبر والأمل، مشيراً إلى أنّ الظالم سوف يواجه مصيراً بائساً ومصاعب مرّة أشدّ ممّا كان يُذيقه المظلومين، فهو لا بدّ أن يذوق وبال ظلمه، ويعيش حياة الذلّ والهوان في نهاية المطاف، بالإضافة إلى عذاب الله تعالى الأشد، فمن أقواله الله في هذا الصدد: «يوم العدل على الظالم أشدّ من يوم الجور على المظلوم»(۱).

⁽١) الإربلي، على بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمة: ج٢، ص٣٤٨. وقد رُوي هذا الحديث

فالصبر هو السلاح الذي يفتك بالظالمين إذا ما أجاد المظلومون استخدامه. وديمومة هذا الصبر والثبات عليه تكون كفيلة بالانتصار والتغلّب على الظلم والمحن. وليس معنى الصبر هو السكوت، وإنّم التعامل مع الظلم والجور على أنّه امتحان إلهي، وتحمّل الأذى ومقاومته مع استمرار الصابر على هدايته حتى يُفرّج الله همّه.

الوصيّة الثانية: الوثوق بالله تعالى والتوكّل عليه

يُبيّن الإمام الله المنهج الروحي الذي يجب أن ينتهجه المؤمنون للتمسّك بالصبر وبقائه واستمراره، وهو الوثوق بالله تعالى وبنصره وعزّه للمؤمنين وتأييده لهم، وذلك من خلال التوكّل المطلق على الله تعالى، فينبغي للمؤمن أن يتحلّى وهو صابر _بالوثوق بالله والتوكّل عليه. يقول الإمام الجواد الله مَن وثق بالله أراه السرور، ومَن توكّل عليه كفاه الأُمور».

وهنا قد يسأل سائل: كيف يكون التوكّل على الله كافياً للمؤمن، مع أنّ الكثير من الأولياء والمؤمنين يُواجهون البلاء ويُصارعون المحن القاسية؟!

والجواب: إنّ المراد من كفاية الأُمور هي أُمور السوء، وأمّا الابتلاءات والمحن فهي خير من الله تعالى إذا ما نظر إليها الإنسان نظرةً واقعيّةً؛ لأنّها تمحو الذنوب، وترفع درجة الإنسان المؤمن الصابر على ذلك (١٠).

⁻

وهذا المعنى يُبيّنه الإمام في الجملة اللاحقة من الحديث، يقول الله : «والثقة بالله حصن لا يتحصّن فيه إلّا مؤمن، والتوكّل على الله نجاة من كلّ سوء، وحرز من كلّ عدو».

بعد ذلك يُبيّن الإمام الله السلاح الفاعل الذي يواجه الإنسانُ به هذه المحن والابتلاءات، وبالتالي الانتصار عليها والوصول إلى الهدف، فيقول الله : «والدين عزّ، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع، ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع. وبالراعي تصلح الرعيّة، وبالدعاء تُصرف البليّة. ومَن ركب الصبر اهتدى إلى مضهار النصر "(').

إنّ غرضنا من هذه الجُمل اللطيفة ومعانيها التربويّة الراقية هو التأكيد على الصبر وما يحتاجه المؤمن لكسب هذه الصفة العظيمة، فإنّ بالصبر يُحقّ ق الإنسان الإنجازات التي كان يطمح إليها، وقد عرفنا أنّ الصبر يعتمد على الثقة بالله تعالى، والتوكّل عليه، والاعتقاد الراسخ بعدله وحكمته ونصرته للمؤمنين.

الوصيّة الثالثة: التقوى

منهج تربوي آخر يعرضه الإمام في نهاية الحديث المتقدّم يقول فيه: «ومَن عاب عيب، ومَن شَتَم أُجيب، ومَن غرس أشجار التُقي اجتنى ثمار المُني»(").

موسى بن عمران الله : أن يا موسى؛ ما خلقتُ خلقاً هو أحبّ إليّ من عبدي المؤمن، وإنّي إنّم ا ابتليته لما هو خيرٌ له، وأنا أعلم بما يُصلح عبدي، فليصبر على بلائي، وليشكر نعمائي، وليرضَ بقضائي؛ أكتبه في الصدّيقين عندي إذا عمل بما يُرضيني، وأطاع أمري».

وعنه الله عنّ وجلّ بالحزن في الدنيا؛ ليحدّ ما يكفّرها به ابتلاه الله عزّ وجلّ بالحزن في الدنيا؛ ليكفّرها به، فإن فعل ذلك به، وإلّا فعذّبه في قبره؛ ليلقاه الله عزّ وجلّ يوم يلقاه وليس شيءٌ يشهد عليه بشيءٍ من ذنوبه». المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار: ج٢٤، ص٢٣٥.

(١) الإربلي، على بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص٣٤٦.

(٢) ابن الصباغ المالكي، علىّ بن محمّد، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ج٢، ص١٥٣.

يُشير الإمام الله في هذا المنهج إلى أنّ الإنسان إذا كان غرضه إظهار عيوب الناس عند التعامل معهم؛ فإنّ النتيجة سوف تكون سلبيّة عليه؛ وذلك لأنّ كلّ إنسان لديه من العيوب ما هو خافٍ عليه لكنّه ظاهر للناس، فباستطاعة غيره إظهار عيوبه أيضاً.

هذا من جانب، ومن جانب آخر إذا ما أراد الإنسان أن يُحقّ ق أمانيه في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا بدّ من العمل لذلك، وقد مثّل الإمام الله لهذا المعنى بغرس شجرة التقوى، فإنّ التقوى هي العمل، وثمرها هو نيل المُنى والأماني التي يطمح الإنسان لتحصيلها وتحقيقها.

الوصيّة الرابعة: ممارسة النشاط الاجتماعي

يعرض الإمام إلى منهجاً تربوياً مهماً للناس يُبيّن فيه النشاط الاجتماعي المطلوب من كلّ إنسان؛ فإنّ الله تعالى إذا أنعم على الإنسان بنعمة من مال أو جاه أو منصب أو مكانة أو غير ذلك من النعم الدنيويّة، لا بدّ وإن يُعطي مؤونتها ويؤدي حقّها لكي تبقى ولا تزول؛ فإنّ النعم الدنيويّة إذا لم يُزكِها الإنسان فإنّها معرّضة للزوال. يقول الإمام الجوادين: «ما عظمت نعمة الله على عبدٍ إلّا عظمت عليه مؤونة الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤونة فقد عرّض النعمة للزوال»(۱).

يُريد الإمام الله أن يُبيّن للأُمّة بأنّ الله تعالى إذا أنعم على عبدٍ بنعمةٍ، وأحبّ العبد بقاءها وعدم زوالها فعليه أن يُؤدّي مؤونتها، فالجاه والمنصب الاجتماعي

⁽١) السيّد الحسيني القزويني، موسوعة الإمام الجواد: ج٢، ص٣٣٩، رقم الحديث ٧٩٠.

كلاهما من النعم، ومؤونتها السعي في قضاء حاجة المؤمن، فإذا تمادى الإنسان ولم يؤدّ هذه المؤونة عرّض هذه النعمة إلى الزوال.

الوصيّة الخامس: عدم طلب الشكر على العروف

الدرس الاجتهاعيّ التربويّ الآخر الذي يضيفه الإمام الجوادي في هذه الوصية هو إقناع النفس التي صنعت المعروف للآخرين بأنّ ما صنعته هو لنفسها أوّلاً، لذا فلا ينتظر الإنسان الشكر من الآخرين على معروف صنعه لهم؛ لأنّ ثواب هذا المعروف يعود له. نعم، من المؤكّد أنّ أخلاق المؤمن تفرض عليه شكر من أسدى له معروفاً، لكنّ مَن يصنع المعروف يجب أن ينتظر المجازاة من الله تعالى، لا أن ينتظر شكر المخلوقين ومجازاتهم. يقول الإمام الجوادي في هذا المعنى: «أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأنّ لهم أجره وفخره وذكره، فمها اصطنع الرجل من معروف فإنّا يبدأ بنفسه، فلا يطلبنَّ شكرَ ما صنع إلى نفسه من غيره»(۱).

إنَّ أجر هذا المعروف لصانعه، وكذا الفخر والذكر، فلا يُعقل أن يطلب صانع المعروف لنفسه الشكر من غيره.

الوصيّة السادسة: حُسن المعاشرة

حُسن المعاشرة من أهم مكارم الأخلاق، لذا يؤكّد الإمام على هذا الجانب الاجتماعيّ الذي يقوّي الأواصر الاجتماعيّة بين أفراد المجتمع، فها هي الطرق التي ينبغي انتهاجها واتّباعها من قِبل المؤمن لكي يُحسن المعاشرة مع الآخرين من الناس؟

⁽١) الإربلي، عليّ بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٣، ص١٣٩.

لقد وضع الإمام الجواد التي البرامج الصحيحة لحُسن السلوك وآدابه بين الناس، يقول الله : «ثلاث خصال تُجتلب بهنّ المحبّة: الإنصاف في المعاشرة، والمواساة في الشدّة، والانطواع (' والرجوع على قلب سليم) ('').

يجب أن يكون الإنسان منصفاً في عشرته مع الناس، يُحبّ لأخيه ما يُحبّ لنفسه، ويكره له ما يكره لها. ثم المواساة في الشدّة ووقوع المحن، فإنّ من اللازم أن يكون المؤمن عوناً لأخيه حتى الخلاص من محنته.

ومن المناسب في المقام التنبيه على أنّ الواجب الذي يتحتّم علينا في هذه الظروف الراهنة هو الوقوف مع إخواننا المهجّرين في محنتهم؛ فإنهّم قد فرّوا بدينهم وولائهم لأهل البيت الله إلى بعض المدن الآمنة، فمن الحقوق الواجبة على أبناء الأُمّة تجاههم هي الوقوف معهم في هذه الشدّة ومواساتهم، وبسط يد المعونة والمساعدة لهم، سواء المادّية أم المعنويّة؛ لأنّ الظرف الذي يمرّون به ظرف حرج يحتاج إلى مَن يساندهم فيه.

هناك مَن يتضايق من وجود هؤلاء المهجّرين في مدينته أو محلّته، فبدلاً من أن يقف معهم ليسدّ حاجتهم، أو يوفّر لهم ما تستلزمه الظروف المعيشيّة، نراه يتضايق منهم، وكأنّه لا يعلم سبب فرارهم وهجرتهم، لقد فرّوا بولائهم لأئمّتهم من أهل البيت الله فإنّهم وحرصاً على بقائهم على هذا الولاء والمعتقد تركوا كلّ ما

⁽١) الانطواع: الانقياد. قال الطريحي: «انْطَاعَ ك(انقاد)». الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين: ج، ص٣٧٣.

⁽٢) الإربلي، عليّ بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٣، ص١٤١.

يملكون، وهجروا أرضهم ومساكنهم، لذا لا بدّ أن تكون هناك مواساة لهم ولو بُحسن المعاشرة إذا لم يتمكّن الفرد من مواساتهم بها يحتاجونه من مستلزمات الحياة. يقول الإمام على في بيان كيفيّة الوصول إلى حُسن المعاشرة: «لا يفسدك الظنّ على صديق وقد أصلحك اليقين له»(۱). فيُشير بذلك إلى أنّ الناس في كثير من الأحيان يحكمون على الآخرين من خلال الظنون، وهذا ليس صحيحاً، وإنّها لا بدّ من الوصول إلى اليقين حتى يمكن إصدار الأحكام على الآخرين.

نعم، بعد التحقق والتثبّت إذا ما تيقن الشخص صدور الخطأ من أخيه المؤمن فإنّ واجبه أن يُقدّم له النُصح والإرشاد، لكن بشرط أن يُحافظ على كرامة أخيه، وألّا يتسبّب في هتك حرمته، ولذا ورد التأكيد في كلام الإمام الجوادي وسائر المعصومين على مراعاة آداب النصيحة والوعظ، ومنها أن تكون النصيحة سرّاً لا علناً؛ فإنّ في العلن مهانة للمؤمن؛ بسبب إظهار عيوبه أمام الآخرين، وهو ليس من الآداب والأخلاق الإسلاميّة. يقول في «ومَن وعظ أخاه سرّاً فقد زانه، ومَن وعظه علانية فقد شانه»(۱).

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا للسير على منهج أهل البيت الله والاقتداء بهم. والحمد لله ربّ العالمين.

⁽١) الإربلي، عليّ بن عيسى، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: ج٣، ص١٤٢.

⁽٢) المصدر نفسه: ج٣، ص ١٤١.



الخطبة الثانية والستّون في رحاب يوم عرفة

بتاریخ: ۲۹/ ۱۲/ ۲۰۰۲م

وفيها المحاور التالية:

◄ المحور الأوّل: من مواقف مسلم بن عقيل الله في ذكري شهادته

لله الموقف الأوّل: الطاعة المطلقة لإمام زمانه

لا الموقف الثاني: الورع وتجنّب الغدر

◄ المحور الثاني: فلسفة زيارة الإمام الحسين المنافي في يوم عرفة وفضيلتها

ك أوّلاً: ثواب زيارة الإمام الحسين التَّا في يوم عرفة

اللهِ ثانياً: ثمار الزيارة وفلسفة تأكيد الأئمة الملك عليها

مقدّمة الخطبة

بير إِللَّهُ الدَّمْ يَزَالَكُم يَسِيرُ

الحمد لله أهل الحمد ووليه، والدال عليه والمجازي به، والمثيب عنه، حمداً يزيد ولا يبيد ولا ينفَد، جلَّ جلاله وعظُم سلطانه، وتعالى مكانه، وتقدّست أسهاؤه، واتصلت آلاؤه، وتواضع كلّ شيء لهيبته، وخضع كلّ شيء لملكه وربوبيّته، ولا يُدرك الواصفون صفته، ولا تبلغ الأوهام كنه معرفته، فهو كها وصف نفسه إلها واحداً، أحداً صمداً، ﴿ لَمْ يَكِلْدُ وَلَمْ يُولَدُ اللهِ وَلَمْ يَكُنُ لَهُ مُحَدًّ اللهِ واحداً، أحداً صمداً، ﴿ لَمْ يَكِلْدُ وَلَمْ يُولَدُ اللهِ واللهِ اللهِ واللهِ اللهِ ولا يُعْ اللهِ ولا يكلُنُ لَهُ اللهِ ولا يكلُهُ ولكُمْ يكلُنُ لَهُ اللهِ ولهُ ولكُمْ يكلُنُ لَهُ اللهِ ولهُ اللهِ ولهُ اللهِ ولهُ اللهِ ولهُ ولكُمْ يكلُهُ ولكُمْ يكلُهُ للهِ ولكُمْ يكلُهُ ولكُمْ يكلُهُ ولكُمْ يكلُهُ ولكُمْ يكلُهُ ولكُمْ يكُنُ لَهُ ولكُمْ يكلُهُ ولكُمُ ولكُمْ يكلُهُ ولكُمُ ولكُمُ ولكُمُ ولكُمُ ولكُمُ ولكُمْ يكلُهُ ولكُمُ ول

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أعطاه الوسيلة، وشرّفه بالفضيلة، وأكرمه بالرسالة، وأيّده بالدلالة، وأبانَ به الإسلام، وفضّله على جميع خلقه، من أهل سهائه وأرضه، وبَرِّه وبحره، فضلاً لا يسمو إليه أحدٌ، ولا يبلغه واصفٌ. وفضّل به أهلَ بيته على جميع الأنام، وجعله الحُجج البالغة، وأيّدهم بالإمامة، وافترض طاعتهم على جميع مَن به دان، ولله وحدّ، وبرسوله على أقرَّ، وجعل فضلهم فضلاً لا يصفه واصفٌ، ولا يدركه ناعتٌ، ولا يبلغ منتهاه ذو لبّ، ولا يطمع فيه طامعٌ، فجعلهم نجومَ الأرض، يُمتدى بهم من الضلالة، ويزيل بهم حيرة العمى، وجعلهم أوتاد الأرض أن تميد بأهلها".

أُوصيكم بتقوى الله تعالى والاهتداء بهدي نبيّه محمّد عَلَيْ وآل بيته الطيّبين الأطهار الميال .

⁽١) الإخلاص: آية٣-٤.

⁽٢) ابن قولويه القمّي، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص٣٥.

تمرّ علينا في هذا اليوم ذكرى استشهاد سفير الإمام الحسين الله مسلم بن عقيل (۱)، وبهذه المناسبة وبمناسبة زيارة الإمام الحسين الله في يوم عرفة أودّ التحدّث في المقام حول محورين:

المحور الأوّل: ما يتعلّق ببعض المواقف المأثورة عن سفير الحسين المالية ، وكيفيّة الاستفادة من تلك الدروس السلوكيّة والأخلاقيّة التربويّة.

المحور الثاني: فلسفة زيارة الإمام الحسين الله في يوم عرفة وفضيلتها، والأبعاد العباديّة، والاجتهاعيّة، والنفسيّة، والتربويّة، والثوريّة التي نرجوها من الزيارات التي وردت وتكررت بكثرة على لسان المعصومين الله .

المحور الأوّل: من مواقف مسلم بن عقيل الميلا في ذكرى شهادته

إنّ ما يُذكر على المنابر حول مسلم بن عقيل الله ومواقفه المشرّفة شيءٌ كثيرٌ، ولكنّ المهمّ في الوقت الحاضر أن نذكر موقفين مهمّين من مواقف هذه الشخصيّة الفذّة لأجل الاقتداء بهما.

الموقف الأوّل: الطاعة المطلقة لإمام زمانه

تذكر المصادر التاريخيّة أنّ الدليلين اللذين استأجرهما مسلم بن عقيل الله وصَحِباه في طريقه إلى الكوفة، قد ضلّا الطريق فهاتان، وحينئذٍ كان بإمكان مسلم الله أن يجتهد في الرأي ويتّخذ موقفاً يقرّر فيه الرجوع عن مهمّته؛ لتعذّر الاتّصال بالإمام الحسين الله ، لكنّ ما عليه مسلم بن عقيل من التقوى والورع والاحتياط، وكذلك البصيرة والوعي لما ينبغي أن يكون عليه موقف الإنسان

⁽١) صادف إلقاء هذه الخطبة بتاريخ الثامن من ذي الحجّة من عام ١٤٢٧هـ.

⁽٢) انظر: الشيخ المفيد، محمّد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ج٢، ص٣٩ ـ ٠٤.

المؤمن، كلّ ذلك جعله متمسّكاً بالرجوع إلى الإمام الحسين على، ولم تثنيه تلك الظروف عن امتثال أمر إمامه والمتابعة له، لذا كتب كتاباً وبعث به مع طارقٍ كان قد مرّ من هناك يستجلي به الموقف المطلوب؛ لأنّ ما يقوله الإمام الحسين على يقرّره هو الحجّة بنظر مسلم بن عقيل على الله .

والذي يظهر من هذا الموقف هو أهميّة الرجوع إلى مرجع يكون رأيه حجّة أمام الله تعالى، كالمعصوم الله على فقرض الطاعة، فيُعدّ الرجوع إليه في كلّ المواقف مُبرئاً للذمّة أمام الله تعالى، ولقد أظهر مسلم بن عقيل الله في هذا الموقف تمام التسليم والانقياد والطاعة لمولاه وإمامه المفترض الطاعة والحجّة أمام الله تعالى.

وبها أنّ زماننا قد تميّز بالتعقيد والإرباك في معرفة الأُمور؛ لكثرة الفتن والتباس الحقّ بالباطل، فهذا يتطلّب من المؤمن اتّخاذ الموقف الصحيح الذي يُفرغ ذمّته أمام الله تعالى، ولا بدّ من الانقياد والطاعة لما تقرّره المرجعيّة الدينيّة في تلك الانعطافات والمواقف التي تتّسم بالخطورة في بعض الأحيان.

الموقف الثاني: الورع وتجنّب الغدر

هناك صراع على مرّ التاريخ بين الحقّ والباطل، وقد جعل الإسلام ضوابط وأحكاماً في الشريعة الإسلاميّة يلتزم بها جانب الحقّ، ولا يخالفها على الرغم من كون الباطل ظاهراً بيّناً للعيان، فإنّ أخذ الحقّ لا يحقق الهدف والغاية إلّا إذا أُقيم عن طريق الضوابط الشرعيّة، فلا يكون الحقّ حقّاً إذا كان مخالفاً لأحكام الله تعالى، وغير مطابق للشريعة المحمّديّة؛ لأنّ هناك تعارضاً بين الوصول إلى الغاية النبيلة والهدف السامي، وبين اتباع الأُسلوب الذي يُغضب الله تعالى، ويُخالف الآداب والأحكام الإسلاميّة، فإنّ الهدف الأسمى والنصر الكبير هو تطبيق أحكام الله

تعالى، وتحقيق رضاه، وليس الوصول إلى الكسب الدنيوي الزائل، أو الموقع السياسي الذي يزول بعد حين.

لقد تعامل مسلم بن عقيل على مع أعدائه في الكوفة من منطلق الأخلاق الإسلاميّة الرفيعة والالتزام بالأحكام الشرعيّة، رغم أنّ ما كانوا عليه هو الباطل الصريح الذي لا مِريَة فيه. وقد تجلّى ذلك في موقفه في خطّة اغتيال عبيد الله بن زياد، حيث ينقل المؤرّخون أنّه عندما كان ضيفاً في دار هانئ بن عروة ـ الذي كان وجهاً في قومه في الكوفة، ومن شيعة أهل البيت على وقد كان عبيد الله بن زياد يطلب مسلماً على الكنّه لا يعلم بمكانه. وصادف أن جاء عبيد الله لدار هانئ لعيادة شريك بن الأعور الذي كان مريضاً وراقداً في دار هانئ أيضاً، فأخذ شريك يحرّض مسلماً على قتل عبيد الله بن زياد والفتك به عندما يطمئن به المجلس في دار هانئ، مسلماً على يتحقّق النصر بصورة عاجلة، وتكون الكوفة ـ آنذاك ـ كلّها خاضعةً لمسلم بن عقيل، ويعتلي فيها موقع القيادة. فكان شريك يخاطب مسلماً بقوله: "إنّ غايتك وغاية شيعتك هلاكه، فأتمّ في الخزانة حتى إذا اطمأن عندي اخرج إليه واقتله، وأنا أكفيك أمره بالكوفة».

وهنا كان من الممكن أن يخرج مسلم من الخزانة ويقتل عدوه عبيد الله بن زياد، لكنّه امتنع عن ذلك، مع أنّه يعلم أنّ بقاء ابن زياد حيّاً سوف يشكّل عائقاً أمام تحقّق النصر وإنجاز ما جاء من أجله، وأنّ هذه القَتْلَة سوف تُنجي الحسين الله وشيعته من القتل وما يترتّب على ذلك من آثار ونتائج مضرّة بأهل البيت الله وشيعتهم، لكنّ مسلماً لم يبادر إلى قتل ابن زياد؛ لسبين:

السبب الأوّل: قول رسول الله عَلَيْنُ : «الإيمان قيد الفتك، فلا يفتك مؤمن» (١٠٠. إنّ

⁽١) الأصفهان، أبو الفرج، مقاتل الطالبيّين: ص٦٥.

هذا من الأخلاقيّات الإسلاميّة في الاختلاف مع الآخرين التي بيّنها الرسول عليها في شريعته، ونقلها أئمّة أهل البيت الله وربّوا عليها شيعتهم (۱)، وهذا ما منع مسلم بن عقيل الله من قتل عبيد الله بن زياد. فقد برّر مسلم عدم مباغتة ابن زياد وقتله عندما عاتبه شريك على ذلك، فقال له: «ما منعك من قتله؟!... أما والله، لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً غادراً».

وهذا الموقف يكشف عن تقوى مسلم بن عقيل والتزامه بالأحكام الشرعية وحرصه على تطبيقها. ويُعطي _ من جانبٍ آخر_ درساً عمليّاً وعبرةً للقادة والسياسيّين ولعامّة المؤمنين بأنّ القائد ينبغي له أن يعمل وفق الضوابط الشرعيّة والأخلاق الإسلاميّة، بل يجب أن يُبادر إليها أوّلاً قبل غيره من الناس. فقد كان مسلم بن عقيل إلى سفيراً للحسين إلى أي نائباً عنه في قيادة الأُمّة، فهو في مقام القدوة، فإذا صدر منه _ لا سمح الله _ شيء معيب فهذا يُعدّ وصمة عارٍ يُشنّع بها على هذا القائد، وبالتالي على الأُمّة الإسلاميّة والإسلام.

إنَّ الأنبياء والأئمَّة وأوصياءهم والمصلحين على مرَّ التاريخ لم يكونوا يبحثون

⁽۱) وردت في هذا المضمون عدّة أحاديث عن المعصومين المناقل منها ما رواه الشيخ الكليني بسنده عن أبي الصباح الكناني، قال: «قلت لأبي عبد الله إليه : إنّ لنا جاراً من همدان يُقال له: الجعد بن عبد الله، وهو يجلس إلينا، فنذكر عليّاً أمير المؤمنين الله وفضله، فيقع فيه، أفتأذن لي فيه؟ فقال الله لي يا أبا الصباح، أفكنتَ فاعلاً؟ فقلتُ: إي والله؛ لئن أذنت لي فيه، لأرصدنه، فإذا صار فيها، اقتحمت عليه بسيفي فخبطته، حتى أقتله. قال: فقال الله يا أبا الصباح، هذا الفتك، وقد نهى رسول الله يكله عن الفتك. يا أبا الصباح، إنّ الإسلام قيد الفتك...». الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي: ج٧، ص٣٧٥.

على النصر السياسي العاجل، ولم يطلبوا منصباً دنيويّاً، بقدر بحثهم وطلبهم تطبيق أحكام الله وعدالته في الأرض وإن كلّفهم ذلك الكثير من التضحيات سواء في النفوس أم الأموال؛ لكونهم القدوة والأسوة في المبادرة إلى هذا الأمر.

من هذا المنطلق نوجه خطابنا للقادة والسياسيّين ألّا يحملهم حبّ المناصب القياديّة أو المراكز السياسيّة، فيرتكبوا المحرّمات، ويقتلوا الأنفس البريئة، من أجل البقاء في السلطة، وكذا عامّة الناس يجب ألّا تحملهم الضغوطات النفسيّة أو حجم المعاناة الناتجة من كثرة الابتلاءات على أن يخالفوا أحكام الله تعالى، فمها كانت تضحياتهم كبيرةً عليهم ألّا يتصرّفوا تصرّفاً لا يُرضي الله تعالى ويخالف تشريعاته.

ومن زاوية أُخرى ليس من الصحيح أن نتهم شخصاً أو جهةً أو فئةً، ونحمّلهم تبعات ما يحدث في بلدنا العراق في هذه الفترة، من جرائم قتل وتهجير قسري لبعض العوائل في بعض المناطق من دون أن يتّضح السبب الكامل لها، ودون أن نعرف المسؤول عن هذه الأعمال الإجراميّة.

إنّ الذي منع مسلم بن عقيل من اغتيال ابن زياد هو الورع والاحتياط في الدين، وهو ما يجب أن يُراعى من قِبَل عامّة الناس _ فضلاً عن السياسيّين والمسؤولين وأصحاب الشأن _ في هذه الموارد ونظائرها.

هذه المواقف المشرّفة هي التي خلّدت هؤلاء القادة في قلوب الناس، وكذلك خُلّدوا في التاريخ، علاوةً على ما أعدّه الله لهم من المنزلة الرفيعة في الآخرة؛ لأنّهم حرصوا على تطبيق أحكام الله تعالى، ولم تجبرهم الظروف العصيبة على مخالفتها.

السبب الثاني: أمّا السبب الآخر الذي منع مسلم بن عقيل من الفتك بعبيد الله بن زياد فهو احترامه لحرمة البيت الذي حلّ ضيفاً فيه؛ فإنّ لأصحاب الدار حرمتهم ومكانتهم، ومن الآداب الإسلاميّة المهمّة مراعاة حقوق الضيافة، بألّا يعمل الضيف أو يتصرّف تصرّفاً يُشين بأصحاب البيت، حيث يُنقل أنّ امرأة هانئ

بن عروة قد طلبت من مسلم، وأقسمت عليه بألّا يفعل ذلك (۱)، لذلك راعى مسلم كراهيّة أهل الدار أن يُقتل عبيد الله بن زياد في دارهم.

المحور الثاني: فلسفة زيارة الإمام الحسين الله في يوم عرفة وفضيلتها

أوّلاً: ثواب زيارة الإمام الحسين على في يوم عرفة

يُصادف يوم غدٍ يوم عرفة، ومن المؤكّد استحبابه زيارة الإمام الحسين الله في هذا اليوم، وأودّ هنا التعرّض لذكر بعض الروايات التي وردت في فضل زيارة الإمام الحسين الله في هذا اليوم، وأُبيّن بعد ذلك فوائد ومعطيات زيارة الأئمّة الله المسين الله في هذا اليوم، وأُبيّن بعد ذلك فوائد ومعطيات زيارة الأئمّة الله المسين الله في هذا اليوم، وأُبيّن بعد ذلك فوائد ومعطيات زيارة الأئمّة الله في المسين ا

الرواية الأُولى: عن معاوية بن عيّار، قال: سألت أبا عبد الله الله عن عرفات لم سُمّي عرفات؟ فقال: «إنّ جبرائيل الله خرج بإبراهيم الله يوم عرفة، فلّما زالت الشمس قال له جبرائيل الله عنه اعترف بذنبك، واعرف مناسكك، فسُمّيت عرفات لقول جبرائيل الله اعترف، فاعترف، ('').

تُبيّن هذه الرواية سبب تسمية يوم التاسع من ذي الحجّة بيوم عرفة، فإنّه لم يكن يُسمّى قبل ذلك بعرفة.

الرواية الثانية: عن الإمام الصادق الله : قال: «مَن كان مُعسراً فلم يتهيّأ له حجّة الإسلام، فليأتِ قبر الحسين المنالي ، وليعرّف عنده، فذلك يُجزيه عن حجّة الإسلام. أمّا

⁽۱) ذكر ابن نها الحلّي أنَّ مسلماً قال لشريك عندما عاتبه على عدم قتل عبيد الله بن زياد: «لما هممتُ بالخروج تعلّقت بي امرأة قالت: ناشدتُك الله إن قتلت ابن زياد في دارنا، وبكت في وجهي، فرميتُ السيف وجلستُ. قال هاني: يا ويلَها قتلتني وقتلت نفسها، والذي فرّت منه وقعت فيه». ابن نها الحلّي، محمّد بن جعفر، مثير الأحزان: ص٢١.

⁽٢) الصدوق، محمّد بن علي بن بابويه، علل الشرائع: ص٤٣٦، ح١.

إنّى لا أقول يُجزي ذلك عن حجّة الإسلام إلّا للمُعسر، فأمّا الموسِر إذا كان قد حجّ حجّة الإسلام، فأراد أن يتنفّل بالحجّ أو العمرة، ومنعه من ذلك شُغل دنيا أو عائق، فأتى قبر الحسين المَيْلِ في يوم عرفة أجزأه ذلك عن أداء الحجّ أو العمرة، وضاعف الله له من ذلك أضعافاً مضاعفةً.

قال: قلتُ: كم تعدل حجّةً؟ وكم تعدل عمرةً؟ قال الإمام المَيْلِ: لا يُحصى ذلك. قال: قلتُ: مئة؟ قال: ومَن يُحصى ذلك؟!. قلتُ: ألفاً؟ قال: وأكثر. ثم قال: وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها، إنّ الله واسع عليم»(().

هذه الرواية تذكر فضل زيارة الإمام الحسين في يوم عرفة، وأنّها تعدل أضعاف ثواب أداء الحجّ أو العمرة، فإنّه إذا كان الإنسان مُعسراً ولم يتمكّن من الذهاب إلى الحجّ، فإنّ زيارة مشهد الإمام الحسين في يوم عرفة تجزيه عن حجّة الإسلام.

وأما إذا كان موسراً وقد حبّ بيت الله الحرام، وأراد أن يأتي بحجّة مستحبّة أو عمرة مستحبّة، ولم يتمكّن من ذلك بسبب عائق، فله أن يزور الإمام الحسين الله يوم عرفة، فيكون له ثواب الحجّة والعمرة.

ويستغرب السائل في هذه الرواية من حجم الثواب الذي يُعطى لزائر الإمام الحسين الله في يوم عرفة، فصار كلّم يذكر شيئاً لتحديد الثواب يزيده الإمام الله حتى قال: «وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها».

ثانياً: ثمار الزيارة وفلسفة تأكيد الأئمّة عليها

قد يسأل سائل: لماذا هذا الحتّ الشديد والترغيب الكثير الوارد في الروايات

⁽١) ابن قولويه القمّي، جعفر بن محمّد، كامل الزيارات: ص١٧٣.

الكثيرة عن المعصومين في التواصل مع زيارة المعصومين الله ؟ في المعطيات والثيار التي يجنيها المؤمن من زيارة قبر المعصوم، وخاصّة الإمام الحسين الله ؟

لا شكّ أنّ هناك معطيات وثهاراً كبيرةً وكثيرةً، ولكن قد يكون بعضها خافٍ علينا، فقد يدخل الإنسان أحياناً في بستان يحتوي على ثهار كثيرة ومتنوّعة، وفيها منافع كبيرة جدّاً، ولكنّه يغفل عن طرق الاستفادة منها، فلا يجني من تلك الثهار إلّا القليل، لذلك قد يخسر هذه الفوائد بسبب الغفلة وعدم الانتباه.

وكذلك الأمر في زيارة الإمام الحسين الله ؛ فإنّ هناك الكثير من المعطيات والثمار العباديّة والسياسيّة والتربويّة والاجتماعيّة، قد نكون في غفلة عن الكثير منها، فنُحرم من الانتفاع بها، والاستفادة منها.

وهذه المعطيات والثهار بعضها دنيوي، وبعضها الآخر أُخروي، فمتى ما استطعنا جني هذه الثهار والاستفادة من هذه المعطيات نفعتنا في الحياة الدنيا والآخرة. وفي المقام ننقل الكلام _ بحسب ما يتيسّر _ إلى ذكر شيء من تلك المعطيات والفوائد:

الثمرة الأُولى: تعزيز الارتباط الروحي بالائمّة اللهِ

نحن بحاجة إلى تعزيز الارتباط الروحي مع المعصوم إلى وذلك إنّها يحصل من خلال زيارات قبور الأئمة الله المتواصلة، وكيفيّة تحصيل ذلك يكون عن طريق قراءة الزيارة والتمعّن في عباراتها، واستحضار معاني ومضامين فقراتها حين قراءتها؛ فإنّها تنتقل بالقارئ إلى مقامات سامية، وتكشف عن المنازل الرفيعة للأئمة الله وهذا الأمريمثل قوّة جذب للروح تجعلها ترتبط مع صاحب القبر الشريف المُزار.

إنّ استحضار معاني مفردات الزيارات وعباراتها _ من قبيل: (حجّة الله في أرضه)، (أمين الله على وحيه)، (وارث الأنبياء)، (موضع الرسالة)، (مختلف الملائكة)، (مهبط الوحي)، (خزّان العلم)، (أصول الكرم)، (قادة الأُمم)، وغيرها يجذب القارئ إلى صاحب القبر المعصوم الله ، والاهتداء بهديه والسير على منهجه، خاصّة وأنّ تكرار هذا الأمر يُسهم في تركيز العقيدة وتثبيت هذه المفاهيم في القلب والروح.

الثمرة الثانية: إحياء المفاهيم والمبادئ والقيم الإسلاميّة

هناك الكثير من المفاهيم والمارسات والسلوكيّات والمواقف التي لها دور مهمّ وحيوي في الحفاظ على شريعة الإسلام والخطّ المحمّدي الأصيل، ولكنّها قد تغيب عن المشهد الإسلامي، بل قد تموت أحياناً في المجتمع المسلم، لذا تحتاج إلى ما يستنهضها في نفوسنا وأرواحنا، لكى تبقى حيّةً نعيشها في قلوبنا وفي سلوكنا.

إنّ من جملة هذه المواقف والمارسات المهمّة والحيويّة في حفظ الإسلام هي الحفاظ على روح الثورة ورفض الظلم والفساد والانحراف، والسعي إلى الإصلاح بين الناس، وتطبيق أحكام الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونصرة الحقّ وخذلان الباطل، والتوليّ لأولياء الله تعالى والتبرّي من أعدائهم، ورفد المجتمع المسلم بالقيم والآداب الإسلاميّة، فلا بدّ أن تبقى هذه المارسات والسلوكيّات والمواقف حيّةً في المجتمع الإسلامي، لكي تبقى رسالة الإسلام حيّةً لا تموت أو تضعف أو تغيب، فهناك العديد من الأسباب لضعفها وموتها، ومن جملتها انشداد الإنسان إلى الحياة الدنيا وتعلّقه بها، والضغوط التي يُهارسها الظالمون والطواغيت على أبناء المجتمع.

إنّ زيارة قبور المعصومين الله تستنهض وتُحيي هذه المبادئ والقيم والسلوكيّات والمواقف، فالوقوف أمام قبر المعصوم واستحضار معاني مفردات الزيارة الشريفة،

يجعل نفس الإنسان وقلبه وروحه متعلقةً بذلك الإمام المعصوم، وكانّه يراه ويحسّه إنساناً قد عاش الألم وضحّى بنفسه من أجل بقاء الإسلام؛ لأنّ الوقوف على قبر المعصوم ليس معناه الوقوف على جسدٍ ميّت، وإنّها الوقوف على مواقف بطوليّة مشرّفة أحيت الإسلام، وقارعت الظلم، وحقّقت النصر، لذا فإنّ هذه الصورة يراها الإنسان حيّةً في قلبه، فتستنهض في أعهاق نفسه تلك المبادئ والقيم، وتُحيي في النفوس روح الثورة، ويقوى العزم على ردع الظلم وإبادة الاستكبار، ويزداد الشوق إلى الإصلاح وتطبيق أحكام الله تعالى، والتوليّ لأولياء الله تعالى، والأمر المعروف والنهى عن المنكر، وهذا معناه إحياء للخطّ المحمّدي الأصيل.

فزيارة مراقد المعصومين والأولياء لها تأثير حسّي ملموس على نفوس الزائرين وقلوبهم وأرواحهم لا يدانيه أيُّ موقف آخر، فمن الممكن أن يطّلع الإنسان على حياة المعصوم في ويتعرّف على شخصيّته ومواقفه وخصائصه الكريمة من خلال قراءة حياته ومطالعتها، ويتأثّر بها تأثّراً شديداً، لكن هذا التأثّر لا يصل إلى مرحلة التفاعل والاندماج التي يحصل عليها المؤمن عند زيارته لمرقد ذلك المعصوم في والعيش في الجوّ الروحاني الذي يُحيط به، والذي ينعكس على روحه وعاطفته ومشاعره، ممّا يُبقى الارتباط به حيّاً وطريّاً.

الثمرة الثالثة: التعبئة الروحيّة والعسكريّة

إنّ زيارة المراقد المقدّسة تمثّل انطلاقاً للتعبئة الروحيّة والعسكريّة المطلوبة في نصرة الحقّ والدفاع عن الإسلام، والوقائع التاريخيّة شاهدة على ذلك، من قبيل اندلاع ثورة التوّابين، فإنّ الثوّار في ذلك الوقت كانوا قد جاؤوا إلى قبر الإمام الحسين الله وتزوّدوا من ثورته ثم انطلقوا معلنين الثورة.

وكذلك ما يُنقل عن ثلاثة من أنصار الإمام الحسين الله بعد استشهاده بفترة قصيرة، فإنهم تزودوا من تلك الطاقة الروحية والمعنوية، واندفعوا مضحين في سبيل الحفاظ على مبادئ الإسلام.

وكذا الحال في ثورة العشرين المعروفة في العراق، فإنّ المراقد المقدّسة في كربلاء والنجف كانت هي الأماكن التي تُعقد فيها المؤتمرات السياسيّة بإشراف المرجعيّة الدينيّة، والتي من خلالها انطلقت ثورة العشرين. وهذا ما شهدته الانتفاضة الشعبانيّة المباركة التي عمّت أكثر محافظات العراق، فكان الثوّار في مدينة كربلاء يتوجّهون نحو مرقد الإمام الحسين الله يأخذون منه المدد الروحي، حتى بقوا فيها أحد عشر يوماً صامدين، يتصدّون للجيش الصدامي، وكان السبب في هذا الثبات هو خصوصيّة الإمام الحسين الله وثورته، فقد كان لها الدور الكبير في إعطاء زخم روحي ومعنوي للثائرين، وفي اندفاع النفوس نحو التضحية.

إذاً زيارة المعصومين الله تُنتج التعبئة الروحيّة، ونحن بحاجة لهذه الزيارة؛ لكي يستمرّ هذا العطاء.

الثمرة الرابعة: مواصلة الدفاع عن الحقّ

إنّ الدفاع عن الحقّ يحتاج إلى الاستمرار والمواصلة، فقد يكون للإنسان موقف يدافع به عن الحقّ، ولكنّه لا يستطيع مواصلة ذلك الدفاع والاستمرار فيه، ما لم يكن هناك ما يمدّه بالقوّة، ويشجّعه ويحثّه على الاستمرار؛ فإنّه مهما صمد ربّما ينهار ويضعف أمام الضربات المتلاحقة من أعداء الحقّ. لذا تكون الزيارة والتواجد عند قبر المعصوم عاملاً مساعداً في استلهام الصبر؛ لأنّنا نستحضر فيها صبر الأئمّة وصمودهم أمام الظالمين، وثباتهم على الدفاع عن الحقّ، فإنّهم قد عاشوا سنين متطاولة تحت الظلم والاضطهاد، ولكنّهم صمدوا وصبروا وواصلوا طريق الدفاع عن الحقّ والوقوف في وجه الباطل.

ونحن نحتاج في مسيرتنا إلى الصمود والصبر والاستمرار في الدفاع عن الحقّ، ومن خلال زيارتنا للأئمّة يمكن أن نكتسب ذلك.

الثمرة الخامسة: تأسيس أعراف اجتماعيّة مفيدة

إنّ هذا المعطى هو معطى اجتماعيّ في الواقع؛ فإنّ الزيارة تُأسّس لأعراف اجتماعيّة مفيدة، وتُبعد المجتمع عن الأعراف غير المفيدة، فهي تُلغي الفوارق الطبقيّة بين أفراد المجتمع.

حينها يواظب الإنسان المؤمن الموالي على الزيارة في كلّ ليلة جمعة، ويحضر الزيارات الموسميّة في عَرَفة، وفي النصف من شعبان، وعيدي الأضحى والفطر، وفي محرّم وصفر، فإنّ هذه الزيارات المتكرّرة في كلّ شهور السنة تُؤسّس لعرفِ اجتهاعيّ مفيد للناس في الدنيا والآخرة؛ لأنّها تُبعدهم عن تلك الأعراف الاجتهاعيّة الخاطئة، وتُلغي الطبقيّة الاجتهاعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة، حيث يجتمع أبناء المجتمع في مكانٍ واحدٍ سواسيةً، يعيشون شعوراً واحداً، وهو الولاء لأهل البيت اليهي ويعيشون عاطفةً مشتركةً وهي الحزن على الأئمة اليهي وعلى مصائبهم. وهذا المعطى الاجتهاعيّ مهم جدّاً، ولا بدّ من الحرص على اكتسابه.

نسأل الله تعالى أن يوفقنا للاهتداء بهدي أئمّتنا، وأن نكون من الزائرين العارفين بحق أهل البيت الله و العارفين بحق الإمام الحسين إله الذي المعرفة الحقّة بالإمام المعصوم لا نحصل على ذلك الثواب المرتجى من زيارتهم الله .

والحمد لله ربّ العالمين.

مصادرالكتاب

- *القرآن الكريم.
- ☀ نصل الإمام على ﴿ تَعْقَيقُ وشرح: الشيخ محمّد عبده، دار الذخائر، قم_إيران، ١٤١٢هـ، ط: ١.
- ☀ نحطب الإمام على الله ، تحقيق: صبحي الصالح، بيروت ـ لبنان،
 ۱۳۸۷هـ ـ ١٩٦٧م، بيروت. لبنان، ط: ١.
- ★الصحيفة السجّاديّة، الإمام علي بن الحسين زين العابدين إلى الشر الهادي، قم إيران، ١٤١٨هـ، ط: ١.
- ١- ابن أبي الحديد، عبد الحميد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ ١٩٥٩م، ط: ١.
- ٢ ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت _ لبنان، 181٢هـ _ 199٢م، ط: ١.
- ٣- ابن الصباغ المالكي، علي بن محمد، الفصول المهمة في معرفة الأئمة، تحقيق:
 سامي الغريري، دار الحديث للطباعة والنشر، قم _ إيران، ١٤٢٢هـ، ط: ١.
- ٤ ابن بابویه القمّي، عليّ بن الحسين، الإمامة والتبصرة، تحقیق ونشر: مدرسة الإمام المهدي إلى قم إيران، ١٤٠٤هـ ١٣٦٣ش، ط: ١.
- ٥ ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد وبهامشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، دار صادر، ببروت لبنان.
- ٦- ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف العراق، ١٣٧٦هـ ١٩٥٦م.

٧- ابن طاووس، علي بن موسى، الدروع الواقية، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت الله التراث، قم إيران، ١٤١٤هـ، ط: ١.

٨ـ ابن طاووس، علي بن موسى، مقتل الحسين اللهوف في قتلى
 الطفوف، أنوار الهدى، قم _ إيران، ١٤١٧هـ، ط: ١.

٩- ابن طاووس، علي بن موسى، مهج الدعوات ومنهج العبادات، تحقيق ونشر مؤسسة شمس الضحى، طهران ـ ايران، ١٤٣٠هـ، ط: ١.

• ١ ـ ابن منظور، محمّد بن مكرّم، لسان العرب، نشر: أدب الحوزة، ٥ • ١٤ هـ.

١١ أبو داود السجستاني، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، تحقيق وتعليق:
 سعيد محمد اللحّام، الناشر: دار الفكر، ١٤١٠هــ ١٩٩٠م، ط: ١.

١٢ - الإربلي، على بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمة، الناشر دار الأضواء،
 بيروت ـ لبنان، ٥٠٥ هـ ـ ١٩٨٥م، ط: ٢.

17_ الأردبيلي، أحمد بن محمّد، زبدة البيان في أحكام القرآن، تحقيق وتعليق: محمّد الباقر البهبودي، مكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية، طهران _ إيران.

١٤ الأصفهاني، أبو الفرج، مقاتل الطالبيين. تقديم وإشراف: كاظم المظفّر، المكتبة
 الحيدرية، النجف الأشر ف_العراق، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥ م، ط: ٢.

10_ الآمدي، عبد الواحد بن محمّد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، تحقق: مهدى الرجائي، دار الكتاب الإسلامي، دمشق_سوريا، ١٤١٠م.

11_ الأمين، حسن، مستدركات أعيان الشيعة، الطباعة والنشر: دار التعارف للمطبوعات، بيروت لبنان، ١٩٨٧هـ ١٩٨٧م.

1٧_ البرقي، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن، تحقيق: جلال الدين الحسيني المحدّث، دار الكتب الإسلامية، طهران _ إيران، ١٣٧٠هـ - ١٣٣٠ش.

١٨ ـ البروجردي، حسين، جامع أحاديث الشيعة، المطبعة العلمية _ قم، ١٣٩٩ هـ.

19_ابن حمدون، محمّد بن الحسن، التذكرة الحمدونيّة، تحقيق: إحسان عبّاس وبكر عبّاس، الناشر: دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٩٦م، ط: ١.

• ٢- الترمذي، محمّد بن عيسى، سنن الترمذي (الجامع الصحيح)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، دار الفكر.

٢١ الحرّ العاملي، محمّد بن الحسن، وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة،
 تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت الله الإحياء التراث، قم _ إيران.

٢٢ ـ الحرّاني، الحسن بن علي بن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول الله تصحيح وتعليق: على أكبر الغفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم _ إيران، ٤٠٤ هـ، ط: ٢.

٢٣ ـ الخوئي، أبو القاسم، منهاج الصالحين، مهر، قم _ إيران، ١٤١٠هـ، ط: ٢٨.

٤٢ - الخوئي، ميرزا حبيب الله، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق: إبراهيم الميانجي، المكتبة الإسلامية، طهران - إيران، ٠٠ ١٤ هـ. ط: ٤.

٢٥ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، الناشر:
 دفتر نشر كتاب، ١٤٠٤هـ، ط:٢.

٢٦ ـ الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمّد، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، قم ـ ايران، ١٤٢٧هـ، ط:٢.

۲۷ الزبیدي، محمّد مرتضی، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقیق: علی شیری، دار الفکر للطباعة والنشر والتوزیع، بیروت ـ لبنان، ۱۹۹۵م ـ ۱٤۱۵هـ.
 ۲۸ ـ الزرکلي، خیر الدین، الأعلام، دار العلم للملایین، بیروت ـ لبنان، ۱۹۸۰م، ط: ٥.

٢٩_ اللجنة العلمية في مؤسّسة وليّ العصريك، موسوعة الإمام الجواديك، الشراف: أبو القاسم الخزعلي، برعاية: محمّد الحسيني القزويني، مؤسسة ولي العصريك للدراسات الإسلامية، قم ايران، ١٤١٩هـ، ط:١.

• ٣- السيوطي، جلال بن عبد الرحمن، تاريخ الخلفاء، تحقيق: لجنة من الأدباء، مطابع إخوان معتوق، بيروت ـ لبنان.

٣١ الصدوق، محمّد بن علي، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية _ مؤسسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسسة البعثة، قم _ إيران، ١٤١٧هـ، ط: ١.

٣٢ الصدوق، محمّد بن علي، الخصال، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجهاعة المدرسين، قم _ إيران، ١٤٠٢هـ.

٣٣_ الصدوق، محمّد بن علي، ثواب الأعمال، تحقيق: محمّد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضى، قم _ إيران، ١٣٦٨ش، ط: ٢.

٣٤ الصدوق، محمّد بن علي، علل الشرائع، تحقيق: محمّد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف العراق، ١٣٨٥ هـ ١٩٦٦م.

٣٥ الصدوق، محمّد بن علي، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم _ إيران.

٣٦ الصدوق، محمّد بن علي، من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي أكبر الغفّاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجاعة المدرسين، قم إيران ط: ٢.

٣٧_ الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم _ إيران.

٣٨_ الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتي وفضل الله اليزدي الطباطبائي، دار المعرفة، لبنان ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، ط: ٢.

٣٩ الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، تحقيق: أحمد الحسيني، منشورات المكتبة
 المرتضوية، طهران، ١٣٩٥هـ، ط: ٢.

- ٤ ـ الطوسي، محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، طباعة ونشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ٩ ١٤ هـ، ط: ١.
- 13_ الطوسي، محمّد بن الحسن، الأمالي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية في مؤسسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم _ إيران، ١٤١٤هـ ط: ١.
- ٤٢ ـ الطوسي، محمّد بن الحسن، الغيبة، تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني والشيخ على أحمد ناصح، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية، قم _ إيران، ١٤١١هـ، ط: ١.
- ٤٣_ ابن حزم الظاهري، محمّد علي بن أحمد، الفصل في الملل والأهواء والنحل، الناشر: دار الصادر_بيروت، ١٣١٧هـ، ط: ١.
- ٤٤ العاملي، زين الدين بن علي (الشهيد الثاني)، كشف الريبة عن أحكام الغيبة،
 انتشارات مرتضوي، ط: ٤.
- ٥ ٤ ـ الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- 23_ الفيروز آبادي، محمّد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: محمّد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م، ط: ٨.
- 24_ الفيض الكاشاني، المولى محسن، المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء، تصحيح وتعليق: على أكبر الغفّاري، مكتب النشر التابع لجامعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم _ إيران، ط: ٢.

٤٨ ـ القمّي، جعفر بن محمّد بن قولويه، كامل الزيارات، تحقيق: جواد القيّومي، نشر الفقاهة، ١٤١٧هـ، ط: ١.

9 ٤ ـ القندوزي، سليان بن إبراهيم، ينابيع المودّة لذوي القربي، تحقيق: علي جمال أشرف الحسيني، دار الأسوة للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ، ط: ١.

• ٥- الكفعمي، إبراهيم، البلد الأمين والدرع الحصين، مكتبة الصدوق، طهران _ إيران، ١٣٨٣ هـ.ش.

0- الكليني، محمّد بن يعقوب، الكافي، تصحيح وتعليق: نجم الدين الآملي، على أكبر الغفّاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران _ إيران، ١٤٠٧هـ، ط: ٤.

٥٢ اللّيثي الواسطي، علي بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق: حسين الحسيني البير جندي، دار الحديث، ط: ١.

٥٣ المازندراني، المولى محمّد صالح، شرح أصول الكافي، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتصحيح: علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٤٢١هـ، ط: ١.

٥٤ المالكي الاشتري، ورّام بن أبي فراس، تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، دار
 الكتب الإسلامية، ١٣٦٨ش.

٥٥ - المجلسي، محمّد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ط: ٣.

٥٦ المجلسي، محمّد باقر، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرّسول على تحقيق: مرتضى العسكري، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤هـ، ط: ٢.

0٧_ المجلسي، محمّد تقي، روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه، تحقيق وتعليق: حسين الموسوي الكرماني وعلي پناه الإشتهاردي، بنياد فرهنك إسلامي حاج محمّد حسين كوشانپور.

٥٨ المدني الشيرازي، علي خان، رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين الله على عصن الحسيني الأميني، مؤسسة النشر الإسلامي، الدين الله على المعادي الله المعادي المعادي

9 - المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران _ إيران، ١٤١٧هـ، ط: ١.

•٦- المظاهري، حسين، الفضائل والرذائل، ترجمة: دار الصفوة، دار الصفوة، بروت_لبنان، ١٩٩٤م، ط: ١.

71_ المفيد، محمّد بن محمّد بن النعمان، الإرشاد، تحقيق: مؤسسة آل البيت اللهالات المناب المناب

٦٢ الموسوعة الإلكترونية لمدرسة أهل البيت الله (ويكي شيعة):

.http://ar.wikishia.net

٦٣_ النراقي، المولى محمّد مهدي، جامع السعادات، تحقيق: محمّد كلانتر، دار النعان للطباعة والنشر.

٦٤ النعماني، محمّد بن إبراهيم، الغيبة، تحقيق: فارس حسون كريم، أنوار الهدى،
 قم ايران، ١٤٢٢، ط: ١.

٦٥ النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل

٥٠٤ المواعظ الحسنة، مواضيع أخلاقية من خطب الجمعة الدينية/ الجزء الثاني

البيت الله التراث، قم إيران، ١٤٠٧هـ، ط: ١.

77_ النيسابوري، محمّد بن الفتّال، روضة الواعظين، تحقيق: محمّد مهدي الخرسان، منشورات الشريف الرضي، قم_ إيران.

٦٧ مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام علي ابن أبي طالب الله ، قم إيران، ١٤٢١، ط: ١.

المحتويات

V	كلمة سماحة المتولّي الشرعي للعتبة الحسينيّة المقدّسة
٩	كلمة المؤسسة
١٠	(مؤسسة الخُلق العظيم) ودوافع تأسيسها
	رؤية المؤسسة
١١	أوَّلاً: اللهَّ تعالى بصفاته الكماليَّة والجماليَّة
	ثانياً: النظام الأخلاقي
	ثالثاً: الإنسان
١٢	أهداف المؤسسة
١٤	مشاريع المؤسسة
١٤	١_موسوعة المواعظ الحَسَنة
١٤	٧_موسوعة الأخلاق الإسلاميّة الألفبائيّة
١٥	٣_ترجمة النتاجات الأخلاقيّة
١٥	٤_مشروع التراث الأخلاقي
١٥	٥_تأليف سلسلة الفضائل والرذائل
قيّة١٦.	٦_مشروع المؤتمرات والملتقيات والندوات الأخلاذ
١٦	٧_المشاريع الإعلاميّة
١٦	- ٨ _إقامة دورات في الأخلاق الإسلاميّة

١٦	٩ _المكتبة الإلكترونيّة الأخلاقيّة
١٧	مذا الكتاب
١٧	نهجنا في العمل
	الخطبة الحادية والثلاثون
نين المثيادِ نين عالمثيادِ	حقوق الرعيّة على الراعي في مدرسة أمير المؤم
۲۳	قدّمة الخطبة
۲٤	ستويات إحياء ذكر الإمام على الثيلاِ
۲٤	المستوى الأوّل: المستوى الظاهري
۲٤	المستوى الثاني: المستوى الحقيقي
حکوم٥٢	صرورة إحياء فكر الإمام عليّ التِّلاِّ في العلاقة بين الحاكم والم-
۲٧	حقوق الرعيّة على الراعي
۲۸	الحق الأوّل: النصيحة
۲۹	الحق الثاني: تو فير الفيء
۲۹	الحق الثالث: رفع الجهل
٣٠	الحق الرابع: وتأديبكم كيها تعلموا
٣١	الحق الخامس: الرحمة للرعيّة والعطف عليهم
٣٢	الحق السادس: سعة الصدر
٣٣	الحق السابع: مواصلة اللقاءات
	الخطبة الثانية والثلاثون
	في ذكر الموت وفضل الشهادة والشهداء
٣٧	قدّمة الخطبة
٣٨	لشهادة في طريق زيارة أها البيت التلاث تجسيدٌ حقيق للمودّ.

٥ • ٧	المحتويات
٣٩	ضرورة المسيرات نحو المراقد المقدّسة لأهل البيت علم الله الله السيرات نحو المراقد المقدّسة لأهل البيت علم الله المسيرات المراقد المقدّسة الأهل البيت علم الله الله الله الله الله الله الله ال
	من وصايا الإمام علي التِّللِ
٤١	١_كثرة الشكر لله تعالى
٤٢	٢_الإكثار من تذكّر الموت
٤٤	وصف الإمام عاليًّا لإ لحال الأموات
٤٤	٣_المسابقة إلى فعل الخير
٤٥	موت التضحية
	الخطبة الثالثة والثلاثون
	فضل الانتظار ووظائف المنتظرين
٤٩	مقدّمة الخطبة
٥٠	وظائف المؤمنين في عصر الغيبة
٥٠	الوظيفة الأُولى: المعرفة الصحيحة والواضحة لغيبة الإمام عليها
	ثمرات المعرفة الصحيحة لغيبة الإمام عليه المسلم المسلم
٥٢	الوظيفة الثانية: انتظار ظهور الإمام التِّللِّ
٥٢	الأحاديث الواردة في الانتظار
٥٢	الحديث الأوّل:
٥٣	الحديث الثاني
٥٣	الحديث الثالث:
٥٤	الحديث الرابع:
	منزلة المؤمن في زمن الغيبة

٥٨	مرتكزات الانتظار الحقيقي
	الخطبة الرابعة والثلاثون
7	في رحاب أدعية شهر رمضان اليوميّ
٦٥	مقدّمة الخطبة
٦٦	أهمّيّة الدعاء في شهر رمضان
٦٦	في رحاب دعاء اليوم الأول من الشهر الفضيل
٠٧٠٧٢	الصوم الظاهري والصوم الحقيقي
٦٨	القيام الظاهري والقيام الحقيقي
٦٩	الذكر وعدم الغفلة
٧١	من أسباب الغفلة: الذنوب
٧١	طرق رفع المعاصي وآثارها
	الخطبة الخامسة والثلاثون
ä	في رحاب أدعية شهر رمضان اليوميّ
٧٥	مقدّمة الخطبة
٧٥	نذكيرٌ بفضل شهر رمضان وأهمّيّة الدعاء فيه
٧٦	
	دعاء اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان
ντ ντ	دعاء اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان طلب الوصول إلى رضا الله تعالى
V٦ V٦	دعاء اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان
V1 V1 VA	دعاء اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضانطلب الوصول إلى رضا الله تعالىطلب التوفيق للطاعة وعدم المعصيةدعاء اليوم الخامس والعشرين من شهر رمضان
V1 V1 VA V4	دعاء اليوم الرابع والعشرين من شهر رمضان

المحتوياتالمحتويات المحتويات ا

الخطبة السادسة والثلاثون المسؤوليّة الدينيّة والأخلاقيّة تجاه النازحين في ضوء المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

Λο	مقدّمة الخطبة	
۸٧	التحدّيات الاجتماعيّة للهجرة إلى المدينة	
	أهداف المؤاخاةأهداف المؤاخاة	
۸۸	أوَّلاً: الهدف النفسي	
۸۹	ثانياً: الهدف الاجتماعي	
91	ثالثاً: الهدف الاقتصادي	
91	رابعاً: الهدف السياسي	
٩٢	بيان مضامين الآيتين السابقتين	
90	المسؤوليّة تجاه النازحين في ضوء الآيتين السابقتين	
نازحين والمهجّرين٩٦	الخطوات المطلوبة من المسؤولين وأبناء الشعب تجاه ال	
الخطبة السابعة والثلاثون		
الموالاة للقيادة الإلهيّة ودور القيادة في الحفاظ على المجتمع المسلم		
1 • 1	مقدّمة الخطبة	
1.7	أهمّيّة وجود القيادة في كلّ المجتمعات	
1	صفات القيادة الرشيدة والقائد الصالح	
1 • 0	صنفان من القيادة وكيفيّة التعامل معهم	
1.7	نو عان من الولاء في القرآن الكريم	

ب الجمعة الدينية/ الجزء الثاني	٥١٠المواعظ الحسنة، مواضيع أخلاقية من خط
١٠٦	الأوّل: الولاء السلبي
١٠٧	الثاني: الولاء الإيجابي
11	من صفات الدولة الإسلاميّة
	الخطبة الثامنة والثلاثون
	أوصاف الدنيا المذمومة والدنيا المدوحة
١١٣	مقدّمة الخطبة
١١٣	خطبة أمير المؤمنين الشِّالِ في التنفير من الدنيا
110	أوصاف الدنيا في خطبة الإمام التَّلِدِ
١١٨	أوصاف الحياة الهنيئة
	الخطبة التاسعة والثلاثون
	محاسبة النفس
١٢٣	مقدّمة الخطبة
١٢٣	الهدف التربوي من تأكيد القرآن على إحصاء الأعمال وتدوينها
١٢٤	معنى كتاب الأعمال في يوم القيامة
170	آراء المفسّرين في حقيقة الكتاب
١٢٦	الدرس التربوي من إحصاء الأعمال وتدوينها
١٢٧	وصايا النبيّ عَلَيْهُ والأئمّة المِيّلِامُ في محاسبة النفس
١٢٨	الموارد التي يُسأل عنها العبديوم القيامة
179	الأعمال التي تهوّن الحساب يوم القيامة
179	أوّلاً: صلة الرحم
179	ثانياً: قلّة المال
179	

011	المحتويات
١٣٠	رابعاً: حسن الخُلق
١٣٠	كيفيّة محاسبة النفس
	الخطبة الأربعون
	فلسفة الحجّ ومعطياته
١٣٥	مقدّمة الخطبة
177	مقدّمة البحث
١٣٦	بناء الكعبة من قِبل إبراهيم التَّالِدِ
١٣٧	تطهير البيت الحرام وجعله رمزاً للتوحيد
١٣٨	الأذان في الناس للحجّ
١٤٠	معطيات الحجّ ومنافعه
١٤١	أوّلاً: المعطى الأخلاقي لشعيرة الإحرام
1 8 4	ثانياً: المعطى التربوي لغفران الذنوب في الحجّ
١٤٣	ثالثاً: التذكير بقادة الإسلام ورموزه
عية ٤٤١	رابعاً: تطهير النفس من الشحّ وتعميق روح التضح
1 8 0	خامساً: التدرّب على مراقبة النفس
187	سادساً: تقوية الإرادة
١٤٦	سابعاً: إحياء روح التآخي بين المسلمين
	الخطبة الحادية والأربعون
AL .	من معطيات الشهادة في سبيل الا
١٥١	مقدّمة الخطبة
107	تجديد العهد مع الحسين التِّلْإِ ومبادئ نهضته العظيمة

107	للالة على فضل الشهادة و فلسفة الابتلاء
١٥٦	صايا لإحياء روح الشهادة وتجاوز المحن والابتلاءات
	الخطبة الثانية والأربعون
	الابتلاء أهدافه وسُبل تجاوزه
١٦١	قدّمة الخطبة
١٦٣	لازمة بين الابتلاء والإيمان
١٦٥	سفة الابتلاء والاختبار
١٦٧	قيقة الابتلاء في زماننا
١٦٧	ـداف البلاء ومضامينه التربويّة
١٦٨	الهدف الأوّل: تطهير الإنسان من الذنوب
يي	الهدف الثاني: التضرّع والعودة إلى الله واستعادة الوع
179	الهدف الثالث: إيصال العبد إلى الكمال المطلوب
والآخرة	الهدف الرابع: رفع منزلة العبد والارتقاء به في الدنيا
١٧١	الهدف الخامس: تجذير المحبّة بين العبد وربّه
١٧١	ور الابتلاء وأشكاله
١٧١	الصورة الأُولي
177	الصورة الثانية
١٧٣	الصورة الثالثة
١٧٣	الصورة الرابعة
١٧٤	الصورة الخامسة
١٧٤	الصورة السادسة
١٧٧	بل اجتياز البلاء

۰ ۱۳	المحتويات
١٧٨	قصّة وعبرة
١٧٩	القيم الأخلاقيّة والدينيّة في آخر الزمان
	الخطبة الثالثة والأربعون
	نفحات من أخلاق النبيّ الأكرم عَايَوْلْهُ
١٨٥	مقدّمة الخطبة
١٨٥	ملامح من سيرة النبيّ عَلَيْلُهُ ودعوته
١٨٦	أُوَّلاً: مقوّمات الإنسان الرسالي وتجلّياتها في أخلاق النبيّ عَلَيْهُ اللّهِ
١٨٧	١_الاستعداد الروحي والمعنوي
١٨٨	٢_التحلّي بالصبر والثبات
١٨٩	٣_التوكّل على الله والثقة بنصره
191	ثانياً: مقوّمات الشخصيّة الإيانيّة وتجلّياتها في أخلاق النبيّ كَاللّهُ
197	١- نهاذج من الجانب العبادي في شخصيّته عَلِيْهِ
١٩٤	٢_نهاذَج من السلوك الاجتماعي للنبيِّ عَلَيْكُ أَنْ
	الخطبة الرابعة والأربعون
	تهذيب الجوارح ودورها في التكامل الأخلاقي
199	مقدَّمة الخطبة
199	حثّ الشريعة على تهذيب الجوارح
۲۰۰	الهدف من خلق الإنسان
۲۰۱	تأكيد الروايات على حفظ اللسان
۲۰۲	الحكمة من خلق اللسان

۲۰۳	الآثار السلبيّة للسان
Y • 0	جملة من آفات اللسان
Y • 0	١_الكذب
Y • 0	الكذب منشأ جميع الذنوب
۲۰٦	قصّة وعِبرةقصّة وعِبرة
۲ • ۸	الكذب على الله
۲ • ۹	٢_الغيبة والنميمة
۲ • ۹	٣_النفاق والتملّق
۲۱۰	سبل معالجة آفة اللسان
۲۱۰	١_التفكّر في العواقب والآثار الناتجة عن ذلك
۲۱۰	أ_العواقب الأُخرويّة
711	ب_العواقب الدنيويّة
711	٢_مراقبة النفس ومحاسبتها
717	٣_التَرَيَّث وعدم التسرّع في الكلام
۲۱٤	٤_اجتناب مجالس السوء
۲۱٤	٥_حبس اللسان عن فضول القول
۲۱٤	جملة من آداب الكلام
	الخطبة الخامسة والأربعون
	الاستقامة ودورها في حياة المؤمن
719	مقدّمة الخطبة
719	الاستقامة في القرآن
۲۲۰	معنى الاستقامة
***	و سائا الثاري على الاستقامة

0 \ 0	المحتويات
777	الأُولى: الإرادة والعزيمة
777	الثانية: الحفاظ على طهارة القلب
۲۲۳	الثالثة: الثقة بالله والتوكّل عليه
	الرابعة: الصبر
770	نهاذج قرآنيّة تحلّت بالصبر
	الخامسة: التأمّل في ما أعدّ الله لهم من الثواب
Y Y V	بشارات أُعدّت للمؤمنين
Y Y V	١_تنزَّل الملائكة، والأمن، وعدم الحزن
	٢_الدخول في ولاية الله
779	٣-البشري بالجنّة ونعيمها
ن	الخطبة السادسة والأربعو
لجيرانه وأوليائه	في رحاب دعاء الإمام زين العابدين الثيلا ا
٢٣٣	مقدّمة الخطبة
٢٣٣	المقدّمة
۲۳٤	المحور الأوّل: مكانة الجار وحقوقه في الإسلام
۲۳۰	مفهوم الجار
۲۳٦	مكانة الجار في الإسلام
۲۳٦	حقوق الجار في الإسلام
	تنویه
۲۳۸	المحور الثاني: جملة من حقوق الـمَوالي
۲۳۹	حقيقة مَن يتولَّى أهل البيت الهِّيلِامُ

خلاقية من خطب الجمعة الدينية/ الجزء الثاني	٥١٦ المواعظ الحسنة، مواضيع أ-
7٣9	جملة من صفات مَواليّ لأهل البيت البِّيلارُ
7 £ 7	١_كتمان السرّ
7 & ٣	٢_ستر عورات المؤمنين
7	٣_العطاء قَبل السؤال٣
7	٤_مقابلة الإساءة بالإحسان
787	٥_حسن الظنّ بالآخرين٥
ربعون	الخطبة السابعة والأ
والدعاوى الباطلة	من ابتلاءات الأُمم الفِرق الضالّة ا
7 £ 9	مقدّمة الخطبة
۲۰۰	حتميّة الابتلاء والتمحيص في الآيات والروايات
۲۰۳	الابتلاء بالفرق الضالّة والدعاوي الباطلة
۲٥٤	ظهور بعض الفِرق الضالّة في زمن الأئمّة عليهيّارُ
	جواب الأئمّة على الله على بعض دعاوى الغلو
	الموقف المطلوب لتجنّب الفتن
ΥοΛ	أوِّ لاَّ: اتّباع العلماء الصالحين
صحاب الدعاوي الباطلة ٥٥٢	ثانياً: اتّخاذ الموقف الاجتهاعي الصارم تجاه أه
177	نموذج من الفِرق المنحرفة: الفرقة البابيّة
ربعون	الخطبة الثامنة والأ
من المنك ر	الأمر بالمعروف والنهي ع
	القسم الأوّل
٧٦٧	مقدّمة الخطبة
۲٦۸	محاور الخطبة
نكر وآثارهما الدنيويّة والأُخرويّة ٢٦٩	المحور الأوّل: بيان أهمّيّة الأمر بالمعروف والنهي عن الم

o \V	المحتويات
Y79	النقطة الأولى: أهمّيّة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
	أوّلاً: اعتماد الفرائض الأُخرى على الأمر بالمعروف وال
ويُنهى عن المنكر . ٢٧٠	ثانياً: ازدهار الجانب الاقتصادي في حين يُؤمر بالمعروف
۲۷۱	ثالثاً: استقامة العقيدة والأخلاق
۲۷۱	النقطة الثانية: آثار العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
YVY	أ) بسط العدل
YVY	ب) وحدة الصفّ الإسلامي
	ج) إشاعة الأخلاق الحسنة
۲۷۳	د) الازدهار الاقتصادي والقضاء على الفقر
۲٧٤	هـ) از دهار الجانب العلمي في المجتمع
	النقطة الثالثة: آثار ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
	أ) سلب البركاتأ
	ب) شيوع الفُرقة وتسلّط الأشرار على المجتمع
۲۷٦	ج) استحالة القيم
YVV	د) موت الأُمم
	هـ) خسارة الآخرة
۲۷۸	المحور الثاني: شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
	الخطبة التاسعة والأربعون
	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
	القسم الثاني
۲۸۰	مقدّمة الخطبة

مقدّمة الخطبة
القسم الأوّل
القلبأمراضه وعلاجه
الخطبة الخمسون
٧_المدارة
٦_الزهد
٥_الإيثار
٤_الشجاعة
٣_القدوة
٧- العلم والمعرفة
١_الإخلاص لله تعالى
المحور الخامس: خصائص الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر
٣_ أُسلوب الاقتداء
٢ ـ أُسلوب الحوار
١_أُسلوب الخطاب
المحور الرابع: أساليب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
تنبيه
٣_الإنكار باليد واستعمال القوّة
٢_الإنكار القولي
١_الإنكار القلبي
ثانياً: التدابير العلاجيّة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
أوَّلاًّ: التدابير الوقائيّة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
المحور الثالث: التدابير الوقائيّة والعلاجيّة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٨٦
٥١٨ المواعظ الحسنة، مواضيع أخلاقية من خطب الجمعة الدينية/ الجزء الثاني

019	المحتويات
٣٠٣	المقدّمة
٣٠٤	أهمّيّة القلب ودوره في الطاعة والمعصية
	إصابة القلب بالأمراض وضرورة علاجه
٣٠٦	حقيقة القلب السليم في القرآن والروايات
٣٠٧	القلب السليم في القرآن الكريم
	القلب السليم في الروايات
	تنويه: بيان المراد من حبّ الدنيا
٣١١	المراد بعدم الانتفاع بالمال والبنين في الآخرة
٣١٤	كيف يكون المال والبنون من وسائل النجاة في الآخرة؟
٣١٥	كيفيّة تحصيل القلب السليم
	الخطبة الحادية والخمسون
	القلب أمراضه وعلاجه
	القسم الثاني
٣١٩	مقدّمة الخطبة
٣٢٠	جملة من أمراض القلب
٣٢٠	أوّلاً: الرياء (الشرك الخفي)
٣٢٤	من نهاذج الرياء
٣٢٥	النموذج الأوّل: الرياء في العبادات
٣٢٧	النموذج الثاني: الرياء في أعمال الخير
٣٢٨	تنويه: ضرورة الالتفات إلى النيّة في العمل السياسي
٣٢٩	ثانياً: النفاق

ة، مواضيع أخلاقية من خطب الجمعة الدينية/ الجزء الثاني	٥٢٠ المواعظ الحسنة
٣٣١	ثالثاً: العُجب
٣٣٣	العُجب في العبادة
٣٣٥	رابعاً: سوء الظنّ
ثانية والخمسون	الخطبة ال
رمي من الابتلاءات والمحن	أهداف المشرّع الإسلا
٣٣٩	مقدّمة الخطبة
٣٤٠	الابتلاء محكّ الإيمان الحقيقي
٣٤٢	الأهداف من الابتلاءات والمحن
حة الاجتماعيّة	أوّلاً: خروج غير اللائق من السا-
٣٤٣	صفات المؤمن الحقيقي
نفسنفس	ثانياً: بلوغ المؤمن مرحلة تطهير ال
٣٤٤٠	ضرورة التدبّر في تاريخ الماضين وابتلاءاة
٣٤٨	ثالثاً: الوعي بالهدف الحقيقي
ثالثة والخمسون	الخطبة الأ
سيرة الإمام الكاظم الثيلإ	إضاءات أخلاقيّة من
mom	مقدّمة الخطبة
mom	ذكرى شهادة الإمام الكاظم التيالي
70	أشهر ألقابه لماليَّالِا
س	أوّلاً: كاظم الغيظ والعافي عن النا
700	ثانياً: العبد الصالح
700	ثالثاً: باب الحوائج
٣٥٦	إضاءات أخلاقيّة من سيرة الإمام التيالِ.

٥٢١	المحتويات
٣٥٦	الإضاءة الأولى: عبادة الإمام التِّللِّ
۳٥٨	الإضاءة الثانية: الصبر والصمود
۳٦١	الإضاءة الثالثة: الدعوة إلى الله تعالى بغير اللسان
	زاد المؤمن عبادة الله تعالى
۳٦١	الإضاءة الرابعة: قضاء حوائج المؤمنين
	الخطبة الرابعة والخمسون
	التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت إليِّ إلاَّ خلاقيّة
٣٦٩	مقدّمة الخطبة
٣٧٠	مقدّمة البحث
۳۷۱	الأُسس الإسلاميّة لمبدأ التكافل الاجتماعي
٣٧٣	الأساس الأوّل: تفعيل دور الأُخوّة الإيمانيّة
۳۷٥	عاقبة التهاون في قضاء الحاجة
	الأساس الثاني: الشعور بالرحمة
٣٧٦	الأساس الثالث: تعاون المجتمع
۳۷۸	الأساس الرابع: الشعور بالمسؤوليّة العامّة
	الأساس الخامس: الإيثار
۳۷۹	الأساس السادس: البرّ والإنفاق
	الخطبة الخامسة والخمسون
	الاستعانة بالصبر والصلاة
۳۸٥	مقدّمة الخطبة
۳۸٦	في رحاب شهر رمضان المبارك

ع أخلاقية من خطب الجمعة الدينية/ الجزء الثاني	٥٢٢ المواعظ الحسنة، مواضيع
٣٨٦	جملة من التحدّيات التي تواجه المسيرة الإيمانيّة .
٣٨٧	وسيلتان للاستعانة على مواجهة التحدّيات
٣٨٨	الوسيلة الأولى: الصبر
٣٨٩	الفضائل المترتّبة على الصبر
٣٩٠	تأكيد الإمام الصادق التيلاِّ على الصبر
٣٩١	الصبر سرّ نجاح الأنبياء والأولياء
٣٩٢	تفسير الصبر بالصوم
٣٩٤	الوسيلة الثانية: الصلاة
الخمسون	الخطبة السادسة وا
إلى ولده الإمام الحسن اليَّالِيْ	مضامين أخلاقية في وصيّة أمير المؤمنين
٣٩٩	مقدّمة الخطبة
٤٠٠	وصية أمير المؤمنين إلى ولده الإمام الحسن التَّالِيْمُ
٤٠١	المضمون الأوّل: عمارة القلب بذكر الله
٤٠١	المضمون الثاني: الاعتصام بحبل الله
٤٠٤	المضمون الثالث: التفاعل مع الموعظة
ار به٥٠٤	المضمون الرابع: الاتّعاظ بالماضي والاعتب
٤٠٧	المضمون الخامس: التوقّف عند الشبهة .
لخمسون	الخطبة السابعة وا
شِيلٍ ني وصف المتّقين	في رحاب خطبة أمير المؤمنين إ
ن	القسم الأوّ
٤١١	مقدّمة الخطبة
٤١١	تنویه
فين وتثاقله الشَّالِ عن ذلك ١٣ ٤	طلب هَمَّام من أمير المؤمنين التِّيلاِّ بيان صفات المتَّه

٥٢٣	المحتويات
٤١٥	بيان صفات المتّقين
	عن مراحب يى أوّ لاً: الصواب في المنطق
	تانياً: الاعتدال في الملبس
	تالثاً: التواضع في المشي
	رابعاً: غضّ البصر عن الحرام
٤١٧	خامساً: قصر السمع على العلم النافع
٤١٨	سادساً: التسليم لله في الشدّة و الرخاء
٤١٩	سابعاً: الاشتياق إلى الثواب والخوف من العقاب
٤٢٠	ثامناً: تعظيم الخالق
	الخطبة الثامنة والخمسون
	في رحاب خطبة أمير المؤمنين إليَّا إِ في وصف المتَّقين
	القسم الثاني
٤٢٥	مقدّمة الخطبة
	حال المتّقين في الليل
٤٢٩	حال المتّقين في النهار
٤٣٠	كلام الإمام الباقر عاليَّالٍ في وصف الشيعة الحقيقيّين
٤٣٢	ما يتراءى من صفات المتّقين للناظر
٤٣٢	من علامات المتّقين
	الخطبة التاسعة والخمسون
	قبسٌ من مكارم الأخلاق في كلام الإمام الصادق النَّهُ إِلَّهُ
٤٣٩	مقدّمة الخطبة

معة الدينية/ الجزء الثاني	ا المواعظ الحسنة، مواضيع أخلاقية من خطب الج
٤٣٩	يى استشهاد الإمام الصادق التيلاِ
٤٤٠	وصايا الإمام الصادق التَّالِدِ بمكارم الأخلاق
٤٤١	١_التقوى
٤٤٢	٢_استشعار المسؤوليّة الاجتماعيّة
٤٤٤	٣_أداء حقوق المؤمنين
	الخطبة الستّون
Ç	محطّات من سيرة الإمام الرضا البِّلْإِ ودوره الإصلاح
٤٥١	مة الخطبة
٤٥٢	ار الأئمّة علم الله التبليغ الرسالي
٤٥٣	سة الأئمّة على إليّل في مواجهة الانحراف في المجتمع
٤٥٥	يات عصر الإمام الرضاليَ إلا ودوره في مواجهتها
٤٥٥	أوّلاً: الانحراف الفكري والعقائدي
٤٥٦	ِ الإِمامِ التَّيَالِ فِي مواجهة الأحاديث المجعولة
٤٥٨	ثانياً: تقديم علماء السوء ووعّاظ السلاطين
المعتبرة ٤٦١	ثالثاً: شيوع الاعتهاد على القياس والاستحسان والحجج غير
	رابعاً: الترف والفساد المالي لدى الطبقة الحاكمة
٤٦٣	بحةٌ وعِظَة
	الخطبة الحادية والستّون
يياد	قبساتٌ من الحياة العلميّة والأخلاقيّة للإمام الجوادل
٤٦٧	مة الخطبة
٤٦٧	يى استشهاد الإمام الجواد الثيلاِ
٤٦٨	المبحث الأوّل: الحياة العلميّة للامام الحه اد إليّالا

0 7 0	المحتويات
٤٦٨	الأمر الأوّل: مواجهة التشكيك
٤٦٩	الأمر الثاني: الحكمة من الإمامة المبكّرة
	المبحث الثاني: الحياة الأخلاقيّة للإمام الجواد التِّلْإِ
٤٧٤	الوصيّة الأُولى: التسلّح بالصبر
٤٧٥	الوصيّة الثانية: الوثوقّ بالله تعالى والتوكّل عليه
٤٧٦	الوصيّة الثالثة: التقوى
٤٧٧	الوصيّة الرابعة: ممارسة النشاط الاجتماعي
٤٧٨	الوصيّة الخامس: عدم طلب الشكر على المعروف
٤٧٨	الوصيّة السادسة: حُسن المعاشرة
	الخطبة الثانية والستّون
	في رحاب يوم عرفة
٤٨٣	مقدّمة الخطبة
نه ٤٨٤	المحور الأوّل: من مواقف مسلم بن عقيل التِّيلاِّ في ذكري شهاد:
٤٨٤	الموقف الأوّل: الطاعة المطلقة لإمام زمانه
٤٨٥	الموقف الثاني: الورع وتجنّب الغدر
	المحور الثاني: فلسفة زيارة الإمام الحسين التِّلاِ في يوم عرفة وفض
	أوّلاً: ثواب زيارة الإمام الحسين التِّيلا في يوم عرفة
	ثانياً: ثمار الزيارة وفلسفة تأكيد الأئمّة إليّالِي عليها
٤٩١	الثمرة الأُولى: تعزيز الارتباط الروّحي بالأئمّة المِيَلِامُ
	الثمرة الثانية: إحياء المفاهيم والمبادئ والقيم الإسلاميّة
	الثمرة الثالثة: التعبئة الروحيّة والعسكريّة

الثاني	٥٢٦ المواعظ الحسنة، مواضيع أخلاقية من خطب الجمعة الدينية/ الجزء
٤٩:	الثمرة الرابعة: مواصلة الدفاع عن الحقّ
٤٩	الثمرة الخامسة: تأسيس أعراف اجتماعيّة مفيدة
٤٩١	مصادر الكتاب
0 • 0	المحتويات